قصة

الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب



المجلد الثاني



بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت * سنة ١٩٢٧

قصة

الامير حمزة البهلوان

المعروف

بحمزة العرب



المجلد الثاني

بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت * سنة ١٩٢٧

الجزء الثاني

من قصة الامير حمزة ا

قال ولما كان صباح اليوم الثاني اصطف الصفان . وترتب الفريقان كل منهما على الاخر واشتد القتال وحمي النزال واختلط الرجال بالرجال وتقابضت بالايدي الابطال . الى ان انقضى النهار وزال . وعزم على المسير والارتحال . فرجع العرب والاعجام الى المضارب والخيام وباتوا تلك الليلة تحت مشيئة الرحمان . حتى اصبح صباح اليوم الثالث . فاصطف العرب في ناحيهم بعد ان ترتبوا كالعادة ووقف كل فارس في ناحية لحماية رجاله وحاشيته وفي الوسط الامير حمزة مع اخيه عمر العيار وكذلك الاعجام وانتظموا احسن انتظام . واذا بالامير حمزة قد صاح وهجم واشار الى رجاله بالهجوم فتبعوه وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة ودخلوا باب الحرب والطعان فالتقتهم الاعجام بقوة قلب وجنان . وطاف عزرائيل عليهم من كل ناحية ومكان واحضر معه الوفاً من مثله لمساعدته بقبض الارواح وفصلها عن الاشباح واحتاط بهم مئات الوف من وحوش البراري طلباً لقوتها ورزقها من تلك الاجسام المتروكة من سيوف العرب وحامت طيور الجو متجمعة من الشرق ومن الغرب لتشبع بطونهـا وتملئها من لحوم القتلى ودبت هوام الارض متروية ساعية الى التجمع عليها وهكذا كانت حرب تلك النهار شديدة وعظيمة وعواقبها كئيبة ووخيمة وفيما المتقاتلان يقتتلان واذا بسيف طويل يبلغ طوله ١٠ اذرع قد وقع بين الاعجام ومال ذات اليمين وذات الشمال وهو يصيب في كل ضربة عدداً من الرجال فيهوي بها الى بساط الارض وتتمدد مفارقة الحياة . هذا وكان ذاك السيف سيف الراعد وقد جاء ليفي بوعده وينهي القتال في ذاك اليوم وبقي لهيب الحرب يضطرم وارجل المنايا تزدحم حتى شعرت العجم بفناها وايقنت انها سائرة الى دار شقائها وبلاها ولم ترَ لها خلاصاً من يد اعدائها وكذلك كسرى انو شروان

انه رأى كل ما هو جار على رجاله وشاهد ان العرب قد ابادت قسماً كبيراً منهم وهي تطاردهم وتطردهم الى الوراء فقلب الضياء في عينيه ظلاماً وقال لبختك روح ابيك تتقلب على جبال الثلج وتحوم من الدنو من النار فقد اهلكنا سوء تدبيرك وها ان رجالنا وقع بهم العدم . فقال هلم يا سيدي الى الهرب فان اليوم ليس يومنا ومتى جاء يومنا اخذنا بثأرنا من العرب ثم امر الحجاب فحملوا كسرى على بيكار الاشتهار وطاروا به راجعين ركضاً ومهزومين في البراري ولما رأت عساكر الاعجام ان العلم الاكبر قد سار الى الوراء وان ملكهم قد هرب التزموا باتباعه فالووا اعنة خيولهم وفروا من وجه اعدائهم فتأثرهم العرب وهي تضرب باقفيتهم وتشفي غليلها منهم وتريد ان لاينجو منهم احد في ذاك اليوم كي لا يعودوا الى التجمع مرة ثانية وكان اول الهاربين زوبين الغدار خوفاً من ان يلتقي به حمزة فيأخذ لنفسه منه بالثأر وقد اهلك الراعد قسماً كبيراً بذاك السيف الطويل وصال في وسطهم الى ان اقبل الظلام والتزمت العرب الى الرجوع وكانوا قد ابعدوا الاعجام عن مكة مسافة ثلاث ساعة واهلكوا منهم نحو الثلث وتركوهم بايشم حالة واسوأ مصير وعاد الامير حمزة مسروراً بذاك النصر وبين يديه عمر العيار كأنه الشنبوب في الانطلاق ولما قربوا من المدينة خرج الامير ابراهيم لملاقاتهم مع اعيان مكة المطهرة وبين ايديهم النساء تضرب بالدفوف والعبيد بالمزاهر وتقدم ابراهيم من ولده فقبله وهنأه بالسلامة وكذلك مدح سائر الفرسان والابطال ودخلوا جميعاً المدينة على تلك الحالة واولموا وليمة فاخرة وفرقوا الاموال على الفقراء والايتام وقسموا الغنائم على كل نفس من عساكر وقواد وشيوخ وشبان ولحق كل واحد شيء كثير منها وبعد انقضاء السهرة انصرف كل الى صيوانه وهم يتيقنون انه وان كانت النصرة كافية لاذلال العجم وقهر كسرى الا ان بختك لا يتركهم دون ان يقودهم مرة ثانية الى حرب العرب وذهب حمزة فنام في فراشه تلك الليلة مرتاحاً الى ان كان الصباح نهض من فراشه وجلس على سريره واذا بالراعد قد وقف امامه وقال له لقد انتهى

غرضك وتفرق العجم عنك ولم يعد من امل برجوعهم الآن واريــد منك ان تنهي وعدك لي وتسافر معي الى بلادي لتقتل لي عدوي ولا تقيم هناك اكثر من ايام قليلة فاني احملك على عاتقي واسير بك فلا تشعر بتعب . قال اصبر عليّ بينما اكون قد هيأت نفسي ودبرت امري وأوصيت الفرسان بالتيقظ في غيابي خوفاً من وقوع ما لم يكن بالبال ثم ان حمزة سار من صيوانه حتى دخل على مهردكار فوجدها جالسة بانتظاره لعلمها انه لا بد ان ياتي اليها في ذاك النهار وعند ما رأته نهضت لملاقاته وترحبت به وادخلته الى الداخل فشكرها وقبلها بين عينيها وقال لها يصعب عليّ يا قرة العين ان اخبرك ان عساكر ابيك قد انكسرت وانه سار مهزوماً ولا بد ان يكون بلغك هذا الخبر . قالت يكفيني ان اراك سالماً سليماً من نوائب الايام واما ما اصاب ابي فهو ما استحقه مع رجاله لانه ترك الحق واعمي البطل عينيه فال الى بختك وسمع منه وانقاد اليه وحمل نفسه ما لا يطاق وجر بعساكره ورجاله الى ساحة الوبال وجرد نفسه عن الرحمة والشفقة عليّ وعليك بعد ان وعدك الوعد الصادق ان يزفني عليك وتكون صهره وخفير بلاده مكافأة على قتلك خارتين وارجاع بلاده اليه ومن حيث قد نكر جميلك وقابلك بالعداوة والبغض فعاملته معاملة العدو لا النسيب ولذلك معذور واما انا فاني بمقتضى واجبات الدين والانسانية ان ابقى بين يدي ابي وتحت امره ولا اخرج عن طاعته ولو كان بذلك موتي وهلاكي . غير اني قهرت اميالي من هذا الوجه وعرفت ان من ضرورة الحال ان اكون على الدوام عندك لتكون انت مرتاحاً ولا يكون ما يكدرك فتصرف ليلك مطمئناً لا سيما وان ابي ليس على دين الحق بل كافر بدين الله وهو محاط برجل من اخبث اهل العالم واشرها متسلط كل التسليط على عقله وقلبه ورأيت من نفسي ان البعد عنه خير من التقرب والبقاء كيف كان الحال ومهما قيل عني . فمدحها حمزة وشكر من اطوارها وقال لها نعم ان بقائك عندي راحة لي لا لاني اريد ان تكوني على غير طاعة ابيك بل لعلمي ان اباك لا يستحق ان يكون عنده بنت نظيرك فسبحان من يخرج الحي من الميت ولا

سيما اني اكون مرتاح البال عليك وامينًا من الغدر بك وظلمك والان اريد منك ان تذهبي معي الى فرساني لان لي غاية ابديها هناك بحضورهم كوني سأغيب عنك الى جبال قاف فتبقي انت تحت حمايتهم

فلما سمعت كلامه شعرت بانفطار قلبها وضياع عقلها وقالت كيف يطيعك قلبك ان تتركني وتذهب عني وانا وحيدة هنا وبعيدة عن كل انيس وصديق لا اب ولا ام او اخت تسليني وقد اتخذتك بدلاً عن الجميع ولا سيما اذا طالت غيبتك . قال ان سفري لا بد منه حيث قد وعدت الراعد وعداً صادقاً ومن كان مثلي لا يعد ويخلف ولا بد من عودتي قريباً فلا اغيب الا اياماً قليلة لان وان كانت البلاد بعيدة لكني سأسير راكباً على عاتق الراعد فيوصلني باقرب وقت ويعيدني كذلك ولي رجاء بالله تعالى ان تكون سفرتي هذه موفقة فاقضي غرض الراعد واتفرج على تلك النواحي واعود حالاً . فلما سمعت كلامه وشاهدت اصراره على السفر سكتت وهي باكية العين منكسرة الفؤاد وقامت معه وسارت الى صيوان ابيه وهي منقبضة . وكان جميع من في الصيوان بانتظار حمزة ومن جملتهم الراعد فقاموا احتراماً له ثم انه حياهم وجلس في مكانه وعندما استقر به الجلوس دعا بالفرسان اجمعهم ان يتقدموا اليه . فقال اريد ان كل واحد منكم يضع يده فوق يد الاخر ففعلوا وتجمعت الايدي فوق بعضها ثم دعا بمهردكار وقال لها ضعي يدك فوق يد الجميع ففعلت واذ ذاك قال لهم حمزة اني اريد منكم ان تتخذوا مهردكار اختاً لكم وتعاهدوها امامي وامام الملك النعمان وابي وباقي الاعيان ان تكون لكم اختاً وان تكونوا لها اخوة فقالوا لا شك انها اختنا ونزيد على ذلك ان نعاهدها بحسب امرك كيف لا وهي مخطوبة منك وقريباً تصير سيدة العرب . وبعد هذا اقسم كل واحد منهم بالله انه يتخذها اختاً ويحامي عنها كانت ويبذل حياته من اجلها . وبعد ان ارتاح بال الامير حمزة من هذه الجهة امر اخاه عمراً ان يأخذ مهردكار الى صيوانها واقام هو بين الفرسان وهم ينظرون اليه ولا يعلمون ماذ يقصد بذلك وما هي غايته وصرفوا

نحواً من ساعة سكوتاً

ثم قال له اندهوق لا نعلم ما هو السبب الذي دعاك الى هذا العمل هل بدا منا قصور بخدمتك او لحظت اننا على غير الصواب . قال كلا فاني اعرف عهد الاخاء الواقع بيني وبينكم ولا يمكن قط ان ينقض او يصاب بشائبة غير انه لا حفاك اني وعدت الراعد بالمسير معه الى بلاده واعرف اكيداً ان الملك كسرى اذا عرف بغيابي عاد الى حربكم لا محالة فاذا كنتم تعتبرون مهردكار كاخت لكم لا تتخلون عنها قط كما انكم لا تتخلون عني ولا سيما انكم تعرفون ان كسرى لا يترك بنته بايدينا ولا بد من استعمال كل الوسائط لانتشالها من بيننا وانا لا اعرف مدة سفري هل تكون قصيرة او اعد لي في عالم الغيب ما يجعلها لايام وازمان . اما انتم فتبقون في مكة وفيكم الكفاءة لان تحاربوا كسرى وتنتصروا عليه وتظفروا به فمهردكار هي اختكم وعاملوها معاملة اخت كما اني اريد منكم ان تبقوا محافظين على شرف العرب وناموسهم فلا تتركوا مجالاً للاعجام ان ينفذوا مآربهم بنا ويأخذوا منا فتاة اصبحت منا وفينا وهي تعبد الله مثلنا . فلما سمع الفرسان كلام الامير حمزة ما منهم الا من تكدر واغتاظ ونهض اندهوق بن سعدون وقال له ان العرب ما تجمعت الا لاجلك وتحت رايتك فاذا سرت عنها فرط انتظامها وانحل عقدها وسار كل منا الى ناحية ولا سيما انا فاني اول من ترك هذه البلاد ورحل الى بلاده ولهذا لا يمكن ان ندعك تسافر ولا يوافق ان تترك المعسكر وعدو العرب كسرى انو شروان وبختك بن قرقيش . ومثل ذلك قال المعتدي حامي السواحل وباقي الفرسان المتجمعين في ذاك المكان حتى سكت الامير ولم يبد خطاباً وخاف ان يتم قول الفرسان فيفرقون ويتركون مكة ومهردكار ولذلك التفت الى الراعد وكان حاضراً في ذاك المكان وقال له اذهب يا اخي من حيث اتيت فان الفرسان وباقي العربان لا يتركونني اذهب عنهم قبل فصل الحال ونهاية الامر بيننا وبين كسرى انو شروان وتشتيت شمله وانقراض دولته فلما سمع الراعد هذا الكلام بكى بدمع سجام وقال انت وعدتني

بالذهاب معي وقتل عمي ولو لم تعدني لما بقيت بانتظارك الى هذا اليوم . قال اني وعدتك ولا ازال اعدك غير ان الزمان لا يسمح لي في هذه الايام فاصبر الى نهاية الحال والا فانصرف الى سبيلك . فزاد حزن الراعد وترك الصيوان وخرج باكياً وبقى الامير حمزة الى المساء . وعند المساء ذهب الى صيوان مهردكار فوجدها بحزن زائد لانها تأكدت سفره وثبت عندها ان الامير ما فعل هذا الفعل في ذاك النهار الا وفي نيته السفر حتى في غيابه يحامي الفرسان عنها كاخيهم ولا يتركونها وصرفت باقي النهار على مثل هذه الافكار باضطراب وكدر وانشدت تقول :

صروف الليالي لا يدوم لها عهد وايدي المنايا لا يطاق لها رد
تسالمنا سهواً وتسطو تعمداً فاسعافها عسف واقصادها قصد
عجبت لمن يغتر منهـا بجنة من العيش ما فيها سلام ولا برد
افي كل يوم للنوائب غارة يشق عليها الجيب او يلطم الخد
ارى كل مألوف يعجل بعــده فما بال بعد الالف ليس له بعد
وزرت بلاداً ينبت المن ارضها ويتجح في ابناء ابياتها العقد
ولما عطفت العيس آخر رحلة الى معهد بي والحبيب بـــه عهد
سألت حمى الفيحاء ما بال ربعها جديباً وقد كانت نضارته تبدو
وما بالها لم يروَ من مائها الصدى لظام ولا يورى اقاصدهـــا زند
فقالت نأى من كان بالسعد مرتد وصوّح نبت العز وانهدم المجد
اذا قال قولاً يسبق القول فعله فليس له يوماً وعيد ولا وعد
فيا نازحاً يدنيه حسن اذكاره ففي بعده قرب وفي قربه بعد
لك الله كم ادركت في المجد غاية تقاعس عن ادراكها الاسد الورد
اذا افتخر الاقوام يوماً بمجدهم فانك من قوم بهم يفخر المجد
هم القوم فاهوا بالفصاحة رفعاً وشابت نواصي مجدهم وهم مرد
اذا حل منهم واحد بقبيلة يشار اليه انه العلم الفرد
تعود متن الصافنات صغيرهم الى ان تساوى عنده السرج والمهد

حموا الجيوش الجأش حول بيوتهم | من المجد ما لم يحمه الجيش والجند
بيوت كماة دونها تحطم القنا | وغابات اسد دونها تفرس الاسد
اقاموا وبرد العيش عندهم لظى | وصالوا وحر الكر عندهم برد
وعزوا الى ان سالمتهم نجومها | فلا نجم الا وهو في ربعهم سعد
فبالرغم مني ان يغيبك النوى | ويرجع مردوداً بخيبته الوفد
سأبكي بجهد المستطاع حزينة | نواك وهذا جهد من ماله جهد

فلما دخل الامير عليها وسمعها تنشد هـذه الابيات حن لها وعرف ان بعده سيلقيها باليأس ويحملها ما لا تطيق حمله فهي تبكي عالمة انه لا يزال بالقرب منها وفي نيته الرحيل فكيف اذا سافر وطال غيابه. ثم تقدم منها ومسح دمعتها وقال لها لما هذا البكاء. وانا حيٌّ بعد وانت تعلمين اني حريص على محبتك ولا بد من ان تكوني لي خصيصة وابعد عنك كل عدو الد فاذا بعدت عنك او قربت منك فانت بامان عليّ وعلى حبي لانك في يدي ولا سلطة لاحد عليك فامسحي دمعك واشفي غليلك واتركي ما انت فيـه الان واكدي ان الله لا يفعل الا ما يشاء ويريد فاذا كان قسم لي السفر مع الراعد لا بد من سفري وما من صعوبة بذلك لعلمي ان الله يساعدني في كل سفرة فاحصل على ما يصعب على الغير الحصول عليه فيرتفع شأني ويعظم مجدي وتخدمني السعادة والاقبال. فقالت كيف لا احزن وابكي وانا على الدوام اراك في حجر الاهوال والاخطار وكلما قلت ان هـذه المرة تكون النهاية ونرتاح فيما بعـد ارى ما يزيد ويكدر من طول المصاعب وتجددها. انت الان مزمع ان تسافر الى جبال قاف وهناك بلاد بعيدة الوف والوف الوف من الفراسخ فاذا لم يكن جوادك من النسور الطيارة لا تقدر ان تأتي بكل العمر ومن يعرف ما يجري عليك هناك وهل يخاصمك الزمان ويعاندك الدهر وانت تعلم انه قيل في الامثال ما كل مرة تسلم الجرة قال ان ما يفعله الله فهو على الرأس والعين واليوم قلت للراعد اني لا اسافر معه. ثم اعاد عليها ما جرى بينه وبين فرسانه وقال لها في آخر الكلام اني تكدرت من كسر خاطره مع

انه خدمنا في هذه الحرب وتوفقنا بسببه ولا سيما اني وعدته ولا يمكن ان يرجع عن وعده الا كل نذل ولئيم ولا ريب فاذا جاء اليَّ مرة ثانية سرت معه على غير رضى الفرسان وانا اعرف انهم لا يتركونك قط لانهم اصحاب نخوة ومروءة ولا يفعلون الا ما يرضيك. فقالت اسأل الله ان لا يسهل لك طرق السفر الى جبال قاف واذا تسهل ونويت على الذهاب فاطلب اليه ان يوفق عملك هناك لتعود حالاً ولا ريب ان الله سميع مجيب

ثم ان الامير حمزة اقام مع مهردكار قسماً من الليل وقد تناول الطعام والشراب واياها وبعد ذلك ودعها وذهب الى صيوان منامه وهو مضطرب جداً من الصعوبة الواقع بها ومن عظم ما لحق به من حزن مهردكار دخل فراشه وهو مرتبك قلق وكل افكاره عند الراعد كيف ذهب منكسر القلب باكي العين بعد ان كان وعده ابر الوعد واصدقه وفيما هو على ذلك واذ بالراعد قد وقف امامه وتقدم منه وقبل يديه وجعل يبكي بدموع سخية وقال له يا سيدي اني لا ازال متمسكاً بوعدك ولا اقدر ان اذهب الى بلادي الا وانت معي فاقبل مني رجائي وارحم ذلي وخلصني من ظلم عمي فما من احد سواك يقدر على قتله فمنيته موقوفة على يدك وانا اعدك اني بايام قليلة اذهب بك وارجع فرسانك على حالهم. فقال حمزة اني وعدتك ولا ارجع بوعدي ولكني اريد ان ابقى محافظاً على ارادة قومي فاذا ذهبت معك الان تكدر الجميع وظنوا اني كذبت وسلكت الغش وعندي ان اذهب الى البرية معهم وهناك انفرد لوحدي وافقد من بينهم فلا يعرفون اين ذهبت الى ان اعود اليهم بعد قتل عمك وبذلك يكونون بحيرة ولا يعرفون في اي ناحية سرت واكون قد وفيت بوعدي معك واريد منك ان تكون على الدوام قريباً مني حتى اذا دعوتك لحملي تسرع في الحال وترفعني على عاتقيك واتغيب من هذه البلاد ومهما شاء الله فليفعل. فلما سمع الراعد هذا الكلام اطمأن باله وارتاح ضميره وعرف ان الامير حمزة سيذهب معه ويقوم له بالوعد الذي وعديه. ونام حمزة تلك الليلة الى ان اشرق الصباح وحينئذٍ خرج الى

صيوان الملك النعمان واقام مع باقي الفرسان على حسب عادته الى ان كان المساء رجع الى حبيبته حتى كان اليوم الثاني والثالث وقد قطع ذكر الراعد وعرف العرب انه ما عاد يخطر له السفر وانه باق عندهم وبينهم يلاقي ما يلاقون ويفعل ما يفعلون حتى كان اليوم الرابع دعا اليه بالفرسان وقال مرادنا نذهب الى الصيد ونصرف وقتاً بالبرية على الحظ مع بعضنا فقالوا اليك ما طلبت فاننا تحت امرك .

واذ ذاك نهض الامير حمزة فركب جواده وحملوا صيواناً كبيراً ليضربوه في تلك الناحية وسار معهم عمر العيار وخرجوا من مكة وجاؤوا خلف جبل النور وهناك تفرقوا كل واحد في ناحية يطلب الصيد وقنص الوحوش وكذلك الامير فانه انفرد مع عمر العيار وهو لا يفارقه دقيقة واصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان والارانب والثعالب وعاد الى الصيوان وهو متكدر من ملازمة عمر له ولما نزل بالصيوان لم يرَ احداً قد عاد اليه من فرسانه فغسل وجهه وجلس فيه وقال لعمر انظر لي الفرسان هل هم بعيدون من هذا المكان فادعهم للاتيان واخبرهم اني بانتظارهم فاجابه عمر ولم يخالفه وتركه وسار الي التفتيش على الفرسان وبعد ان ذهب عمر نادى الامير هيا يا راعد فاني بانتظارك فارفعني قبل ان يأتي احد من الفرسان ويراني وفي الحال تقدم منه الراعد ورفعه على عاتقه وطار به في الجو الاعلى دون ان يراه احد وقد ترك تلك الارض وفارق مكة وبعد عن تلك الديار

قال وبعد ان غاب الامير وسار على اعتاق الراعد اخذت الفرسان في ان تلتفي واحداً بعد واحد الى الصيوان وكل ما جاء واحد منهم يرى جواد الامير ورمحه عند الباب فيظنه في الداخل وعند دخوله يرى الصيوان فارغاً منه ولا احد يعرف اين ذهب حتى جاء عمر مع الاندهوق لانه التقى به فاخبره بغاية اخيه وانه ارسله خلفهم ولما وصل الى الصيوان نظر الفرسان بحيرة فسألهم فاخبروه بما رأوا فافتكر عمر وقال لا تضطربوا ولا تهتموا فان الامير قد ذهب الى جبال قاف مع الراعد وقد اجهد نفسه في بعدي حتى يخلو له الجو ولا يعرف احد اين ذهب .

فوافق الجميع على هذا الرأي وقال لهم الاندهوق بن سعدون حيث قد ذهب فلا

مانع ومن الواجب ان نبقى نحن محافظين على البلاد وعلى مهردكار مكانه لانها اختنا ولاننا اخوتها ولان الاعجام اعدائنا ووقع بيننا وبينهم حروب سابقة . فاذا عرفوا بغياب الامير زحفوا الى مكة واغتنموا الفرصة . فقال الجميع لا يمكننا ان نرحل عن هذه الديار او نترك حرب الفرس غاب الامير او حضر ما لم يأمرنا بزرجمهر ونرى ان المدينة بامان وان لا خوف على مهردكار وعندنا ان الامير لا بد ان يرجع مهما قصرت غيبته او طالت فلنعد من حيث جئنا ونبقى في المدينة وكان اشد الكل كدراً على غياب حمزة اندهوق لانه كان يحبه اكثر من الجميع ولا يطيق فراقه وقد اتخذه اخاً وصديقاً ورفيقاً الى الابد ولذلك كان يرى ان عيشه سيتكدر الى حين عودته ورجوعه وقد اقسم انه لا ينزع الدرع عن بدنه ما لم يلتق بالامير ويفرح قلبه به والا يموت والدرع عليه ويدفن به

قال وشاع في كل المدينة خبر غياب الامير وبعده فتكدر كل المعسكر وحزن كل اهل المدينة والمجتمعين في تلك النواحي ولا سيما الامير ابراهيم فانه كان في الاول قد فارق ابنه زماناً طويلاً وغاب عنه ولاقى من جري ذلك عذاب الهوان وما صدق ان عاد اليه حتى اطمأن باله وظن انما عاد يبعد عنه وانه سيبقى ببلاده باقي حياته . الى ان بلغه خبر سفره فبكى وحزن على ذلك وذهب الى الركن والصفا فسجد لله ودعاه ان يرافق ولده ويساعده في سفره ويحفظ حياته وبعد ذلك وجد لذة من نفسه لانه كان تقياً يعرف ان بتسليم الامور لله راحة للنفس وان لا شعرة تسقط من رأس الانسان الا بعلمه تعالى

ويتأكد القارىء والسامع ان مهردكار لا تتسلى عن غياب الامير وانها تبقى بطول غيابه على البكاء والتعداد ولا سيما عند ما عرفت انه غاب من بين رفاقه ولم يعلمهم بمكان مسيره وكانت تتسلى بان تراه في كل يوم فنظرت بنفسها واذ هي وحيدة منفردة لا ترى من يسليها عن غربتها واهلها ولا من يقيم عندها ويجبر كسرها وان الذي اقامت بين العرب من اجله قد تركها وبعد الى اقاصي الارض او ان الدهر حكم عليه بالتشتيت والبعد والعذاب ولهذا كانت حزينة جداً

تنشد الاشعار وتندب حظها بقولها :

ألا ليت شعري هل تعود لقبضتي ليال بهــا المعشوق غير مخالف
وهل يرجعن عيشي كما كان ارغدا واخلو كما كنا بتلك اللطائف
بكيت دماً انلم اری ماء مهجتي دموعاً على تلك الليالي السوالف
تذكرت ايامــاً مضين ومألفاً وعادة من يهوي اذكار المآلف
وقفت ودمعي قاذف سر مهجتي اليه ومــا دمعي باول قاذف
عرْ على دار الحبيب محمحاً جوادي بذكر السالفات المواقف
ويرعى نجوماً طالما قــد رعيتها ليالي صد الحب كان مخالفي
وما داره قصدي ولـكن لاجله احن فلا الفي لهـا غير آلف

ولنضرب وقتاً طويلاً عمّا يلحق بمهردكار في مدة غياب الامير وكفانا ان نقول ان حالتها كانت حالة يأس وعذاب وذكرى وترداد ونوح كعادة سلاطين العشاق ولا سيما الذين مثلها قد تركت بلادها واباها واخوتها وتمسكت بحبيبها والقت كل رجائها عليه فبعد عنها وخلفها وحدها . هذا وفي اليوم الثاني من غياب الامير حمزة اجتمع الفرسان باجمعهم في صيوان الملك النعمان وعملوا ديواناً كيف يفعلون ومن اين يدركون ما هم عليه الاعجام وكان فيما بينهم عمر العيار فقال لهم اني سأذهب منذ هذه الساعة الى المدائن وادخل على كسرى انوشروان واجس اخباره ومن ثم اخبر الوزير بزرجمهر بغياب الامير حمزة واستشيره بذلك . فقالوا بارك الله فيك يا عمر فاننا الى مثل ذلك نحتاج وغيرك لا يقدر ان يأتي بالمطلوب فانت مقدام جيشنا وعلة نجاحه ولولاك لما نفع العرب بامر

ثم ان عمر ودعهم وذهب الى مهردكار وودعها واخبرها بانه يقصد بلاد ابيها ليسأل بزرجمهر عن الامير حمزة وهل يطول غيابه ومن اي جهة يأتي . فسرت لذلك ومدحته . ثم وكل بخدمتها كبير عياريه واوصاه بالمحافظة عليها وذهب الى بيته فغير لبسه وتزيا بزي الاعجام وتكحل بالميل الذي جاء به من رجال الصومعة واخذ كل ما يحتاج اليــه في سفره وسار عن مكة المطهرة عدة ايام وليال حتى

وصل الى المدائن فوجد لا يزال بضواحيها العساكر متجمعة وقد ضربوا خيامهم حولها فدخل بينهم واجتاز فيهم ولا احد منهم يعرفه ودخل من الباب وجاء الديوان فرأى كسرى جالساً على حسب عادته بين وزيريه والديوان محتبك من كل امير وسيد وسمع كسرى يقول لبختك اني مضطرب من وقوعنا بعداوة العرب ولولاك لما كانت هذه العداوة ولا خرج الامير حمزة عن طاعتي وكان بيدي كالخاتم اديره كيف شئت ولو زوجته ببنتي لكنت ملكت به الارض بالطول والعرض وعززت دولة الفرس وقهرت كل جبار عنيد ولولاك ايضاً لما اجتمع عنده كل هذه الفرسان والابطال والعساكر لانك ارسلته الى معقل البهلوان فكان منه ان سعى في خدمته مع رجاله وصاروا من احزابه وارسلته الى اندهوق بن سعدون فصالحه وانتظم في سلك رجاله وقاتل بين يديه وبعثته لجمع المال والاخرجة فطاعه قسم كبير من بلادي وخادمه المعتدي حامي السواحل وقاهر الجبل وغيرهما وجيش جيشاً ملكياً وجمع من الاموال ما لا تأكله النيران وهو محافظ عليه . فقال له بختك اني اعرف حق المعرفة واؤكد انك لو اكرمت العرب اكثر مما اكرمتهم لحرقت حرمتك وذهب الملك من يدك واندثرت شوكة العجم بارجل العرب واذا شئت فجرب الان وصالحهم . فقال الان بعد هذا الاخراق لا وسيلة للمصالحة بعد لكني اقول لو كان من الاول لكنت الان بخير وحيث قد اغتصبوا بنتي وكسروا عساكري لا بد اذا طلبت منهم المصالحة طمعوا بي واقترحوا عليّ شروطاً لا طائل تحتها مع اني لا ازال قادراً ان اجمع اضعاف اضعاف العساكر التي جمعتها في كل من الشرق ومن الغرب ودام الحديث الى آخر النهار وعمر يسمع ذلك حتى انتهى النهار ونهض بزرجمهر الى الباب وركب بغلته وسار الخدام بين يديه فسار عمر بينهم فرآه بزرجمهر وعرفه فضحك منه وبقي ساتراً حتى دخل قصره وصرف الخدم واذ ذاك جاء اليه عمر العيار وقبل يديه فترحب به وقال له ما وراءك من الاخبار يا ساعي العرب ودليلهم . فاخبره بما كان من امر الامير حمزة وكيف انه سافر ورحل عنهم وقد ظنوا انه

سافر مع الراعد على غير علم منهم ولذلك جاء اليه يسأله عنه وهل تطول سفرته لانه اعطى من الحكمة ومعرفة الغيب ما خص به الانبياء الكرام فقال له لا تخفوا على الامير فان المكتوب ما منه مهروب وان الله قدر عليه سفراً طويلاً الا انه سيعود منه سالماً غانماً منصوراً ويكون طريق مجيئه من بلاد مراكش فتلاقيه العرب الى طنجة الغرب وتذهب الفرس الى هناك ويحصل حرب عظيمة بين الفئتين لم يسبق ان وقع مثلها قط فاقر العرب جميعاً مني السلام ومعتدي السواحل واندهوق وباقي الفرسان خصوصاً واخبرهم ان لا يتكدروا من غياب الامير وان يبقوا كما كانوا حيث ان شوكة العرب ستقوى بهم ويعز شرفهم وفي الاخير يذلون الاعجام ويستعبدونهم والسلام

فسر عمر من كل ما سمع ورجع في طريقه بعد ان ودع الوزير بزرجمهر وشكره وقبل اياديه ولا زال في طريقه وهو بصفة عجمي يختطف طوال الطرق بسرعة جريه فيقصر من اعمارها حتى وصل الى المدينة المقصودة وشاهد الوطن فدخله منشرح الصدر مسرور الفؤاد وجاء الفرسان وهم مجتمعون الى بعضهم واعاد عليهم كلام الوزير حرفاً بحرف . فلما سمعه الفرسان اثنوا على غيرة هذا الرجل الفاضل الحكيم وقال اندهوق ان كان الوزير بزرجمهر وهو عمدة اقوام كسرى واعيانه العظام يحافظ على قيام الكلمة العربية فكم بالحري نحن فاذا كان الامير حمزة سيد العرب وقائدهم قد سافر بارادة منه تعالى فلا يلام على تركنا وحدنا ولو لم يعرف اننا من فرسانه المخاصين وان بنا الكفاءة لحماية العرب في غيابه وحرب كسرى لما سافر عنا وصار من الواجب ان لا نضيع ظنه بنا وان نخدمه في غيابه باكثر مما كنا نخدمه في حال حضوره . واقام بعد ذلك العربان في ذاك المكان ينتظرون ما يأتي عليهم من باطن الايام القادمة

قال فهذا ما كان من العرب وسنعود الى حديثهم في غير هذا المكان واما ما كان من امر الامير حمزة فانه بقي محمولاً على عاتق الراعد مدة ايام ينزل به في المساء ويأتي له بالاكل فيأكل ويشرب ثم يحمله ويطير به بسرعة نحو بلاده

حتى انتهى به اخيراً الى ارض كثيرة الرياض حسنة المناخ يانعة الاشجار فنزل به في ذاك المكان . وهو على حاله السابق وجاءه بالطعام فاكل وقال للراعد اريد ان ابقى في هذه الارض مدة يومين فقد اعجبني مناخها وطيب هوائها فاجابه ونام هناك تلك الليلة وفي الصباح نهض ونظر الى شرقي المدينة فوجد البحر يتصل بتلك الارض فابتهج وقال للراعد يظهر ان هذه النواحي واقعة على البحر ولا بد من اتيان المراكب والسياح اليها . قال ان هذه البلاد بعيدة عن المكان الساكنة به الانس وهو لا يصل اليه احد من سكان ارضكم ولا تصل اليه قط المراكب وفي تلك الساعة نظر الى احدى جهات البحر فرأى شراعاً عن بعد يعلو مركباً سائرة مسير البرق الخاطف فقال للراعد انت تقول لي ان المراكب لا تقرب الى هذه النواحي مع اني ارى مركباً عن بعد . فقال له الراعد هذه ليست مركب بل هي سمكة من نوع الاسفرني بقدر المركب الكبير تطفو احياناً على وجه الماء وتسير ثم تغيب تحت الماء ولعدم وجود من يأتي الى هذا البحر ويصطاد منه تكثر به الاسماك والسلحفاة فتصير الواحدة بقدر المركب لا بقدر الجزيرة فتعجب الامير من صنع الله سبحانه وتعالى وكيف ان لا احد يأتي الى تلك النواحي ولم يكتشف بني الانسان ذاك القسم من الارض الموجودين عليها ونهض بعد ذلك وطاف في الرياض فكان يرى اشجاراً كبيرة ضخمة متنوعة الاثمار فعجب منها العجب الكلي وقال للراعد هل هذه الاشجار كبيرة العمر . قال نعم انها كبيرة واصغرها يبلغ عمرها ١٥ الف سنة وهذه لم يكن منها في نواحيكم وهي لذيذة الاثمار ثم مد الراعد يده وجعل يقتطف منها ويناول الامير حمزة وهو يأكل بقابلية شهية فيرى فيها لذة عجيبة لم يذق مثلها طول زمانه . واذ ذاك قال للراعد اريد منك ان ترجع بي من هذه الطريق وتنزلني بها لاني اريد ان آخذ منها اثماراً لمهردكار ولفرساني على سبيل الهدية كي اقاسمهم بهذه اللذة . قال لا بد من مرورنا منها وسأحمل على عاتقي ما يكفي عسكرك برمته حال رجوعنا

وكان الامير حمزة يفتكر انه سيرجع بوقت قريب ولا تطيل غيبته ولم يكن

يعرف ان الزمان لا يسمح له ان الطريق الذي سار عليه يرجع منه . وبعد ان صرف باقي اليومين على الفرجة والطواف من مكان الى مكان مسروراً بوجوده فيها ويتمنى التطويل والراعد بين يديه يرجو التقصير والسرعة بالمسير حمله وطار به ولا زال سائراً في الجو الاعلى مدة حتى انزله في ارض مقفرة بين ثلاثة طرق وقال له اعلم يا سيدي ان من هنا بداية حكم عمي وما عدت اقدر اظهر قط ولا اقدر ان اري احداً نفسي لئلا اهلك ولا عدت تراني الا بعد موت عمي فادعو الله ان يساعدك على غايتي . ثم تركه واختفى في الجو الاعلى فاندهش الامير حمزة من عمله وسرعة غيابه واحتار في امره كيف يبقى منفرداً وحيداً وتكدر من عمل الراعد وذمه في ذاته . واخيراً رأى ان لا بد من تقدمه فشكر الله سبحانه وتعالى وصلى له وسأله المساعدة والاغاثة فارتاح لذلك ضميره ووجد من نفسه لذة وراحة . وبعد ان انتهى من الصلاة اراد المسير فنظر امامه ثلاث ممرات فوقف مبهوتاً متحيراً وقال كان واجب من الراعد على الاقل ان يدلني على الطريق ويخبرني كيف اعمل لاصل الى عمه واين يوجد غير انه اخيراً سار في احدى الطرق ومشي على رجليه مدة . ت ساعات فجلس مرتاحاً من التعب نحو نصف ساعة ثم قام ومشى حتى وصل الى ارض رملية محرقة تلتهب ارضها كالنار وحجارها تفرقع من شدة الحرارة والالتهاب فسار عليها الا انه ما لبث ان شعر بشدة تلك الحريق والتهب جسمه وضاقت روحه وايقن انه هالك اذا اقام نصف ساعة على تلك الحالة وطالت تلك الارض وكان كلما تقدم يرى ان الحر يشتد والارض تزيد التهاباً حتى اصبح لا يقدر ان يلقي برجليه عليها فزادت عليه الحال وعظم المصاب وظهر له قرب فنائه فانحدرت الدموع من عينيه وقال نعم ان الله قصد هلاكي بهذه الارض وقضى عليَّ ان اموت غريباً بعيداً عن اهلي ووطني فلتكن ارادته ولا خالفه ثم جعل يدعو الله ويسأله ان يعفو عنه ولا يميته في ارض هي جهنم النيران

وفيما هو على مثل ذلك غائب الذهن ضائع الافكار مشتت البال لا يرى ما امامه ولا ما وراءه واذا به شعر بانخفاض الحرارة من جسمه ثم اخضراراً بعينيه

وجعل الوعي يزوره بالتدريج شيئاً فشيئاً حتى قدر ان يبصر جيداً واذا تحت رجليه ارض خضراء غير ذلك الارض الرملية وامامه شيخ بثياب خضراء وعليه وشاح اخضر لامع ذي لحية بيضاء جداً يحيط بها هالة من النور وعليه من المهابة والوقار والجلال ما يأخذ بالابصار فانذهل وحار وتذكر انه رأى ذات مرة مثل ذاك الرجل فتقدم الى نحوه بعدة خطوات واراد ان يسأله عن الماء قبل كل شيء ليبل ريقه فسبقه وقال له اطمئن يا حمزة العرب فانا الخضر الاخضر ابو العباس مغيث المتعبين ومشفي المجروحين ومسقي الظمآنين وناصر المظلومين من رجال الله انا خادم الحق ونقمته على الكافرين والجاحدين فتقدم واشرب ثم اخرج له قربة من الماء كانت تحته على الجواد ودفعها اليه فشرب الامير حمزة حتى ارتوى وهو مسرور من لذة تلك الماء ودنا من الخضر ليقبل يديه وسجد له فانتهره وقال له لا يليق السجود لغير الله سبحانه وتعالى فهو الواحد الاحد الفرد الصمد لا والد له ولا ولد خلقك وخلقني لنسبحه ونسجد له وها اني احرسك ما زلت في هذه الارض وغيرها لانك من الامناء على دين الله فاعطني سيفك الآن فناوله حمزة سيفه الذي اخذه من قلعة النيل فاخذه منه وغطه بالماء واعاده له وقال هذا السيف اصبح نافعاً لك فما زلت حامله تهرب منك مردة الجان والكهان وعفاريت السيد سليمان وما من واحد منهم عاد يقدر ان يقرب منك او يدنو اليك بسوء فسر الامير حمزة من ذلك وسقط هم عظيم عن قلبه واراد ان يقبل يده فلم يره غير انه شم رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفه فخر لله ساجداً وشكره على حبه له واعتنائه به وبكى من ذلك فرحاً وقال من انا لينظر اليَّ ويهتم بي الست انا من احقر عباده واضعفهم فسبحانه لا يترك احداً ولا يتخلى عن احد

ثم نهض متقوياً ومشى في طريقه شيئاً فشيئاً حتى دخل بين الرياض فسر من مناخ الارض وحسن هوائها ورطوبة ارضها وشكر الله على خلاصه من ذاك الرمل الحار ولا زال سائراً حتى دخل بين القصور والبيوت وهي شواهق مرتفعة لحد

السحاب فتعجب منها الا انه كان لا يريد ان يميل عن طريقه ولا يعرج الى جهة وهو يرى طوائف من الجان والعفاريت تنتقل من مكان الى مكان غير ملتفة او معتنية به حتى قادته الصدف الى قصر اليون شاه عم الراعد فنظر اليه عن بعد فوجد الارهاط مجتمعة عنده بما يدل انه قصر الملك فعرف ذلك وقال قد هداني الله اليه بدون ان اسأل احداً عن ذلك غير انه قبل ان يقرب من الابواب نظره اولئك الارهاط فتقدموا منه متعجبين كيف ان واحداً من الانس قدر ان يصل الى تلك الجهة وارادوا ان يجتمعوا عليه وحواليه فاستل سيفه وهجم عليهم فهربوا من وجهه وتفرقوا عنه وهم يصيحون الامان الامان يا سيد سليمان سلطان الانس والجان ودخل قوم منهم الى اليون شاه وهو جالس على كرسيه وقالوا اعلم يا سيدنا اننا رأينا رجلًا من الانس يتقدم الى جهة القصر فتعجبنا منه واردنا ان نقرب اليه ونتفرج عليه وننظر في امره واذا به قد استل من وسطه سيفاً وصوبه الى جهتنا فشاهدنا فيه ناراً محرقة تقصدنا بشرارها فانهزمنا من امامه خوفاً من الاحراق ولا ريب انه من بقايا السيد سليمان له السلطة الكبرى على الجان فقال لهم اني سأحضره وانظر في امره . وفيما اليون شاه مع خدمه بمثل هذا الكلام واذا بالامير حمزة قد دخل من باب القاعة وصاح ويلك يا ليون شاه انزل عن هذه الكرسي وسلم نفسك اليَّ واجلس ابن اخيك الراعد عليها لانه اخي وجئت لنصرته . فلما سمع اليون شاه هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام وأراد ان يسحق الامير حمزة في الحال فتناول عمداً ثقيلًا من الحديد كان الى جانبه وحذف به الامير حمزة وقال ويلك يا قطاع الانس هل وصلت بكم القحة الى المطاولة علينا ودوس بساطنا . فمال الامير عن مرمى العمد وصاح بصوت ارتجت منه اركان القصر واشهر بيده السيف وقفز كالغزال حتى وصل امام اليون شاه وضربه في صدره فلعبت به النيران وصاح اعوذ من كيد القصار ووقع الى الارض كومة رماد

وفي تلك الساعة سقط الراعد الى الوسط وصاح لا شلت يداك يا اخي حمزة الزمان ثم اخذ بيده عمده ومال على اولئك الارهاط وقال ويلكم اوغاد من

طاعني فقد نجا ومن عصاني فجزاؤه الهلاك والاعدام وفعل حمزة كفعله واشهر بيده الحسام فصاح الارهاط وكل من كان في الديوان الامان ياراعد فاننا عبيدك وخدام ابيك من قبلك ولا ذنب علينا فكف عنهم وقال لحمزة العرب ارجع يا اخي فانهم طائعون وما من رجل عاص منهم فاغمد سيفه واجلسه على الكرسي وتقدمت منه سادات الجان واظهرت الطاعة والخضوع له طول ذاك النهار وعند المساء اولم الراعد وليمة للامير حمزة ودعا كل انواع الطوائف ليتفرج عليها فكان يرى ما يدهش بصره منهم من طوال كالنخل الباسق وقصار اقصر الانسان فبعضهم كبار الدماغ وبعضهم وجوههم في اقفيتهم وجيء الى الوليمة بكل انواع الفواكه الموجودة في جبال قاف منها كروءس الانسان بعينين وفم ووجه ومنها ما هو كفاكهة الانس والامير يأكل من كل نوع واحد وتعجب من طيبة طعمها وحسن شكلها . وبعد ان انقضت الوليمة قال الامير للراعد ها قد انتهيت من عملك ونلت ما تتمناه واني سأقيم عندك سبعة ايام وفي الثامن اريد منك ان تذهب بي الى بلادي الى مكة المطهرة لانك عرفت ما اصابني وما لحق بي من كدر قومي ولا ريب انهم باضطراب من اجلي فاذا كان لك عدوّا فاخبرني به لاقتله قبل ان اذهب من هذه البلاد . قال اني اشكرك يا اخي على جميلك هذا ولا انساه الى الابد وسوف اذهب بخدمتك الى بلادك واعيدك الى قومك اي يوم شئت واما قولك ان كان لي عدو فالحمد لله ما من عدو لي اخشاه ولا قدرة لي عليه الا عمي الذي قتلته قد كان اشد الجان باساً وكهانة وها ان جبال قاف بين يديك فطف بها وتفرج عليها في هذه السبعة ايام وسأكون بخدمتك على الدوام . فشكره الامير حمزة ومدح منه واقام مدة سبعة ايام في كل يوم يذهب به الراعد الى جهة يفرجه على بلاده وعلى عجائب خلق الله وصنعه الذي لا يدركه العقل الانساني الى ان مضت المدة وانتهى الاجل وبات الامير حمزة وفي نيته ان يعود الى بلاده في صباح اليوم الثامن وقلبه مملوء من الفرح والمسرة على تسهيل مصلحته دون ان يحصل له عائق يعيقه وصار يحدث نفسه بانه قريباً يصل الى مكة المطهرة

ويشاهد اباه ورجاله ويحمل اليهم من فاكهة تلك الارض وكذلك يلاقي مهردكار ويجتمع بهـا ويريح بالها من غيابه . ونام تلك الليلة مطمئناً مرتاح البال وعند الصباح نهض باكراً وتقدم من الراعد ليسأله ان ينهض به ويرجعه من حيث اتى فوجد الدم سائلاً الى الارض وقد قطع الراعد قطعتين وهو جسد بلا روح فصاح من الغيظ والكدر وشعر ان روحه قد انسحبت من جسده وامتشق سيفه وطاف في الغرفة فلم يرَ احداً فخرج الى الخارج واذا به يرى عند الباب مارداً طرف ارجله في التراب ورأسه في السحاب فهجم عليه واراد ان يضربه بالحسام ففر من امامه الى بعيد فزاد غيظه وصاح به وقال له ويلك من فعل هـذه الافعال ومن الذي قتل الراعد وهو في حمايتي وتحت عنايتي . فقال له ان الذي فعل ذلك ياسيدي هي اسما بري بنت اليون شاه

قال وكانت هذه اسما بري بنت اليون شاه ذات قد معتدل وحسن يحسب بين طوائف الجان من الدرجة الاولى لم يكن اجمل منها ولا اقدر نفوذاً في قومها مسموعة الكلمة رفيعة القدر بينهم ولها طائفة من المردة تخدمهـا على الدوام وكبير هذه الطائفة مارد طويل عريض اذا وقع على جبل سحقه او وقع في البحر طاف ماءه على اليابسة وهي على الدوام تنتقل من ناحية الى اخرى مع خادمها الاكبر كندك المارد المذكور فلما زار الامير حمزة جبال قاف في هذه المرة كانت غائبة في داخل البلاد حسب عادتها وعند عودتها دخلت المدينة فلقيها بعض خدمها وعزاها بابيها فاسودت الدنيا في عينيها وارغت وازبدت وقالت من الذي قدر ان يقتل ابي وتجاسر على ارتكاب مثل هـذا الامر الخطير . فقالوا لها ان ابن عمك الراعد ذهب الى بلاد الانس وجاء برجل من العرب اسمه الامير حمزة فدخل على ابيك وقتله واقام الراعد مكانه وصارت البلاد بيده وهو يحكم فيها . فقالت لا بد لي من هلاك الراعد والذي جاء معه وطارت في الحال مع كندك المارد حتى جاءت قصر ابيها ودخلت على الراعد وهو نائم وقلبهـا يلتهب من عمله وقالت لكندك اضربه بسيفك فاقطعه نصفين ففعل حسب امرها وضربه بسيفه ففصل

رأسه عن جسده واندفق دمه كالبحر الزاخر وهو نائم وانتهت حياته . ثم تقدمت الى ناحية الامير حمزة وفي ظنها انها تقدر على هلاكه وقالت لكندك المارد اضربه بسيفك والحقه برفيقه فتقدم منه ثم رجع وقال ياسيدتي لا اقدر ان اصل اليه لانه محاط بسور من اللهيب والنار ولا ريب اذا اردت قتله احرقني اللهيب . فامعنت اسما بري به واحدقت بوجهه فرأته صبوح الوجه مشرقه ناعم الخد معتدل القد حسن الهيكل فاخذت ان تحله من قلبها محل الغرام وولعت به وبعد ساعة من الزمان اصبحت تتمنى وصاله وترغب في قربه . فقالت لكندك المارد اقم انت عند الباب فلا بد للامير عند الصباح من ان ينهض ويرى الراعد مقتولاً فيتكدر ويسأل عن الذي فعل معه ذلك فقل له اسما بري وانها كانت تريد ان تأخذ بثأر ابيها منك غير انها شفقت عليك فعفت عنك وتركت هلاكك واذ ذاك احضر له انا ففعل كما امرته

وفي الحال ظهرت اسما بري امام الامير حمزة وقالت له لا تتكدر من قتل الراعد فاني اخذت بثأري منه حيث كان السبب بقتل ابي واما انت فقد نزلت من قلبي منزلاً عظيماً وحنت اليك كل جوارحي ولذلك طلبت القرب منك وان تتزوج بي اما حلالاً واما حراماً وغير ذلك لا يمكن ان ترتاح في هذه البلاد فاغتاظ الامير حمزة من كلامها وقال لم يبقَ عليَّ الا ان اتزوج ببنات الجان ثم زجرها عن ذلك وقال لا تطمعين نفسك بالمحال فما من امل بقبول ما تعرضينه عليَّ الا اذا اوصلتيني الى بلادي وهناك ازف نفسي عليك عند زواجي بمهردكار واتخذك كباقي الزوجات حلالاً . قالت لا اريد ان تتزوج بي الا في هذه البلاد وفي هذه الايام ولا صبر لي عن ذلك الى حين زواجك بمهردكار وفي بلادك فزاد غيظ الامير حمزة منها والتفت الى احد المردة وقال له احملني وسر بي وانا اجازيك بان اساعدك واوصلك الى كل ما تطلب . فانتهرت اسما بري مردة الجان وقالت كل من حمله قتلته ثم طردتهم من هناك ولم تترك الا كندك المارد وقالت للامير ان بلادك بعيدة من هنا عدة سنوات ولا يمكن الوصول اليها فيمكن ان تموت

في هذه البلاد قبل ان ترى وطنك الا انك اذا اجبت طلبي بعث ماردي فيوصلك بوقت قريب . فقال لهـا لا يمكن ان اكون اسير غايتك ولا ارضى بما تطلبينه وحدثته نفسه ان يسير ماشياً على رجليه ولا بد ان يسخر له الله من يوصله الى بلاده ولذلك ترك القصر ومشى في طريقه عائداً من المكان الذي جاء منه وهو لا يعرف الطريق تماماً وسأل الله ان يسهل له سبيله ولا زال سائراً حتى خرج من المدينة فالتفت الى الوراء فرأى اسما بري بعيدة تتأثره وهي في اثره وبين يديها كندك المارد فقالت له لا تطمع نفسك بالمحال فما من امل يوصلك الى بلادك الا بي . فقال لها خير لي ان اموت او ابقى ماشياً على رجليّ عدة سنوات من ان اتزوج بك في هذه البلاد . ودام على مسيره الى المساء فجلس على الارض تعباً واخذ يشعر بالجوع لان لا زاد معه ليأكل واذا بكندك المارد قد قدم اليه الطعام والماء وقال له كل يا سيدي فان اسما بري اوصتني بان اخدمك وآتيك باحتياجاتك .

قال اذا شئت ان تعمل معي معروفاً فاوصلني الى بلادي فيجازيك الله عني خيراً قال اني خادم امين لسيدتي فلا اقدر ان اخالفها ولا اريد ان اعمل لهـا ما يغيظها فاصغ الى كلامها واقبل بزواجها فتصل الى بلادك بوقت قريب وما من سبب يمنعك عن موافقتها قال هذا لا اريده الان ما زلت قادراً على المشي وعلى عدم القبول . وبقي تلك الليلة نائماً وفي الصباح نهض والسيف الى جانبه وسار في طريقه على حسب عادته من الصباح الى المساء جاءه كندك بالطعام واسما بري تتأثره متيقنة كل التيقين ان الامير حمزة لا بد ان يشعر بالتعب فيلتزم ان يرضى بها ويرى نفسه محتاجاً الى معونتها وكان كلما جفاها وامتنع عنها زادت غراماً وهياماً به وزاد شوقها الى وصاله وقربه حتى انها اخيراً عاودته وقالت له اني اقسم لك بربك اني لا اقيم معك الا سبعة ايام فقط وبعد ذلك اوصلك الى بلادك واهلك . فقال لها هذا لا يكون مطلقاً واخذ السيف واراد ان يضربها به ففرت من بين يديه متكدرة الا انها عادت فسألته الرحمة وقالت له اني مغرمة بك هائمة بحبك فاشفق عليّ وارحم حبي . فقال لها اني لا احبك ولا اريدك فاسمعي مني واشفقي

على بغضي لك وعدم حبي وعيني كرهي لك . فزاد غيظها منه واستشارت كندك في امرها . فقال لها يا سيدتي انك ما زلت تقدمين له الطعام في الصباح والمساء فلا يمكن ان ينقاد لك ويشعر بالتعب لانه قوي البنية والطعام يقويه ولا يضعف من جسمه وعندي ان تتركيه مدة ايام بلا طعام فيجوع وتخور قواه ويحل به الضعف ويتأكد عنده الفناء فيلتزم ان يوافقك . قالت احسنت فاتركه وابعد عنه ولا عدت تقدم له شيئاً من الطعام والشراب ففعل امرها وبعد عن الامير وما عاد قدم له شيئاً من المأكل

وانتظر الامير حمزة المساء وفي ظنه ان الطعام يأتيه على حسب العادة فلم يقرب منه كندك وغاب عن عينيه فقال في نفسه لقد قطعت عني اسباب المعيشة ولا بد لي من الشعور بالجوع والضعف غير ان الله سبحانه وتعالى لا يقطع بي بل يساعدني دائماً على هذا الضعف ويرسل لي من يعولني ونام تلك الليلة الى الصباح وفي الصباح نهض ومشى وبارح تلك الارض وهو لا يعرف في اي طريق سائر ولا الى اين ينتهي واخذ الجوع يرمي سهامه بقلبه وهو يشعر به شيئاً فشيئاً غير انه كان يعد نفسه ويعللها بقرب الفرج وما برح سائراً طول ذاك النهار الى المساء فجلس الى الارض كالمائت خائر القوى ضعيف الحيل والجوع يشتد به ويلقي عليه بكل اثقاله وهو يتحمل حتى اصبح لا يقدر ان يتحمل وصلى في تلك الليلة يطلب الفرج منه تعالى وبات الى الصباح تارة يقلق من شدة الجوع وطوراً ينام او يتناوم ليغيب عن وعيه وينسى حاله انه جائع . وفي صباح اليوم الثالث نهض وجر نفسه وهو يؤمل ان يرى امامه صومعة او بلداً او فاكهة فلم يرَ الا ارضاً مجدبة قاحلة ولم يرَ غير مردة تتطاير في الجو ثم تختفي وهو يوحد الله من شرهم ويده لا تفارق سيفه وكان كلما سار قليلاً اشتد عليه الجوع وصعب عليه الامر وانحط من قواه الا انه اخيراً شعر بانحطاط قوي وايقن انه هالك لا محالة حيث ركابه اخذت في ان ترتجف وتنحل ويقل من قواها وتضعف ضعفاً سريع الانحطاط واذ ذاك اخذت افكاره تضرب الى جهة اسما بري وعملها معه وانها لا تنفك عنه

ما لم يتزوج بها وحدثته نفسه ان يجيبها الى طلبها فتوصله الى بلاده غير انه خطر له اخيراً انه اذا تزوج بها وصار زوجها لا تسمح له ان يرى بلاده ومهردكار ورجاله ويزيد طمعها به ولذلك بقي محتاراً ومرتاباً ومضطرباً من عمله وهو بحالة يرثى لها من شدة الحنق والغيظ والجوع والضعف يفضل الموت على الحياة والهلاك على الطاعة لاسما بري وفيما هو على مثل هذه الحالة واذا به يرى الخضر عليه السلام قد ظهر امامه على حسب العادة وناداه باسمه فاجابه وقد اشتدت اعصابه وتقوى عند سماعه صوته ووجد راحة في داخله لتأكده بقرب الاغاثة وانه جاءه الذي يقدر على اغاثته . فقال له لا تخف من زواج اسما بري ولا تهتم بعذاب هذا الطريق ومشقات السفر . فان الله العلي العظيم قد قدر عليك اموراً لا بد من وقوعها ولا ينفعك امر ولا يقدر احد ان يمنعها ولا يدفعها غير انها ستكون في النهاية لخيرك لا لشرك وتصل الى قومك وتنقضي عنك كل هذه المشاق التي تتضجر منها الان . قال اني اعرف يا سيدي ان لا شيء ينتهي عليَّ الا بمقاصده تعالى واني صبور على المصائب جلود عليها غير ان ما يكدرني ويحط من جلدي الجوع الذي لا طاقة لي على احتماله ولا احد يقدر ان يقوم في وجهه او يثبت لدى مقاومته

قال اني اعرف ذلك ولذلك اعطيك الان حصاة ضعها في فمك تحت اسنانك فهي تغنيك عن الطعام لانها ما زالت في فمك لا تشعر بالجوع ولا تشتاق الى الطعام ثم ان الخضر عليه السلام ناوله حصاة وامره ان يضعها تحت لسانه فاراد حمزة ان يدنو منه ليقبل يديه فلم يجد له اثراً غير انه شم رائحة البخور تنبعث من مكان وقوفه فوضع الحصاة في فمه وفي الحال شعر بالشبع واخذت قواه في ان تشتد واصبح بعد قليل كعادته واسرع في جريه الى المساء وفي المساء جلس على التراب ليرتاح ونام قليلاً والسيف عند جانبه لا يفارقه ولا احد يقدر ان يقربه من الجان وجماعة اسما بري وعند الصباح نهض ومشى الى المساء وبقي على ذلك نحو عشرة ايام وفي كل يوم تفتكر اسما بري ان الجوع يضعفه ويقلل من عزمه فلا يعود يقدر على المشي فيلتزم ان يطلب اليها المعونة والمساعدة فترغمه على الزواج بها ومن

ثم يصبح زوجها ويكون منقادًا لها شرعاً ولما طال المطال ولم تنل غايتها وضاق صدرها وتعجبت كل العجب كيف انه لم يشعر بالجوع ولا بالضعف بل هو باق على حاله شديد الجري قوي الاعصاب واذ ذاك دعت اليها كندك المارد ومدبريها وشرحت لهم حالها وقالت لهم اني اريد ان استشيركم في امر هذا الانسي الذي قتل ابي وكادني ولم اقدر ان انال منه غايتي وصرفت الجهد الى اذلاله واجباره على الزواج بي فلم اقدر ان اكيده واجبره على طاعتي واخيراً منعت عنه الاكل وقصدت بذلك ان اضعف قواه من الجوع فلم يؤثر فيه ذلك وصرف اكثر من عشرة ايام ولم اره يذوق طعاماً وهو على حاله وهذا من اعجب عجائب الناس ان يقيم الواحد منهم اكثر من يوم بلا طعام

وحينئذٍ تقدم منها احد خدمها وقال لها اني اعرف يا سيدتي سبب ثباته على الحالة التي هو فيها واوكد لك انه لو صرف العمر ولم يذق طعاماً لما اثر فيه ولا جاع وهو انه بينما كان سائرًا حضر عليه رجل على جواد اخضر من الخيول الجياد اسمه الخضر.وهو من رجال الله فشكى اليه الجوع والضعف فاعطاه حصاة وامره ان يضعها في فمه وان تبقى على الدوام لا يخرجها من تحت لسانه ولذلك هو الآن شبعان لا يشعر بالجوع ولا يخافه واني كنت اسمع الكلام الذي دار بينه وبين الخضر الاخضر الذي ذكرته لك . فعظم عليها الحال وقالت لا ريب ان حمزة هذا مسعود الطالع موفق من الله والا لما كان يعوله الخضر الاخضر وتساعده رجال الله ولهذا ارى حبه يشتد في قلبي ولا اريد ان اضيع من يدي مثل هذا الرجل وان كان من الانس واريد منكم ان تنظروا في امري وامره وتروا ما هي الطريقة الى تضييع هذه الحصاة من فمه . فقال لها احد قومها اعلمي ياسيدتي اني اكفل لك ضياع هذه الحصاة منه ومتى أخذت منه رجع الى الجوع فيلتزم ان ينقاد اليك فمدحته وخولته بهذه المهمة . ومن ثم سار هذا الجني الى امام الطريق السائر عليها الامير حمزة وتزيا بزي درويش من رجال الانس اي انه مزق ثيابه واسبل شعره وجاء بوعاء وضع فيه سمكاً مقلياً وتركه امامه وجلس الى ان

رأى الامير قد كاد يشرف على تلك الجهة فجلس للصلاة وكان الامير سائرًا على حسب عادته لا يعرف بخدعة هذا الماكر فرآه جالساً للصلاة غير ملتفت اليه فتقدم منه وصبر عليه الى ان فرغ من الصلاة وحينئذٍ اظهر التعجب والحيرة من وجود الامير وجعل يوحد الله وقال له اراك من طائفة الانس فما الذي اوصلك الى هنا فقال له الامير حمزة ان التقادير القتني في هذا المكان غير اني اتعجب بانك درويش من الانس وموجود في بلاد الجان بعيدًا عن قومك وابناء جنسك . قال ان قصتي عجيبة من عجائب الايام وهو ان ابي كان يسكن في مدينة الشام وكان في اول عمره من الاغنياء العظام اصحاب البيوت واهل الاحسان فضعف حاله وقل ماله ووقع في حفرة الفقر والفاقة حتى كاد يشتهي الخبز مرارًا مع عائلته فذات يوم وهو جالس يتأمل بحكمته تعالى كيف ينزل الانسان من حالة الثروة الى حالة الفقر ويفكر كيف انه لم يع الى حاله حينما كان ماله كثيرًا واذا برجل مغربي عليه سمة المهابة والوقار قد تقدم من ابي فحياه وقال له لا تفكر بهذا الفقر الذي انت فيه فان الغنى قريب منك فانشرح صدر ابي وقال من اين ذلك . قال اعلم ان لي زمان طويل وانا ابحث على كنز في جبال قاف فوقعت عليه في هذه الايام واردت ان افتحه فلم اقدر فبحثت بمعرفتي وحكمتي على وجه من يفتح هذا الكنز فظهر لي ان المال فيه لا يخرج الا في يد ابنك ففرحت وشكرت الله على ذلك واتيت اليك اقاسمك في هذا الكنز فان به من الذهب والتبر ما لا يوجد عند ممالك العالم باسرها . قال له ابي ومن اين يمكنني ان اسلمك ولدي وهو وحيد لي قال اني اكفل لك ذلك واقسم بالله العلي العظيم ان اعيده اليك واقاسمك الكنز وما من غرض لي بابنك بعد ذلك . فانقاد اليه ابي لضعف حاله وفقره وقال وهل يبقى ابني معك الى زمان طويل قال كلّا بل الى عشرة ايام فحرك ابي طمعه بالثروة وبغضه بالفقر فسلمني الى المغربي بعد ان قبلني وودعني وبكى وقال لي اني اودعتك بيد الله يا ولدي فسر مع هذا الرجل عسانا ان نتخلص من الفقر ويسهل الله امرنا فاخذني المغربي بعد ان دفع لابي شيئاً من الذهب ليصرفه في غيابنا وجاء

بي الى هذا الجبل العالي الذي تراه امامك على سرير طار بنا في الجو الاعلى وبعد ان فتح الكنز اخذ منه شيئاً كثيراً من الذهب والتبر ثم رجع من حيث اتى وقال لي ابقَ انت هنا الى ان يوافيك الاجل اذ ما من وسيلة لرجوعك الى ابيك وتركني حزيناً في هــذه الديار غير ان كلمة الايمان لم تفارقني قط فشكرت الله ودعوته لاغاثتي وبكيت على فراق والديَّ وعلى فعل هذا المغربي مع ابي الذي كان بحالة الفقر المدقع وليس له سلوة الا بي . ومن ثم نزلت من الجبل الى هــذه الارض وداومت الصوم والصلاة وانا اسأله تعالى لا يتركني اموت جوعاً . وبعد ان نمت تلك الليلة سمعت الوحي يقول لي لا تخف فاني آتيك بكل ما يلزمك من المأكل والاطعمة التي تطلبها نفسك فاذا اشتهيت شيئاً اطلبه فتراه امامك وانك ستبقى في هذه البلاد زماناً طويلاً الى ان تمر الايام المقدرة عليك ويأتي امير العرب الى هذه البلاد فيأخذك معه الى بلاده ولهذا تراني قائماً في هذه الارض على تلك الحالة في كل يوم اطلب طعاماً فاراه امامي واشكر الله الذي لا يترك نفساً بغير عناية حتى مضت عليَّ السنون والايام ولما كان في هذا الصباح سألت الله الطعام حسب العادة واذا بهذا السماك الذي تراه امامك فتعجبت عند ما رأيته زائداً عن العادة واذ انتهيت من الصلاة ورأيتك ثبت عندي ان هــذا نصيبك من الطعام بحيث تكون ضيفي في هذا اليوم واذا كنت انت هو امير العرب سرت معك الى بلادي لاني من حين بقائي في هذه الارض ما رأيت قط انسياً ولا فترت عن السؤال من الله ان يبعد عني طوائف الجن . ففرح الامير حمزة عنــد سماعه كلامه وصدقه وانطلت عليه حيلته وقال له نعم انا هو امير العرب وسأذهب بك الى بلادك وتكون رفيقي في سفرتي ثم ان الدرويش دعا الامير حمزة الى الطعام فجلس عليه وهو مشتاق له جداً واخرج الحصاة من فمه ووضعها على الارض واخذ يأكل هو والدرويش وفيما هو ملتهٍ بالاكل واذا بالدرويش الذي هو الجني قد مد يده وتناول الحصاة وضرب رجليه بالارض بسرعة عجيبة خوفاً من ان يلحقه حمزة بضربة من سيفه ولما صار بعيداً قال اه ها ان الحصاة ذهبت منك ولم يبقَ لك بعد ما يقيتك

فاسمع مني واقبل بزواج اسما بري ولا تصرف كل عمرك بالعذاب ولا تقدر ان تخرج من حدود بلادها لو صرفت العمر ماش على قدميك

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتأكد ان تلك حيلة وقعت عليه زاد به الغضب وعمي بصره وغاب صوابه واصبح بحالة العدم نحواً من ساعة وهو يعض على اصابعه ندماً ويأسف على تلك الحصاة وثبت عنده ان اسما بري لا تتركه وانه وحيد وانما هي وقومها محتاطون به لا يفارقونه يحاربونه تارة بالحيلة والخدعة وطوراً بالتهكم والعناد . وبعد ان وعى الى نفسه فكر بكلمة الخضر عليه السلام ان ما من باس بزواج اسما بري قط ومن ذلك الوقت رأى ان ينهي عذابه بقبوله بها وان يشرط عليها بان توصله الى بلاده ولذلك قال للجني ادع لي اسما بري لاعرض عليها شروطي وفي الحال ظهرت اسما بري امامه وقالت له اني مرافقتك يا سيدي ولا ابعد عنك قط حتى اذا وافيتني ورحمتني وشفقت على حالتي رجعت بك الى بلدي وزففت نفسي عليك

قال اني قبلت بطلبك ورضيتك لي زوجة انما بشرط انك بعد خمسة عشر يوماً ترسليني مع كندك المارد الى بلادي لاني تركتهم بالحرب مع الاعجام واخاف ان يصابوا بمصيبة ويتشتتوا لطول غيابي . قالت اني اعدك ان اوصلك الى بلادك بعد مرور خمسة عشر يوماً من زفافك وكفاني ان اكون زوجة لك وان اقيم معك هذه المدة وفي الحال رجع من حيث اتى وسلم نفسه الى كندك المارد فحمله الى قصر اسما بري وهناك اجتمع اليها رجال ابيها وهنأوها بنوال غايتها وهي مسرورة السرور الذي ما عليه من مزيد واخذت تهتم بعمل الزفاف وتعد معداته وحينئذ قال لها الامير حمزة اني لا ارضى ان ازف عليك الا اذا ارسلت خادمك كندك يأتيني بقاضي مكة بهلول الناقوش لكي يجري الزفاف حسب سنة العرب . فقالت سمعاً وطاعة فكيف شئت اجري الزفاف فالنتيجة حصولي عليك باي طريقة كانت . ثم انها قالت له اكتب كتاباً الى بهلول القاضي المذكور ليحضر مع كندك . فكتب الى ابيه ابراهيم يخبره بكل ما جرى عليه ويسأله ان يرسل القاضي بهلول

وعمر العيار مع كندك المارد لحضور زفافه وانه بعد خمسة عشر يوماً يكون في مكة المطهرة ويهدي سلامه الى فرسانه وابطاله

فاخذ كندك الكتاب وطار به حتى جاء مكة المطهرة ودخل على الامير ابراهيم فارتاع في الاول منه الا انه اخيراً اطمأن باله عند ما عرف انه رسول ولده واخذ منه الكتاب وبعد ان قراه وعرف ما هو جار على ولده شكر الله على سلامته ثم قال لكندك ان العرب قد ذهبوا عن مكة الى بلاد الغرب وليس هنا الا القاضي فخذه وحده . ثم حمل كندك القاضي وذهب به الى جبال قاف واحضره امام الامير حمزة فلما رآه نهض اليه وقبل يديه واجلسه على كرسي من العاج ثم اخذ يسأله عما كان من العرب والعجم بعد غيابه وكيف لم يحضر معه عمر العيار

فقال ان الفرسان بعد غيابك ارسلوا عمراً الى المدائن واستشاروا الوزير بزرجمهر في امرك وامرهم وكيف يفعلون فقال له ان الامير حمزة ياتي من بلاد الغرب عن طريق طنجة ومن الصواب ان تلاقوه الى هناك وبناء على امر الوزير بزرجمهر المذكور رحلت العرب من مكة وسارت الى الغرب ومعهم عمر العيار . فقال الامير حمزة لكندك اذهب الى طريق الغرب واين وجدت العرب احضر لي من بينهم عمر العيار بكل سرعة وعجلة بحيث يحضر زفافي ويرجع في نفس اليوم الذي ازف فيه اذ لا ابدي عملاً الا برأيه فهو دالول العرب وصاحب ازمتهم ففارقه كندك وسار في طلب عمر العيار

قال وكان من العرب كما تقدم معنا سابقاً ان عمر العيار عاد اليهم واخبرهم ان الامير حمزة سيأتي من طريق بلاد الغرب وانه سيقع هناك حروب واهوال عظيمة واخبر العرب ان من الموافق ان يوافوه الى تلك الارض حيث يجتمعون به وعليه فقد رحلوا عن مكة وساروا بالاحمال والانعام يقصدون بلاد الغرب وامامهم عمر العيار وكانت جواسيس كسرى تراقبهم فرأوهم وقد فارقوا مكة وعرفوا انهم سائرون على طريق طنجة الغرب ومعهم مهردكار ولم يبقوها في مكة

ولما بعدوا ثلاثة ايام عاد جواسيس كسرى وقالوا له ان الامير حمزة قد غاب عن مكة وعن فرسانه الى جبال قاف وان العرب رحلوا من تلك الارض الى بلاد العرب ليلاقوه هناك وقد اخذوا معهم كل الاموال والانعام وذهبوا بمهردكار على هودجها معهم يحتاط بها عمر وجماعة من الفرسان . فقال بختك ان من الصواب ملاحقتهم في الطريق وتبديد شملهم ما زال الامير حمزة بعيداً عنهم واخذ الاموال ومهردكار منهم . فارسل كسرى ولده فرمزتاج وزوبين الغدار مع ثلثمائة الف فارس واوصاهم بمفاجئة العرب وقطع الطريق عليهم وتبديد شملهم فوعداه بذلك وان يعودوا بمهردكار وامواله التي جمعها العرب من بلاده وزحفا بتلك الجيوش وقاطعا للعرب على الطريق الذي كانوا يسيرون منه وما مضت على ذلك عدة ايام حتى التقى الفريقان وعرف العرب ان الاعجام علموا بمسيرهم فربطوا لهم الطريق ومرادهم ان يمنعوهم عن التقدم وان يوقعوا بهم ولذلك جمع اندهوق فرسان العرب واوصاهم بالتيقظ وقال لا بد من ان تقصد طوائف العجم حربنا وقد قادها الطمع الى ذلك فمن الواجب ان نحارب محاربة الاسود ولا نبقي من الاعداء واحداً فلا يجسرون على العود ثانياً وانا ايقن ان بنا الكفاءة لابادة الفرس اجمهم وان كان اميرنا غائباً عنا . فقال له الجميع ان ليس امامنا الا سيوف قواطع وهمم دوافع ومن دنا اجله فلا يقدر ان يدافع وفيما هم على مثل ذلك واذا برسول فرمزتاج قد دخل على العرب وسلم كتابه الى الملك النعمان يقول له فيه :

من فرمزتاج بن كسرى انو شروان الى الملك النعمان ملك العربان

اعلم ايها الجاهل قدر نفسك انك كنت في الاول عاملًا لابي مكرماً تصرف عمرك على الراحة والهناء والكرامة فخالفت عليه وانقدت الى الامير حمزة وعاندت ابي وفي نيتك ان تجعل نفسك مقارناً للملوك فوقعت في سوء عملك ولاقيت عوض الراحة عذاباً وعوض الهناء عناء فصرفت ما بقي من عمرك غريباً مشتتاً تنتقل من مكان الى مكان ومن مشرق الارض الى مغربها ومع كل ذلك لا ترجع عن غيك ولا تترك العرب وتفرقهم وقد سلبتم اموالنا واستوليتم على انعامنا

وسبيتم اختي مهردكار فريدة زمانها ونادرة المثـال بين ربات الجمال ولذلك جئت اليك بهذا العسكر الجرار ومعي زوبين الغدار وانتم تعرفون شدة بسالته وقوة سلطته وعظمته وتعلمون ايضاً ان ابي قد خطبه من اختي مهردكار ووعده بزواجها فنطلب اليكم تسليمها مكرمة وان تسوقوا سائر الجنائب والاموال التي لنا وتعترفوا بخطاكم فنعفوا عنكم ويرجع كل شيء الى حاله ومتى جاء الامير حمزة ورآكم متفرقين لا يعود يطمع بحرب ولا قتال فتكونون قد ارتحتم من عداوة اكبر ملوك هذا العالم واعظم سلاطينه الذي لا يمكن ان يترككم حتى تبادوا عن آخركم

ولما قرأ الملك النعمان الكتاب على رؤوس الفرسان ما منهم الا من اضطرب واغتاظ وهاجت نار الانتقام في قلبـه وحركته نخوته الى خوض معمعة القتال والفتك بالاعجام الانذال فهاجوا وماجوا ووقف اندهوق بن سعدون على رجليه وقال للرسول اذهب لسيدك واخبره انه بطول عمره لم يعد يرى مهردكار فهي اصبحت اختنا ونسيبتنا وخطيبة فارسنا وبطلنا واننا سنقاتل عنها ونحميها من كل طالب ولو مالت علينا الجبال في صفوف الرجال وسيلاقينا في الغد ويعلم منا صدق ما اقوله الان وينظر ما يحل بصهره الكذاب زوبين الغدار . فرجع الرسول وهو مندهش من فرسان العرب ومأخوذ بهيبتهم وسطوتهم ولما وقف بين يدي سيده اعاد عليه ما سمعه من اندهوق فاشتعل في قلبه اللهيب وغاب وعيه وحركه حبه لاخته الى مرآها وانفطرت مرارته كيف قيل له انه لم يعد قادراً على رؤيتها بطول عمره ونهض الى صيوانه وانفرد بذاته وجعل يشرب الخمرة كي يذهب عن نفسه الهدس فلم يقدر بـل كان على الدوام يزيد شوقاً الى مهردكار حتى زين له السكر اخيراً ان يذهب بين قبائل العرب بصفة بدوي ويدخل عليها ويراها وربما تسهل له ان يأتي بها من بين اعدائه . ولذلك نهض وغيّر زيه ودخل بين قبائل العرب وجعل يطوف من مكان الى مكان ولا احد يراه او يعرفه انه فرمزتاج حتى مر من امام صيوان عمر العيار فوقعت عينه عليه وفي الحال عرفه

حق المعرفة فضحك من عمله . ثم دخل صيوان مهردكار وكان بالقرب من صيوانه يحافظ عليها ويحرسه ولا يترك احداً يقرب منه وقال لها ان اخاك فرمزتاج اصبح في يدي فماذا تريدين ان افعل به . فقالت له دعني يا عمر من اخي وابي وسائر اهلي فاني لا اعرف احداً ما زال الامير غائباً عني فانتم اخوتي وابي لانكم تشفقون علي وترحمونني وتمنعون كل ما يضرني وتعبدون الله العزيز الجبـــار ولا تعبدون مثلهم النار . فرجع عند ذلك الامير عمر وجاء من خلف فرمزتاج ورفسه برجله فالقاه الى الارض وانقض عليه فشد وثاقه وقاده الى بين ايادي سادات العرب وحكي لهم امره وعرفهم به فتعجبوا من عمله وقال الملك النعمان لو لم يكن سكراناً لما هان عليه ركوب مثل هذه المخاطر فماذا يجب ان نفعل به الآن فقال اندهوق ارسلوا رسولاً الى مهردكار واسألوها ماذا تريد ان نفعل فاذا امرتنا بقتله قتلناه او طلبت اطلاق سبيله اطلقناه لانه اخوها فلا نخالفها به فسار عمر اليها واخبرها بكلام اندهوق واستشارها بامر اخيها . فقالت ابقوه عندكم الى حين عودة الامير حمزة فهو ينظر في امره ويفعل ما يريده فاعجبه جوابهـــا ورجع الى امراء العرب واخبرهم بما قالته فسلموه الى عمر العيار وقالوا له حافظ عليه واحرسه الى ان يصل الينا اخوك فقاده الى صيوانه ووضعه فيه ووكل جماعة من عياريه ان يحرسوه حين غيابه .

قال وفي تلك الليلة افتقد زوبين الغدار فرمزتاج في صيوانه فلم يره فتكدر وسأل عنه فلم يجبه احد فارسل الجواسيس الى بين العرب علَّ احدهم يقف له على خبر وبعد ساعات قليلة رجع اليـــه الجواسيس واخبروه انهم سمعوا بين العرب بوجود فرمزتاج بينهم اسيرا وهو في يد عمر العيار ولا نعرف كيف كان اسره فاضطرب زوبين الغدار من ذلك وتعجب كيف قدروا ان يصلوا الى ابن كسرى وخاف على نفسه مزيد الخوف ولم يرَ له طريقاً لخلاصه وحمله خوفه الى الرجوع بمن معه الى المدائن فيخبر كسرى باسر ابنه وانه لو بقي الى اليوم الثاني لاسر هو ايضاً وتفرقت جيوشه وعلى ذلك نهض الى جواده فركبه وامر القواد ان تسير

بالجيوش خلفه قبل ان تشرق شمس اليوم القادم وبنحو ساعتين من بعد ذلك لم يبق للعجم اثر في تلك الارض ولا تركوا عقالاً بها غير اثار حوافر خيلهم

وفي صباح اليوم الثاني نهضت العرب ونظرت الارض خاوية خالية وما من عجمي في كل تلك النواحي فثبت عندهم ان زوبين هرب خوفاً على نفسه ورجع من حيث اتى وعليه امر اندهوق فرسان العرب ان تنهض من ساعتها وتسير في طريقها فقد رفع القتال والحرب والنزال فركب الجميع ورفعوا الاحمال وساروا من تلك الارض وامامهم عمر العيار يقود فرمزتاج وهو محمول على جواد من خيول العرب موثوق الايدي وكلما قربوا من مدينـة او قلعة دخل عمر على فرمزتاج واجبره ان يكتب كتابة موقعة منه ومختومة بخاتم المملكة تؤذن بتسليم العامل وتأمره بعدم المدافعة وترك القتال

وهكذا كانت العرب تسير بلا قتال ولا حرب ولا نزال حتى مروا على عدة بلدان وكل بلد دخلوها اخذوا منها احتياجهم ومؤن طريقهم وما برحوا على مثل ذلك حتى جاؤوا الى قلعة قطمين وهي من القلاع الحصينة المنيعة مسورة بالطوب لا يقدر الطائر ان يدخل اليها . فدخل عمر على فرمزتاج وقال له اكتب لي كتاباً الى حاكم هذه القلعة ان يسلم في الحال فاجابه الى طلبه وكان فرمزتاج في كل مرة يكتب كتاباً الى عمر العيار فيأخذه منه ويقرأه حتى انه اخيراً ما عاد يقرأ الكتابة لما رآها كلها على نسق واحد ولم يخطر له ان فرمزتاج وهو اسير بيد العرب يجسر على الغدر به ولذلك في هذه المرة اخذ الرسالة منه وسار الى حاكم القلعة فدفعها اليه فاخذها وفضها وقرأها واذا بها :

من فرمزتاج بن كسرى انو شروان الى حاكم قلعة قطمين

« اعلم اني أُخذت اسيراً مع العرب فاذاقوني العذاب الاليم وكلما قربوا من مدينة او قلعة ارغموني ان اكتب الى صاحبها بالتسليم فافعل غصباً عني حتى فتحوا عدة بلدان وقد امن لي عمر العيار الواصل اليك فلم يعد يقرأ كتاباتي ولذلك كتبت له هذه المرة عكس ما طلب فاني امنعكم من التسليم وان تسعوا بخلاصي

حالاً هذا بعد ان تقبضوا على عمر العيار حامل هـذا الكتاب لانه رأس العرب وعلة نجاحهم فاذا غاب عنهم او أُصيب بنائبة تفرقوا وضعفت احوالهم لانهم بدونه لا يعرفون كيف يسيرون ولا يقدرون على نوال مطالبهم ولا يمكن ان يقدروا على فتح هذه القلعة فيرجعون خائبين متفرقين وحالما تقبضون عليه اقتلوه ولا تتهاملوا بامره والا تخلص ونجا ولا تقدر هـذه الحصون المنيعة ان تمنعه من المرور الى قومه فهو شيطان في صورة انسان لا يصطلى له بنار »

فلما قرأ حاكم القلعة الكتاب قال لعمر مرحباً بك فاني عن قريب اسلم القلعة اجابة لطلب فرمزتاج بن كسرى الملك الاكبر. ثم اشار بالسر الى قومه ان تقبض عليه فانقضوا عليه من كل ناح ومسكوه بالرغم عنه وفي الحال اوثقوه بالحبال وشدوه بكل قوتهم ولم يتركوا له سبيلًا للدفاع ولما رآه حاكم القلعة وقد صار بيدهم قال يجب ان نقتله في الحال خذوه الى عالي الاسوار وادعوا العرب ان يتفرجوا على موت مدبرهم ودليلهم والقوه على دولاب الهواء وانفضوه مدفوعاً بقوة الدولاب الى الجو الاعلى فانه يرتفع عن السور مئات من الاقدام ثم يسقط الى بينهم ممزق من شدة الارياح ويعرف فرمزتاج بموته وكذلك تضمحل قوة العرب ولا تعود تقوم لهم قائمة . وفي تلك الساعة سحبوا عمر العيار مكتوفاً ونحواً من عشرين رجل تحيط به وكلهم ماسكون بالحبال يضيقون عليه ولا يفرجون عنه حتى جاوزوا الاسوار فصعدوا عليها وجاوزوا اعلاها وركبوه تركيباً محكما لجهة العرب ووضعوا عليه عمر العيار وهو مكتوف ومربوط الايدي والارجل ووقف كبيرهم ونادى قبائل العرب هيا ايها القوم المعتدون وانظروا ما يحل بقائدكم عمر العيار الذي تفتخرون به ففي هذا اليوم موته وهلاكه وخلوص اياه.

قال وكانت العرب تنتظر عودة عمر العيار اليهم وان يطلب اليهم الدخول حيث كانوا يتصورون ان فرمزتاج بعث بكتاب كالعادة يأمر حاكم القلعة بالتسليم واذا بهم قد رأوا جماعة من فرسان القلعة قد رفعوه على الاسوار وفعلوا ما فعلوا فغاب صوابهم وضاعت عقولهم فزحفوا الى ناحية الاسوار وهم يصيحون ويصرخون

ويلكم ايها الاوباش خلوا عن عمر العيار فنترك لكم القلعة واشتروا انفسكم به والا فاننا لا نتركـكم ولا نبقي على انسان بها فلم يصغ الرجال الى كلامهم لعلمهم انهم لا يقدرون على فتح القلعة ولا على خرق الاسوار ولا يمكنهم ان يصلوا اليهم بل انهم اخذوا يد اللولب ودفعوه دفعة واحدة فدار كالبرق وباسرع من هبوب النسيم ضرب على عمر العيار فرفعه الى الجو الاعلى حتى كاد لا يرى من الارض شيئاً وقد ايقن اهل القلعة انه يموت وهو في الهوى وكذلك العرب ظنت انه ربما يقع داخل المدينة واما هو فانه ايقن بالموت والهلاك وثبت عنده ان تلك الدقيقة هي آخر حياته حيث بعد ان ينتهي من الارتفاع بقوة دفع دولاب الهواء لا بد له من السقوط فيموت شر ميتة وقد تألم وتوجع من لطمة الدولاب ولو لم يكن من اجلد الناس على المصائب والاهوال واكثرهم مخاطرة لمات في الحال الا انه في تلك الثانية صادف وصول كندك المارد فتناوله بالهواء وطار به في الجو وعاد من حيث اتى . وقد تقدم معنا ان الامير حمزة بعثه ليأتي به ويحضر زفافه ولم ينتبه عمر الى كندك بل ظن نفسه انه دخل باب الهلاك وبعد قليل غاب عن هداه وكندك سائر به ولا زال حتى وضعه امام اخيه حمزة فنظر اليه وهو على تلك الحالة وتعجب منه وسأل كندك عن امره فقال له اني نظرت العرب نازلين في ناحية من الارض عند قلعة قطمين فقصدت النزول عليهم واذ رأيته على السور ورجال القلعة مرادهم ان يهلكونه وقد نادوا العرب لتنظر موته ورموه الى السحاب بدولاب الهواء فاسرعت اليه وهو غائب عن الهدى ميقن بالموت واتيت به من العلى

فتكدر الامير حمزة وتقدم من عمر وناداه ففتح عينيه ورأى الامير حمزة فظن انه بالجنة وان اخاه مات وهو هناك فقال له الحمد لله يا اخي الذي اجتمعت بك في دار الآخرة فواحسرتاه على العرب ماذا يا ترى يحل بهم بعدنا وماذا يجري على مهردكار في دار الفناء واني مسرور الذي لحقت بك لاني كنت اظن انا والعرب انك حيٌّ وما علمنا بموتك وانتقالك الى دار الآخرة . فعرف الامير حمزة انه لا يزال ضائع العقل فأمر ان يؤتى له بكأس من الشراب فاحضر له فسقاه

واجلسه على صدره وقال له انظر جيداً فاننا لا نزال في هذه الدنيا واننا في جبال قاف وقد حضرت مع الراعد وبعثت كندك المارد فجاء بك وانت على اسوار قلعة قطمين . فلما سمع عمر انه بجبال قاف وعي الى نفسه والتفت يميناً وشمالاً فلم ير الا جاناً ومردة فقال له لماذا ارسلت فأتيت بي الى هذا المكان وكيف صادف ذلك وانا على آخر نفس من الحياة وثبت لي اني صرت في دار الآخرة حيث ارتفعت عن الارض نحو الف قدم واغمضت عينيَّ كي لا ارى الارض ولا اشاهد كيف اموت . فقال له اني اتيت هذه البلاد مع الراعد ووقع لي كذا وكذا بها . ثم انه اعاد عليه قصته من الاول الى الآخر واخبره بكل ما جرى له مع اسما بري الى ان قال له اني قد ارسلت اولاً كندك المارد الى مكة فجاء بالقاضي بهلول ولم يرك هناك واخبر القاضي انك مسافر الى الغرب مع العرب فارسلت كندك حالاً ليأتي بك ويرجع بيوم واحد فتحضر زفافي وترى العروس . قال خيراً فعلت فاني اريد ان اشاهد هذه التي تقول انها تريد ان تتزوج بك فاذا كانت موافقة لك وتحب العرب وافقتك والا تركناها ورجعنا فنادى الامير اسما بري فحضرت امام اخيه فنظر اليها وقال في الحال الى اخيه اني لا اقبل لك هذه العروس ولا اريد ان تزف عليها واذا فعلت ذلك قتلتك . فضحك الامير من كلامه وعرف انه يريد منها النقد ولذلك اشار الى اسما بري ان ترضيه . فقالت لا تفعل هذا يا عمر فاني لا اترك اخاك واحبه كثيراً ولاجل حبه احب العرب اجمعهم واني ارضيك بكل شيء وسأملي لك صندوقاً من الذهب تأخذه معك الى العرب قال اني لا اريد ان تملأي لي صندوق بل اريد ان تملأي لي هذا الجراب الصغير . ثم مد يده الى وسطه فاخرج جراب اسماعيل منه وفتح لها فمه . فاستصغرته وقالت اتبعني فاني مالئته لك مرتين وثلاث مرات ودخلت الى غرفة من قصرها وفتحت صندوقاً كبيراً مملوءاً من الذهب وقالت خذ مهما شئت منه واملي جرابك . قال افرغي لي انتِ وانا افتح فاه . ثم انه فتح باب الجراب واخذت اسما بري تضع فيه الذهب وهو لا يبان وهي تتعجب حتى فرغ الصندوق كله فقالت لعمر كيف

لا يتلىء الجراب ومدت يدها اليه فراحت كلها في جوفه ولم تعثر بالذهب قط فطار عقلها ونظرت الى خارج الجراب فرأته صغيراً لا يساع اكثر من كفها فكادت تفقد عقلها وجاءت الى الامير حمزة وعمر يضحك منها وقالت له ما هذا الجراب فانه كاد يأخذ عقلي وما ظننت انه يسع اكثر من ربع الصندوق . فقال لها يكفيه ما اعطيته فانك لا تقدرين ان تملأي الجراب فانه لو وضعت به جبال قاف برمتها لما بانت فهو جراب اسماعيل . ثم نادى عمر وقال له يكفاك ما اخذت من الذهب قال اني راض به فهو يكفي جماعتي الى زمان طويل وعليه فاني اسمح ان تزف على اسما بري فهي كريمة وموافقة واجعل ذلك ان ينتهي بوقت قريب حيث مرادي ان ارجع في صباح الغد الى العرب لانهم بدون شك في بكاء ونحيب من اجلي وربما هم بضيقة من جري امتناع حاكم القلعة عليهم

قال ومنذ ذلك الحين اعدت اسما بري معدات الزفاف ودعت كل المردة وكبراء الجان ورؤساء الطوائف فحضروا اليها وحينئذ تقدم القاضي بهلول وزف الامير حمزة على اسما بري وبارك للامير بها وكذلك جميع الطوائف واظهروا فرحهم وسرورهم بملكتهم وانقضاء غايتها . ثم ان الامير بعد انقضاء السهرة دخل على اسما بري وجاءها ونام عندها تلك الليلة وهو مسرور بما لاقى منها الى الصباح وعند الصباح جاء قصرها فوجد اخاه عمر بانتظاره فقال له ارسلني الآن الى قلعة قطمين فاني مشغل البال على العرب وانت بعد ايام تتبعني . قال اصبر لاكتب الكتب الى العرب واطمنهم عني واني سأذهب اليهم بعد خمسة عشر يوماً فيذهبون في طريقهم ولا يتعوقون فقال له اكتب ما شئت ولا تجعلها بيضة الديك فاخذ وكتب في الاول الى الملك النعمان والى اندهوق بن سعدون والى المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر واصفران الدربندي كل واحد كتاباً خصوصياً باسمه يشرح له حاله ويطمنه عنه وبعده انه بعد ايام قليلة يكون عندهم ويأمرهم بالثبات في القتال وان يبقوا يد واحدة ولا ينفطروا وبعد ان يتملكوا قلعة قطمين يداوموا السير حتى يصلوا الى طنجة الغرب حيث يكون

. قد سبقهم الى هناك بحسب اشارة الوزير بزرجمهر وان تكون كل غايتهم الاعتنا بمهردكار وان لا يدعوا الاعداء يصلوا اليها واخيراً كتب كتاباً يقول لها فيه :

« من حبيبك الملذوع بقرب النوى والمحروق بكيد الزمان وعناد البعاد من رمته يد الايام الى آخر الدنيا فاصبح بينه وبين من احب جبال وبلاد لا يعرف عظم اتساعها الا الله سبحانه وتعالى ابيت على حالة اليأس وشخص جمالك يرافقني ويسامرني وخيالك يبات في عيني ولا يبارحني فاذا نهضت في الصباح رأيت ذكرك يتردد في فمي وعين جمالك يناجي قلبي فاصرف اكثر الاوقات بين ذكرى وشكوى . كل هذا لا يخفاك ولا تبعد عنك معرفته لاني اعرف من داخل قلبي ما تلاقي انت ايضاً وكيف حالتك حيث انشخص بهاك ما زارني مرة الا وعاتبني على هذا الانقطاع ونسب اليَّ الظلم وسبب هذا البعد فعرفت ذنبي وتأكدت اني الظالم وانك المظلومة . نعم انا كنت السبب في كل ما جرى وكان من هذا البعاد وعلى الدوام وانا الذي سببت لك الهمّ والحزن . ابعدتك عن اهلك وحملتك مشاق الاسفار والاوجاع والغربة والاهوال بعد ذاك الترفه والتنعم والدلال والعز الذي كنت عليه في بيت ابيك وفوق كل ذلك لم اف حق حبك ولا اقت بواجباتك لاعيضك بدل ما تلاقينه فاعذريني ولا تلوميني بل سامحيني فان قلبي باق على الحب ولي امل وثيق ان كل هذه الاهوال والمصائب والعذابات ستكون هناء وراحة وسعادة لي ولك فسامح الله اباك الذي اراد ان يقهر غايتنا ويدوس راحتنا ويجلب كل هذا العناء لي ولك لا بل لعن الله بختك الوزير الخائن الناكث الخادع اذ انه منبع العداوة واصل كل هذه الشرور ولولاه الان لكنت باقية في المدائن وكان انتهى زفافنا منذ زمان وكنا بجانب بعضنا نلاقي لذة المعيشة وهناء الزواج واني اسأل الله ان يقدرني من الوصول اليه لاشفي غليل قلبي منه واذيقه الموت الاحمر جزاء على اعماله واني قد بعثت بالكتب الى سائر الفرسان اوصيهم بالمحافظة على راحتك اذ لا شيء يشغلني عنك وامرك افضله عن كل امر واريدك على الدوام ان تكوني مرتاحة مطمئنة البال من نحوي فاني بعد

قليل من الايام اكون عندك واشرح لك العذاب الذي لقيته في سفرتي هـذه غير انه قد انقضى وزال واصبحت براحة عظيمة وقـد التزمت بالرغم عني ان اتزوج باحدى بنات الجان وهي بنت الملك الذي قتلته واسمها اسما بري لانها وقفت في طريق رجوعي الى بلادي وحاربتني محاربة عظيمة ولولا تأكدي ان زواجها قدر عليّ وانه لا بد منه لفضلت الموت عليـه وسأتركها بعد خمسة عشر يوماً حيث اشرطت عليها ان لا أقيم معها اكثر من هـذه المدة فعدي نفسك بقرب وصولي اليك وكوني براحة مع اخوتك فرساني وها ان اخي عمر قد عاد اليكم بعد ان خطر لكم وتوهمتم انه مات واوصيته الوصية الكبرى ان يكن بخدمتك كما كان وهو يخبر بحالي انا الغريب عنك وعن رجالي فهما حصل لي من الراحة وانا على هذا البعاد فاحسبه ويلاً وعذاباً وكدراً ممزوجاً بالشقاء فراحتي ان اراك في كل صباح ومساء وهنائي ان اسمع عذوبة الفاظك في كل آن فتنزل على مسمعي وعلى قلبي اشهى من كل شيء وابرد من الماء الزلال فسقياً لتلك الايام القليلة التي صرفناها في ارض مكة المطهرة اراك وتريني واسمع كلامك وتسمعين كلامي وكل واحد منا يقدم للآخر قلبه ويطرح بين يديه نفسه اني اتذكرها ودموعي لا تنقطع دقيقة وقلبي يخفق على تلك الساعات التي كظل الخيال » . ثم كتب في آخر التحرير :

فؤاد كما يهوى هواك معذبُ ... وقلب على جمر الاسى يتقلبُ
وعين اذا ما جفت الحزن دمعها ... اتت بدموع من دم القلب تسكب
تيقنت ان لا صبر لي عنك ساعة ... فاقصيتني اذ ليس لي عنك مذهب
وذلت بحكم الحب نفسي ولم تكد ... وليس لمن يهوى عن الذل مهرب
وعلمتني كيف التوجع والبكا ... وكيف اداري الكاشحين وارهب
واعرضت فاخترت الحمام على البقا ... وورد الردى لي دون بعدك يعذب
فان تردني الاشواق مت بحسرتي ... وان تبقني قاسيت ما هو اصعب
احن الى اهلي واهوى لقاءهم ... واين من المشتاق عنقاء مغرب

غريب غريب الهم والقلب والهوى ونفسي التي تهوى الردى ليَ اغرب
ترى الماء كالنسيم الزعاف مع الظما اذا كان من كف المقطب يشرب
اقول لحر يبتغي صفو ساعة من الدهر ان النجم من ذاك اقرب
اتطلب في الدنيا الدنية راحة وانت كريم النفس حرٌ مهذب
سقاني نقيع السم في الشهد ريقها على انني طب بها ومجرب
تغر بزور ثم تفتك بالفتى وقد يخدع الوغد الشجاع فيضرب
فلا تركنن منها لسلم تريكه فكم غادر يبدي الرضى وهو مغضب
تلين خداعاً للمقلب كشحها كما لان بطن الافعوان فتسلب
تجنبت اخلاق اللئام فخانني وعاقبني دهري كاني مذنب
فكم قائل فيك انقباض ووحشة فقلت له لا بل من الذل اهيب
تان على الايام حزني واجب فيا كبدي ذوبي فذلك ارجب

وبعد ان فرغ الامير حمزة من كتابة الكتاب دفعه الى اخيه عمر العيار وقال لكندك المارد اوصله الى القلعة التي جئت به منها ولا تفارقه الا بعد ان تأخذ العرب القلعة هذا بعد ان توصل القاضي الى مكة المطهرة فاطاع كندك المارد امره وفي الحال حمل الاثنين وطار بهما حتى جاء مكة فوضع القاضي هناك واما عمر فانه لم يقبل ينزل عند مكة بل قال للمارد خذني الى ناحية القلعة وانزلني بعيداً عن معسكر العرب بنحو ساعتين فاجاب سؤاله وسار به حتى اوصله الى قرب قلعة قطمين فانزله هناك واقام بعيداً عنه لا يظهر نفسه لاحد فمشى الى ناحية العرب ليظهر لهم نفسه

قال وكانت جماعته العربان بعد ان رأوا ما رأوا من مصاب عمر وشاهدوه وقد دفع الى السحاب ولم يروه فيما بعد فثبت عندهم كل الثبوت انه مات لا محالة وانه وقع في غير جهة من المدينة فلطموا على خدودهم وبكوا وناحوا واقاموا له عزاء لم يسبق ان وقع مثله لاعظم ملوك ذاك الزمان وكان اعظم الجميع كدراً مهردكار لانها كانت تتسلى به وكانت امينة على نفسها من غدر الاعداء ما دام هو قريب

منها ولذلك ندبته وبكته بكاء مرًّا ولبست عليه الحداد وصرفوا نحوًا من ثلاثة ايام والعرب تطوف حول الخيام وتندب عمرًا مقدامها وقد تقطعت ظهورهم وشعروا بشدة احتياجهم اليه وهم لا يعرفون ماذا تصل اليه حالتهم . وفي اليوم الرابع ضاق خلق اندهوق بن سعدون من الحالة التي هو فيها وفكر ان الامير حمزة هو في جبال قاف وان الامير عمر قد قتل وان مهردكار هي معهم ولا يمكنهم ان يتركوها ولا يعلموا في اي وقت يأتي حمزة واذا اتى فماذا يا ترى يقولون له اذا سألهم عن عمر العيار الذي يحبه محبة عظيمة وخاف من ان الفرسان تتفرق وتضعف قوتهم ويقل املهم فيتشتتون ويتبددون ولهذا خرج من بين الخيام واوسع في البر ليبعد عن فكره هذه الاوهام ويلتهي بالصيد والقنص ذاك النهار وفي المساء يجمع العرب ويحلفهم بالله ان لا يترك بعضهم بعضاً الى ان تعود اليهم ايام الهناء ويرجع الامير من سفره . وفيما هو سائر بالفلاة واذ قد رآه عمر العيار فقرب منه وصاح به وقال له اهلاً باخي اندهوق فما بالك لابس السواد وانا اخوك عمر العيار قد عدت اليكم سالماً فارتاع اندهوق عند سماعه هذا الصوت . ونظر الى جهته فشاهد عمر فلم يخطر له انه هو بنفسه بل ظن ان خياله يعارضه ليثقل عليه بالحالة التي هو فيها . فقال له ابعد عني ايها الخيال فقد كفانا ما لقينا لمصرع عمر وما لحق العرب من الحزن لاجله واذرف دمعه على خده ومال بوجهه الى جهة ثانية وسار فيها فعرف عمر ان العرب بحزن عليه وقد لبسوا السواد وان بكل نيتهم انه قتل وشرب كاس الافات فاسرع الى ناحية اندهوق وقال له اي خيال هنا انا اخوك عمر وقد جئت برسمي وجسمي واسمي واتيتكم ببشارة عن الامير حمزة ومكتوب لك منه ثم لمسه وعارضه ودفع اليه المكتوب فنظر فيه اندهوق وتأكده وثبت لديه انه عمر فرمى بنفسه عن الجواد وجعل يقبله وقال اين كنت هذه المدة وما الذي اوصلك الى الامير حمزة . قال اقرأ اولاً الكتاب وسر فخبر العرب بقدومي وسوف تسمع قصتي وقصة الامير حمزة فعاد اندهوق ركضاً على جواده حتى دخل بين العرب وهو من الفرح في برج

عظيم وجعل ينادي هيا يا امراء العرب وسادتها وقوادها فابشروا واهنأوا فقد عاد اليكم عمر العرب رأس العرب وفخرهم فاسرعوا الى ملاقاته واشكروا الله على ما قد اعطاكم فهو الرحيم المعين. وفي الحال قامت الضجة من العرب واكثروا من الصراخ والصياح وانحدروا الى ناحية اندهوق فجعل يشير اليهم بيديه ويقول لهم هيا اسرعوا من هذه الطريق فهو بانتظاركم ان تصلوا اليه فاخذوا يركضون افواجاً افواجاً وصياحهم قد ملأ الارض ولما راوه رفعوه على ايديهم وجعلوا يتناقلونه ويغنون ويزرغطون ولا سيما جماعته العيارون فانهم كانوا لا يعلمون ماذا يفعلون فداروا به من كل مكان والسنتهم تبربر وايديهم تصفق وعادوا به فرحين مسرورين الى ان التقوا بالفرسان وهم المعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل والباقين فنزلوا اليه وسلموا عليه وسألوه عن حاله فاعطى كل واحد كتابه من الامير ففضه وقراه وشكروا الله على سلامته وساروا الى صيوان الملك النعمان واجتمعوا واستعادوا منه الحديث فاخبرهم بكل ما كان من امره من حين فارقهم ودخل القلعة وكيف ان حاكم القلعة غدر به وربطه وامر بقتله وكيف ان كندك كان قد جاء في تلك الدقيقة من قبل اخيه ليذهب به الى جبال قاف واعاد عليهم ايضاً قصة اخيه حمزة وانه تزوج في جبال قاف بالرغم عنه بشرط ان يقيم مع اسما بري خمسة عشر يوماً وبعد ذلك توصله الى بلاده فشكروا الله على سلامته وقال له اندهوق ان موتك جاء بنفع وخير لنا فكم بالحري حياتك فلا زالت علة خير ونجاح ودليل سعادة واقبال واننا في الصباح سنباكر اهل القلعة ونأخذ لانفسنا منهم بالثار ونسير الى طنجة الغرب لنلاقي اميرنا وفارسنا هناك فاننا بشوق الى رؤياه وقلوبنا كادت تنفطر عليه. ثم تركهم وسار الى مهردكار

وكانت مهردكار في صيوانها فبلغها بغتة خبر وصول عمر فطار قلبها ولم تعد تعي الى نفسها وكانت تحزن من اجله فنهضت على غير وعي وخرجت من الصيوان الى الخارج تنتظر قدومه وهي لا تصدق بذلك وبقيت واقفة تسمع صياح العرب وصراخهم ومناداتهم بالافراح والمسرات فثبت عندها ذلك ودخلت فنزعت عنها

ثوب الحداد وصارت تدخل الى الصيوان وتخرج منتظرة وصوله اليها وقد ضاق صدرها فارادت انتعرف ماذا جرى عليه ولا زالت الى ان وصل اليها لحياها وسلم عليها وقال لها ان غيابي كان نافعاً قد عدت اليك بخبر عن اخي الامير فطفح السرور بزيادة على قلبها وقالت اين اخوك وما هو الخبر الذي جئتني به منه قال ان اخي هو في جبال قاف عند اسما بري واه حديث طويل وعما قليل من الايام يكون عندك واعطاني هذا الكتاب لك . ثم ناولها الكتاب فاخذته منه ووضعته بيدها لتقراه بانفراد وجعل قلبها يخفق شوقاً الى مطالعته والوقوف على كل ما تضمنه والنظر الى تلك الاسطر التي كتبها حبيبها . وبعد ان فرغ من اعادة حديث اخيه عليها تركها وذهب الى جماعته العيارين وقال لهم اتبعوني الى الفلا فاني احضرت لكم من ذهب جبال قاف الكبير العيار شيئاً كثيراً . وسار امامهم فساروا من خلفه حتى جاء اكمة في تلك الناحية فصعد عليها وقلبه فرح مسرور ببذل الاموال لهم واخرج الجراب من وسطه ووضعه امامه وجعل يأخذ قبضة ويرشها عليهم وهم يتسابقون الى التقاتها وهو يضحك منهم ويسر من مسارعتهم وفرحهم بعطائه حتى فرغ الجراب فاسود قلبه وحزن على فراغه وتمنى ان لا ينقطع عن هذا العمل كل عمره حيث كان كريماً نهاباً وهاباً . وبعد ذلك رجع الى المعسكر ومن خلفه جماعته وكل واحد منهم قد اصابه ما يكفي لغناه وهم يشكرونه ويثنون عليه ويمدحونه حتى جاوزوا خيامهم واقاموا بها واقام عمر على حراسة مهردكار والتطوف بالمعسكر كالعادة كانه لا راح ولا جاء

واما مهردكار فانها بعد ان ذهب عنها عمر العيار اخذت بيدها الرسالة وجلست على سريرها وهي تتنشق منها رائحة الراحة وتتوسم بها الفرح والمسرة وفضتها بايد مرتجفة والقت بنظرها على التوقيع وقرأت اسم حبيبها حمزة فالقت برأسها الى الوسادة وقد خارت قواها وخفق قلبها كان الامير قد وافاها بعد غيبته ولبثت نحواً من نصف ساعة وهي ملقاة على الوسادة حتى قدرت ان تضبط نفسها وتنهض جالسة الى قراءة التحرير فاخذته بيدها واعادت بنظرها عليه وتجلدت

كل التجلد ووضعت يدها اليمنى على قلبها لتمسكه عند ما يطلب الغور والخور وبدأت من اوله تقرأ سطراً وتصبر نحو خمس دقائق لتقدر على قراءة السطر الثاني وما برحت حتى وصلت الى آخره وهي على ما تقدم واذ ذاك عادت الى حالة الاضطراب الذي يحدث عند اشتداد الفرح واتكأت على سريرها تفكر بمعاني الفاظ حبيبها الرقيقة وقالت لا ريب ان شعوره واحساساته من نحوي على الدوام حية وهذا الذي يسليني ويتركني اعلق الامل الكبير العظيم بان ما انا به من المشاق ينتهي الى الراحة هو يحمل هم سفري مع انه بعيد عني الوف والوف الوف من الفراسخ بل وملايين الوف من الفراسخ فليهنا قلبي وليفرح بمن احب ولو لم يكن اهلاً لان احبه لكان خيراً لي ان اموت من ان اعيش على عناد ابي ومناوأة اهلي وترك بلادي لكنه هو افضل من الجميع وارق على ضعفي من ابي واخي وامي ولكن بماذا يا ترى اقدر ان اكافئه على مثل هذا الحب والخلوص الي احبه نعم ولكن لا فضل لي بحبه لان ذلك من موجبات عشقي وتطلبات قلبي فلا فضل لي به فيا رب كافئه عني بما تختاره له واجعل ايامه طويلة مقرونة بالسعادة والاقبال . وصرفت كل ذلك النار وتلك الليلة وهي على مثل هذه الافكار تارة تاخذ الكتاب فتعيد قراءته وتمعن به وطوراً تضعه على صدرها وتضمنه بيدها وتلقي نفسها على السرير وافكارها سارحة الى ناحية جبال قاف وفي الاخير وجدت نفسها مضطربة الى مناشدة الاشعار فاشارت تقول :

لا وبرد اللقا ومر الفراق ما لقلبي من لسعة البين راقِ
كيف يخفى حريق وجد فؤاد صير الجفن دائم الاغراق
كتمته جوارحي ففشاه ناطق الدمع صامت الاماق
يا غزالاً عن المحب نفوراً وشهاباً في البعد والاحراق
كم اناديك ضرني ما دهاني كم اناديك شفني ما الاقي
فاجرني من الجفون فقلبي مات صبراً من النفوس الرقاق
واغثني من القدود فاني لست اقوى على الرماح الرشاق

لست ارضى سواك ما لك رقي　　لا تسمني بذلة الاعتاق
سامح الله حاجبيك واسما　　رشقتني باسهم الاحداق
وحمى واضح الجبين لحسن　　لسناه اهلة الافاق ·
كم قطعنا به ليالي وصل　　في استلام ولذة واغتباق
وشربنا من الوجوه خموراً　　في الدياجي شديدة الاشراق
ورشقنا من الثغور كؤوساً　　راحها فيه راحة العشاق
وهصرنا من القدود غصوناً　　طارحتها بلابل الاشواق
يا فؤادي عن القطيعة صبراً　　قد قضى البين بيننا بفراق
لا تكن عند ما تصاب حزيناً　　ليس بعد الفراق الا التلاقي

وعادت منذ ذلك اليوم وان كانت تتذكر الامير على الدوام انما علقت الامل بان في نفس ذاك الشهر يصل اليها كما افاد في تحريره لها

ولما كان غد ذاك اليوم نهض العرب من مراقدهم وتقدم عمر العيار في الاول وصاح بهم ان يتبعوه ليسلمهم القلعة وكان الى جانبه كندك المارد وهو عازم على قلع الابواب والفتك بالذين داخل القلعة وفي الحال زحفت الابطال والفرسان وسائر الرجال من كبار وصغار وقد قوموا الاسنة واطلقوا الاعنة وهجم كندك على الابواب ففتحها واندفعت العرب الى الداخل وهي مسرورة بذاك الفتح المبين وعمر العيار كانه شعلة نار يصيح وهجم من اليسار الى اليمين ومن اليمين الى اليسار حتى دخل على حاكم القلعة وقال له ويلك يا خبيث يا غدار اظننت ان عمر العيار يموت وهو محروس بعناية العزيز الجبار فاذا قتل اليوم عاش في الغد فارتاع الحاكم واراد ان يدافع عن نفسه فلم يمهله بل ضربه بالخنجر في صدره واطلعه من ظهره وبمدة ساعة ملك العرب القلعة واعتلوا اسوارها وغنموا كل ما فيها وقتلوا كثيراً من اهلها وبعد ذلك فرقوا بالرجال في كل نواحيها واجتمع الفرسان الى قصر الحاكم فوجدوا عمراً هناك وقد قتله فجلسوا وشكروا من عمر وكندك المارد وقالوا له لولاك لما سهل علينا فتح هذه القلعة لانها حصينة جداً لا يمكن الدخول

ا الا بالتسليم فقال اني ملزوم بخـدمة سيدي الامير حمزة وقد اوصاني ان لا
جع عنكم ما لم تفتحوها وها قد تم الغرض واريد الذهاب والرجوع الى جبال
ـ في هذه الساعة فكتب كل فارس منهم كتاباً الى الامير يخبرونه بما كان من
ـهم ويشكون اليه اشواقهم ويسألونه سرعة العودة اليهم قبل ان تأتيهم رجال
نسرى وعساكره لانه يجمع الفرسان ليسير في اثرهم

وكتبت اليه مهردكار كتاباً تشكو من طول بعاده وتثني على اهتمامه بها
ير بعيد عنها فاخذ كندك المكاتيب وعاد الى جبال قاف ودخل على الامير
زة وسلمه اياها فاخذها وقراها واحداً بعد واحد وهو متأثر من بعاده عن قومه
نجره بالرغم عنه في جبال قاف وصبر على امل انه بعد فراغ المدة تصدق اسما بري
رفعه الى بلاده وقومه في الحال وبعد نهاية المدة طلب اليها ان تأمر كندك المارد
ـ يوصله الى قومه فحاولته وقالت له يجب ان تصبر بعد ايام قليلة واحسب نفسك
اثراً في البرية فانك صرت زوجي ولا بد من طاعتي لكن ليس الان فاشفق
ـ واقم اياماً قليلة فتكدر منها الا انه صبر حتى مضى شهر تام وسألها الانجاز
الت له لا بد منه فكن مرتاحاً ولا بد من ايصالك الى بلادك ووطنك وتجتمع
ومك لكن ليس في هـذه الايام وعما قليل ترى نفسك بين قومك فصبر ولا
لت تحاوله اسبوعاً بعد اسبوع وشهراً بعد شهر ويوماً بعد يوم حتى مضى عليه
لة وهو عندها فضاق صدره وعيـل صبره ولم يعد يسعه البقاء وتذكر حالة
رب وقال لا بد انهم ينفرطون ويتفرقون وقد وعدتهم اني اكون عندهم
د ايام قليلة فطالت المدة ولا بد ان يشغل بالهم من اجلي ولا سيما مهردكار فانها
ت كدراً

ولما اشتد عليه الحال نهض واصرّ على الذهاب وسأل كندك المارد ان يحمله
متنع وكذلك باقي المردة فاغتاظ منهم وقال لاسما بري قد غششتني وخنت قولك
كذبت به . فقالت اني لا اقبل بعد ان تصير زوجي تفارقني وتبعد عني وصار
ـ الواجب ان تبقى عندي وهل التي تحبها هي احق بك مني فتكدر منها وخرج

ماشياً على قدميه وترك القصر واستلم الطريق وهو يلوم نفسه كيف سمع مم
لنتأد لها وطاعها في امر الزواج حتى ابعدته كل هذه المدة عن قومه وانه لو
المارد الطعام فأن يكون قد لقي الفرج ووصل الى قومه وفي المساء قدم له كن
يرى الفرج وبقي عدة ايام حتى مر على "صباح نهض ومشى وقد خالف الطريق على امل
ان هذا المحل لا بد ان يكون به رجال من الانس ... ة في لحف جبل فانشرح صدره ا ... من الجان الذين
لهم حكماء وكهان فعرج الى تلك الصومعة وهو منشرح الصدر يسال الله ان
الفرج هناك ولما وصل اليها طرق بابها فخرج اليه خدمة من الجان فسلم عليهم
لمن هذه الصومعة ومن يسكنها فقالوا له هي لا ميرنا جوكدان وهو في الد
فادخل عليه واسأله غرضك فيجيبك اليه في الحال ففرح ودخل على ا
جوكدان وسلم عليه وقال له اني اتيتك لاجل قضاء مصلحتي فاعني وارحمني
له مرحباً بك ثم امر ان يقدم له الطعام فاكل وهو مسرور لانه رأى في جوك
سمة اللطف والكرامة وبعد ذلك استعاد منه حديثه فحكاه له من الاول
الآخر وما جرى له مع اسما بري وسأله ان يتسبب بوصوله الى بلاده . فقا
مرحباً بك فلا بد من ان اوصلك الى بلادك بوقت قريب فاني اعطيك جو
سريع الجري وهو يوصلك لكن ينبغي ان تحافظ عليه . فوعده بذلك وفي ا
امر ان تدفع اليه لتوصله الى بلاده فسلمه الخادم الفرس فسر بها وشكره
معروفه وركب الفرس وسار واطلق لهـا العنان فطارت به وجه الارض .
الريح الى ان امسى المساء فنزل الى الارض واذا بكندك المارد قدم له ال
فاكل ونام مسروراً وفي ظنه انه يصل الى بلاده قريباً وفيما هو نائم سمع ص
صهيل قوي فنهض مرتاعاً واذا به يرى جواداً بقدر الفيل الكبير لم يرَ مثله به
عمره يعلو ظهر الفرس وقد جاءها من البر فاستل سيفه وضربه فقتله وكانت
علقت منه والامير لا يعلم بذلك بل بقي باقي تلك الليلة نائماً وفي اليوم الثاني ر
الفرس وسار كالنجم اذا طار حتى كان المساء فنام وهو ميقن انه ما عاد يح

اسما بري ولا يفكر فيها فيما بعد كونه رأى منها الغدر والغش والخيانة وفي
ـاح نهض وطلب الفرس فلم يجدها فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم يرَ
ثرًا فاغتاظ وتكدر جـدًا واذا باسما بري تناديه وتقول له لا تفتش على
س فهي عندي وقد سرقتها منك في الليل ولا تطمع نفسك بان احدًا يقدر
يوصلك الى بلدك وقومك غيري فاسمع مني وارجع الى قصري سبعة ايام أُخر
ـ ذلك ارسلك الى المكان الذي تطلبه فقال لهـا اني ما عدت اصدقك قط
ـك كما كذبت في الاول تكذبين في الاخير واني سأسير ماش واستل سيفه
ـم على اسما بري فهربت فاحترق فؤاده منها وذهب في طريقه ماشياً مدة ثلاثة
ـوفي اليوم الرابع تقدم منه كندك المارد وقال له اعلم يا سيدي ان اسما بري
ـت بنتاً وقد طلبت اليَّ ان اخبرك بذلك فهل تريد ان ترجع اليها وتنظرها
ـركت احشاء الامير حمزة وكان لم يرَ الاولاد بعد وحن الى رؤية بنته الجديدة
ـ لكندك ارجعني لاراها فحمله في الحـال وعاد به الى جبال قاف الى قصر
ـبري كانه ما قطع شيئاً من الطريق ولما دخل القصر وجد انها ولدت بنتاً كما
ـه كندك فاخذها على ساعديه وقبلها وهو فرح بها وسماها قريشة ووجد نفسه
ـطرًا ان يقيم عند زوجته وبنته مدة ايام اخر فسر ذلك اسما بري وبقيت معه
ـور وفرح تكرمه وهي من شدة عشقها به لا تكاد تعرف ما تصنـع معه
ـمنى ان يبقى كل عمره عندها وبعد ان صرف مدة طويلة قال لها يكفي هذه
ـ فاني باضطرار الى الذهاب والوصول الى قومي فانهم بحاجة اليَّ فقالت ان
ـت لم يحن بعد ومن الضرورة ان تبقى عندي وعند بنتك ودع عنك العرب
ـ هناك فهذا نصيبك ان تعيش هنا وتموت هنا فتكدر منها واقسم بالله العظيم
ـا عاد يرجع الى جبال قاف وانه سيسير في طريقه اما يموت واما يعيش ويصل
ـجاله وسار من هناك ومشى اياماً عديدة وهو صابر على نفسه يأكل ويشرب
ـندك المارد ولا يعرف من اين يصل ولا ماذا يوصله الى بلاده حتى كان في
ـم ذات يوم نهض واذا باسما بري واقفة امامه فقال لها ماذا تريدين مني فارجعي

عني واتركيني فكفى كل ما وصل الي منك . قالت اني اتيت بامر فيـه والنجاح لك وهو ان الفرس التي اخذتها من عند جوكدان ولدت مهراً لا يو نظير لا بين خيول الانس ولا بين خيول الجان ولا بد اذا رأيته فضلته على الارض وهذا هو الجواد الذي يوصلك الى بلادك فاذا رجعت واقمت عندي ايام الى ان يكبر سرت عليه او اوصلك انا

فطار عقل حمزة عند سماعه هذا الكلام وتعلق قلبه بهذا المهر ومالت الى ان يراه لان قلبه كان معلقاً عند الفرس وهو يحب ويرغب ان تكون مع بلاده ليحارب عليها لشدة جريها وقوة قوائمها . فقال لاسما بري ارجعيني الى قص لارى هـذا المهر وقد نوى انه يحتال ليحصل على الفرس فيركبها ويسير وياخذها مع ولدها فسرت من كلامه ورجعت به حالاً وهي مسرورة بان عندها بعض ايام اخر وبعد ان استقر به القيام قال لها اريني المهر فذهبت ب الاصطبل وارته الفرس وفلوها فلما راهما طار عقله ونظر الى المهر وهيئته و في شكله فاعجبه جداً ونسي امه عنده وكان بظهره ريشة اذا قومها تحرق ا وفي وجهه وبين عينيه صبحة بيضاء تشير الى ان راكبه مسعود . مقلم الا واسع الكفل فدعاه غذال الجان . وقال لاسما بري اني ابقي عندك الى حين هذا الجواد حيث مرادي ان اربيه على يدي واعتني به بنفسي ففرحت من وقالت له افعل ما شئت وعرفت انه لا بد ان يحتاج ذلك الى عدة شهور او با سنة كاملة لبينما يمكنه ان يركبه واقامت معه على حسب العادة تصرف وقتها بجانبه وتخدمه وتقـدم له احتياجاته وبنته قريشة تكبر وتترعرع منصرف بكل همته الى الاعتناء بغزال الجان اي جواده الصغير وامه حز على ذلك عدة اسابيع وشهور حتى اصبح للامير من حين خروجه من مكة الى ذاك اليوم مدة سنتين ونصف تماماً

فذات يوم كانت جالسة اسما بري غائبة عن القصر وهو منفرد بنفسه اهله وقومه ومهردكار فبكي وحزن حزناً عظيماً ولعن تلك الساعة التي جاء

الواعد ونهض الى القصر فاخذ منه زاداً لطريقه فوضعه على الفرس وركبها واطلق لها العنان في مسلكه الاول فجرت به كالبرق الخاطف ومن خلفهـــا ولدها غزال الجان يسبقها بالجري وحمزة فرحان به الفرح الزائد ولا برح يجد السير حتى مضى عليه عشرين يوماً وهو مسرور انه عن قريب يصل الى بلاده وقومه وفي اليوم الحادي والعشرين نهض من نومه فوجد الفرس مقتولة ومقسومة الى قسمين والمهر واقف بجانبها ينظر اليها حزيناً فطار صوابه وغاب عقله واستل سيفه وصاح من الذي فعل هذا الفعل لاقطع اياديه واعدمه الحياة . فظهرت اسما بري عن بعد وقالت له انا التي قتلتها كي لا تصل بك الى بلادك فقال لها يا بنت الحرام ونسل اللئام الى متى هذا العذاب لا تاخذيني الى قومي ولا تدعي احداً يصل بي اليهم فلعن الله اليوم الذي عرفتك به ورأيت وجهك هذا المنحوس الطالع فلا عدت تطمعين نفسك قط برجوعي بعد ان قطعت هذه المسافة لو كنت اموت واذوق كاس الفناء والبلاء

ثم انه اخذ لجام الفرس وسرجها واسرج المهر ووضع اللجام في فمه وركبه وسار في طريقه متكدراً جداً من عمل اسما بري وحزيناً على الفرس فتركته لترى النهاية وامرت كندك ان يقدم له كل ما يحتاجه من طعام وشراب حتى مضى على ذلك عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر نهض حسب عادته واراد ان يركب غزال الجان فلم يره فاغتاظ جداً وخاف ان يكون قد افلت وسار في البر فاراد ان يفتش عليــه واذا باسما بري ظهرت عن بعد وهي تضحك وقالت له عبثاً ترجو ايها الامير فانك ما عدت ترى جوادك بعد الآن الا اذا كنت ترجع معي الى بلادي فاحضره لك لاني سرقته منك وبعثته الى كنوز السيد سليمان . فقال لها قبحك الله من خبيثة محتالة قلت لك لا ارجع فلا ارجع ولو هلكت ومت فقد يئست من الحياة وصار شرب كاس الحمام احب عليَّ جداً من النظر الى قباحة هيئتك . ثم اعرض عنها ومشى في طريقه وهو يكاد لا يرى الطريق لشدة غيظه وكدره وحزنه وكل امياله وحواسه عند الجواد كيف انه بعد ان تعب التعب

العظيم بتربيته والاعتناء به تاخذه وتبعده عنه وزاد كرهه بها حتى صار اذا فكر بها شعر بان الدنيا اسودت في وجهه وجعل يمشي وهي تحاوله وتريد ان تقنعه ليرجع عن غيه وهي تأتي له بالجواد اذا اقام بعد عندها سبعة ايام اخر وهو لا يرعوي ولا يصغي ولا يسمع بل يسير هائماً على وجهه مرة الى اليمين ومرة الى الشمال حتى مضى عليه نحو ستة اشهر تقريباً وهي ترجع الى جبال قاف وتوكل به كذلك المارد ثم تعود الى محاولته ومراوغته فيطردها ويشتمها

قال وفيما هو سائر على تلك الحالة اذ لاحت له عن بعد قلعة مبنية في جانب من الطريق فهلع قلبه وطار فؤاده وامل ان يرى هناك من يساعده ويعينه على الوصول الى معسكر العرب ولا زال سائرًا حتى دنا من القلعة فوجدها مقفلة وهي بباب من الحديد فاستل سيفه وضربه به فخرقه ثم اعاد عليه الضرب ثانياً وثالثاً حتى فتح به نافذة فدخل منها وصار في الداخل وجعل يطوف فيها من مكان الى مكان فوجد ماردًا من الجان مقيدًا بالسلاسل في احدى الغرف فترحب به وقال له ادن مني وحل هذه السلاسل فقال له لماذا انت مقيد هنا وما هو السبب الذي اوجب حبسك في هذا المكان

قال هو اني كنت احب اسما بري وعاشق لها وطلبت من ابيها ان اتزوج بها فسألها في ذلك فامتنعت ورفضت طلبي فاردت ان اجبرها عليه لاني اقدر منها فدخلت باب الخداع وابدت قبولها وجاءت عندي واسكرتني وبالاخير امرت قومها بتقييدي بهذه السلاسل وانا ثامل وقليل القوى وجاءت بي الى هذا المكان فحبستني به فاذا حللت قيودي كان لك الخير العظيم ومهما طلبته اقدمه لك . قال واذا اطلقتك ماذا تعمل باسما بري . قال اذا كانت لا تزال بكرًا تزوجت بها ورغمتها ان تقبل بي . فقال اذا كان هذا ظنك فالاوفق ان تبقى مقيدًا . قال ولماذا . قال كي لا تقرب اسما بري ولا تطمع نفسك بها حيث صارت لغيرك . قال ومن تزوجها . قال تزوجها الامير حمزة فارس برية الحجاز وقاتل ابيها واعاد عليه القصة من اولها الى آخرها . فقال له اني قلت لك انها ان كانت بكرًا تزوجت

بها والا فلا عدت اقربها لاني احب الله وارهب جانبه ولا اسلك طريق الحرام والتعدي على الغير فقال اذا وعدتني بذلك اطلقتك تحت شرط انك توصلني الى كنوز السيد سليمان بن داود فاقسم له بالله ان يفعل ذلك فتقدم منه وكسر قيوده واطلق سراحه وقال افِ لي بوعدك فاجابه وحمله في الحال وطار به وبايام قليلة اوصله الى كنوز السيد سليمان وتركه هناك وذهب عنه فدخل بين تلك القصور الشاهقة وهو مأخوذ من حسن ابنيتها وارتفاع جدرانها واكثرها مصفح بالذهب والفضة ومشغل بالاشغال العجيبة ومنقوش النقش البديع بما يأخذ العقول وهو لا يرى احداً يقرب منه او ينظر اليه ليسأله عن حاله وعن محل الجواد وجعل يدور من مكان الى مكان وهو بحيرة عظيمة لا يعرف كيف يفعل ولا في اي جهة يكون الجواد ويتكدر من عمل اسما يري واخيراً ضاق عليه الحال وعيل صبره وشعر بالجوع والانفراد فصاح من صميم فؤاده والدموع تنسكب من عينيه . آه يا حضرة الاخضر يا ابو العباس اجعل حداً لهذا العذاب وهذا المشاق الذي الاقيه ألم تنتهي هذه الايام المقدرة بعد . وفي تلك الساعة ظهر عليه الخضر عليه السلام كالعادة وقال له ابشر يا حمزة فقد قرب زمن رجوعك الى بلادك وانقضت الايام وما قدر عليك من لدنه تعالى ان تبقى مشتتاً ثلاث سنوات . فخرَّ حمزة بين يديه فامره ان يقف وان لا يسجد لغير الله تعالى وقال له ادخل الى هذا القصر فتجد باباً مقفلًا فادفعه بيدك فينفتح وترى جوادك هناك وأتِ بـه فاني لك بالانتظار . ففعل ما امره به وذهب الى داخل القصر وفتح الباب المقفل واذا به يرى الجواد فرمى نفسه عليه وهو طائر الفؤاد وجعل يقبله والجواد يمرغ رأسه عليه وبعد ذلك قاده وجاء به امام الخضر فمد يده ولمس ظهره فذهبت الريشة عنه وكان قد سمن وكبر حتى صار يقدر الرجل ان ينام على ظهره بالعرض ومن ثم قال الخضر عليه السلام ادخل يا حمزة هذا القصر واشار الى قصر آخر بالقرب من ذاك فتجد فيه عدة لهذا الجواد كان يركب عليها السيد سليمان مرصعة بالجواهر والالماس لا تثمن بثمن ولا توجد عند احد ملوك الارض فأت بها واسرج الجواد

فدخل فرحاناً وجاء بما امره به الخضر وسرج المهر والجمه بلجام سليمان بن داود وكان كلا السرج واللجام مرصعين بسائر انواع الحجارة الكريمة مع اختلاف الوانها حتى يخيل للرائي انــه كالشمس يضيء بانوار متنوعة . وبعد ذلك التفت الخضر ونادى اسما بري ان تحضر فحضرت بين يديه فقال لها اذهبي وأت زوجك بثوب السيد سليمان الملكي الذي كان يلبسه اثناء المواسم والاعياد وهو الثوب الكنوزي المعد له منذ زمان قديم فغابت نحواً من خمس دقائق ثم عادت والثوب معها وهو يرهج كانه الشمس في رابعة النهار يأخذ العقول والابصار . فامر الامير حمزة ان يلبسه فلبسه وهو مندهش منه وفرحان به . وظن بنفسه كأنه ملك اربعة اقطار الدنيا واخيراً قال الخضر عليه السلام لاسما بري كفاك ما فعلت معه فارفعيه الان واذهبي به وبالجواد الى حد جبل السد بالقرب من الانس وهو يذهب من هناك راكباً جواده فيلتقي بقومه ولا عدت تعارضين امره وما انتهى الخضر من كلامه حتى اختفى عن العيان وانتشرت رائحة البخور من بعده . وفي الحال تقدمت اسما بري وقبلت يدي الامير حمزة وقالت له اني تحت امرك الان وفي قبضة يدك واسألك المعذرة والعفو عمّا سبق مني فقال اني عفوت عنك ولو لم تأت بالجواد الى هذه الكنوز لما حصلت على هذه العدة وهذا الثوب . فارفعيني الان وسيري بي الى هذا المكان الذي امرك الخضر عليه السلام فامرت كندك المارد ان يحمله ويضعه عند جبال السد ففعل ورفعه هو والجواد وسار به الى ذلك السد الفاصل بين بلاد الانس والجان فودعته وودعها ودفعت له زاداً كافياً لعدة ايام ورجعت الى بلادها واقام الامير امام السد كل ذاك النهار الى المساء . وفي المساء نام وهو متعجب كيف يقدر ان يخترق ذاك السد ويمر منه وصرف ليله مهموماً وفي الصباح نهض فوجد الخضر عليه السلام واقفاً هناك فقال له تقدم ياحمزة وارفع السد بيدك فاعينك لتمر من تحته ولا تخش بأساً فان الله معك . فتقدم من السد وهو فرحان الفرح العظيم ووضع يده عليــه وطلب معونة الله سبحانه وتعالى ونادى الخضر فارتفع السد في الحال الى فوق رأسه وهو رافعه بيده فمر الجواد من تحته وعليه

حمزة حتى صار في الجهة الثانية وتخلص من تحته فترك السد في مكانه فنظر
حمزة متعجباً كيف قدر ان يرفع مثل هذا الجبل العظيم وشكر الله الذي ساعده
على المرور من تحته وفيما هو كذلك سمع الجواد يشرب من الارض وهو ظمآن
فنظر فلم يرَ ماء فتعجب غاية العجب وفيما هو كذلك واذا بصوت الوحي ينادي
وقائل يقول له ان جوادك يعيش كثيرًا يا حمزة حيث شرب من ماء الحياة واما
انت فلا نصيب لك به فادعه يقظان منذ الان . فسماه يقظان وتكدر كيف ان
جواده سبقه الى شرب تلك الماء قبل ان هربت ينابيعه ومن ثم سار وخرج من
تلك الارض وبقي سائرًا حتى جاء ارضاً مخصبة فنزل عن جواده واكل وشرب
من مائها وكان معه زادًا يكفيه لعدة ايام فركب وسار مدة ثم عاد في المساء
فنزل واكل ونام وبقي على مثل هـذه الحالة مدة عشرة ايام وقلبه مملوء بالفرح
حيث كان يرى من ابناء جنسه الانس في طريقه وتأمل قرب الوصول الى قومه
والاجتماع بهم . وفي اليوم الحادي عشر اشرف على مدينة كبيرة جدًا ذات اسوار
وحصون وبساتين فعرج نحوها ليقيم فيها اياماً عله يعرف شيئاً عن العرب وهل
قريبون من تلك الجهة وعند ما وصل الى المدينة وجد موكباً عظيماً خارجاً منها
وفي وسطه رجل جليل القدر راكب على جواد مسروج بالسرج الذهبي وحوله
الخدم والعبيد والى جانبه غلام وكانت تلك المدينة مدينة الملك النجاشي ملك
الحبشة وذاك الرجل هو نفس الملك ومعه ولده ابراهيم ومن عادته ان يخرج
كل صباح الى التنزه ومن ثم يعود مع ولده الى المدينة فصادف في ذاك اليوم
خروجه عند اتيان الامير حمزة البهلوان ووصوله الى قرب الابواب

قال ولما رأى النجاشي الامير وشاهد ما عليه من الالماس والجواهر ونظر
ذاك الجواد العجيب ورأى سرجه المرصع باليواقيت والجواهر تعجب وطار عقله
وطمع باخذ هـذا الجواد وعشقه تعشقاً عظيماً وعاد لا يقدر ان يرفع نظره عنه
وارسل احد خدمه اليه وقال له اعط مهما شئت بشرط ان يسمح بالجواد و
اصر على الامتناع فتهدده اني آخذه منه جبرًا فتقدم الرجل من الامير وسلم

، ان سيدي الملك النجاشي صاحب هذه البلاد وسلطان سلاطين الحبشة البلاد وعزيز الاجناد وقد ارسلني لاعدك انه يعطيك مائة سيف ومائة مائة صيوان وعشرين الف ذهب اذا قدمت له الجواد ويكرمك الاكرام الا اخذه منك بالرغم عنك . فاغتاظ الامير حمزة عند سماعه هذا الكلام ؛ عيناه في ام رأسه وقال للرجل ارجع الى مولاك وقل له ان هذا الجواد بيوم يثير به عثار الخيل الى السماء ولا اسلمه الا بيوم تتدفق به الادمية بجوزها فيسبح بها وغير ذلك لا مطمع لاحد بجوادي فعاد الرجل واخبر كان النجاشي فارساً وبطلاً جسيماً فقال مرحباً بك واني سآخذه منه حسب . ثم استل سيفه وهجم على حمزة وهو يقول له خل عن هذا الجواد اياه فاعفو عنك واعطيك مهما تريد والا فتذهب حياتك بسببه . فضحك ند سماعه هذا الكلام وتعجب منه كل العجب ولم يبد كلمة بل استل ه سيفه المعهود واخذ الطارقة بيساره وتلقاه وكان ولده ابراهيم لما رأى خاف عليه فهجم هو ايضاً مع سائر الموكب على الامير ودار بين الفريقين لحرب والقتال والطعن والضراب وكل واحد يصيح من ناحية ويهجم العرب وهو يهدر كما تهدر الجمال ويزأر كاسود الدحال ويطعن في الصدور جال على بساط الرمال وكان قد اشتاق الى الحرب وملاقاة الابطال

فعال المردة في ذاك اليوم الكثير الاهوال وهو كلما انقض على واحد نين واما قبض عليه وارماه الى الارض فتتكسر اعضاءه ولا يقدر على التقى بابراهيم بن ملك الحبشة فصاح به وخبله ونقل السيف من يده يده اليسار ومد يده وقبضه من صدره باسرع من لمح البصر ورفعه عن ؛ ورماه الى الارض واراد ان يدوسه بجواده واذا بالملك النجاشي قد ؛ يا حمزة العربان فقد ارتكبنا خطأً وفعلنا غلطاً فاترك قتالنا واغفر نا الزمام فتعجب الامير عند سماعه هذا الكلام ورجع الى الوراء وقال شي من اين عرفتني ولم اخبرك عن اسمي ولا قلت لك اني حمزة فقال

اعلم يا سيد فرسان هذا الزمان وفخر ملوكها وساداتها انه موجود بكتب علماء القدماء ان فارس برية الحجاز سيمر من هذه البلاد وهو يكون موفق الاعمال فيذل الفرس ويرفع شأن العرب ومن كان ملكاً على ايامه سيسير في ركابه ويخدمه ويقاتل بين يديه الى مثل ذلك من الشرح الطويل المستوفي فكنت اتمنى ان اكون انا ذاك الذي اصادفك حتى لاقيت ما تمنيت واني اعدك ان اكون في خدمتك وبين اياديك انا وجيوشي الغزيرة الجرارة فنقاتل كل عدو لك وندفع عنك كل من يقصد ضرك حيث موجود في كتبنا انك ستهدينا الى الدين الحقيقي

قال الامير واي اله تعبدون وعلى اي دين انتم . قال عندنا آلهة صنمية نقدم لها الضحايا ونعبدها وهي التي اخذناها من ابائنا واجدادنا وفوق كل ذلك فاننا نقدم عبادتنا وسجودنا على الدوام الى زحل الاله الاكبر . فقال له ان هذه العبادة فاسدة وانكم على غير الحق ومن الواجب ان تعبدوا العزيز الجبار خالق الليل والنهار وواجد الوجود فهو الكلمة والحق ونور من ذاته وفي ذاته القدرة واحد يرى ولا يُرى وقد تنزه عن كل شبه فهو الذي بكلمة واحدة اوجد زحل وكل ما في السموات والارض . واخذ حمزة في ان يزيده عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته حتى استنار عقله ورأى الحق وفتح الله له الصواب فقال لحمزة اني اشكرك على مثل هذه العبادة وقد جلى الامر ووضحت لي الحقيقة وقد آمنت بالله تعالى وصرت منذ الان وصاعداً على دينه فشرف المدينة لنبطل منها كل عبادة غير عبادة الله وتأكل ضيافتنا وترتاح عندنا مدة ايام

فاجاب الامير حمزة طلبه وسار واياه وقومه الى المدينة وكلهم فرحون بالامير حمزة متعجبون من قوة بأسه وشدة بسالته وقد احبه الجميع وقبلوا دينه وعند دخولهم المدينة جاؤوا قصر الملك فاولم الولائم ودعا بجميع كبار بلاده وفهمهم بالامير حمزة وانه هذا هو الرجل المنتظر الذي قيل عنه في كتبنا وقد وجدته قادماً فاردت نزع جراده فلاقيت منه الاهوال فثبت عندي انه هو وقد علمني العبادة فمن اجاب كان له الخير والصلاح ومن امتنع كان جزاؤه الاعدام فسجد

لله وتعلموا عبادته وكسروا الاصنام وصارت بلاد الحبشة منذ ذلك الوقت
عزيز الجبار وصرف الامير حمزة مــدة ثلاثة ايام عند النجاشي وهو على
واعتبار تذبح له الذبائح وتأتي لزيارته الامراء . وفي اليوم الرابع قال
للنجاشي اني اريد السفر الى قومي واحب ان اسألك هل من خبر عندك
رب والعجم . قال اعرف ان كسرى هو قد تأثر العرب بجيوش جرارة
د الزاحف ومنذ مدة قد بعث اليّ برسله يطلب ذهابي اليه بجيوشي فمنعت
رددت رسله بالخيبة . قال اذاً اسألك ان تجمع بعساكرك وتتبعني الى طنجة
حيث العرب هناك واني ارغب الذهاب اليهم حالاً قبل ان يصابوا بعصيبة
، انهم يقدرون على حرب كسرى عدة سنوات ثم انه ودعه على امل ان
مد مدة قليلة وسار على جواده اليقظان وهو مؤمل بالخير والنجاح ومسرور
ملك الحبشة حيث ان جنوده كثيرة ولا زال في مسيره يجد السير عدة
، وصل الى برية واسعة ملتفة الاشجار كثيرة الانهار والعيون كأنها الجنة
ها فاكل ما اكل منها وفي المساء لجأ الى مدينة بالقرب من تلك البرية كان
شفها في النهار وجاء الى احد الفنادق فبات وسأل صاحب الفندق لمن تلك
نقال له هي لفارس الفرسان وحامي حومة الميدان من يهتز عند ذكر اسمه
، الانس والجان عمر الاندلسي المشهور بين اهل هذا الزمان . فسكت
حمزة عند ذلك ولم يرد ان يظهر نفسه وفي نيته ان يقيم اليوم التالي في
ليتفرج عليها ومن بعده يسافر في طريقه . وعند الصباح خرج من الفندق
في الاسواق وهو لا يفارق الجواد خوفاً عليــه وجعل يتفرج على الابنية
ن وعلى منتزهات تلك المدينة والناس تتعجب منه ومن هيئته وشكله
سه المرصع باليواقيت وعن سرج جواده المذهب المحجر بالحجارة الكريمة
باقي يومه على مثل ذلك وفي المساء رجع الى الفندق على نية ان يسافر في
. كان بعض جماعة عمر الاندلسي حاكم المدينة قد رأوا الامير حمزة ورأوا
وصفوه له فتاقت نفسه الى الجواد واستخبر عن مكان وجوده فعرف

وارسل في صباح اليوم التالي رسله لتشتريه منه فجاؤوا الفندق بينما كان الامير مزمعاً على الركوب والسفر وقالوا له ان سيدنا بعثنا لنشتري له منك هذا الجواد وندفع لك مهما شئت ثمنه فاطلب الذي تريده ونحن نأتيك به حالاً فتسلمنا هذا الجواد . فقال لهم ارجعوا الى سيدكم وقولوا له ان صاحب هذا الجواد لا يسلمه الا بيوم يسود به نور شمسه من غبار الحوافر ويظلم نهاره . فليقصر عنه والا لاقى شر عمله . فعادوا الى عمر يخبرونه وركب الامير حمزة وخرج من المدينة وفي كل نيته ان الفرسان ستتبعه بوقت قريب فهيأ نفسه وجعل يمشي الهوينا الى ان نظر عمر قد خرج من المدينة ومعه نحو اربعين فارساً من فرسان الاندلس العظام لان رسله كانوا اخبروه بخبر الامير حمزة وجوابه فتكدر واخذ هؤلاء الفرسان واستقصى منهم خبر الامير فوجد انه قد بارح المدينة فتأثره ليغتصب الجواد منه ويذيقه كأس الممات . غير ان الامير حمزة دار بجواده وقوّم سنانه واطلق عنانه عند سماعه صياح الاندلسيين وباقل من ساعة التقى الاثنان في حومة الميدان ودار بينهما الحرب والطعان وهما كأنهما اسدان او ذئبان يتناطحان . تارة يفترقان وتارة يلتحمان . كأنهما جبلان راسيان . وكان عمر الاندلسي من الفرسان المشهورة فاقام بين يدي الامير حمزة من الصباح الى قرب العصر فتعجب الامير من شدة بأسه وسرعة قتاله فثبت عنده انه فارس شديد فزاد معه بالقتال واظهر له كل ما تعلمه من فنون الحرب وفي الاخير ضرب عمر الاندلسي حمزة ضربة ظن انها القاضية فضيعها بمعرفته وخبرته وقد اسودت الدنيا في عينيه وخاف ان يمضي النهار ولا ينال من خصمه مراماً فيلتزم ان يبقى الى الغد وهو يرغب في السرعة والانجاز ولذلك صاح بصوت ارتجت منه السهول والوديان وهجم على عمر الاندلسي وقد ارعبه وضيع عقله ومد يده الى جلباب درعه واقتلعه من بحر سرجه واراد ان يضرب به الارض فصاح الزمام الزمام يا حمزة الكرام فاني دخيل عليك ووقيع امامك ولو عرفتك منـذ الاول لما اشهرت في وجهك الحسام . فتعجب الامير حمزة كيف ان الجميع يعرفونه وهو لم يظهر نفسه فانزل عمر واعاده الى

جواده وقال له من اين عرفتني وانا لم اظهر نفسي . قال ان جماعتي المغاربة قد اخبروني ان في هذه الايام يمر على مدينتنا الرجل المسعود فارس فرسان هذا الزمان وهو الامير حمزة الذي سيذل العجم ويرفع مقام العرب وسألوني ان اترقبه لاخدمه واكون في ركابه حيث ان الملك كسرى انوشروان منذ مدة بعث برسله اليّ وطلب مني ان اجمع العساكر واوافيه الى طنجة فسألت حكماء بلادي المغاربة فنعوني وقالوا لي ان كنت مع كسرى تفرقت عساكرك ولاقيت الاهوال فاصبر الى حين مرور الامير حمزة وقاتل مع العرب فتنال خيراً وتكون على الدوام منصوراً وحيث وجدت من قتالك ما لم اجده من غيرك من فرسان العالم قط علمت يقيناً انك الرجل الذي أخبرت عنه وها انا الان عتيق سيفك وتحت امرك ثم انه نادى فرسانه ان تقدم من الامير وتطلب اليه المسامحة والغفران ففعلوا فاصطلح معهم الامير وشكرهم وقال لعمر اذاً اجمع رجالك لحرب العجم قال اريد منك ان تصبر عليّ عدة ايام لبينما اكاتب جماعتي وانظر جيشي واحضر له المؤن والذخائر فابق عندنا الى حين انتهي من ذلك . قال لا يمكن ان اصبر دقيقة واحدة فافعل ما انت فاعل واتبعني ولا بد للملك النجاشي ان يمر من هنا فتسيران معاً وقد وقع لي معه ما وقع لي معك

ثم ان الامير حمزة ودع عمر الاندلسي وقومه بعد ان اوصاهم ان يخلصوا ضمائرهم لجهة العرب ويذلوا كسرى الى آخر الايام وسار من هناك في طريق طنجة وهو يتفرج على بلاد العرب ومدنها وبلادها ويسأل اين صار كسرى وفي اي جهة هو فبعض الناس كان يخبره انه آت على الطريق ولم يصل بعد الى العرب وبعضهم كان يخبره بانه لا يزال يجمع الجيوش لان مراده ان يزحف على العرب مرة واحدة فيبيدهم ويبددهم فتأكد ان عدوه لا يزال بعيداً عن قومه ولذلك اطمأن باله وارتاح ضميره وصار يؤمل ان يصل الى قومه عن قريب . وبقي يتقدم الى ناحية العرب حتى كاد يقرب منهم

قال وكانت جماعة العرب بعد ان فارقوا قلعة قطمين ساروا من هناك يقصدون

البلاد التي قيل لهم ان الامير حمزة يأتي منها ولم يصادفوا قط مانعاً في طريقهم وهم يظنون ان حمزة سيكون بعد ايام قليلة عندهم وداموا في مسيرهم نحو ثلاثة اشهر ينزلون في المدن والبلدان فيقيمون بها عدة ايام ثم يعودون الى المسير وقد ملأت اخبارهم تلك الارض وطاعهم الكبير والصغير وفي الاخير وصلوا الى طنجة وكشفوا البحر المالح فضربوا خيامهم في تلك الجهات وخرج حاكم المدينة وسلم عليهم وعرض عليهم طاعته وبلاده لتكون تحت امرهم وقال ان كسرى مكروه منا ولذلك نريد ان نكون مع العرب حيث من المنتظر انهم هم الذين يخلصون من ذل الاعجام كل مظلوم فشكروه على عمله ومدحوه واثنوا عليه ولا زالوا بانتظار الامير وهم لا يعلمون لماذا تأخر عنهم بعد ان كان وعدهم انه بعد خمسة عشر يوماً يكون عندهم وعدا عن ذلك فانهم كانوا ينتظرون وصول اخبار كسرى اليهم فكانوا يسمعون عنه اخباراً مختلفة الا انه كان مؤكداً لديهم انه لا بد ان يتأثرهم ويصل اليهم عاجلاً كان او آجلاً وصرفوا الاوقات والشهور على مثل هذا الامر وهم على غير الاستواء مشغلون الفكر والضمير ومرتابون في وصول الامير حتى مضت مدة طويلة فاجتمعوا الى بعضهم ودعوا عمراً وقالوا له لقد مضى اكثر من سنة ونصف على يوم مفارقتك اميرنا ولم نسمع عنه خبراً ولا وصل الينا ولا بد ان يكون قد أصيب بمصيبة والا ما كان يتقاعد ويصبر الى هذه الايام ويترك مساعدتنا . قال اني اعرف انه لا بد ان يصل الينا على ما اخبرنا الوزير بزرجمهر الا اني اظن انه بعذاب مع اسما بري لانها تريد بقاؤه عندها ومراوغته واذا اراد المجيء تتخلى عنه كما فعل في الاول فانها عذبته عذاب الهون في طريقه لا تحمله الينا ولا تدع احداً يحمله وهذا الامر هو الذي يعيقه ومع كل ذلك فان ضميري يخبرني انه في هذا اليوم يكون عندنا واني ساذهب في كل صباح الى الفلاة وانظر في المرآة التي اخذتها من رجال الصومعة فان كان في الطريق على وجه الارض او تحت الارض كشفته . فقالوا له اننا متكلون عليك نطلب منك النظر في امره لنعرف خبراً عنه فتركهم وسار الى الخارج وصعد على اكمة

فادار وجه المراة الى وجه الارض ونظر فيها فتبين له كلما على وجه الارض وما تحتها فجعل ينظر في طرقات الغرب ومعابرها فرأى حمزة راكباً على جواده الجديد وهو بذلك السرج والثوب المزركشين بالذهب وقد اسمر وجهه من حرارة الشمس وطال شعره في السفر فخفي عليه حاله ولم يعرفه ولما لم يرَ احداً تعجب ورجع مأيوساً وقال في نفسه لا بد انيكون باقٍ في جبال قاف او هو طائر على اكتاف الجان في السماء وبقي على حراسة مهردكار والقبيلة تلك الليلة . وفي اليوم الثاني خرج حسب العادة فرأى الرجل اللابس الملابس الذهبية ينهب الارض ركضاً على ذاك الجواد فكان ينظر اليه بتعجب وهو لا يعرفه ويتعجب من امره ورجع اخيراً كاليوم الاول وفي اليوم الثالث عاد الى مكانه فنظر فرأى حمزة على حاله يتقدم في ذاك الطريق وهو يقرب منهم فتكدر منه وقال لا ارى الا هذا الرجل على حالة السفر وهو يتقدم الى جهة البلد الذي نحن فيه فماذا كان يضر لو كان هو اخي الامير حمزة وتمنى ان يكون واصلاً اليه ليرشقه بنبلة في صدره وينزع عنه ذاك الثوب ويسلب منه الجواد وعاد ذاك اليوم مكدراً اكثر من الاول فسأله الفرسان ماذا رأيت يا امير عمر فقال لهم مــا رأيت الامير قط ولا شاهدته على وجه واني متعجب من ذلك ومع كل هـذا فلا بد من وصوله بعد ايام لاني اظنه في الجو على اكتاف الجان يحملونه ليوصلوه الينا

واما مهردكار فانها كانت في كل هذه المدة تحت الامل والريب تعد نفسها في الاول بان ترى حبيبها ويراها وتمحي سواد تلك الايام الماضية وتغسل اقذار الغربة بمشاهدته وقيامه بالقرب منها وعند اعينها غير ان هذا الامل انقضى وذهب بعد مضي سنة وقطعت الرجاء وجعلت ايامها ايام يأس وكدر فلم تعد تقبل ان تقابل احداً او تجتمع باحد وزاد عليها الغيظ والغضب من اسما بري وخافت ان يكون قضي عليه عندها او انها ارغمته الى البقاء في جبال قاف فنسي قومه ونسيها وترك بالرغم عنه ذاك الحب الذي كان مؤسساً على الصفاء والطهارة والراحة وهي في كل يوم تدعو بعمر اليها وتسأله عن اخباره فيعدها المواعيد الفارغة من انه لا بد

ان يجيء ولو طال المطال وهي لا تقنع بتلك المواعيد حتى اصبح نهارهـا ليلاً وشمسها ظلاماً وضعفت وانتحل جسمها ورقّ جداً واخذت وردة جمالها تذبل شيئاً فشيئاً وصارت تشعر من نفسها بالضعف وايقنت انها في النهاية ستموت اذا كان يطول غياب حبيبها وبقيت الى ان كان اليوم الاخير الذي ذهب به عمر الى البرية ورجع متكدراً فدعته اليها وسألته فقال لها ما رأيته ولا سمعت عنه خبراً وليس هو على وجـه الارض مطلقاً فشعرت كأن خنجراً وقع باحشائها يمزقها وكدرتها جداً الحالة التي رأت عمراً بها وحسبت انه ما كان مأيوساً الا وفي سره خبر مكدر والا ما كان على هذه الحالة مع انه بطول زمانه ما كان يتكدر ولا قطع رجاءه من اتيان اخيه وبعد ان اعرض عنها وسار الى الخارج جاءت سريرها ورمت بنفسها عليه خائرة القوى ضعيفة الحيل فاقدة الحواس وتيقنت ان اواخر حياتها سيكون مكدراً مؤلماً وانه اذا ما جاء الامير بعد ايام قليلة ستكون عرضة للفناء فتموت ويدفنها العرب في تلك الارض وتكون قد وفت حق حبها وما قبلت ان تكون لغيره ولا نسيت دقيقة واحدة ما عليها من فروض الوفاء لما اعطته قلبها ولا تنسب قط غيابه الى فتور في حبه او برود في صفاته او نسيان في مودته بل كان كل ظنها ان اسابري التي احبته وزاحمتها فيه هي من الجان وهي قادرة على حجز الامير عندها طول عمره وبدونها لا يقدر ان يقطع بلاد الجان ويأتي من تلك النواحي اليها وهـذا الذي كان يزيد اشواقها ويمزج آلامها باكدارها ويجعلها مقطوعة الامل وكانت على سريرها الى آخر الليل وكان كلما اسود الليل زاد عليها الامر واشتدت الحال وفي الاخير جعلت تندب حظها وتبكي نصيبها وتردد ذكرى مصائبها وهي كمودعة لهذه الدنيا تنظر الى كل ما حولها نظر المفارق الحزين المأيوس وقد انشدت بغزارة دمعها :

فوالله لا يشفي نزيف هواكم سوى خمر انس كان منكم بها سكري
وان يخل من تكرار ذكر حديثكم فلم يخل يوماً من مديحكم شعري
اطالب نفسي بالتصبر عنكم واول ما افقدت بعدكم صبري

فان كان عصر الانس منكم قد انقضى   فوالعصر اني بعـد ذلك في خسر
فكيف بقي انسان عيني وقد مضى   على ذلك الانسان حين من الدهر
سقى الروضة السعد من ارض بابل   سحاب ضحوك البرق منتخب القطر
ورب نسيم مرّ بي من دياركم   ففاح انسا من طيه طيب النشر
واذكرني عهداً وما كنت ناسياً   ولكنه تجديد ذكر على ذكر
تجاذبني الاشواق نحو دياركم   واحذر من كيد العدو الذي يدري
مخافة مذّاق اللسان يسر لي   ضروب الردى بين البشاشة والبشر
وينثر لي حب الوفاء تملقاً   وينصب لي من تحته شرك الغدر
منازل ما لقيت فيها ندامة   سوى انني قضيت في غيرها عمري
فيا ايها المولى الذي وصف فضله   يجل عن التعداد والحد والحصر
ابثك بالاشعار فرط تشوقي   ولا اتعاطى حصر وصفك بالشعر

وما وصلت مهردكار الى آخر هذا البيت حتى نهضت واقفة كأن قوة طبيعية حركتها ودفعتها الى الاطمئنان فوقفت مبهوتة تنظر في نفسها وقد وجدت راحة في داخلها على غير قصد منها فتكدرت من نفسها كيف ان ضميرها خالفها وعاندها فطلبت ان تعود الى حالتها الاولى فتبكي وتندب فلم تطاوعها عيونها ولا عادت نزلت دموعها فارتاعت من ذلك وجعلت تمشي في صيوانها والفجر قد بعث بطلائع جيوشه الى مفاجئة الارض دفعة واحدة . فقالت متعجبة ما لي على غير الواجب في هذا الليل كأن سلطان الهم والغم يقترب مني ويدنو اليَّ ويحاربني ويبعد عني كل راحة وامل والان ارى ذاك السلطان يجب ان يبعد عني خوفاً من ان انتقم منه لاذا تبارحني الاكدار والويلات وانا اطلبها ولا اريد ان اكون بعد من احبه قلبي في غير طريق اليأس والحزن صرفت ليلي وحالي اسود من سواده وراحتي مغطاة بكثافة النوح والتعداد فلما عند اتيان الصباح اشرق بدر الامل ولاحت شمس الارتياح وانعكست كل تلك الاحوال نعم انني كنت في هذه الليلة خائرة القوى ضعيفة الحيل اندب حظي واطلب المعونة للتحرك وانا فاقدتها وقد شعرت

بان هذه الحياة عدوة لي وايقنت ان الموت سيكون قريباً مني والان ارى تلك الغيوم الكثيفة قد انشقت وانجلت انوار بدورها من خلفها رويداً رويداً وقوتي قد عادت بالرغم عن احزاني وعن طلبي مفارقة هذه الدنيا لا بد ان الله سبحانه وتعالى قد اراد اظهار امر جديد ما هو يا ترى هل يريد تقويتي وتسليتي عن حبيبي فيساعدني ويريد ان اطرد احزاني كلّا ثم كلّا لا تدعني يا الهي اعيش بعده دقيقة لا اطيق المعيشة ستكون حياتي معذبة مهما اردت ان اتسلى وتسليني فالانسانية بالاتباع به والراحة بالقيام عنده اين كان وفي اية حالة وجد مائتاً او غريباً او معذباً . وصرفت مهردكار نحو ثلاث ساعات من اليوم المذكور وفيما هي على ذلك واذا طرق ذهنها اصوات التهليل من قومها فاصغت لتسمع واذا بها سمعت العبيد يصفقون ويقولون جاء الامير جاء الامير . فوقعت الى الارض من الفرح واسندت برأسها الى السرير وغابت عن هداها

قال وكان في صباح ذلك اليوم نهض عمر العيار واخذ مرآته وخرج من المعسكر ونظر فيها بعد ان وجهها الى جهة القبلة فرأى حمزة يدنو منه وهو آت على ظهر ذلك الجواد وقد اصبح بعيداً عنه نحو ساعة فاطمأن باله وقال لا بد لي من ملاقاته ونزع ما عليه فان لي اربعة ايام اره يدنو الينا وقصده المرور من ناحيتنا فاغلق المرآة ووضعها في جيبه واخذ قوسه وسهمه واطلق ساقيه الى جهة الامير حمزة وهو كالبرق الخاطف وقد حدثته نفسه بالانتقام منه ولا يعلم انه اخوه وكان الامير يتقدم بسرعة البرق على ذلك الجواد وهو ينخطف مسرعاً في جريه حتى كادا يصلان الى بعضهما واذ ذاك اراد عمر ان يضع سهمه بقوسه ويوتره واذا بحمزة قد ناداه وكان ادرك غايته وقال له لا تفعل يا وجه القرد فاذا كنت خلصت من الجان فكيف أقتل منك . فلما سمع صوته عرفه فقفز في الهواء وصفق من الفرح وانطلق حتى قرب من اخيه فرمى بنفسه عليه وهو يقبله والامير يفعل كذلك وكل منهما يبكي ثم ان عمراً تركه وكرّ راجعاً حتى دخل المعسكر وجاء صيوان الملك النعمان والفرسان مجتمعون في ذلك المكان . فلما

رأوه قالوا ما وراءك من الاخبار قال لهم اني موءكد ان اخي حمزة مات وشرب كأس الآفات . فقال له اندهوق بن سعدون ان حالتك حالة مسرة وفرح فبشرنا بالخبر اليقين ولك مني خمسمائة دينار قال اجمع المال من الجميع فاخبركم ان اخي حمزة قد جاء فقالوا واين هو الان قال متى قبضت المال اخبرتكم عنه فدفعوا له كل واحد خمسمائة دينار فقال لهم اتبعوني لتروه وهو على ذاك الجواد بهيئة الملك سليمان بن داود وكرَّ امامهم وكرَّت العرب من خلفه وقد عمَّ الخبر الكبير والصغير والسيد والحقير فتحرك الجميع لملاقاته وهم لا يصدقون ان يروه بعد ذاك الغياب الطويل فمنهم من كان يركض ماشياً ومنهم من كان يركب برزوناً بسرج ومنهم بلا سرج ولا لجام واكثرهم كان يركض بلا حذاء حافي الاقدام مكشوف الرأس ليسبق غيره الى تقبيل اياديه والسلام عليه وكان صياح العرب اشبه بغوغاء الحرب عند اشتدادها حتى كان لا يعي الاخ على اخيه ولا الوالد على ولده ولا الرفيق على رفيقه وبعد قليلة التقوا بالامير حمزة وهو كالكوكب الوضاح يضيء بالانوار مما عليه من الالماس والجواهر والحجارة الكريمة وحال وصولهم اليه جعلوا يقبلون يديه وهو يسلم عليهم ولما رأى الملك النعمان واندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل واسطون الحكيم وباقي الاعيان تقدم منهم وسلم عليهم وسلموا عليه وفرحوا به وشكروا الله على رجوعه سالماً ووصوله اليهم قبل وصول الاعجام

وبعد ذلك عادوا جميعاً الى الخيام وهم من الفرح في ما لا مزيد عليه وشعروا براحة البال واطمئنان الخاطر وحسن المستقبل ولما وصلوا الى صيوان الملك النعمان دخلوا اليه وجلس كل واحد في مكانه وجعل الامير يسأل عن عموم الفرسان والرجال وهو يشكر الله الذي ما فقد احد منهم ولا تبدد شملهم ولا تفرقوا قبل مجيئه حتى انه رآهم مثل ما فارقهم واخيراً سألهم عن العجم وعن كسرى فقال له اندهوق بن سعدون اننا كل هذه المدة بانتظاره ولم يصل الينا ولا قدم علينا بل اننا على الدوام نسمع الاخبار من السياح والتجار ان العساكر ترد اليه

وتتجمع عنده وهو يتعدد ويتهيأ ومراده ان يأتي الينا بجيش عظيم جداً لا يعرف اوله من آخره وفي نيته ان يبيدنا دفعة واحدة والحمد لله الذي جئت قبل مجيئه لاننا وان كنا نعرف ان بنا الكفاءة لحرب كسرى ورجاله مهما كان عددهم وكانت قوتهم غير اننا نتعب ويطول علينا المطال لان العرب اذا ما سمعوا صوتك ورأوا قتالك اشتدت اعصابهم وقاتلوا قتال الابطال وبالعكس الفرس اذا ما سمعوا صوتك في وسط المعمعة تضعف عزائمهم ولا يعود لهم رجاء وما ذلك الا من الله سبحانه وتعالى وفضلاً عن ذلك فان رجال العرب وانت بينهم يقاتلون كالاسود واذا بعدت عنهم يقاتلون قتال اليأس . فقال لهم اني اثق بالله تعالى واتأمل ان لا عدت من الان وصاعداً افارق جيشي ولا بد من قضاء الامر بيننا وبين العجم في هذه المرة وقتل بختك اللعين الذي يحرك النار ويضرمها في كل آن وزمان

وما صدق الامير حمزة ان انتهى من السلام على العرب حتى نهض وسار الى صيوان مهردكار ولا يمكننا ان نأتي على تفصيل ما وقع بينهما عند الملاقاة فان كلًا منهما كان لا يقدر ان يضبط نفسه ولا يمسك قلبه ولا يحبس دمعه ولا يعقل عقله بل عند ملاقاتهما ارتميا على بعضهما يقبل الواحد الآخر بدون وعي وبدون فكر وقد دعتهما دواعي الحب والتلاقي الى وجوب شفاء الغليل وقتل نفس البعاد والنوى بالحب منهما وهما في لذيذ عيش ساعة لم يمر عليهما بعد الذ منها وهما تارة ينهضان ويتعانقان وتارة يجلسان وينظران الى بعضهما البعض ولا يصدقان بهذا التلاقي وادمعهما ترسل من الاماقي على الخدود استبشاراً وفرحاً والسنتهما منعقدة عن الكلام حتى ان مهردكار كانت قد نسيت كل ما مضى ولم تعد تفكر بعذاب البعاد ولا فكرت بان تعاتبه على طول غيابه بل كان جل فرحها ان لا تضيع مقدار ذرة من لذة التلاقي وواجباته وبالاخير تكلم الامير وقال لها اشكر الله الذي عدت ورأيتك بخير وان كنت ارى بجسمك نحولاً وبوجهك بعض تغيير فاني اعرف ان ذلك ما كان الا من جري حزنك على بعادي وشوقك اليَّ

غير اني كنت مجبوراً اليه ولا بد ان يعود رونقك اذا علمت وتأكدت انني منذ الان باق في الجيش ولا عدت افارقك الى غير مكان ولاقيت في هذه المرة عذاباً واشواقاً ما كنت احسبها قبل مبارحتك . قالت كل ما لاقيته انقضى وزال وما عدت اشعر الا بلذة قربي منك الان ووجودك عندي وكفاني ان ابدي لك واشرح عن كل ما لاقيت بكلمة واحدة وهي اني كنت مائتة فعشت وضالة فوجدت وما عدت اعرف حالة الايام الماضية الطويلة عند ثانية من اوقات هذا الاجتماع فلا تذكر لي شيئاً مما مضى بل اذكر لي حال صحتك فيه وراحتك في هذا الوقت . فمدح الامير منها واخبرها بمختصر حاله واقام عندها كل تلك السهرة وقد تناول الطعام معها وشرب الخمر وصرف وقتاً عجيباً من اوقات السرور والانشراح وفي آخر الليل دخل الى صيوانه ونام مطمئناً مرتاحاً كانه ما ذهب الى جبال قاف ولا جاء وقد نزع عنه ذاك الثوب ونسي كل ما لاقى

وفي الصباح خرج الى الصيوان المتجمع به الفرسان وجلس بينهم وقال اريد منكم ايها السادات ان لا احد منكم يظهره امري ويخبر بمجيئي فاني اريد ان اخفي ذلك على كسرى وقومه ولا بد انهم يصلوا الى هذه الديار ولي بذلك قصد وغاية فليخبر كل واحد منكم رجاله ومعسكره ان لا احد يذوه بكلمة وان يبقوا كما كانوا قبلًا كأني ما كنت حاضراً بينهم فاجابوه الى ذلك وامروا سائر المعسكر ان يخفي خبره ويكتمه ولا يظهر امام احد وبقي على تلك الحالة عدة ايام يأتي في الصباح الى الصيوان ويقيم بين فرسانه ينظر في احوال العرب وفي مصالحهم وفي المساء يرجع الى صيوان مهردكار فيأكل الطعام ويشرب الشراب الى آخر السهرة فيدخل صيوانه وينام وما من احد من العرب يذكر في فمه اسم الامير حمزة او يذكر انه جاء بل كان حاضراً ويعلمون به وهو كأنه غائب عنهم

وفي كل يوم يذهب الامير عمر العيار الى البر فيسأل ممن رآه عن كسرى وعن اخباره ويستعلم من كل راح وات . حتى اخبر اخيراً ان بعض المسافرين رأى جيوش كسرى تتقدم الى تلك الجهات وهي بعدد رمل البحار وقد غطت السهول

والوعور والجبال والاحراش فبلغ هذا الخبر حمزة فاخذ في تدبير امر الجيوش وتهيئتها وتقسيمها وهو يعرف ان تلك الحرب ستكون شديدة وقوية ويكون له فيها ذكر يذكر ومضى على ذلك سبعة ايام وفي اليوم الثامن ذهب عمر لاكتشاف الاخبار وبعد عن معسكر العرب مقدار ست ساعات وفيما هو على ظهر اكمة من الاكام نظر الى البر فرأى عن بعد الاعلام الكسروية تخفق وبينهم العلم الاكبر المخصوص بكسرى المعروف بيبكار الاشتهار وهو يلوح بالهواء والغبار يثير الى الجو ثم يتبدد باندفاع الاهوية فيمتد تارة فوق الجيوش فيغطيها فلا تعود ترى ثم ينجلي وتظهر من تحته تلك العساكر الفارسية وهي تتقدم شيئاً فشيئاً فوقف عمر نحو ساعة وهو ينظر الى تلك العساكر ليرى اخرها وجناحيها فلم يقدر لانها كانت منتشرة وممتدة في كل ناح ولكثرة عددها لا يقدر يرى اشد الناس نظراً الى الى آخرها لو كان واقفاً في وسطها فعرف ان العرب ستلاقي شدائد واهوال من هذه الحرب لان الكثرة ان لم تغلب الشجاعة لا بد ان تضعفها وتتعبها وبعد ذلك كر راجعاً الى العرب ودخل على الامير حمزة وهو في الصيوان فاخبره بكل ما نظر ورأى . فقال لا يهمني كثرة العساكر او قلتها ولا بد من تبديد شملهم وتفريقهم لكني اريد منكم كتم امري الى حين اظهر فان مرادي افاجيء كسرى في موكبه وانزع بيكار الاشتهار من حامله والقي في رجال العجم ومن معهم الرعب والخوف بغتة وهم يظنون اني غائب ولا يظهر امري لاحد منهم الا في وسط المعمعة ثم امر ان تنفض الفرسان كل واحد الى رجاله في ذاك اليوم وان تجتمع في اليوم الثاني وهو يكون متخف ففعلوا وسار كل واحد الى ناحية يفرق المؤن والذخائر ويتفقد اسلحة رجاله وخيولهم ومن كان منهم يحتاج الى شيء دفع اليه

وما جاء مساء ذاك اليوم حتى كان كسرى قد وصل الى مقابل العرب ورآهم وهم بذاك الجيش القليل ففرح واطمأن وكان في كل ذهنه ان حمزة غائب عن العرب ولذلك كان يرجح الفوز والانتصار واسترجاع بنته مهردكار وامواله التي اخذتها

. العرب ونهب كل ما معهم ولذلك ضرب الخيام في تلك الناحية ومدها من الشرق الى الغرب وسرحت الخيول ونصب صيوان كسرى في الوسط وهو مرتفع على كل المعسكر وعليه الجواهر والالماس يضيء بلمعان وكان يساوي مدينة المدائن بحسن اتقانه وزخرفته وما تزين به من الاطالس والحرائر وعواميد الذهب ونقشها وترصيعها بكل حجر كريم وضرب امام الصيوان المذكور بيكار الاشتهار وعليه العلم الكبير وهو ايضاً عجبة من عجائب الزمان تضرب به الامثال في حسن صنعته وما حواه من الذهب الخالص والنقش البديع وكان الوف من الحرس تحيط بالصيوان وبالعلم المذكور وكلهم من ابطال الفرس يحملون على الدوام السلاح مشهراً بايديهم فلا يقدر الطير ان يتعدى على احدهم الا ان يكون باذن كسرى سيدهم ولا سيا في وقت الحرب خوفاً من ان يحتال عليه العدو او يصاب بما لم يكن في الحسبان

قال وفي الصباح نهضت العرب ونظرت الى البر فارتاعت من كثرة العساكر ومن انتشارها ورأت صيوان كسرى الكبير يضيء كانه عشرين شمساً بيوم واحد لا يقدر الراءي ان يحدق بـه او ينظر فيه دون ان يبهر نظره وكذلك بيكار الاشتهار واجتمع العرب في صيوان الملك النعمان واخذوا يتحدثون في امر كسرى فقال حمزة قلت ولا بد من اتمـام قولي فاني سأحرم كسرى من بيكار الاشتهار واقيمه بين العرب لانه يساوي خزائن العالم مع هذا الصيوان الذي يحق لكسرى ان يفتخر به على ملوك العالم . فقال اندهوق اني سأسير خلفك يا سيدي على فيلي واضمن لك انك ستأخذ هـذا العلم ولو كان دونه الوف وكرات من حجاب كسرى انوشروان وعندي انه ايضاً بعد تفريق جيوش كسرى سنجتهد الى اخذ الصيوان لنجعله لك قال لو كان لي مثل هذا الصيوان اكون اعظم من كسرى شاناً وفيما هو على مثل ذلك واذا به سمع صوت قرقعة في الخارج فنظر واذا بكندك المارد قد سقط من الجو ووقف عند باب الصيوان وسلم على الامير حمزة وباقي الفرسان الذين حواليه وقال له اعلم يا سيدي ان سيدتي اسما بري حيث عرفت

انك ستقابل اكبر ملوك الانس وهو كسرى انو شروان وانك بعد ان حصلت على ثياب السيد سليمان التي لا نظير لها في عالمي الانس والجان وكذلك اليقظان وعدته بعثني اليك بصيوان ابيها اليون شاه الذي اذا رأيته انبهرت واندهشت منه اعظم من صيوان كسرى بالوف مرات وعليـه في كل عامود من عواميده الذهبية جوهرة بقدر البطيخة لا بل اكبر كان يجلس فيه في ايام المواسم والاعياد فتأتي ملوك الجان لتهنئته وكان يفتخر به على ملوك الجان وله سبعة ابواب من الحرير الاحمر المقصب بالزخارف الذهبية وفيه تسعون كرسي من الكراسي الذهبية التي لا يوجد عند بني الانس مثلها ففرح حمزة بذاك الصيوان وخرج في الحال من صيوان الملك النعمان وامر بنصب صيوان اليون شاه في وسط المعسكر فنصب في الحال وهو كانه الافق يتلألأ بلمعان جواهره كتلألأ الكواكب فيه وقد اشرقت منه تلك النواحي وزاد بهاء واشراقاً على اشراق الشمس . ودخل اليه الامير حمزة وهو مسرور منه وجلس على كرسي اليون شاه الي اسما بري ومن حوله الفرسان والابطال واذ ذاك مدح من اسما بري وشكرها على عملها هذا وقال لكندك اهدها مني السلام واخبرها ان عملها هذا سرني جداً ولا انساه لها وقد عرفت صدق محبتها ومودتها وحسن اهتمامها بي

قال واما كسرى فانه في صباح ذاك اليوم نهض الى صيوانه واجتمع اليه وزراؤه واعيانه وفي اولهم بختك الوزير الفارسي وحينئذٍ قال انه معروف وثابت عندنا ان حمزة غائب عن العرب وانهم الآن كالغنم دون راع ولا قائد ولذلك لا بد ان يكونوا باضطراب وقلق يرغبون في التسليم والطاعة ولا سيما بعد ان لحقناهم الى هـذه البلاد لانهم هربوا من بلادهم ولم يخطر لهم قط اننا نتأثرهم ويعلمون اذا انكسروا لا يقدرون بعد ان يهربوا الى مكان اخر او بلد تقيهم منا واريد منك يا بختك ان تكتب كتاباً الى ملك العرب تدعوه الى الطاعة وتهدده بكثرة العساكر والموت والصلب اذا امتنع عن التسليم فاخذ بختك وكتب الى الملك النعمان :

من كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان والعظمة والسلطان وسيد ملوك هذا الزمان الى خادمه واقل عماله النعمان حاكم العربان

انت تعلم ايها العاصي الخائن اني ملكت الارض من مشرقها الى مغربها ومن شمالها الى جنوبها وحكمي نافذ في كل جهة فمن لا يدخل في خدمتي يخشى باسي ويدفع لي الهدايا في كل مدة حاملاً الجزية فضلاً عن الهدايا حتى ظهر حمزة العربان فاكرمته وقدمته مني وانا اظن ان اكرامي هذا يحل محله وبسببه رفعت مقامك في ديواني بعد ان كنت تجلس بين الخدم والحجاب وقد نهاني مراراً وزيري الامين بختك بن قرقيش وبين لي اكرام العرب ينتهي بخلعهم طاعتي وجحدهم للجميل فلم اصغ َاليه حتى ثبت عندي ذلك عصيانكم ونكرانكم المعروف وطمعكم بمالي وعرضي فاخذتم بنتي كسبية وجعلتم تفرون بها من مكان الى مكان تقاسي عذاب السفر ومشاق الطرقات واهوال الغربة والانتقال بعد ان كانت قد تربت على الدلال والترفه وسعة المعيشة وكان بخدمتها كثير من مثل ملوك العرب وقد وقع بيني وبينكم الحرب لما كان حمزة بينكم وبسببه انكسرت عساكري ورجعت الى المدائن فجمعت في مدة اكثر من سنتين الف الف وسبعمائة الف فارس من ابطال الفرس وشجعان الديلم وغيرهم من الامم وعندي زوبين الغدار الذي لا يصطلي له بنار وقد عزمت ان ابيدكم عن اخركم وانزع اسم العرب من الدنيا غير ان شفقتي عليكم حملتني على التردد في ذلك فارسلت هذا التحرير اطلب اليكم ان تضعوا المناديل برقابكم وتأتوا لتقبيل اقدامي صاغرين طائعين نادمين على كل ما وقع منكم وما ابديتموه من المخالفة والعناد ويكون بينكم ولدي فرمزتاج الذي اسرتموه وجسرتم على تقييده وفوق كل ذلك فانكم ترجعون اليَّ بنتي مهردكار مع جميع ما وصل اليكم من الاموال واعدكم اني اعفو عنكم واعيدكم الى مناصبكم ولا اواخذ احداً بجريمته حيث ان الذنب بذلك على حمزة وانتم اخلصتموه الود بعد ان تغلب عليكم فهذا اخر ما عندي والا تصادفون الشر والوبال

وبعد ان وقع كسرى على هـذا الكتاب بعثه الى الملك النعمان وفرسان العرب فوصل اليهم وقرأوه وكان الامير حمزة بينهم وهو مختف فاجاب الرسول اذهب الى سيدك واخبره انه وان كان اميرنا غائباً عنا الا ان كل واحد منا به الكفاءة لان يقوم مقامه وسوف ترى منا ابطالاً لا يخافون الموت ولا يرهبون المنايا ولا يفوتهم عن قبض النفوس فوت وهـذا جوابه عندنا وفي الغد يقوم بيننا الحكم الفاصل والقاضي العادل وهو السيف اليمان الذي يقضي بالحق والانصاف . فرجع رسول كسرى اليه واعاد كل ما سمعه من العرب فاغتاظ وتكدر واضطرب وقال ان العرب لفي ضلال مبين واجلهم يعلمهم الكبر والعظمة ولا ريب ان دولتهم ستنقرض وتغضب عليها النار ذات الشرار واني احسب ان هذه الامة ما كانت على وجه الارض ولا دخلت بين ممالكي . ثم قال لبختك اريد منك ان تنشر اعلاناً في كل العساكر ان صباح الغد يبتدىء القتال واني سمحت بدماء العرب وسلبهم ونهبهم فلتزحف العساكر واحدة عليهم وليحرقوا وينهبوا ويقتلوا ويعذبوا كل من وقع بايديهم من اعدائنا دون شفقة ولا رحمـة ففعل بختك في الحال واخذت الفرسان تستعد وتتأهب الى اليوم القادم وبات الفريقان الى ان اشرقت شمس ذاك اليوم المنتظر من العرب والعجم

وما بزغ الفجر حتى ضربت طبول العرب فارتجت لها الجبال والوديان واجابتها طبول كسرى انو شروان تنذر الابطال والفرسان بالاسراع الى الاستعداد . والتهيء لخوض الطراد . فنهض كل ذي حماسة الى سلاحه فافرغه عليـه وتعدد وتدرع وجاء الى جواده فركبه وانضم الى صفه فانتظم به وهو مشهر حسامه ينتظر الاذن بالهجوم والقتال وما اشرقت الشمس حتى كان اصطف الصفان . وترتب الفريقان وركب كسرى انو شروان وامامه بيكار الاشتهار ومن حواليه الحراس والفرسان . وركب حمزة العرب ومن عنده من الفرسان . وحالما وقعت العين على العين تحركت الضغائن من المعسكرين فصاحوا وحملوا وهاجوا وماجوا وفي ايديهم الاشطان . والعواميد الحديدية وعيدان الزان . وراج سوق المنايا اي

رواج . واحتاط بالفريقين من جيوش العدم الفناء واتخذ له من جيوش العدم امتن سياج . فتدفقت الادمية كالاتابيب . وتحدرت من ينابيع الرقاب والصدور كتحدر الماء في الميازيب . واتخــذ كل فارس من الابطال لنفسه مقاماً في سوق المجال . فباع واشترى . واجرى الدماء انهرا . ولا سيا فرسان العرب وابطالها المشاهير . فانهم اخترقوا تلك الجماهير . وفعلوا افعال المردة الطيارة والجن السيارة . غير ان كثرة العساكر كانت تضيق عليهم المجال فلا يقتل الفارس فارساً الا انحدر اليه اثنان في الحال . لان عساكر العجم كانت كما تقدم تتجاوز ١٧ كرة وعساكر العرب دون الثلثمائة الف فارس وعلى هذا فقد عرف اندهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وباقي فرسان العرب انهم اذا ثبتوا هم اشتد جيشهم وتقوى واذا قصروا ضعف وانحل ولحق بــه الفناء ولا سيا الامير حمزة فانه كان يقاتل قتــال الاسود وينحط على الجيوش انحطاط البواشق فيشردها ذات اليمين وذات الشمال وهو متخفٍ عنها لا ينادي باسمه ولا يفتخر بنفسه والعجم تزدحم عليه ولا تفارقه وهي لا تعلم انه بلوة الانس والجان ولو عرفته لتفرقت منه واشترت ارواحها بالفرار والبعد عنه ومن المعلوم انه اثناء القتال انه لا يثبت في مكان لانه كان يخاف ان تصاب جيوشه بالاضمحلال او يلحق باحد فرسانه سوء فيتفقد الجميع واين كانت جيوش الاعداء متجمعة فرقها وقد تعب في ذاك اليوم التعب الكلي ليحفظ نظام معسكره الذي كادت تتغلب عليه الكثرة واخذ في الرجوع الى الوراء ولولا اعماله واعمال رجاله لانقرض واختار التشتيت على البقاء امام اعدائه الكثيرين وكان الملك كسرى على الدوام يبعث باوامره بين عساكره يحصرهم على الثبات وان ينهوا امر العرب في ذاك النار وكذلك بختك الخبيث الغدار فانه كان مطمئن البال بالفوز والانتصار . لما رأى قلة العرب وكسرة جيشه الجرار . وكان اكبر رجائه بزوبين الغدار . نسل اللئــام الاشرار . حيث كان وعده انه في ذاك النهار لا بد من وصوله الى مهردكار واسترجاعها الى عساكر الاعجام بقوة الصارم البتار . وكانت جهنم تشتعل بفيضان لهيب النار فتلتهم كل

من يقدم ضحية الفناء والبوار

قال وبينما كانت عساكر العرب في وسط المعمعة وهي ضيقة الانفاس لكثرة الازدحام ومضايقة الاعداء وفرسانها تحيط في عباب ذاك البحر المتلاطم بامواج الاهوال وعساكر العجم وان كانت ترى قتلاها تزداد على الدوام الا انها كانت تتقدم مؤملة انها لا بد من ان تضعف العرب وفي كل ظنها ان غياب الامير حمزة وسيلة كبرى لفوزها وتقدمها والا لو سمعت بذكر اسمه فقط لوقع الرعب في قلوبها وخافت من التقدم وكسرى وبختك مسرورين من بعض النجاح الذي ناله العجم واذا برايات اندلسية تخفق وجيوش حبشية تتقدم وفوارس لا تخاف المنية وقد اسرعوا المسير ومن فوقهم الغبار قد علا وثار حتى غيب شمس النهار ثم انقسمت الجيوش الى قسمين قسم مال الى جهة الشمال وقسم الى جهة الجنوب فالقسم الاول كان في مقدمته عمر الاندلسي المتقدم ذكره ومعه نحو ثمانين الفاً من عساكر الاندلس وقد صاح وحمل لما رأى الحرب قائمة على ساق وقدم وهو ينادي انا عتيق سيف حمزة البهلوان وخادمه طول الزمان ومثله كان يفعل صاحب القسم الثاني وهو النجاشي سلطان الحبشة ومعه مائة وعشرون الفاً من رجاله وابطاله وفي الحال باشروا الحرب والقتال وخاضوا ساحة ذاك المجال فارتاع كسرى من اعمالهم وامر ان ترجع عساكره الى الوراء والا احتاط بها الاعداء ووضعوها في الوسط وانزلوا بها البلاء. وقد تكدر من ذلك وتعجب كيف ان هذين الملكين جاء لعضد اعدائه ودامت الحرب الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى الخيام لا يصدقون بالخلاص من شر ذاك اليوم الكثير الزحام ورجع كسرى فنزل في صيوانه وضرب امامه العلم الاكبر وبعد ان تناول الطعام وشرب الشراب جاؤوه الوزراء والاعيان وشرح كل واحد حالة الجيش وما عرفه منه فقال بختك اني كنت ارى في الاول ان النصر سيكون لنا في هذا اليوم وان في صباح الغد لا بد ان تتفرق عساكر الاعداء ولذلك كنت مسروراً جداً وكان عندي من الفرح ما مزيد عليه ونفسي تطلب سرعة النهاية ولكن النار في هذا اليوم لم تكن راضية عنا على

الواجب فلم تحولنا النصر التام وقد حفظته لنا الى هذا اليوم الاتي او الذي بعده .
فقال كسرى اني اعجب من عمر الاندلسي والملك النجاشي فاني انا الذي قد بعثت ودعوتهما الى معونتي فاعتذرا عن الحضور والان قد انضما الى العرب وجاءا لنصرتهم ولولاهما لكنا فزنا بالمطلوب في هذا النهار ولا اعلم ما هي الرابطة التي دعتهما الى مساعدة العرب لان مثل الملك النجاشي اذا كان مع العرب يقوي شوكتهم ويزيد عتوهم لانه كثير الجنود والاعوان وملك عظيم قوي السلطان .
قال ان هذا لا يهمنا يا سيدي فانه لو اجتمع مع العرب كل اهل الارض بالطول والعرض فاننا نحن الفائزون عليهم المنتصرون ما زال حمزة غائباً من بينهم فكن باطمئنان وراحة وسوف تجلي لك الحرب وقد رأهم زادوا عدداً وكثروا مدداً وان اكثر عساكر بلاد العرب وجميع جيوش بلاد الحبشة تحارب معهم

فهذا ما كان منهم واما ما كان من العرب فانهم رجعوا الى الخيام مسرورين بقدوم هذه النجدة القوية وحال وصولهم الى الخيام اجتمع المقيمون بالآتين وسلموا على بعضهم البعض وشكروا من الملك النجاشي وعمر الاندلسي . وسألهما حمزة عن سبب اجتماعهما ببعضهما . فقال النجاشي اني بعد ان فارقتك اخذت ان اجمع جيوشي بسرعة عظيمة وفي مدة ثلاثة ايام اجتمع عندي جيش عظيم فاخذت قسماً منه وسرت في اثرك تحت امل اجتمع بك في الحال حيث ما عدت اقدر ان اطيق صبراً على فراقك وما زلت سائراً حتى وصلت الى بلاد الاندلس فرأيت عمر الاندلسي قد جمع بعساكره وخرج من المدينة وسار على طريق مراكش فاجتمعت به وعرف كل منا الاخر واننا سائران الى خدمتك وعجلنا مسيرنا حتى وصلنا في هذا اليوم الكثير الاهوال فلم نقبل ان نضيع الوقت فباشرنا الحرب . فقال حمزة بارك الله فيكما فانكما نصير الحق وعندي اننا في الغد نقهر جيوش كسرى ونرجعه مبدداً مشتتاً . فقال اندهوق ما زلت لا تظهر نفسك فجيش العجم لا يتفرق ولا يرتعب ولا ينكسر ولو قتل وفني عن آخره لان ظهورك يلقي الخوف على كل واحد منهم فتنحل اعصابه ويرجف قلبه ويخاف من البقاء . قال اني لا اظهر نفسي

ما لم اقبض على علم بيكار الاشتهار واحرم كسرى منه فيعرف ان حمزة لا يغيب ويقدر على كل ما يقول . فقال له كن انت في الغد امامي فاحمي ظهرك واجعل عمراً بين يديك فلا يفارقك ولا يفارقني واننا نأتي بالمقصود . ثم نظر حمزة الى كامل الفرسان فرأى معقل البهلوان غائباً فسأل عنه فقال له عمر اني منذ الغد ما رأيتأه ولا شاهدته ولا عرفت اين هو وانا اظن انه ليس في الخيام حتى انه في هذا اليوم ما باشر معنا القتال ولا الحرب والنزال . فقال سر انت واسأل عنه في رجاله وبين قومه . فسار عمر وطاف كل العرب وهو يسأل الكبير والصغير وما من واحد منهم افاده عنه او عرف اين هو موجود او رآه فعاد الى اخيه واخبره ان معقلاً غائب عن المعسكر ولا احد يعرف بمكان وجوده فقال اخاف ان يكون قتل في هذا اليوم وشرب كأس الآفات وانحدرت دمعة الامير حمزة على خده فقال له عمر لا تخف فان معقلاً لم يباشر الحرب واني في صباح هذا اليوم طفت كل المعسكر قبل اشتباك الحرب وتفقدت الكبير والصغير فما رأيته قط وفكرت انه لا بد ان يكون منذ الغد او قبله في الصيد ولم يرجع بعد فشغل بال الجميع من اجله وباتوا تلك الليلة يتحارسون الى ان اشرقت شمس اليوم التالي فاصطف الصفان وتقدم العسكران ورفعت رايات الابطال والفرسان وباقل من ساعة انتشبت نار الوغى واضطرمت واشتبكت الجيوش واصطدمت . ووقفت جيوش عزرائيل في كل ناح وقد تهيأت لقبض الارواح . وهي فرحة بذاك النهار الكثير الاهوال . حيث تيسر لها فناء الوف من الرجال ووقف عزرائيل واخذ بيده بوقه لينفخ فيه ويدبر جماعته ويعجلهم في اعمالهم حتى لا يفوتهم احد من متحاربي ذاك النهار

هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . ونفوس المتحاربين مسرعة الى العدم . والكل بين السنة لهيب جهنم . تدفعهم اسنة الرماح . وتشرحهم البيض الصفاح . وما برح السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل . ونيران الوغى تشعل . حتى ارتفع الغبار الى العنان . وحجبت الشمس عن العيان . واصفر وجه كل جبان . عند

مشاهدته هول تلك الوقعة الكثيرة الاخطار . والعظيمة الاهوال والاضرار . واحمر وجه كل شجاع . في موقع القتال والصراع . من كثرة ما رش من ادمية الفرسان التي كانت تندفق من الاعناق وتشيب الابطال والشجعان فتصبغهم بازكى الالوان وتغير من شكلهم عما كان ثم تنحدر الى بساط الصحصحان . وتتجلمع في اقنية ذاك المكان وتسير مجدولة كينابيع الغدران وكثيراً ما تطفو على وجه الارض فتغرق بها الخيل او تشرف على الغرق وقد قل من المتقاتلين النفس والرمق . واخذهم الاضطراب والقلق وسحبت منهم بحور العرق . وما عاد يرى الا خيولاً غائرة وادمية فائرة واكفاً طائرة واعيناً غير ناظرة وقد رافقت رجال عزرائيل رجال العربان وسعت في ركابهم من مكان الى مكان . وهم يسلمونها من ارواح الاعجام ويكثرون لها من العمل والشغل في ذاك المقام لان كل فارس من العرب تكون ضربته قاضية في الحال فيقع خصمه دون تأخير ولا امهال . وقبل ان يصل الى الارض . تخطف روحه وترسل للحسبان في يوم العرض . فلله درُّ المعتدي حامي السواحل وما فعل في ذاك اليوم الكثير الاهوال وكم قتل وكم اسر من الابطال وكذلك قاهر الخيل فقد مدد الرجال على بساط الرمال وانزل عليهم الدمار والوبال ولم تكن افعال باقي الفرسان اقل من افعاله ولا اعمالهم دون اعماله ولا سيما عمر الاندلسي فانه اراد ان يظهر لحمزة صدق خدمته وعظيم فعله اثناء المعركة وحسن براعته فبدد الاعداء وانزل عليهم ميازيب العناء وارماهم في حفر الفناء وهو ينادي وقومه من وراءه تقاتل وتضارب انا عمر الاندلسي عتيق سيف حمزة فارس المشارق والمغارب وكذلك الملك النجاشي فقد فتك بجماعته فتكاً لا ينتهي ذكره الى آخر الزمان . وبالاختصار ان تلك الوقعة كانت اعظم الوقائع التي مضت على العرب والعجم لا بل وعلى غيرهما من القبائل والامم من سكان تلك الاعصر العظيمة الوقائع والكثيرة المعامع حيث كان عدد المتقاتلين يزيد عن الخمس والعشرين كرة وفيهم مشاهير الرجال والابطال العظام ما لم يأت مثلهم في غير ايام . ولذلك تغطت الارض بالقتلى وحامت عليها غربان الجو

ووحوش الفلا طالبة رزقها في ذاك المكان ناظرة فيه ما يشبعها ويكفيها الى آخر الازمان منتظرة النهاية لتأخذ نصيبها من تلك الاجسام وتذخرها الى غير ايام . كل هذا وكسرى ينظر ويرى ويشاهد ما يحل برجاله وما يقع على ابطاله . وهم يقعون ويقومون ويجرحون ويقتلون ورماح العرب تخرق صدورهم وسيوفهم تغمد في نحورهم وهم تائهون في ديجور تلك المعمعة لا يعرفون ماذا يعملون ولا من يقاتلون ولذلك اسودت الدنيا في عينيه وانطبقت الاربع جهات الارض عليه وقال لبختك ها ان عساكري ستنقرض في هذا النهار ويحل بها الفناء والبوار والعناء والدمار . وتتشتت في الاربع اقطار . والتزم الى الهرب والفرار وركوب طريق الذل والعار . فقال له بختك شد عزمك يا سيدي ولا تؤخذ بالظواهر فلا بد من استظهار فرساننا بالآخر لان عمل العرب هذا ومن والاهم سيلقيهم اخيراً في التعب وتضعف قواهم ويكون لقومنا عليهم التأر فيبطشون بهم بطش الليث الجبار . قال وفيما هما على مثل ذلك واذا بجيش الحرس قد اضطرب وارتبك وجفل ومال من اليمين الى الشمال واخذ في التقهقر والتأخير والاضمحلال وسمع كسرى من وسطه صوتاً تميل له الجبال وترتجف عند سماعه اسود الدحال وتضطرب العواصم والبلاد والحصون والاطواد . وقائل يقول ويلكم لئام غير كرام قد جاءكم فارس الفرسان وبطل هذا الزمان وسيد ساداته الشجعان ونقمة كسرى انوشروان ومطوع جبابرة الانس والجان الامير حمزة البهلوان

قال ولا يخفى ان الامير حمزة من حين مباشرة القتال تكل على فرسانه واوصاهم بالمحافظة على بعضهم البعض وان يساعد احدهم الآخر . وخاض هو ذاك البحر العجاج المتلاطم بالامواج ومن خلفه اندهوق بن سعدون البطل الميمون . فاخترقا الصفوف وشردا المئات والالوف وانزلا عليها الحتوف . وهما تارة يميلان الى جهة اليمين وتارة الى جهة الشمال والفرسان تزدحم عليهما وتطلبهما الابطال . وحمزة يضرب في صدورها فيرسلها الى قبورها واخوه عمر ينخطف بين يدي جواده اليقظان ويضرب بالخنجر في صدور الخيول فيرميها الى الارض وتقع عن

ظهورها الفرسان وما برح على هذا المنوال وقد قتل الوفاً من الابطال وجرح كثيراً من الرجال واندهوق يحمي ظهره فلا احد يقرب منه الى ان فات الظهر وكلما شردت العساكر عنه بعدت ثم عادت وتجمعت من حواليه وهي ترى قتاله قتال الامير حمزة انما كانت لا تعرفه ولذلك كانت نفوسها تطمنها بقتله وفناه وهو يتقدم الى الامام حتى كاد يقرب من بيكار الاشتهار وهو العلم الاكبر وابطال العجم من حواليه والحراس تدور به من مكان الى مكان حتى انه اخيراً صاح وتكنى باسمه ونادى انا حمزة البهلوان نقمة كسرى انوشروان. فلما سمع العجم صوته وقع الرعب في قلوبهم وتيقنوا انه هو نفسه فطاروا من بين يديه آخرهم يضرب باولهم يتسابقون الى الفرار وهو يضرب باقفيتهم حتى سمع كسرى ذلك الصوت ورأى ما حل بحرسه فارتاع وخاف وقال لبختك ويلك يا خبيث يا غدار تقول ان حمزة في جبال قاف وها هو في وسط عساكري وقد فرق حرسي وكاد يصل اليّ. قال اني اخاف يا سيدي ان يكون احد فرسانكم قد تكنى باسمه لجفلت منه عساكرنا لانه لو كان بينهم لما هربوا الى هذه الجهات وفيما هما على ذلك واذا بحمزة قد وصل من بيكار الاشتهار فضرب بحسامه كل الذين حواليه وتناوله بالرغم عن كل ممانعة ومدافعة وقد صارت مزاحمة قوية عنده وتكردست القتول كالتلال ولما صار العلم في يده سلمه الى اندهوق وعاد الى مداومة القتال واذ ذاك صاح كسرى بحجابه وقال لبختك ويلك عجل بالهرب والفرار والا وقعنا بايدي حمزة ونال منا المراد فان الهلاك قريب منا فقال بختك صدقت ان هذا اليوم يوم بأس ونحوس والنصر به للاعداء فسارعوا الى الهرب. ثم انه امر الحجاب ان ترفع كسرى والصيوان وتسرع في التقهقر والفرار ففعلت في الحال ودارت باقفيتها للعرب وطلبت الخلاص من جهنم سيوف الامير حمزة ورفاقه ورأى باقي العجم ما فعل كسرى وحرسه فجاروهم على عملهم وطاروا ذات اليمين وذات اليسار. هذا والعرب قد شكرت من حمزة على هذه النصرة فجودت الطعن والضرب وطلبت ان تشفي غليلها من الاعداء ولا سيما الامير حمزة فانه كان

مشتاقاً الى وقوعه في مثل هـــذه المعمعة ليشفي غليل قلبه بعد غيابه وتقاعده عن القتال ثلاث سنوات ولذلك كانت القتلى حوله كالتلال وهو غارق ببحر من الدماء والفرسان وتتجمع عليه من الاربع جهات وهو يطعن ويضرب ويصيح وينادي باسمه والرعب ينمو بقلوب الهاربين وكل واحد منهم يظن من نفسه انه وراءه وصوته بآذان كل واحد يرن ودام العرب في جدهم واجتهادهم حتى حجب الظلام عن اعينهم اخصامهم فكروا راجعين بعد ان بعدوا عن مواقعهم مسافة طويلة فامر الامير حمزة ان تجمع الاسلاب والمكاسب وتؤخذ الخيام وترفع الى المعسكر فدار العرب الى جمع الخيول الشاردة ونزع الاسلحة من المقتولين وقلع الخيام وما فيها من المؤن والامتعة فكان شيئاً كثيراً يعجز القلم عن وصفه

فامر الامير حمزة ان يقسم على كل من افراد العساكر وضباطهم ولا يترك احد بدون ان يأخذ نصيبه منهم واول ان اجتمع في صيوان اليون شاه واجتمعت سائر الفرسان والملوك اخذوا في ان يهنئوا بعضهم البعض بهذه النصرة ويمدحوا من الامير حمزة على ما اجراه في ذلك النهار حيث شيد لهم اسماً لا يمحى مدى الدوران فقال لهم ان كل هذه " صرة وعواقبها لا تحلو في عيني ما زال اخي معقل البهلوان غائباً ولا نعلم مكانه واذا كان أصيب بضر فهو خير من رجال الفرس كبيرهم ومديرهم فقال له اندهوق عندي ان معقلاً بعد عن المعسكر بقصد الصيد فعرض له امر عاقه عن الرجوع الينا . فقال الامير حمزة اني لا ارتاح ولا يهدأ لي بال ما لم اعرف شيئاً عن اخباره وربما كان اسيراً في احدى الجهات او يكون جرى عليه حيلة او خدعة القته في احدى المتاعب والمهالك ولذلك سأعهد الى اخي عمر العيار بالتفتيش عليـــه والبحث والاستقصاء من سائر النواحي ولا بد ان يكون احد الناس عرف شيئاً من اخباره . فقال له الامير عمر اني سآتيك بخبره عن قريب وافرج عنك هذه الكربة والضيقة

ثم ان حمزة بعد ذلك نهض الى مهردكار فأكل الطعام عندها وهنأته بالنصر والظفر وقالت له لو لم يكن الله معك لما قدرت على مثل هذا الانتصار العجيب

العظيم بعدة يومين فقط مع انه لو كان غيرك لصرف سنين واياماً يقاتل دون ان ينال المراد . فقال لهــا اقاتل وقلبي مكمود وملسوع باعمال بختك الذي القى العداوة بيني وبين ابيك وجعل احب الناس عندي عدواً لي ولذلك لا احسب نصراً كاملاً نلته الا عند مــا يقع بيدي بختك الوزير جرثومة الشر والفساد والكيد والعناد . قالت ان الذي اريده واتمناه واعرف اكيداً انك اذا قتلت بختك او ابعدته عن ابي انتهت بينكما الحروب وعدتم الى الوفاق والان اسألك ان لا تنسى اخي فرمزتاج فانــه اسير ومن اللازم اكراماً لخاطري ان لا تدعه بالعذاب فقال اني افتكر بذلك ولا بد بعد ارتياح ضميري من جهة معقل البهلوان ان اكرمه واجعل له مقاماً عندنا والان هو بخير وقــد امرت عمراً بالافراج عنه وبخدمته ومداراته وبعد ان صرف وقتاً من السهرة عندها نهض الى صيوانه ونام وهو غارق بلذة مسامرة مهردكار ونفسه تطلب ان يغتنم الفرصة بالاقتران بهــا ويبعد عنه مهيجات الغرام ويطفي لهيب فؤاده فيعرف العالم انه تزوج بها ونال ما تمناه وربما عرف ايضاً كسرى بذلك فيضعف حيله عن الرجوع الى الحرب ويعود الى دوام الحب والالفة والسلام

قال وفي الصباح نهض الامير عمر فاوصى جماعته بالاهتمام والسهر اذا طال غيابه وخرج من المعسكر قاصداً التفتيش والبحث عن الامير معقل البهلوان وقد اختار الطريق الاقل اطراقاً لعلمه ان الامير معقل البهلوان لا يمكن ان يسلك منفرداً بنفسه وما زال سائراً حتى قرب نصف النهار وهو محير في اي جهة يسير واي بلد يقصد في الاول وبينما هو على مثل هذا الامر واذ لاحت منه التفاتة الى جهة البر فوجد فارساً يسير الى جهته ومن خلفه هودج على باذل يقوده جماعة من العبيد فاطلق ساقيه الى ناحية ذاك الفارس وقلبه يدله انه هو الامير معقل وقــد اصاب فكره فانه قبل ان يقرب منه عرفه وتأكده وعرف ان غيابه كان لهذا السبب ولما وصل منه سلم عليه وقال له ان غيابك احدث اضطراباً بالعرب ولا سيا عند اخي الامير حمزة فانه بقلق زائد وقــد بعثني افتش عليك بعد ان تبدد

شمل كسرى وانجلى عن هــذه الاراضي فانذهل الامير معقل واندهش وقال اصحيح ما تقول كيف يمكن تفريق مثل هذه العساكر الظليمة بعدة قليلة مع اني لم اغب عن قومي الا ثلاثة ايام. قال ان العرب قاتلت قتال الاسود لما شاهدت افعال اميرها وهو على جواده اليقظان يبدد الالوف شرقاً وغرباً حتى وصل الى بيكار الاشتهار فتناوله ونزعه من حامله بالرغم عن كل ممانع وصار منــذ الان ينصب امام صيوان الامير حمزة

قال وكان سبب غياب معقل البهلوان هو انه كان قد خرج الى الصيد واوسع بالبر وهو منفرد بنفسه لا احد رآه ولا رافقه وفيما هو يطارد الوحوش والغزلان رأى غزالة قد مرت بجانبه ونفرت مسرعة كالبرق الخاطف فاطلق من خلفها جواده وقد خفق قلبه ومالت امياله الى مسكها والقبض عليها وما برح يطاردها وهي شاردة بين ايديه حتى دخلت في روض ملتف بالاشجار حول قصر قائم في تلك الجهة فدخل خلفها وما لبث الى ان رآها قد دخلت القصر واختفت فوقف هناك متعجباً من عمل الغزال ومتحرقاً كيف تخلصت منه واخذ في ان يتأمل في ذاك المكان ويحب ان يعرف من داخله ولمن هو وفيما هو على مثل ذلك واذا بطاقة القصر قد فتحت ووقفت بها صبية من نساء المغاربة ذات خد احمر ووجه جميل رائق وعيون سوداء كبيرة تجرح من اول وهلة فانعطف قلبه اليها ومالت امياله الى معرفة اخبارها فوقف محدقاً بها الى ان بدأته بالكلام وحيته بالسلام فاجابها على تحيتها وقد اخذ عقله عذوبة الفاظها . فقالت ما الذي اوصلك الى هذا القصر وماذا اضعت عنده فاني اراك محيرًا . قال اعلمي يا وجه القمر ان غزالة كنت اطاردها فطارت من بين يدي ودخلت في هذا القصر وقد اوصلتني اليه ولم اعد اراها بعد ذلك واحترمت حمى صاحب القصر فلم اعد اسأل عن صيدها ولكن قلبي كان لا يطيق فراقها وتركها ولذلك كنت واقفاً بارتباك بين قلبي وارادتي . قالت فعلت حسناً فما انت الا من كرام الناس وامرائهم وساداتهم فان الغزالة دخلت في حماي وهي لي فهل لك ان تبدل غزالك بمثله وتشرف محلنا فتأكل

طعامنا . فسلب عقله وكاد يغيب عن صوابه وقال لها من اين لي هذا الشرف وانا غريب عنك وانت لا تعرفي من انا ولا سألتني عن اسمي قالت ان دلائل الكرام تظهر على وجوهم ولا تختفي عن بصائر اولي الالباب فضلًا عن انه ليس من كرم الاخلاق ان اسألك عن نفسك قبل ان تأكل الطعام وترتاح من مشاق الصيد وتعرف من انا

فدخل الامير معقل وهو مسرور الفؤاد وقد اسرع اليه الخدم فاخذوا منه الجواد وصعدوا به الى اعالي القصر فترحبت به صاحبته وتلقته بالاكرام والبشاشة ودخلت به الى غرفة الاستقبال فاجلسته على كرسي من الحرير محشوة بالريش النعام وهي من خشب الابنوس فجلس واخذ لنفسه الراحة برهة ثم قدم له الشراب فشرب وبعد ذلك قدم له الطعام فأكل وهي معه تظهر له كل انس ولطف وسرور بوجوده عندها . ولا يخفى ان الامير معقل كان جميل الخلقة عظيم الهيكل بهي الطلعة وقورها فعلقت به الفتاة وقدمت له كل ما في وسعها من الترحاب واخيراً سألها عن اهلها وما سبب وجودها في ذاك القصر . فقالت له ان اسمي ذات الجمال بنت حاكم طيفور الغرب وهو صاحب هذه البلاد وهذه الاراضي وقد ابتنى هذا القصر منذ ازمان يقيم فيه في زمن اشتداد الحر ولما كبر وشاخ ما عاد يطلع اليه فسألته ان يسمح لي ان أقيم فيه كل سنة مدة ثلاثة اشهر فاجابني وصار كل سنة يرسلني اليه مع جماعة من خدمي فأُقيم به ويزورني في اكثر الاحيان واريد منك ان تخبرني من انت لاني موكدة انك من قوم العرب النازلين بجوارنا لا بل من ساداتهم واعيانهم . قال لقد اصبت فاني من رفقاء الامير حمزة العرب سيد القبائل وفارس الفرسان واسمي معقل البهلوان صاحب قلعة تيزان وقد جئنا الى هذه الديار لنلاقيه من سفرته فتبعنا كسرى انوشروان بعد ان وصل الينا اميرنا ولا بد من ان نبطش به ونذله مع قومه كما فعلنا معه في السابق . فقالت له نعم الرجل فانت من السادات العظام ولذلك لم يخطىء قلبي وقد اصاب بتعلقه بك ومعك ولا ريب انك اذا كنت من كرام الناس لا ترد طلبي ولا تمنع سؤالي

واريد منك ان تصرف هـذه الليلة عندي وفي الصباح تذهب الى قومك ومتى انتهيتم من حرب كسرى بعثت الى ابي فأخذتني منـه زوجة لك ولا ريب انه يجيبك الى ذلك . قال حباً بك وكرامة وهـذا الذي تريدينه فاني متشوق اليه واذا اطعتيني سرت بك الى قبيلتي من هذه الساعة وارسلت من هناك الى ابيك رسولاً في الحال وسألته زواجك بي قالت اخاف ان ابي ينسب اليَّ العصيان وطاعتي بالمسير معك يحط من قدري عند قومي فاجابها الى طلبها واقام معها على حظ ومسرة وقد صفت الخمور واحضرت الكاسات والزجاجات ورتبت النقل والازهار واقامت معه على مثل هذه الحالة كل تلك الليلة تعاطيه ويعاطيها وهما بجنة من النعيم

قال ولما دخل الامير معقل القصر وعرف بنفسه ذات الجمال كان احد الخدم واقفاً يسمع ويرى فاسرع الى مدينة طيفور واخبر اباها بوجود احد امراء العرب عند بنته وانه كان يطارد غزالة فجـاءت القصر ودخلته ومن ثم دخل هو واقام عند ذات الجمال فلما سمع هذا الكلام اضطرب واغتاظ في داخله الا انه استعمل الحكمة والدراية وجمع اليه اعيان قومه وعرض عليهم امر بنته ومعقل البهلوان وسألهم كيف السلوك في هذا الامر الخطر فقال له احد عقلاء قومه انت تعرف ان العرب قد جاؤوا هذه البلاد منذ زمان طويل وما من احد قدر على عنادهم ومطاردتهم او اشهر بوجههم حساماً والان قد تبعهم كسرى الى هذه البلاد لاجل محاربتهم ولا ريب ان احد المتحاربين يتغلب على الاخر وعندي اننا نذهب الى قصر بنتك ونحتال على هذا الفارس العربي ونقبض عليه ونأتي به الى المدينة فاذا انتصر الفرس سرنا به الى كسرى وسلمناه اياه ونلنا منه المكافأة واذا انتصر العرب اعتذرنا اليه وسلمناه بنتك اذ لا بد له من اخـذها واصطلحنا معه ومع العرب واما الان فليس من العدل ان نظهر عداوتنا لاحد حفظاً لبلادنا واموالنا من الخراب والنهب وليس من الصواب ايضاً ان نترك هذا العربي عند بنتك على هذه الحالة حفظاً لناموسنا . فاجاب الجميع الى هذا الرأي وساروا الى قصر ذات

الجمال وفيما هي مع حبيبها على حظ وفرح وسرور وانشراح وشرب عقار ومناشدة اشعار واذا باحد خدمها قد دخل عليها واخبرها ان اباها قد دخل القصر مع بعض اعيانه فارتاعت واضطربت . فقال لها معقل البهلوان لا تخفي ولا ترتاعي فاني اعرف كيف اتصرف مع ابيك فاذا قصد عنادي اخذتك بالرغم عنهم جميعهم وسرت الى قبائل العرب واذا وافق على اكرامي اخبرته بالقصة وسألته زواجك وطلبتك منه وكانت هذه الفرصة احسن الفرص وانسبها واذ ذاك دخل ابوها الغرفة مع قومه فنهض لهم معقل واقفاً على الاقدام وهو مدجج بالسلاح . فبش حاكم طيفور في وجهه وقال له اهلاً وسهلاً بك ايها الامير فقد شرفت محلنا على غير انتظار واتيت منزلك فعلى الرحب والسعة وانني حالما عرفت بقدومك اسرعت لخدمتك لان قومك العرب نزلوا ضيوفاً في بلادنا ومن موجبات الضيف الاكرام. ومثل ذلك فعل باقي قومه وتقدموا من الامير معقل وسلموا عليه واكرموه ومدحوه فشكرهم واثنى عليهم وهو يظن صفاء بواطنهم ولم يفكر بهم الغش والخداع . ثم زادوا من الخمرة وشربوا جميعاً وهو يشرب معهم مستحياً بنفسه بينهم لعظم اكرامهم له وكذلك ذات الجمال فانها كانت لا تظن ان تلاقي من ابيها مثل هذه المعاملة وما برح الامير معقل هناك الى المساء واذ ذاك وهو جالس في مكانه وقد دارت الخمرة برأسه وكاد يغيب عن هداه هجموا عليه ومسكوه واوثقوه وهو غير واع على نفسه ورجعوا من القصر وجاؤوا ايضاً بذات الجمال دون ان يعاتبوها على عملها بل بقي ابوها يعاملها بالبشر والانس حتى وصلوا المدينة ودخلوا قصر حاكم طيفور فوضعوا به معقلاً وارسلوا رسولاً الى العرب يراقب اعمالهم مع كسرى ويأتيهم في النهاية بالخبر اليقين وما يكون بينهما وينظر من الرابح ومن الخاسر فسار ذاك الرسول واقام بين العرب يومين وفي اليوم الثالث عاد اليهم في المساء ودخل الى حاكم طيفور وقال له لقد فعلت بنفسك شراً ياسيدي فقد شاهدت في هذا اليوم ما كدت لا اصدقه واكذب نظري فلا ريب ان العرب اسود كواسر وابطال صناديد ولا سيما اميرهم حمزة فاني رأيته وانا في اكمة عالية

يطعن في اقفية فرسان كسرى وهي منهزمة كانه الموت الاحمر لا يعفو عن انسان ولا يفوته عدوه ومثله كانت تفعل فرسان العرب كانهم النار الشديدة الاضطرام اذا وقعت على القش اليابس واني انصحك يا سيــدي ان تكرم معقل البهلوان وتعتذر اليه وتترضاه وتتخلص من شر العرب فانهم لا يتركون البحث والتفتيش عليه ومتى عرفوا بما حصل له عندك زحفوا على المدينة وبساعة واحدة محوا اثارها فان العجم مع كثرتهم وعددهم الذي لا يحصى لم يثبتوا اكثر من يومين فماذا يا ترى تقدر انت وقومك ان تفعل . فلما سمع حاكم طيفور كلام رسوله قال له لقد اصبت ومن الواجب ان نتلافى امرنا مع العرب ونصطلح مع معقــل البهلوان ونسلمه ذات الجمال ثم انه في الحال ذهب بنفسه الى القصر الذي فيه معقل البهلوان ودخل عليه فوجده يزأر كانه الاسد وهو مغتاظ من الغدر به ووقوعه في ايدي حاكم طيفور . فسلم عليه فقال له معقل لم يكن بعهدي ان تسلكوا سبيل الغدر والخيانة وتأخذوني وانا امين منكم ولو انكم اسرتموني وانا على ظهر جوادي لما صعب عليَّ ولكن لا بد ان يتوصل الامير عمر العيار الى معرفة مكاني فيأتي مع العرب لخلاصي وتجازون على شر اعمالكم فقال ابو ذات الجمال انا ما غدرنا بك الشر ولا قصدنا لك ضرًّا غير ان بعض قومي حكى بعرضي فكدرني ففعلت ما فعلت خوفاً من ان تترك بيتي وتذهب الى حالك ويبقى اسم المذلة والعار عليَّ . والان الحمد لله قد ثبت لدينا انك من كرام الناس واوفاهم مروءة وكرامة وشهامة وقد جئت اليك وانت صاح لاعرض عليك صداقتنا واني ارغب في ان تكون صهري وتكون القرابة والنسابة بيننا ولا اكون فعلت امرًا مكدرًا . قال اني ارغب في بنتك ذات الجمال واريد ان تكون لي زوجة غير اني لا اريد ان اقرب منها وازف عليها الا في قبائل العرب عند قومي . قال كفانا ان نعقد عقد الزفاف عندنا ونسلمك اياها فتصبح زوجتك وا خلص من اللوم وبعد ذلك فلك الخيار ان تبقيها عندنا او ذهبت بها الى قومك . فوافقه معقل على ذلك وحينئذ احضروا ذات الجمال وعقدو زواجه عليهــا وسلموه اياها مع البستها وحلاها

وخدمها وكل ما هو لها وامر ان يسلم اليه جواده فدفع اليه فاخذه وسار بعروسه الجديدة يقصد العرب وهو لا يعرف ما جرى عليهم حتى التقى بعمر العيار كما تقدم معنا الكلام فسار واياه الى المعسكر حتى وصلا ودخل معقل على الامير ففرح به وسلم عليه وسأله عن سفرته فاخبره بكل ما توقع له وما جرى مع ذات الجمال وانه جاء بها لعمل عرسه هناك

قال فلما سمع حمزة ذلك تحركت به داعي حبه لمهردكار واطرق مدة الى الارض ثم رفع رأسه بين قومه وقال لهم انتم تعلمون انني لاقيت كثيراً وحاربت كثيراً لاجل مهردكار وانتم تتعذبون بسببي وتحاربون وتنتقلون من مكان الى مكان وقد احرمتم الراحة وبعدتم عن الاهل والاوطان اكراماً لي ولذلك لا انسى انكم من اكرم ما خلق الله صفاتاً ومروءة وحيث الان قد انتهينا من امر العجم وانهزم كسرى وانجلت اثار رجاله عن هذه الارض وقد طفح الكيل ومضى قسم من العمر اريد ان اغسل وسخ هذه المصائب والمصاعب والاتعاب بقيام العرس والفرح مدة خمسة عشر يوماً فيها ازف انا على مهردكار وعلى الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل ويزف الامير معقل على درة الصدف بنت ملك مصر وعلى ذات الجمال هذه التي جاء بها الان ومن ثم نسير من هنا الى مدينة حلب نقيم بها الى ان يظهر لنا خبر كسرى وما يريد ان يفعل . فقال الملك النعمان وباقي الامراء والفرسان لقد اصبت يا حمزة فاننا نرغب لك مثل هذه الايام ونتمنى زواجك بمهردكار وطالما اردنا ان نشتريه بروحنا واني اشكر الله الذي بعد كل هذه المتاعب منَّ علينا بكل ما نطلبه ونسأله به والان اشهر بين قبائل العرب وكل المتجمعين عندنا من حلفائنا ان ايام الافراح ستبتدىء من الغد ويكون الفرح في كل ناحية وفي كل جهة من جهات المعسكر وكل ذلك يصرف من اموال كسرى المحفوظة عندنا التي جمعناها من بلاده وعماله ويسلم امر تدبير الزفاف الى اندهوق بن سعدون وعمر الاندلسي ومن اراد من الامراء ان يكون مساعداً لهما فلا يتأخر لعلمي ان الجميع يسرون من خدمة زفاف اميرهم وفارسهم واذ ذاك تقدم عمر العيار

وقال اني لا اريد ولا اوافق على زواج اخي حمزة ولا ارغب فيه الان . فقال حمزة اني اعرف غايتك وامتناعك لاي سبب هو ولا بد بعد زمان ان يصبح مال العرب باجمعه عند جماعتك العيارين فتأخذ اموال السادات وتدفعها للعبيد . قال نعم كل واحد يسأل عن مخصصيه ورجاله وجماعتي مساكين يخدمونني بجد واجتهاد ولم اكفهم حتى اليوم. فامر الملك النعمان ان يدفع الى عمر عن كل شخص خمسمائة دينار وان يقدم لجماعته ما يكفيهم من الخمور والنوق والاغنام لتكون لهم في ايام العرس ففعل ودفع حمزة لعمر ثلاثة آلاف دينار له ولقومه العيارين وقال له هذه مقابل اكرامي لهم في مثل هذا الزفاف فكاد عمر يطير فرحاً وما صدق ان قبض الاموال حتى دعا بجماعته وسار امامهم وساروا من خلفه كسرب القطا حتى جاء اكمة ونثرها عليهم حسب عادته وهم يلتقطون حتى فرغ وبعد ذلك قال لهم اعلموا ايها العبيد ان في الغد يبدىء عرس حمزة فاسكروا واخمروا وغنوا وارقصوا وافعلوا كل ما تريدون من اسباب الحظ والمسرات والافراح والتهاني فصفقوا وقالوا انَّا الى مثل هذا الامر ننتظر وعادوا جميعاً

قال ثم ان الامير حمزة امر في الحال ان يقدم اليه فرمزتاج بن كسرى فأتى به وحالما دخل الى الصيوان نهض حمزة وقام وتقدم اليه وفك وثاقه بيده وقال له لم يهن علي ايها الملك العظيم ان تهان ويصل اليك الاذى وانت ابن كسرى انوشروان واخو مهردكار واننا نحن العرب وان تكن الحرب بيننا وبينكم قائمة وقد فزنا عليكم وفي وسعنا ان نبيد دولتكم لكننا لا نزال نعتبركم حق اعتباركم ونعرف مقامكم فهو مقدم على كل مقام ولو نظر ابوك موضع النظر ووعى الى صالح نفسه لما عمل على عداوتنا بعد ان خدمته حق الخدمة وخلصت له بلاده من عدوه خارتين . فقال له فرمزتاج لعنت النار بختك الف لعنة وربيت روح ابيه بجبال الثلج فهو جرثومة الشر ولولاه لما كانت كل هذه العداوة بل كان ابي بخير ونعمة وكنتم بطاعته وصداقته. ثم ان حمزة اجلس فرمزتاج بمكان مرتفع على الجميع وامر ان يقدم اليه كل اكرام واحتفال وعظم شأنه . ثم قال له

اخيراً اني كنت احب ان ارسلك من هذه الساعة الى المدائن باحتفال وتعظيم غير اني اريد ان تشاركنا بزفاف اختك وتفرح معنا ومن ثم تسير فتخبر اباك بذلك عساه يرجع عن السعي في خرابه وهلاك قومه ويعرف ايضاً زوبين الغدار ان امله قد انقطع وان التي يعلق آماله بزواجها قد تزوجها من هو احق بها

قال فشكره فرمزتاج وكان يظن قبل ذلك ان حمزة لا يبقي عليه ولا بد ان يقتله جزاء لابيه وكيداً له فصادف خلاف ما افتكر وملىء قلبه فرحاً وسروراً. واقام مع العرب الى المساء وفي المساء ذهب بـه الى صيوان مهردكار ولما رأته بكت فرحاً به وقبلته وسرت بعمل حمزة وشكرته مزيد الشكر وقالت له اني لا اقدر ان اكافئك يا سيدي على مثل هذه النعمة العظيمة فقد عاملتني معاملة الحنو والرفق بحيث شفقت على اخي واكرمته وما اهنته . قال اني اعرف قدر ملوك العجم واحترمهم مهما عملوا بي وانا اعرف اني اقدر على كيدهم وقهرهم ولكن لا سمح الله ان اكون انا البادىء بالشر واني حتى الساعة اذا سلمني ابوك بختك سرت اليه بنفسي وقدمت له طاعتي وخدمته كأن ما صدر منه مكروه بحقي وضدي . فقال فرمزتاج لاخته اني اراك مصيبة بحبك لحمزة فهو رجل من اكرم الناس وارقهم مع انه من اشد الفرسان واشجعهم وانا منذ هـذه الساعة اخاصم كل من يخاصمه واحب كل من يحبه ولا سيما حيث عاملني هذه المعاملة وما كنت اظن قبل الان الا بالموت والهلاك والقتل حتى سمح لي الله ان احضر زفافه في هذه الايام وفي هذه البلاد

وكانت مهردكار مسرورة جداً بعمل اخيها وبالاتفاق الذي رأته بين الامير وبينه وهي لا تعرف من نفسها بماذا تكافىء الامير على معاملته اخيها تلك المعاملة ومحبته له واملت ذاتها انه ربما ينتهي الخصام بين العرب والعجم اذا رجع فرمزتاج الى ابيه واخبره بما عمله معه وعامله به حمزة . وبعد ان ذهب الامير الى صيوانه وبقيت هي على مثل هذه الافكار وقـد نام اخوها بسرير أعدَّ له وهي جالسة تفكر فيما ستلاقي في هذا الزفاف وما يكون لها مع الامير من الراحة والرفاهية

وتنظر في كل مستقبلها نظر السعادة والاقبال . لأنها كانت تريد ان تدفن الماضي في تلك الساعة وتطلب ان تنسى كل ما وقع عليها ولم يخطر لهـا قط ان الزمان كثير الغدر وان ما املته من ان بزفافها تكون نهاية مصائبها بل ان بهذا الزفاف تزيد اكدارها ومصائبها ويكثر من حولها الاكدار والاهوال لان حول ابيها رجال المكر والكيد فلا يدعون باله يصفو او ينزل عن بغضه ويرجع عن عناده بل كل ما طالت الايام يطيل اصراره على الانتقام من العرب . وما برحت نحواً من ساعة تفكر في مثل هذه الامور وهي تارة ترتاع من زواجها هـذا كيف سيكون بعيداً عن بلادها واهلها وليس عندها من نساء قومها او قوم الامير حمزة من تتسلى به او يصلح شأنها وليس عندها الا البنات اللاتي سيكون نصيبهن مثل نصيبها ان كل واحدة ستشرب الكأس التي ستشربها هي وطوراً تتسلى من نفسها بنفسها وتقول في ذاتها يكفاني انيقال باني صرت زوجة لحمزة العرب مهما كان دون ذلك من العذاب والمشاق والوحدة والانفراد واني سأكون سعيدة بالقرب منه واني سأقوم بشأن نفسي وما هي الا مدة قليلة تنقضي وبعـد ذلك اصبح زوجة شرعية ويكون لي ولمن احبه قلبي ما يكون من روابط الزوجين غير اني لا ريب سأكون من افرح عباد الله منذ هذه الساعة وكل ما كنت اتمناه سألاقيه وانا له بالرغم عن كل حاسد وعدو فقد خلا لنا الجو ولم يبقَ بيننا الان من يكدر عيشنا ويمنع قراننا فبشراك يا قلبي بشراك ستضم في ليال قليلة لي من احببت وتنتهي بذلك احزانك وتقبل ايام سعودك لا تضطرب ولا ترتاع عند ذكر الماضي فكل ما مضى لا يحسب شيء في جنب ساعة واحـدة من الساعات والايام والشهور والسنين التي أعدت لك من حبيبك وصفيك ثم جعل السرور يطفح على فؤادها ويزيد سرورها وتردد ناشدة :

لا بلغ الحـاسد ما تمنى   فقد قضى وجداً ومات منا
ولا اراه الله ما يرو   مه فينا ولا بلغ سوءا عنا
اراد يرمي بيننـا ابيننا   لجاء في القول بمـا اردنا

ابلغكم اني اجحدت حبكم　اصاب في اللفظ واخطأ في المعنى
ظن حبيبي راضياً بسعيه　فشن غارات الاذى وسنا
مذ رأى حبي اليَّ محسناً　اساءني فعلًا وساء ظنا
يا من غدا للنيرين ثالثاً　وثاني الغصن اذا تثنى
ومن سألنا منه منا بالمنى　فمنَّ بالوصل منا ومنا
اشمتني بالضد بعد شدة　ومن تعنى بالهوى تهنا
فعد بوصل واغتنم طيب الثنا　فان ذا يبقى وذاك يفنى

وهي تدفع بكل قواها الفكرية والفوادية ثقل ذاك الليل الطويل وتتمنى انقراضه ومحوه وهي قليلة الصبر الى ملاقاة اليوم القادم اي اليوم الذي سيبتدي به الفرح . وتسمع بين تلك الجموع المتنوعة اصوات الافراح والتهاليل بداعي زفافها على من احبته وهي تتصور بهاءه وحسن طلعته وكيف سيكون مشرقاً وضاحاً بين قومه ومكللًا باكاليل البهاء والسناء ولا يكون نظيره احد فيثار جميع من يقرب منه من شروق شمس جماله وكان لسان حاله يقول :

الوجد منك عن الصواب يضلني　واذا ضللت فانه يهديني
وتيمتني الالحاظ منك بنظرة　واذا اردت بنظرة تحييني
وكذاك من مرض الجفون بليتي　واذا مرضت فانها تشفيني
فلذاك اشري الوصل منك بمهجتي　وابيع دنياني بذاك وديني

وصرفت كل ليلها على مثل هذه الحالة تفكر فيما تقدم وفيما تكون فيه في اليوم الثاني والذي بعده في مدة الزفاف ولا ترى كيف نظرت وكيف رأت باعين افكارها الا ان جمال من احبت يجلي سوداء قلبها ويسهل عليها كل صعب ويعدها بسعادة دائمة وراحة منتظرة

ولم تكن سلوى اخت المعتدي حامي السواحل اقل منها شوقاً الى ملاقاة الامير وطلب سرعة الزواج والوصول اليه وهي بنفس الافكار التي كانت عليها مهردكار غير انها كانت تزيدها بفكر كان لا يخطر لتلك وهو كيف سيكون

لها من تحبه ويكون زوجاً لها مشاركاً وقريباً وكانت تتكدر من وجود مهردكار وكم كانت تحسب نفسها لو لم تكن مهردكار محبوبة من الامير وحق لهـذه ان تحسد تلك وتتكدر منها لان مهردكار كانت موكدة انه لو وجد للامير الف زوجة لا يفضل واحدة عليها وسيقدمها على الجميع ويخصص لها اكثر اوقاته ولهذا كانت لا يكون لها بل يبقى في يدها بخلاف سلوى التي كانت تعلم انها ستلاقي بعـد زواج الامير بها بروداً وفتوراً منـه مهما كان بينها وبينه من الحب والمودة وقد مر عليها كثير من البراهين الدالة على ذلك حيث ان الامير يمضي بعض ايام لا يأتي لزيارتها مع انه كان لا يطيق تمضية ليلة واحدة لا يزور فيها مهردكار ولا يقدر على النوم دون ان يأتي صيوانها يراها وتراه ويسامرها فضلاً عن اكله وشربه على الدوام عندها وبقربها . وكانت لا تعرف كيف يكون حالها مع مهردكار وهل تقدر تحوله عنها اذا اصبح زوجها واصرت بفكرها اخيراً انها ان كانت مكرمة عنده بعد زواجها مثل مهردكار وعاملها معاملة واحدة بقيت عنـده والا سألته ان يرسلها الى مكة الى ابيه تقيم هناك

واما درة الصدف وذات الجمال محبوبتا الامير معقل البهلوان فان كل واحدة منهما كانت تهتم بنفسها وتفتكر بامرها وتدبير احوالها واصلاح شأنهـا غير ان درة الصدف كانت اكثر اهتماماً واعظم سعياً ونظراً باحتياجاتها لانها كانت غريبة وليس امامها احد من اهلها ليساعدها في مثل هذا الزفاف بخلاف ذات الجمال فانها في بلادها وكل ما تحتاجه يصل اليها ولا بد من ان تأتيها نساء قومها . والحاصل ان كل فتاة من تلك الفتيات كانت قلقة في ذلك الليل ولم ياخذها نوم لعظم تراكم الافكار شأن كل فتاة في ليلة زفافها او قبلها بليلة ولا سيما اذا كان الرجل المزمعة ان تقترن به محبوباً عندها ومعظماً في اعينها

ونهض رجال العرب في صباح ذلك اليوم نهوض المهتم بالافراح واجتمع الامراء والسادات الى صيوان الملك النعمان لجيء لهم بالطعام والشراب فشربوا وخمروا وطربوا كل ذلك النهـار وكذلك باقي الانفار فانهم انقسموا الى فرق وجماعات

وكل فرقة عندها من اسباب الحظ ما يكفيها ويرضيها فكان الفرح سائداً في كل الجهات وقد عم الكبير والصغير والملك والامير وكان عمر العيار يطوف فيما بينهم يراقب احوالهم وينظر في من كان منسياً فيأتيه بالاغنام والمدام وباقي الاسباب وقد قدم لجماعته العيارين كل ما يلزم لهم ليكونوا افرح اهل الحلة واكثرهم سروراً وطرباً وحبوراً وعلى هذا فكانت اصوات الطبول والزمور والموسيقات تضرب في كل ناحية من المعسكر والرقص وتصفيق الايدي عامل في كل فرقة حتى كان المساء فوقع الجميع سكارى وناموا الى ثاني الايام فعادوا الى ما كانوا عليه مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن اجتمع الفرسان والابطال ونصبوا ميداناً في وسط الساحة وركب كل ذي ساعد قوي من بطل وشجاع واخذوا في لعب الجريد وضرب الرماح وقد جردوها من الاسنة واظهر كل واحد بسالته واقدامه وشجاعته فتنوعوا بفنون الحرب وانواع الطعن والضرب وركب الخيل والغارات حتى كان ذلك اليوم يوم القيامة

وكان اندهوق ينازل المعتدي حامي السواحل وهما بمنزلة واحدة لا يزيد الواحد عن الاخر مقدار ذرة فتعجب منهما الكبير والصغير كل هذا وحمزة راكب على جواده اليقظان كانه من ملوك بني حمير او فراعنة مصر تحيط به الخدم والعبيد والسادات والملوك وصرفوا على مثل هذه الحال مدة خمسة ايام حتى كلّ اكثر الفرسان ومع ذلك فهم بسرور زائد وفرح لا يوصف الى ان صدر امر الامير حمزة بترك القتال وفي اليوم السادس اي اليوم الثالث عشر نصب الامير عمر صيوان اليون شاه ملك جبال قاف الذي جاء به كندك المارد من اسما بري في وسط القبيلة ونصب عند بابه علم كسرى المعروف ببيكار الاشتهار وهو يلوح ويخفق وعلى رأسه بيضة تتوقد من الالماس لا تقدر النواظر تحدق بها مقامة على عامود من الذهب الاصفر مصقول من رأسه الى اسفله ومنقوش بالنقوش البديعة الصنعة وفي مقدار كل قيراطين بقعة من الترصيع تجمع كثيراً من الحجارة كل واحدة بلون واحد من اخضر واحمر وزمردي وابيض وغير ذلك وعلى ارتفاع ذراع من الارض

معلق ببيكار الاشتهار سرير من الذهب عليه افرشة من الحرير محشوة بالقطن الناعم كان يجلس عليها كسرى في وقت الافراح وفي آخر ذلك العلم اربعة قوائم من الذهب كانت تحمل رجال كسرى وحجابه عند ما كان يسير ويجلس على السرير او كان في وقت الحرب وقد طلب الانهزام خوفاً من ان ينفرد بنفسه فيعلم قومه انه تحت بيكار الاشتهار فيسيران من حواليه الى ان يتخلصوا من العدو . فكان ذاك الصيوان وذاك العلم بهجة للناظرين تأتي قبائل العرب وطوائفها للفرجة عليهما

ولم يكن الا القليل حتى جاء حمزة بثياب الملك سليمان المرصعة بالجواهر واليواقيت وقد تقدم الكلام عنها في محله وجلس على كرسيه في الصدر ومن ثم دخل الصيوان الملوك والفرسان وجعلوا في مواضعهم وكل واحد منهم بالزينة الفاخرة واثواب البهجة فاصبح ذاك الصيوان يعج بالزائرين ويضج بالفرسان ولما تم اجتماع الامراء وانتظروا طلب الملك النعمان قاضي العرب الذي كان في قومه ان يعقد للامير حمزة على عروسه مهردكار وسلوى ولمعقل البهلوان على عروسيه درة الصدف وذات الجمال ففعل وشهد كل الحضور قبول المتعاقدات ودعا لهم القاضي بالتوفيق والنجاح . ثم بعد ذلك تقدم الملك النجاشي من الامير حمزة وهنأه بهذا الزفاف السعيد وقال اني اشكر عناية المولى سبحانه وتعالى الذي سهل لي ان اقاتل بين يديك اهل الكفر والطغيان وسهل لي ان احضر زفافك واقاسمك به وافرح لفرحك فزاد الله عظمتك وجعل كل ايامك مقرونة بالفرح والسعادة والاقبال . ثم انشد وقال :

تبسم ثغر الافق عن شنب الفجر   فهيج اشواقي الى ألعس الثغر
وشقت جلابيب الشقيق يد الصبا   كما مزقت جيب الهياض يد النهر
وناحت على العيدان هاتفة الضحى   فجالت عيون الطل في انجم الزهر
وغضت عيون النرجس الغض عندما   تبدم ثغر الزهر عن حبب القطر
وابدت نهود الجلنار اشعة   مركنة في سمر اعطانه الخضر

لدى روضة ابدت سماء زمرد   عليها نجوم قد طلعن من التبر
وحيث الدجى ولى بادهم ليـله   وقد جدّ الى ادراكها اشهب الفجر
وحيث تولى بعده القلب خافقاً   كموُود كئيب غاله حادث الدهر
وحيث السهى قد رق من عظم شوقه   لرؤية بدر التم في رابع العشر
وحيث سهيل مقتف اثر زهرة   كحداد بنوق قد اظلّ على قفر
وحيث ترى الجوزاء في افق غربها   وشاح لجين قد ادير على خصر
وحيث ترى الاكليل في مفرق الضحى   كمائم ورد كللت اوجه النسر
اجل ملوك الارض جدّا ووالدًا   وحسبك آباء خضارمة البحر
تملك رق الجواد واستخدم الغنا   فلم يبق عان يشتكي الم الفقر
ينيل محبيه ويغني عداتـه   فيأتي على الحالين بالنفع والضر
لطيف المعاني كامل الحسن والبها   حليف المعالي طاهر السر والجهر
فما الصبح الا ما ابان من الرضى   وما الليل الا ما ابان من الفجر
وان رام مداح الثنا وصف مدحه   فاوصافه تملي واقلامهم تجري
معاليه لا تحصى لفرط اعتلائـه   كذاك معانيه تجل من الحصر
من القوم حلوا كل آفاق دولة   فهم في سماء العز كالانجم الزهر
سراة المعالي زهر افاق سعدها   جبابرة الهيجا اكاسرة الدهر
لحبك يا فرع المكارم والعلا   اصول زكت في روضة المجد والفخر
اهنيك بالافراح يا ركن عزها   وقهر عدو الله طاغيـة الكفر
بقيت بقاء الدهر فينا اذا انقضت   اواخر عصر عاودت مبتدا عصر
ولا زلت ذا فعل جميل مصدق   بقول مطاع النهي ممتثل الامر

وبعد ان فرغ الملك النجاشي من شعره مدحه الامير حمزة وشكر من حبه وغيرته واثنى عليه مزيد الثناء . وبعد ان جلس في مكانه تقدم بعده عمر الاندلسي وبعد ان ادى ما هو واجب عليه من فروض الهناء انشد فقال :

لا زال سعدك دائماً   ونحور ضدك داميه

وعدو ملكك هائماً وسحاب جودك هاميه
وحسود فضلك سائماً وسعود مجدك ساميه
والنصر حولك حائماً وصدور ضدك حاميه
مولاي ان اك شائماً تلك البروق الساميه
اغدو لمجدك رامياً ويد النوى لي راميه

ثم ابدى بعده الملك النعمان الهناء للامير حمزة واظهر سروره وافراحه بنوال غايته وانشد فقال :

بنيت العلا قبل هذا البناء لذلك اضحى محل الهناء
رحيب الفناء رفيع البناء مشيد الثناء عزيز السناء
فاصبح وهو مقيل الضيوف عرين الاسود كناس الظباء
فلا زلت تلبس فيه الغنى وتسمع فيه لذيذ الغناء

وبعد ذلك تقدم اندهوق بن سعدون من الامير وقبله واذرف دموع الفرح وقال اني لمثل هـذا اليوم السعيد كنت اشتهي واريد حتى منّ الله عليّ به واوصلني اليه فانا الان من افرح عباد الله اشكره على مثل هذه النعمة التي لا تعد ولا تحصى فساعة من ساعات هذا النهار كافية لان تنسينا كل ما مضى علينا من المصائب والاهوال والغربة والمشاق ومحاربة الاعـداء . ثم انه انشد :

يا زهر روض يقتطف وهول تم في سدف
اشرب هنياً فالطلا اجلا شراب يرتشف
وانشق ازاهر روضة خلنا شذاها المقتطف
والثم ثنـايا غادة حوت الملاحة والطرف
واطع نصيحك في الهوى ودع التحمل والكلف
يا من علا اعلى شرف اذ حاز بالنسب الشرف
اصبحت منهاج الهدى ونهجت منهج من سلف

اوضحت شاكلة الصوا ... ب فكنت عن سلف خلف
وطلعت في افق الزما ... ن طلوع نجم في سدف
لو لم تكن روضا لما ... ابديت زهراً يقتطف
يا بدر مجد قد اضا ... وسحاب جود قد وكف
لا زلت تبقى جامعاً ... جمل المحاسن والظرف
ولقيت اسباب الهنا ... ووقيت دائرة التلف
ما مد زاخر راجز ... وابان دراً في صدف

فشكر الامير حمزة من محبة اندهوق واثنى عليه مزيد الثناء لعظم ما ابداه نحوه من الشعور والاحساسات الصادقة التي لم تكن وقعت بين اخين او صديقين قبلهما ثم جلس اندهوق في كرسيه فتقدم بعده المعتدي حامي السواحل وقبل الامير واظهر مزيد سروره وفرحه بزفافه وشعوراً بذلك انشد :

آلى الزمان عليه ان يواليكا ... يثني عليك ولا يأتي بثانيكا
فان سطا فبأحكام تنفذها ... وان سخا فبفضل من مساعيكا
لين ذا العرس حظ منه حين غدت ... علاه ثم حلاه من اياديكا
مجملاً باياد منك فائقة ... معطراً بغوال من غواليكا
وافى يهني بك الدنيا ونحن به ... يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من يضاهيك فيما حزت من شرف ... ومن يدانيك في حكم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهي قاصرة ... عن بعض أيسر شيء من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها ... والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر ... اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجد فمن علياك مكتسب ... وكل فخر نراه من حواشيكا
وما حكى السلف الماضي وحدثنا ... به من الفضل بعض من معاليكا
تعنو لعفتك الزهاد مذعنة ... ويحسد الفلك الاعلى معانيكا

ثم بعد ان جلس المعتدي حامي السواحل نهض قاهر الخيل وهنأ الامير واظهر

فرحه وسروره واشار مادحاً :

يا ابن الاماجد انت من ... اي الافاضل وابن مَن
كذبِ الذي حسب الزما ... ن اتى بمثلكم وظن
ايقاس ما غرس العــلا ... يوماً بخضراء الدمن
والآل بالغيث المغيـ ... ـث اذا توالى او هتن
والمجد سار الى جنا ... بك من ابيك على سنن
وبك المناصب فخرها ... دون الورى من قبل ان
فاليك مني روضـة ... بالشكر يانعة الفنن
لم لا يطير بي الرجا ... ء الى حماك مدى الزمن
وبذرت لي حب المنا ... ونصبت لي شرك المنن
وملـكت رق مدائحي ... بالخلق والخلق الحسن

وما برحت الفرسان واحداً بعد واحد تهنىء الامير وتمدحه حتى فرغ الجميع وانقضى النهار وجاء الليل وصرفت السهرة على مثل ذلك ومن ثم جاء الامير حمزة صيوان مهردكار فوجده مزيناً بالزين الفاخرة ومـكللاً بالزهور الزكية الرائحة البهية الالوان وروائح العطر والند تنبعث منه ونظر الى مهردكار فوجدها كانها البدر في رائعة النهار وقد برزت بحلة مزركشة نظيفة ووضعت على رأسهـا اكليل من الزهور البيضاء يتخللها بعض زهرات حمراء وزرقاء ومنتورية وافرغت عليها ايضاً كل حلاها وجواهرها التي جاءت فيها من بيت ابيها حين خروجها مع اندهوق بن سعدون حتى خيل له انها من ابدع حوريات الجنان قد جاءت اليه نعمة من ربه ولما رأته وكانت بانتظاره وقفت اكراماً له وتقدمت منه وقبلت يديه فقبلها في خدها وكان بشوق زائد الى قتل هيامه وغرامه وما لاقى من شدة الفراق والوله في السنين الماضية فتناولها وصرف ليله على الحظ والراحة والهنـاء والمسرة يقوم ويقعد ويسـكر ويخمر وهي تبدي له كل ما في وسعها لسروره وانشراح صدره غائبة عن الصواب لعظم ما نالها من المسرات لا تصدق انها في نفس تلك الليلة ولا تصدق

ان الامير قد قرب منها واصبح زوجها شرعاً وفعلاً وصارت منذ ذلك الحين امرأته المعروفة عند الخاص والعام وما برحا على مثل تلك الحـالة حتى اغاظتهما مفاجئة الصباح وكدرتهما رحلة الليل الذي كان عليهما اقصر من شبر النملة . وحينئذ نهض الامير الى ثيابه فلبسها وتزين وخرج بعد ان وعد مهردكار الى العودة في غير ليلة وجاء الى صيوانه فوجد امراء العرب وملوكها بانتظاره فترحبوا به وهنأوه بما لاقى وبانقضاء اشواقه . ومهردكار تحبل من الامير بولد ذكر يدعى قباط ويكون سلطان العرب وحاكماً فيهم وفي نفس تلك الليلة دخل الامير معقل ايضاً بدرة الصدف ولاقى كل ما يسره وخرج مسروراً منشرح الصدر فهنـأه الامراء والاعيان

قال وصرف العرب ذاك اليوم بالفرح والمسرة والهناء والغناء وقد ذبحوا الاغنام والنوق وفرقوها على عموم الرعية واطعموا الفقراء والمساكين وما بقي طرحوها في الفلاة لتأتي وحوش البر وطيور السماء فتشبع ويمتلىء بطنها فتدعوا لصاحب هـذه الوليمة وتشكره وتهنيه بزفافه وتعلم انه تزوج بمهردكار وعند انصراف السهرة ذهب الامير معقل الى صيوان ذات الجمال ودخل بها وصرف ليله بالمسرة والانشراح ومعقل البهلوان هذا لم يأته ولد ذكر قط لا من ذات الجمال ولا من درة الصدف . وجاء الامير حمزة في نفس تلك الليلة الى صيوان الاميرة سلوى فكان مزيناً بكل زينة فاخرة ولم يكن اقل بهاء من صيوان مهردكار فلاقته وترحبت به وقبلت يديه وابدت له كل مؤانسة وملاطفـة واستئناس وجلست واياه على سفرة المدام الى ان لعبت الخمرة برأسيهما فنهضا الى المنام وقد تقدم معنا ان الاميرة سلوى كانت باعلى درجة من الجمال والاقدام فسلمت بنفسها الى الامير وكان حظها منه في تلك الليلة نفس حظ مهردكار الى ان اشرق الصباح فخرج الى الصيوان العام وكان ذاك اليوم هو الاخير من ايام الافراح فبعد التهنئة والثناء على الامير ختم العرب افراحهم بالصلاة والشكر لله على توفيقهم ونجاحهم وعلى ما اولاهم من الفوز والنصر والتوفيق ودعوا لاميرهم بالبقاء وطول العمر

ودوام السعادة والاقبال وبقي العرب عدة ايام بعد ذلك في تلك الارض والامير يصرف اكثر وقته عند مهردكار وهو لا يمتلىء من حسنها ولا يفتر عن اشتداد غرامه وكانت هي ترى من نفسها انها في مجرى السعادة والاقبال وان العذاب والمشاق قد انقضى ولم يعد اليها الدهر بما تكرهه ولا ترغب فيه وقد غاب عنها ان الدهر كثير الغدر ان اضحك يوماً ابكى اياماً وان ذاقها ساعة حلاوة عيشة اشبعها سنين مرارات غدر وكيد فما كانت تلك الايام الا وسيلة عذاب تتذكرها عند احزانها ومصائبها وتتمنى بتحرق رجوعها وتندم على فواتها لتقيس بينها وبين ما تلاقي في زمنها الاتي اذ ما من وسيلة لرجوع السلام بين ابيها وبعلها

واما الاميرة سلوى فانهـا كانت تصرف كل عنايتها وجهدها لتجعل الامير ينصف بينها وبين مهردكار فلم تنتفع من ذلك ولا قدرت عليه لان الامير لم يكن ظالماً غير ان قلبه كان مولعاً كل الولوع ببنت كسرى وما صدق ان نال مراده منها وصارت زوجته فكان لا يأتي سلوى الا في الاسبوع مرة او في كل اسبوعين مرة وهي صابرة عليه مؤملة بان هـذا الحب لا بد ان يقل من جهة مهردكار ويضعف فيعاملها مثلها غير انها كانت في الاخير تراه قد اشتد وكثر وعظم وفتر من جهتها وبرد فاغاظها ذلك ورأت نفسها انها حامل ففرحت واقسمت انها تفارق الامير والعرب وتذهب الى مكة فتلد هناك ولهذا عند ما زارها الامير وجدها قد هيأت ملابسها وكل احتياجاتها فتعجب منها وقال لها لما ذلك قالت اني اريد ان اذهب الى مكة المطهرة الى امك وابيك وانتظر هناك قدومك وانا بانتظارك لاسألك ان تبعثني الى هناك قال هذا لا يمكن ولا اريد ان تفارقيني قالت اني وطدت العزم ونويت كل النية فاذا شئت ان ترحمني ولا تظلمني لا تمنعني من غايتي والا فاني اموت في الحال فلا خير في البقاء فجعل يتلطف بهـا ويعدها بكل خير وهي لا تقبله ولا ترضى ان ترجع عن عزمها . وفي الصباح اخبر اخاها بذلك وسأله ان يترضاها ويسألها البقاء بين العرب فذهب اليها واخبرها بما طلبه الامير فأبت وقالت اني لا اطيق البقاء واريـد من كل قلبي ونيتي ان اذهب الى الحجاز

واقسمت الاقسام العظيمة اني لا بد ان اسافر او اموت . ولما رأى الامير ان لا بد من مبارحتها ومسيرها الى مكة دعا بالامير عقيل وطلب اليه ان يسير الى مكة المطهرة مع الاميرة سلوى وان يصحب معه كل ما يحتاجه من المؤن والخدم والرفاق ودفع اليه كل شيء . ثم ان الامير ودع سلوى وبكى لفراقها وخرج مع اخيها وباقي الاعيان لوداعها يوم كامل وعاد حزيناً على بعدها لانها زوجته واخت اكبر فرسان قومه ومساعديه في ضيقاته وشداته . وبعد ان رجع دعا بفرمزتاج اخا مهردكار وقال له انت مخير الان بالبقاء عندنا وبالذهاب الى بلاد ابيك فاختر لنفسك ما يحلو . قال اريد ان تسمح لي بالذهاب الى بلادي لاخبر ابي بما فعلت معي من الجميل واريد ان اكون واسطة صلح بينك وبينه عسى ان الصدف تساعدني فاكيد بختك وافوز بالمطلوب . فاجاب الامير حمزة طلبه وجهزه بموكب عظيم من خدم وعبيد ومواش ونوق يستعين بها في سفره وخرج مع سائر ملوك العرب وفرسانهم لوداعه وودعته اخته وبكت لفراقه وبكى لفراقها وسألته ان يجهد نفسه الى مصالحة العرب والعجم

قال وصرف العرب مدة ستة اشهر في طنجه الغرب بعد تفريق جيش كسرى وارتياح ضمائرهم وهم براحة وراد شنان . وبعد ذلك اجتمع العرب باجمعهم في صيوان الملك النعمان وتفاوضوا فيما يفعلون اذ ليس من الصواب ان يبقوا في تلك الارض وان من الضروري ان يعرفوا غاية كسرى وماذا يقصد وهم مؤكدون انه بعد هذه الكسرة لا يسكت ولا بد من العود ثانياً الى القتال او استعمال وسائط اخر لاذلالهم وكيدهم فقال الامير عمر ان من رأيي الذهاب من هنا الى مدينة حلب فنقيم هناك ونستخبر عن العجم وملكهم ونعرف هل في نيتهم القتال او الصلح والسلام . فاجاب الجميع هذا الطلب ورأوه عين الصواب وعليه صدر امر الامير حمزة بالاستعداد للركوب والمسير عن تلك البلاد ليروا ما كان من امر عدوهم . فاهتم العرب بالرحيل واستعد كل واحد الى السفر حتى كان صباح يوم ركب الامير حمزة على جواده اليقظان وتقدم في اول الفرسان وركب من بعده

كل فارس وبطل وركب النجاشي برجاله الحبشة وعمر الاندلسي بابطاله الاندلسيين ورحلوا عن تلك الارض وبارحوها بعد ان اقاموا بها عدة سنين وقد ملأوا السهل والجبل ومواشيهم ونوقهم وانعامهم تكاد لا تحصي كلها من اموال كسرى انو شروان وما نهبوا وسلبوا منه وداموا على مسيرهم مدة ايام وشهور حتى وصلوا الى مدينة حلب وتبينوا اسوارها فبعثوا برسول الى نصير حاكم المدينة فسر جداً بقدومهم وكذلك اهل البلد لانهم كانوا من الطمع على جانب عظيم يحبون الارباح فيكسبون من العرب الاموال عند حلولهم عندهم

ثم ان نصيراً خرج برجاله واعيانه الى ملاقاة الامير حمزة وقومه ولما التقى بهم ترجل وترجلوا وسلموا على بعضهم البعض ثم ساروا حتى وصلوا من ضواحي المدينة فضربوا خيامهم وتفرقوا من حواليها كل فرقة في ناحية . وبعد ان اقاموا مدة ثلاثة ايام دعت العرب بنصير الحلبي وقالوا له نريد ان نعرف ماذا جرى على كسرى وهل عندك طرف من اخباره . قال ان اخباره كانت قد انقطعت عنا ولم نعد نسمع عنه شيئاً مدة طويلة غير ان بعض المسافرين في هذه الايام الاخيرة اخبر انه رأى عساكر قد جاءت الى مدينة المدائن ونزلت حواليها ولا اعرف غير ذلك . فقال حمزة ان كشف اخبار العجم لا بد منه ولا يقدر على ذلك الا عمر العيار فقد يمكنه الذهاب وكشف الاخبار دون ان يطلع على امره احد ثم امره بالمسير الى بلاد كسرى واوصاه بان يقبل عنه ايادي بزرجمهر ويستشيره في كل اعمالهم

فاجاب وفي الحال غيّر ملابسه وتزيا بزي الاعجام وانطلق في بر الله الاقفر مدة ايام وليال حتى وصل الى المدائن فرأى العساكر متجمعة هناك وقد سدت الفضاء شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً فثبت عنده ان كسرى لا يزال على عناده فتخلل الجيوش وهو يتفرج عليها حتى جاء ابواب المدينة ودخل منها فلم يعرفه احد ثم جاء الايوان ووقف بين الحجاب يراقب اعمال كسرى وقد لاحت منه التفاتة الى الداخل فرأى كسرى كعادته جالساً في صدر الايوان وحوله وزراءه واعيانه ورأى رجلاً عظيماً عن يمين الملك يقاربه بالعظمة والجلال وهو لابس ملابس الملوك

الكبار اصحاب التيجان والصولجان وعن يسار كسرى ايضاً غلاماً امرد الوجه ابيضه لا نبات بعارضيه وعليه ملابس كبار الفرس وكسرى يقدم لهما الاكرام والاحترام . فقال في نفسه لا بد ان يكونا من عظماء الفرس وقد دعاهما لمعونته وصبر الى المساء ليسأل بزرجمهر عنهما ومـا صدق ان اقبل المساء وارفض المجلس وذهب كل واحد في ناحية فسار عمر في اثر بزرجمهر الى ان دخل قصره فتقرب منه وحياه وقبل يديه فعرفه وفرح به وسأله عن اخيه والعرب. فقال له هم بخير وقد جاؤوا الى مدينة حلب يراقبون اعمال كسرى وقد بعث بي الامير حمزة اليك لاستشيرك في امر القتال ولاقف منك على حال الاعجام وما كان من امرهم وماذا يقصدون ان يعملوا . قال ان كسرى بعد ان انهزم من امام وجه العرب جاء سبنير مدينة الاكاسرة التي اصلهم منها فاقام هناك مريضاً ستة اشهر ولما شفي وعادت اليه صحته جاء المدائن وهو مكدر مغتاظ من عزم ما لحق به وبختك يزيد في غيظه ويعظم في وجهه ذنبكم وفي ذاك الوقت وصل اليه ابنه فرمزتاج واخبره بما كان من امر زواج اخيك بمهردكار وعرسه فزاد هذا من غيظ كسرى ولم يسمع لنصيحة ابنه الذي سأله ان يترضى العرب ويحصم النزاع بينهما بل ان بختك حيث قال له على ما يظهر ان العرب ينوون خلع ملكك وخراب بلادك وربما موتك ولو كانوا كما يزعم فرمزتاج لما هجموا على صيوانك واخذوا بيكار الاشتهار وهو العلم الفارسي الذي من ملكه ملك العجم وكان حاكماً وعلى هذا فيكون في نية حمزة ان يجلس على كرسيك اما في حياتك واما بعـد موتك حيث ان نسبه قد اتصل بنسبك وتزوج ببنتك وجميع قبائل العرب والعجم تخافه وتخشاه فلا يرى ممانعاً ولا مدافعاً ففي صلحه خطر عظيم علينا اكثر مما في حربه فمال كسرى اليه ونوى على تجدد الحملة على العرب وكاتب البلدان ان يمدوه بما امكن من العساكر والجيوش والفرسان فوردت عليه ولا تزال ترد

قال اني ارجوك يا سيدي ان تفيدني عن الرجل العظيم الذي كان جالساً الى يمين كسرى وعن الغلام الذي كان الى يساره فانهما على ما يظهر من الاجلاء

الفخام اصحاب المناصب العالية . قال اتبت فان الرجل العظيم هو ابن عم كسرى واسمه افلنطوش واما الذي تقول عنه غلام فهي انثى لا ذكر غير انها تدعي انها من الابطال وقــد تعهدت لـكسرى ووعدته بقتل الامير حمزة واسمها طوربان بنت ابن عم كسرى والان كل الرجاء والمعول عليها وقد تعلقت الامال بها وتيقن كسرى ان طوربان قادرة على قتل الامير

فضحك عمر وقال اكان من البنات ان يعدنَ بقتل الامير حمزة ولا بد اذا سمع بذلك يَغتاظ ويقصد العجم الى هذه البلاد ليرفع الطمع من رؤوسهم ثم ان عمراً استشار الوزير في كيف يـكون القتال . فقال له كسرى لا بد ان يقصد حلب فالتقوه هناك ولا بد ان الله سبحانه وتعالى يزيد في نجاحكم واني على الدوام ادعو لـكم لتذلوا دولة الـكفر وترفعوا كلمة الايمان فاقرِ مني السلام ملوك قومك ولا سيما اخاك واوصيه ان يبقى على عناد كسرى الى ان يفوز بالمطلوب فان هذه غاية الحق سبحانه وتعالى نعم انه سيمر عليكم ايام نحوس وتلاقون تأخيراً في اماكن كثيرة غير ان الله معكم ولا يسلم باخيك للاعداء مهما جرى عليه . فشكر عمر من الوزير وقبل يديه وخرج من عنده وجاء الى مدينة حلب ودخل على العرب فتلقوه وترحبوا به وشكروا مسعاه بسرعة القدوم وقال له حمزة اخبرنا ماذا رأيت وهل ان كسرى على نية القتال . قال انه لا يزال مصرّاً على اخذ الثأر وجمع القوات وقد رأيت حول المدائن جيوشاً كثيرة جمعت مجدداً فوق التي انهزمت معه ولما جئت الى الايوان رأيت ملكاً عظيماً الى جانب كسرى وغلاماً الى يساره وسألت بزرجمهر اجابني ان الرجل المهاب هو افلنطوش ابن عم كسرى والغلام هو بنته وتدعي البسالة والاقدام وقد وعدت بكسر العرب وقتل فرسانهم على اني رأيت منها جمالاً وبهاء وانا اظنها فتى اعجبني فقلت في نفسي جعلها الله من نصيب العرب لانها اشبه الناس بمهردكار في تقاطيع جسمها ولون وجهها وسود عينيها ومن لا يحقق النظر بينهما لا يعرف الواحدة من الثانية . فقال الامير حمزة وهل هذه وعدت بقتلي . قال نعم . ثم اخبره ايضاً بما قال الوزير

عن ايام النحوس وعن البقاء بحلب . فقال حمزة من يعرف الى اي زمان تكون مدة اقامتنا واعرف جيداً ان كسرى يحب التطويل لانه في بلاده ونحن غرباء في هذه الارض ومرادي انهي امر هـذه الحرب وارجع الى مكة المطهرة أُقيم عند ابي واهلي فهلم بنا نركب في الحال ونسير في عرض البحر ونفاجىء كسرى دفعة واحدة فنمتلك بلاده ونطرده عنها فالوقت اصبح على النهاية بيننا وبينه . ثم ان حمزة نهض واعلن بين العرب الاستعداد للرحيل بعد قليل من الايام وكان اكثر الفرسان والابطال والقواد والجنود قد اخذوا لهم زوجات من نساء حلب واختلطوا بهم كل الاختلاط

وبعد نحو خمسة ايام ركب العرب باجمعهم مع من انتصر لهم وساروا عن مدينة حلب يقصدون المدائن وفي مقدمتهم الامير حمزة وهو كأنه البرج المشيد مدجج بالسلاح ومن تحته جواده اليقظان كأنـه السرحان وفوق رأسه بيكار الاشتهار يلوح ويخفق ويلمع بما عليه من الذهب والجواهر ويظهر للرائي انه من اعظم الاكاسرة واكابر الملوك العظام وبين يديه عمر العيار نقمة الانس والجان وعفريت ذاك الزمان وهو يقفز كالغزال وينطلق باسرع من ريح الشمال تارة الى اليمين وطوراً الى الشمال وقد وزع بعياريه تسير بين ايادي الفرسان وامام هوادج النساء وما برحوا يتقدمون حتى جاؤوا المدائن وتبينوا اسوارها ورأوا ما حولها من الفرسان فعرجوا الى ناحية متسعة وضربوا خيامهم بها ونصب الامير حمزة صيوان اليون شاه في وسط المعسكر وضرب عنـد بابه علم بيكار الاشتهار وضربت صواوين الامراء والملوك من حواليه وسرحت من خلفهم النوق والفصلان

وبلغ كسرى خبر اتيان العرب ففرح وقال لقد قربوا علينا الطريق ولا بد من هلاكهم في هذه الارض لاننا في بلادنا نقاتل براحة واطمئنان وننام عند نسائنا وفي اسرتنا ثم امر ان تخرج امراؤه وتضم الى المعسكر فخرج الجميع وخرج هو ايضاً وضرب له صيوان في نصف المعسكر ونظر الى جهة العرب فرأى انتشارهم وكثرتهم وشاهد صيوان حمزة وهو كأنه الكواكب اللامعة

تضيء في وسط الظلام فاستصغر نفسه وحكمته واحساساته بفضل الامير حمزة وانه مسعود الطالع موفق الاعمال وان شأنه يعلو ويرتفع على الدوام. ولما وقعت عينه على بيكار الاشتهار ورآه مضروباً امام الصيوان انفطرت مرارته وكاد يغيب عن صوابه والتفت الى وزيره بختك وقال له الم ترَ الى صيوان حمزة وحسنه وكيف ان بيكار الاشتهار مضروب امامه فقد غاب عني وعيي وطار عقلي. قال الم اقل لك ان العرب يحبون العظمة والفخار وانهم يقصدون منك نزع سلطتك شيئاً فشيئاً لتكون لهم ويقيمون الامير حمزة مكانك فما انه يقتدي بك ويظهر بعظمتك حتى كل من رآه لا يظن انه انقص مقاماً منك لا سيما وقد اخذ عام العجم الذين يجتمعون تحته وهو من عهد اجدادك وابائك. الا اني اعدك ان في هذه المدة لا بد من ابادة العرب وكسر شوكتهم وانقراضهم وعندي ببركة النار ان تكون هذه الايام آخر ايامهم فنجعل بطون ارضنا مدافن لهم. وكان افلنطوش حاضراً. فقال اني اقسم بالنار والنور وتربة جدنا سابور لا بد لي من اذلال العرب وهلاك الامير حمزة وكل من انتصر له في هذه المرة ونزع علم بيكار الاشتهار باقرب وقت ونهب كل الاموال والامتعة التي معهم ولا سيما هذا الصيوان الذي اراه اعظم من صيوانك وابهى

قال وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان على نية ان يباكروا الى الحرب والقتال وفي الصباح نهض كسرى من منامه وركب جواده وتقدم في الوسط محاطاً من الحجاب والحراس وركب افلنطوش وبنته طوربان وزوبين الغدار وهو الى جانبها ينظر اليها وقد وقعت من قلبه وحركه خبثه الى زواجها فاراد ان يريها قتاله في ذاك النهار. وكذلك ركب العرب من كبيرهم الى صغيرهم وتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم الامير حمزة البهلوان فارس الانس والجان وهو على جواده اليقظان اعظم من كسرى انوشروان. ولما رأى ان جيوش العجم قد صارت في وسط الميدان اطلق لجواده العنان ولما صار في الوسط التفت الى جيشه واشار اليهم بالحسام ان يهجموا من اليمين والشمال ويتبعوه في الحال. واقتحم ذاك

البحر العجاج المتلاطم باعظم الامواج وهو ينادي ويلكم عبدة النار ونسل الاوباش والاشرار . قد عدتم الى الحرب بعد ذاك الانكسار . وما وعيتم الى افعال حمزة مذل كل جبار ومبيد كل فارس مغوار . فاليوم آخر الايام عليكم فاستعدوا للفناء والبوار . ولم يكن الا قليل من الوقت حتى انتصب سوق الحرب واضطرمت ناره بلهيب الاشتعال وقامت القيامة من كل ناح وعلا الصراخ والصياح والتقى كل خصم بخصمه يقصد اعدامه ومحو اسمه فغنى السيف القرضاب في محكم الرقاب واتخذ له في الصدور مقاماً رفيعاً وفصل بين الاجساد والارواح فصلًا سريعاً فكم من رأس قد طار في ذاك النهار وكم من دم قد فار واندفق الى الارض كالانهار فعظم الخطب وعم الكبار والصغار . فوقع السلب والقتل في كل ناح تحت ذاك الغبار الذي ارتفع واتسع بالانتشار وحجب من الشمس الانوار واخفاها عن الابصار حتى ضاقت انفاس الفرسان وتمنت الموت والقلعان . وشرب كأس الهوان ولا الرجوع بالخيبة والخذلان . وكان زوبين يقاتل في ناحية منفردة من المعسكر وهو يلحق بطوربان وهي تبعد عنه وتنفرد من مكان الى مكان حتى اخيرًا تركت القتال وضجرت من فعل هـذا الخبيث الخوان . لان نفسها ضجرت كل الضجر وكرهت في الحياة من ان ترى ذاك الوجه القبيح المهان . واما الامير حمزة فانه اجهد نفسه بالحرب وجود الطعن والضرب فقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن وبدد الفرق في كل الجهات وانزل عليهم ميازيب الويلات والحسرات ورماهم بشهب الهلاك والمات ورماح الفناء والشتات فكان ايما حل تفرقوا واضطربوا ومالوا من امامه وهربوا املًا بالنجاة وطمعاً بالحياة لان عزرائيل الاكبر كان يرافق حسامه فلا ينفك عنه لرواج عمله ومهنته وكان الفرس ايما ساروا يروا حمزات العرب واقفة فان اندهوق بن سعدون لم يقصر في ذاك النهار وقاتل قتال كل صنديد جبار وفعل مثله المعتدي نسل الاخيار وقاهر الخيل البطل المغوار ومعقل البهلوان وعمر الاندلسي وكل فارس كرار وما صدق الاعجام ان مالت الشمس الى الغروب وضربت طبول الانفصال حتى تركوا

الحرب والنزال وعرجوا عن ساحة القتال . ورجع فرسان العرب كاسود الدحال متكدرين من فراغ ذاك النهار وانقراضه دون نوال المراد من الاعجام الاشرار

قال وبات الفريقان يتحارسان الى ان اشرق صباح اليوم الثاني فعادوا الى ما كانوا عليه من القتال وخوض معامع النزال فاقتتلوا والتحموا وصرفوا ذاك اليوم بحالة اليوم الاول بل اعظم منــه الى المساء فرجعوا عن القتال الى اليوم الثالث وداموا على مثل ذلك مــدة عشرة ايام حتى وقع النقص بالعجم ورأوا سرعة انقراضهم وعرفوا اكيداً انهم اذا قاتلوا مدة خمسة ايام أُخر لا يبقى منهم ولا نفر ولذلك دعا كسرى بقومه وقال لهم ان النصر سيكون للعرب على كل حال لانهم قد طالوا واستطالوا ونالوا كل ما تمنوه وعن قريب يدخلون المدينة ويجلسون على كرسي الاكاسرة فانظروا في امر نرى به الفرج والا دخلنا وقفلنا الابواب وحاصرنا في الداخل الى ان نرى الفرج وتنعم علينا النار ببركتها وتبعث لنا بالنصر فقال بختك اني ادبر هذا الامر بنفسي وفي الغد يكون النصر ان شاء الله عن يد زوبين الغدار فيقتل حمزة ويتبدد من بعده قومه . وكان زوبين في كل هذه المدة مشغل البال من جهة طوربان ومتكدر من نفورها منه وكرهها فيه وتركها القتال وقد قرب منها ذات يوم وقال لها لما هذا النفار يا ذات الجمال ألا تعلمي اني سيد في قومي وعليَّ المعول في حرب العرب والعجم . قالت اني اكرهك كل الكره ولا اريد انظر في وجهك ولذلك تراني ارغب البعد عنك وانت تتبعني وتقصد القرب مني قاصداً بذلك عذابي فارجوك ان تبعد عني ولا تدنو مني . قال لما هذا البغض ألَا تعلمين ان الملك كسرى الذي هو سيد ملوك الارض كان راضٍ في ان يجعلني صهره ويقربني منه ويزوجني بمهردكار فهل انت اعظم من بنت عمك . قالت اني اكره فيك لانك رجل غدار وقبيح المنظر فما عمي كسرى الا مجنون حيث يريد ان يجعلك صهره ويترك مثل الامير حمزة الذي لا نظير له في هــذا الزمان . ثم اعرضت عنه واظهرت له الجفاء فانفطرت مرارته واغتاظ كل الغيظ وقال في نفسه اني سأصرف الجهد الى مراضاتها واسأل بختك في ان يساعدني في

ذلك والا غدرت بها واغتصبتها وجعلتها عبرة لغيرها واذللتها فتلتزم ان ترضى بي دفعاً لمصيبتها . وكان خبثه وخداعه يزين له كل عمل شرير

ولما كان ذاك اليوم رأى باباً للفرج في ان يخبر بختك اذا انفرد به وعند ما وعد بختك كسرى بان النصر سيكون على يده فرح وقال لا بد ان يكون قد دبر حيلة على هلاك حمزة فصبر الى ان دعاه بختك وذهب به الى داخل المدينة وجاء بصندوق ففتحه واخرج منه ثلاث حراب وقال له اعلم يا زوبين ان ذخائر الفرس في يدي وتحت امري وانا الموكل عليها ولذلك اريد ان تعرف فعل هذه الحراب فهي حادة سامة اذا لمست الجسم سرى السم اليه كله ولذلك ابرز في الغد الى الامير واسأله ان تضربه ثلاث ضربات بها واغدر به واجهد نفسك ان تصيبه فانه لا يلبث ان يموت بمدة اربع وعشرين ساعة . قال اني اعرف ان في ذلك خطر عظيم غير اني سأسلكه فقط اريد منك المساعدة بامر واحد . قال وما هو . قال اني كنت موءمل قبلًا بزواج مهردكار حتى خرجت من يدي وتزوجها حمزة ولم يبقَ لي قط طمع بها ولذلك علقت نفسي واملي بطوربان بنت افلنطوش واريد منك المساعدة بان ازف منها . قال اني سأجهد النفس في ذلك وهذا امر سهل علينا ولا اظن انها تمنع عنك . قال اني الاحظ منها نفوراً وجفاء . ثم اعاد عليه امرها . فقال انها وان تكن قد امتنعت فان اباها سيحل هـذه العقدة ويجبرها بطلبي وطلب الملك كسرى الى القبول فهي في يدنا وتحت امرنا ومتى قتلت حمزة كان لك اكبر حق على مملكة الفرس فلو طلبت نصفها سلمناه اليك وفوضناك امره . فانشرح صدر زوبين وفرح مزيد الفرح بوعد بختك واخذ الحراب الثلاث وهو مضطرب البال يرغب في النجاح لينال المراد ويرى امامه صعوبة عظيمة بالوقوف في ساحة القتال امام الامير حمزة عدوه الالد لا سيما وان له عليه اعظم ثار وهو يتمنى ان يراه وكان يعرف من نفسه انه لا يقدر ان يثبت امامه ولا هو ممن يلقاه في ساحة القتال غير انه وطد العزم على الخداع وهوّن له حبه سلوك سبيل الخطر والخوف

ولما كان صباح اليوم التالي ضربت طبول الحرب والكفاح واصطف الجيشان وعول حمزة على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد صار في الوسط وصال وجال ولعب على اربعة اركان المجال فامتلأ قلب حمزة فرحاً وسر مزيد السرور وامل انه في نفس ذاك اليوم يأخذ بثأره منه ولذلك اطلق لجواده العنان حتى صار مقابل زوبين وقال له لقد فعلت حسناً في هذا النهار لاني كنت في وقت القتال افتش عليك فلا اراك والان ترى الفرسان ما يكون بيني وبينك ويعرف العام والخاص والحقير والامير نتيجة الغدر كيف تكون . قال اعلم اني ما برزت الا بقصد قتالك واني اريد ان ابارزك على مرأى من الجميع لا طمعاً بان افوز بالنصر عليك بل كرهاً بالحياة لاني اعرف انك اشد بأساً مني ولا اقدر على قتالك وحربك ونزالك ولا احد من فرسان هذا الزمان يثبت امامك وينال الغرض منك . نعم اني غدرت بك في الاول وانا اجهل قدر شجاعتك وارغب في زوجتك واما الان وقد اختبرت كرمك وانصافك في القتال وقطعت الامل من الوصول الى مهردكار فاردت ان اقتتل واياك ساعة واحدة لا غير ولا بد لاحدنا ان يفوز بالمطلوب فلا نتحارب ضرباً وطعناً وذهاباً واياباً الى غير ذلك بل اريد ان تضربني برمحك او بسيفك او بهما شئت ثلاث ضربات حتى اذا خلصت منها وبقيت حياً عدت فضربتك بثلاث حربات مني واذا لم ابلغ المراد عدت الى ما كنت عليه اي استئنفنا الضرب الى ان يفوز احدنا بالظفر . فقال حمزة اني منصف بالقتال فلا امنع خصمي من ارادة شيء يريده ويتمناه فافعل ما انت فاعل فاضربك برمحي وانت بحرابك . وكان زوبين يعرف جيداً ان حمزة كثير الانصاف وعظيم المروءة فلا يقبل ان يكون هو البادىء ولذلك اراد ان يحاوله بعمله خداعاً فقال له اعلم ايها الامير اني لا اريد ان اكون البادىء بالعمل فاضرب بدورك وانا استعد للمدافعة عن نفسي . فقال الامير حمزة هذا لا اريده ولا اقبل ولا يمكن ان اكون البادىء فاضرب حرابك اولاً ومن ثم اعود بدوري . فاجاب زوبين وهو مسرور في الداخل وقد انتهى له كل ما اراد . ثم انه اطلق لجراده العنان

حتى رآه كل من الفرسان ثم وقف امام حمزة وتناول حرابه ورفعها بيده وزج بها الامير فكان اسرع من البرق غطس تحت بطن الجواد واضاعها في الهواء . وباقل من لمح البصر عاد الى بحر سرجه وصاح بخصمه هات الثانية ولا تبطىء فتكدر زوبين من عدم نجاحه غير انه امل بالثانية فاخذها بيده ولعب بالهواء وزج بها الامير فمال عنها وعينه تراقبها فراحت بالارض حتى امتلأ زوبين غيظاً وكدراً وكادت تشق مرارته وتنفطر ولذلك نوي على الغدر والخيانة وقال في نفسه اني لو ضربت الثالثة بالامير فلا ريب انها تذهب سدًى لانه فارس صنديد سريع الخفة بالقتال يسبق سرعة وقوع الحربة فلا ينال منه المراد ولهذا من الواجب ان لا اضيع هذه الحربة فعوضاً ان اصوب بها الى جسمه ارمي بها جواده فاقتله من تحته فيقع الى الارض فانحط عليه واضربه بالرمح او بالحسام وانال منه الغاية ومن ثم رفع الحربة بيده بعد ان صال وجال وكان الامير يظن انه يضربه بها حتى رآها قد خرجت من يده الى صدر الجواد فطار صوابه وثبت في ذهنه باسرع من لمح البصر انها قاتلة الجواد اذا لحقت به ولذلك ارسل برجله بخفة عجيبة وعارض بين الحربة والجواد حرصاً عليه فاصابت الحذاء وخرقته وجاءت باللحم فجرحته وفي الحال شعر الامير بان ناراً التهبت في كل بدنه وشعلت في احشائه وتمزقت عروق جسمه فرمى بنفسه على رقبة الجواد فكر راجعاً الى الوراء وكان زوبين قصد ان ينهي على الامير لما شاهد حاله غير ان نبلة خرجت من يد عمر العيار الى جواده فرمته من تحته ووقع الى الارض واراد عمر ان ينقض عليه ويأخذ بثأر اخيه الا انه التهى بما رأى من ضياع الامير وما حل به وخاف من ان يقع عن ظهر الجواد الى الارض فاسرع اليه ومسكه وكانت مثله الفرسان قد ركضت وجاءت حول الامير واخذته من عن ظهر الجواد وهي منفطرة الفؤاد على حالته وهو لا يعي على احد وقد امتلأ كل جسده من سم تلك الحربة وايقن انه هالك لا محالة فانزلوه في صيوان مهردكار وجاء اسطون وجعل يضع له المبردات والادوية ليسكن بها مرضه وهو بحالة الغيوبة لا يشعر بغير الألم والوجع وقام الصياح في العرب من كل

ثاح وهم يظنون ان الامير قد مات . وفي تلك الساعة حملت فرسان العجم فرحة مسرورة موءملة بالنجاح والنصر والاصلاح فكدر ذلك فرسان العرب وتكدر اندهوق بن سعدون فنادى بابطال العرب وقال ويلكم لا تدعوا المساء يأتي وفي العجم بقية رمق والا فوتوا في كيدكم وارسل لفيله العنان وصاح المعتدي حامي السواحل من ملء رأسه وهو يضطرم بنار الغيظ وكذلك الملك النجاشي وعمر الاندلسي وقاهر الخيل وبشير ومباشر والامير معقل وكل فارس وبطل فالتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وتزعزعت الجبال ومالت من عظم صياح الابطال فكانت وقعة عظيمة الاهوال تشيب لها روءوس الاطفال واندهوق ينحط على تلك الخلائق انحطاط البواشق وهو يفرق الفرسان ويبدد الشجعان ويطلب ان يرى زوبين الغدار في الميدان فلم يقدر على ذلك ولا قدر ان يراه لانه ترك القتال ورجع الى الوراء وكذلك المعتدي حامي السواحل فانه اجرى الدماء من صدور الرجال والقى الرعب على الفرسان والابطال وقلبه مشتعل واي اشتعال على ما لحق بالامير حمزة يطلب ان يأخذ له بالثأر في نفس ذاك النهار والحاصل ان كل فرسان العرب كانت تقاتل بجد واجتهاد طالبة ان تقع بزوبين الغدار فلم تنل من ذلك المراد وما برحت حتى ادخلت الاعجام الى الخيام وانزلت عليها مصائب الحرب والصدام ولو لم يسرع الظلام لما رجعوا عن الحرب ولا تركوا الطعن والضرب غير انــه حالما اسودَّ الليل ضربت العساكر طبول الانفصال ورجعت العرب على اعقابها مسرعة الى صيوان اميرها لترى كيف حاله وما صار به في غيابها

قال وكان الامير حمزة في حالة يرثى لهـا وهو ملقى على فراشه يصيح من الألم ويتوجع الوجع الشديد لا يقدر على التقلب على جنبيه لا تبرد له غلة ولا يروى له كبد واسطون الحكيم يداويه ويضع له الضمادات على جرحه ويسقيه المبردات فيمنع اشتداد الألم كثيرًا لكن كان لا يخفف عن حالته ولا يسكن الألم . ولما رأى عمر العيار رجوع العرب منصورين قال لاندهوق ابق انت عند

اخي لا تفارقه الى ان اعود اليه بالدواء من الوزير بزرجمهر لان هذا الداء علاجه عنده . فقال له اسرع به قبل ان تحل بالامير مصيبة فتخسره . فترك عمر العيار العرب بعد ان غير زيه وصار كواحد من الاعجام وجاء صيوان الوزير بزرجمهر فرآه فيه فقبل يديه واخبره بغرضه . قال ان الدواء حاضر وكنت اعرف انك لا بد ان تأتي بطلبه فهيئته . غير اني قلت لك قبلًا ان لا تأتوا المدائن ولا تحاربوا كسرى في هذه الايام فكيف جئتم وخالفتم الزمان ألا تعلمون ان الانسان تمرُّ عليه الايام والليالي فبعضها يحمل شرًا وهذه الايام تحمل اليكم الاذى والنحوس ومن اللازم ان تنظروا الايام التي بها السعود والاقبال . قال ان الحق بذلك على اخي لاني اخبرته بذلك فقال ان المقدور ما منه مفر وان قيامه بجلب يكون سنين واعوام فاراد حسم الحرب والرجوع الى مكة بامان واطمئنان . قال هذا بعيد عنه فان كل ايامه تنقضي بين السيف والقنا فلا يرتاح الا عند ما يأذن الله باذلال الاعجام وقهرهم والان خذ هذا الدواء واسرع الى اخيك في الحال واخبر العرب ان يرحلوا في هذه الليلة ويقيموا في حلب الى ان يأتيهم الفرج فان كل واحد يموت من العرب ظلماً مسؤول به الامير واما على حياته فلا خوف فهو سينهض من هذه المرة ايضاً كما في المرة الاولى . فسر عمر من كلام الوزير وقبل يديه وشكره على معروفه وخرج من بين يديه بعد ان كتب كتاباً الى اسطون الحكيم يقول له فيه ان يسهر على حياة سيد العرب ويشير اليه في كيفية استعمال العلاج

ولما وصل عمر الى المعسكر وجاء صيوان اخيه وجد الناس لا تزال باضطراب وهي مزدحمة بكثرة حوله وكلهم يصيحون يا الله ويطلبون الى الله شفاء اميرهم فسكن خوفهم وقال ان الامير بخير ولا يلبث ان يشفى ويعود الى ما كان . ثم دخل الصيوان وقرب من اخيه وهو يتوجع ويتألم ودفع زجاجة الدواء والرسالة الى اسطون فاخذهما وسكب على جرحه من الدواء وسقاه حسبما اشار بزرجمهر وباقل من دقيقة سكن الألم وخف قليلًا وجعل ان يهدأ روعه شيئاً فشيئاً . واذ ذاك قال عمر لاندهوق ان الوزير يأمرنا ان نرحل عن هذه الارض في نفس

هذه الليلة حتى اذا جاء الصباح لا يكون لنا اثر هنا وما ذلك الا لعلمه اننا لا نفوز بالانتصار وان يكن لنا بعض نصرات غير ان هذه لا تقف في وجه النحوس المقدرة علينا وهو يحتم بوجوب بقائنا في حلب الى ان يصل الينا الفرج المنتظر . فأجاب اندهوق وقال ان امر الوزير لا بد منه وهو نصوح للعرب محب لخيرهم ونجاحهم . ولا ريب ان قيامنا بحلب الى حين شفاء الامير اوفق من القيام هنا ومداومة الحرب . وفي الحال اعتمد ملوك العرب وفرسانهم على الرحيل الى حلب والبقاء هناك الى ان يأذن الله بالفرج . فسار كل واحد الى رجاله وقومه . وما مضى نحو ساعتين من اواخر ذلك الليل حتى اقلعت العرب عن تلك الديار وسارت في طريق حلب بعد ان حملوا الامير في سريره على هودج محمول على ظهري ناقتين وعنده اسطون الحكيم على الدوام وفي النهار ايضاً مهردكار تلازمه ولا تفارقه

فهذا ما كان من امر العرب واما ما كان من امر كسرى انوشروان ورجاله فانهم في المساء بعد الفراغ من القتال اجتمعوا الى بعضهم وجاء بختك وزوبين وجلسوا كل منهم في مكانه وبختك مفتخر بنفسه وبعمل رفيقه وقال لكسرى الان قد تحقق لنا النصر والظفر وفزنا بما نريد من قتل الامير حمزة . فقال كسرى وهل ثبت قتله واخاف ان يشفي ويرجع الى اخذ ثاره قبل ان نبدد قومه . قال ان الحربة التي جرح بها هي سامة فاذا لمست الجسم سرى اليه السم فكم بالحري وقد جرح بها وعندي من المؤكد الثابت ان حمزة لا يعيش هذا الليل وفي الصباح تتأكد كلامي ويظهر لك صدق قولي فلله در هذا البطل زوبين فانه ضربه ضربة صائبة وقعت في قسم من جسده فالفضل الاكبر له ولا زال يمنع عنا الشدائد ويدفع المصائب والنوائب وكان بفكرنا ان نجازيه قبلًا بزواجه بمهردكار فلم نصل اليها لانها هربت الى العرب وسارت معهم اينما ساروا واخيراً تزوجت من الامير حمزة مغضوبة من النار مكروهة من قومها وعندي ان لا بد من زواجه بسيدة تقابلها وتقارنها وتكون افضل منها عقلًا وادباً وغيرة على قومها وابناء جنسها . فقال كسرى ان صح ما قلته من موت حمزة فلا بد من تفريق العرب بعده

واذ ذاك اعد زوبين اني ازوجه من طوربان وازيده فوق ذلك الانعام والاكرام. قال سوف ترى ما يكون في الغد . ولما سمع زوبين هذا الكلام فرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وانشرح صدره وامل نوال غايته وكيد طوربان التي رفضت جداً ونظر اليها متبسماً ليرى دلائل وجهها فوجدها قد قطبت في الاول واضطربت ثم اظهرت عدم الاكتراث ونظرت اليه باستهزاء وسخرية واعرضت بوجهها كأنها تقول له اذا مت ولقيت العناء لا يمكن ان تنال مني المراد. فزادت هـذه الحالة قلقه واضطرابه واغتاظ منهـا ولولا شدة حبه لعمل على الغدر بها واغتصبها في نفس تلك الليلة غير ان وعد كسرى له وامله ببختك واقتداره على مساعدته حمله على الصبر والرضوخ الى استعمال الوسائط الحسنة فيكيدها ويرغمها على الزواج به . وما صدق ان انقضت السهرة حتى ذهب مع بختك وقال له ان وعد كسرى لي جعلني بامان غير ان امتناعها يخيفني ويجعلني بارتياب من نجاح طلبي ولولا ثقتي بحبك لتأكد عندي كل التأكيد ان هذا الوعد لا ينتهي

قال كن باطمئنان قبلت او لم تقبل فلا بد من زفافك عليها بالرغم او بالرضى فكن براحة وما علينا الا تفريق العرب لان حمزة سيموت لا محالة وضميري يخبرني بذلك ويدلني عليه وعندي انه لا يغشني قط . قال اني متكل على وعدك وقد لاح لي بعد ان نصرف الجهد الى اقناعها فاذا امتنعت غدرت بها ذات ليلة واغتصبتها وارغمتها ان تقبل بي بعد ذلك بالرغم على انفها وماذا يا ترى يقول ابوها والملك كسرى. فقال بختك ان هذا العمل يغيظهما ولكن افعله سراً فلا يعرفان به وهي لا يمكن ان تخبر عن نفسها به بل تظهر قبولها عن رضاء واختيار ولكن من اين لك ان تتوصل اليهـا وتقدر على اغتصابها وهي قادرة على مقاومتك وعنادك . قال اني لا اجيبها جهاراً وافاجئها وهي نائمة فاربطها بالحبل واخرج بها مع خادمي تحت ظلام الليل لانها تنام في صيوانها لوحدها وبعد ذلك أعيدها . قال حسناً تفعل لكن هـذا ابقه الان الى حين فراغنا من حرب العرب وتبدد شملهم وبعـد العجز عن نوال المراد والزواج بها والا ما زال الملك يعدك وانا

اساعدك فلا بد لنا من الوصول الى المطلوب والغاية الوحيدة هي ان تصل اليها وتكون زوجتك . ولم يكن بختك اقل غدرًا وخيانة من زوبين الغدار قد استحسن فعله هذا ووافقه عليه عن رداءة طبع وشر موجود في قلبه لا يفارقه على الدوام وهو لا يعرف الفضيلة ولا عمل الخير ولا يرى من الحسن السلوك على طرق الاداب والمحافظة على الناموس

وبعد ذلك ذهب زوبين الى صيوانه ودخله وقلبه مملوء من حب طوربان وغير شخصها لا يلوح له ولا يفتكر بمعنى غير معنى جمالها وقد زاد به الغرام والهيام ومن المقرر ان الجفاء يزيد بالمغرمين اسباب الغرام ويمكنهم من ان يثبتوا عليه اذا كان في قلوبهم جرثومته ولا سيما زوبين فانه فرغ من مهردكار وقطع رجاؤه منها وقلبه يكاد ينفطر كيف فضلت البدوي الاجنبي وعاندت اباها وتركت بلادها ولم توافقه على الزواج وهو كان يعد نفسه بالسعادة حالاً اي بالحصول عليها وبالتقرب من اكبر ملوك العالم وهو كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان بحيث يصبح صهره ويصير صاحب الامر والنهي في بلاده وانقطع امله منها بزواجها وقلب حبه بغضاً وصار يتمنى ان ينتقم منها ومن الامير حمزة لو امكنه وبقي صابرًا على المراد حتى تسنى له ان يرى طوربان ويشاهد فيها المعنى المنتظر من وحدانية جمالها ورقة الفاظها وهي اصغر سناً من مهردكار لا تبلغ الثالثة عشر من العمر وصرف ليله قلقاً بين الرجاء والامل وحينما يفكر بوعد كسرى يطمئن باله ويقول نعم اني سأكون زوجها وهي تكون لي وفي يدي ولا تقدر ان تخالف عمها واباها ثم يطرق ذهنه ما كان منها وكيف نظرت اليه مستهزئة به وبوعد الملك فيسود قلبه ويتردد في اتمام امله ويقول انها غير راضية من هذا ولولا اصرارها على العناد لما فعلت ما فعلت

ولما كان الصباح نهض كسرى انوشروان وجلس في صيوانه ونهضت فرسان الاعجام على نية القتال في ذاك النهار فلم يروا اثرًا لاعدائهم ورأوا ان العرب قد بارحوا تلك الديار ورحلوا منها . فاخبروا كسرى بذلك . فقال لقد صدق بختك

فاصاب ولولا موت حمزة لما رحلت العرب لانهم قد فازوا وقربوا من النجاح التام حتى لو كان حمزة حياً وانقرض العرب باجمعهم وبقي هو وحده في قيد الحياة لما انهزم وترك القتال فقال بختك اني اعرف جيداً ان الحرب ستنتهي بالاخير بالفوز لنا لاننا اكثر رجالاً واعظم ملكاً ووسائط النجاح عندنا كثيرة ولا سيما بيننا مثل زوبين الغدار صاحب البطش والاقتدار والمجد والفخار واريد منك ان لا تنسى له هذه الخدمة ولا تتقاعد عن مكافأته . قال اني اعرف فضله واعترف به واؤكد مساعدته لي الان . ولكن انت تعلم ان العرب لم يزالوا متجمعين وربما عادوا الينا ومن الصواب ان نرسل العساكر في اثرهم اذا عرفنا باي طريق ساروا واعظم غايتي هي حصولي على بيكار الاشتهار ولولاه لكنت اتغاضى الان عن العرب واترك قصاصهم ولكنهم هربوا واخذوه معهم وفي نيتهم ان يداوموا على العصيان ولو كان فيهم من العقل مقدار ذرة لكانوا ارسلوا اليّ به وابدوا طاعتهم واعترفوا بذنبهم وانا اعرف ان الحق بذلك كله على الامير حمزة . فقال بختك لا ريب ان العرب رجعوا الى حلب ليروا بامر انفسهم هناك فارسل في اثرهم العساكر مع زوبين وافلنطوش حتى اذا وصلوا اليهم سألوهم ان يسلموا بالعلم وبهردكار وبالطاعة فاذا اجابوا امنوهم على انفسهم وتركوا حربهم والا فاجأوهم وباغتوهم بالقتال ونزعوا منهم كل راحة وبددوا شملهم قبل ان يرتاحوا . فاستحسن كسرى هذا الرأي وطلب من زوبين ان يستعد للرحيل في اليوم الآتي مع عساكره ومع ابن عم كسرى افلنطوش وبنته طوربان ويتأثروا العرب الى حلب واين كانوا ثم اوصى افلنطوش ان يكون في رأس الجيوش ويسير الى حلب وان يعتمد على زوبين ويتكل عليه في كل الامور

وفي اليوم التالي ركب افلنطوش بعساكره وجيوشه وركب زوبين برجاله وفرسانه بعد ان اخذوا المؤن والذخائر وما يحتاجون اليه في هذه السفرة وفي كل نيتهم ان حمزة قد مات وشرب كاس الافات وصار يعد من سكان المقابر وان العرب بعده ستسلم الى كسرى وتنقضي هذه الحرب ولا زالوا سائرين مدة ايام وليال حتى

جاوزوا حلب وشاهدوا ان العرب هناك وقد وصلوا اليها قبلهم بيومين ودخلوا المدينة واقاموا بها وكان الامير حمزة قد اتجه الى الصحة والعافية وصار يقدر على الخروج الا ان اثار الجرح لا تزال في جسده ولم تضمد بعد . فأمر فلطنوش ان ينصبوا خيامهم في ضواحي المدينة وان يسرحوا بانعامهم في مراعيها بينما يكون قد بعث بكتاب الى العرب . وفي اليوم الثاني كتب كتاباً الى الملك النعمان يقول له فيه :

من افلنطوش ابن عم كسرى انو شروان الى ملك العربان

بعثني اليك الملك لاكبر لاعرض عليك طاعته واخبرك بغايته وهي ان تسلموا علم بيكار الاشتهار صاغرين وتعترفوا بذنبكم وترجعوا مهردكار الى ابيها ليقتص منها على عنادها له وخروجها عن طاعته واما انتم فقد اذنني ان اعفو عنكم واسلم برجوع كل واحد منكم الى منصبه وبلاده لان لاحق عليكم بل كل الحق على الامير حمزة الذي قتل وبقتله نرى ان القتال انتهى وما من عداوة بينكم وبين العجم واذا ابيتم او امتنعتم فاني اباكركم بالقتال ولا انفك حتى ابدد شملكم ولا يكون بعد ذلك من امل لكم بحلم كسرى وعفوه ورحمته . ثم بعث الكتاب مع رسول مخصوص وهو الرسول الذي كان قد اخذ للعرب الكتاب في مكة المطهرة عند ما كانت العجم تظن ان حمزة قتل ايضاً في ذاك الوقت

ولما وصل الرسول الى بواب المدينة دخل وجاء قصر الاحكام حيثما كان الامير حمزة والامراء والملوك مجتمعين ولما وصل الى الديوان تقدم من الملك النعمان فسلمه الكتاب ففضه وقراه وعرف فحواه . ثم ارجعه اليه وقال له ادفعه الى الامير حمزة فارس العرب وسيدهم ليعرف ما تضمنه وبماذا يجيب فاضطرب الرسول ونظر ذات اليمين وذات الشمال فرأى ان الامير حمزة جالس في مكانه كانه الاسد الكاسر لا يزال عليه دلائل المرض والضعف فتقدم منه وقبل يديه وسلمه الكتاب فاخذه وقراه وعرف رموزه وكل ما تضمنه . وقال للرسول ايظن

كسرى اني اموت وبالعجم بقية رمق . فاخبر سيدك افلنطوش اني رجعت الى الحياة بعد الموت ولا بد من الرجوع الى ثل عرش كسرى وخراب دياره واما زوبين الغدار فلا بد من موته وهلاكه وهلاك بختك الخبيث الخائن وكل آت قريب . ثم امر ان يدفع الى الرسول الف دينار وقال له هذه اجرتك عن تعبك ومجيئك الينا وكان الرسول فصيحاً اديباً فشكر من حمزة ومدحه وخرج مسروراً بما ناله حتى جاء معسكر الاعجام فرأى افلنطوش بانتظاره فقال له ما وراءك من الاخبار اهل اجاب العرب بالايجاب . قال كيف يمكن ان يجيب العرب الى الطاعة وكلهم فرسان وابطال ولا سيما ان اميرهم حمزة لا يزال حياً وقد رأيته في مجلسه اعظم من كسرى في ايوانه وقد كاد يشفى من الجرح ولم يبق الا اثاره وقد انعم علي بالف دينار واخبرني ان اخبركم انه لم يمت وبالعجم بقيـة رمق ولا بد من الانتقام من زوبين على غدره وفعله فهذا الذي سمعته منه ورأيته هناك . فلما سمع افلنطوش ان حمزة لا يزال حياً عرف ان الحرب ستطول وخاب امله وظنه وتكدر مزيد الكدر وعزم على محاصرة المدينة قبل ان يقدر الامير حمزة على الركوب والحرب واسودت الدنيا على زوبين الغدار فخفق قلبه وتكدر مزيد الكدر ولعب بقلبه داعي الخوف والفزع ونهض من صيوان افلنطوش الى صيوانه لا يعرف يمينه من شماله ولا يرى ما بين يديه ولا سيما عند ما فكر ان امله قد بعد وربما انقطع من طوربان لانهـا لا تقبل به ولا يقدر على اجبارها ما زالت الحرب قائمة بين العرب والعجم وما يراه منها من النفور الزائد جعله على ان يوطد العزم والنية على تمام غايته ومراقبة طوربان الى ان يغتصبها ويرغمها على القبول به بعد ذلك وصار من ذلك الحين يراقب اعمالها وحركاتها ويقصد ان يتمكن من الانفراد بها وهي نائمة ويغتنم الفرصة باغفال خدمها ليدخل الصيوان وهي لاهية عن ذلك لا تفكر به ولا تعتني بامره وقد خطر لهـا كل الخاطر انه اذا كان ابوها وكسرى اجبراها على الزواج به قتلت نفسها او فعلت كابنة عمها مهردكار وجعلت تتركها على العرب واختارت واحداً منهم فان ذلك خير من زواجها

يؤذيني وهي تراه في عينها كاكبر عدو وتنظر الى اعمـاله نظر القبيح والمكره فتعلم انه خائن غدار خبيث مكار لا يعرف الناموس والشرف وهي على غير ذلك

وفي ثاني الايام امر افلنطوش ان يحاصروا المدينة فحاصروها وقصدوا الهجوم عليها فارجعهم العرب بضرب النبال عن الاسوار ولا سيما عمر العيار فانه اقام مع عياريه يرشقون النبال وكانوا اعرف اهل الارض بذلك فوقعت على الاعجام كوقوع الامطار فالتزموا الرجوع الى الوراء . وفي اليوم الثاني خرج العرب وصارت موقعة عظيمة من الصباح الى المساء وفيه رجعوا ودخلوا المدينة وكان الامير حمزة يريد ان يركب ويخرج الى الحرب فمنعه عمر العيار وقال له لا تخرج فانك لا تزال مريضاً والتعب يعيدك الى الضعف ولا سيما ان بزرجمهر منعني من ان ادعك تباشر حرباً واوصاني كثيراً بذلك ولو انقرضت العرب الى ان يأذن الله بالفرج فان الضيقة محاطة بنا في هذه الايام ولا تزول هذه النحوس الا على يد غير منظورة الان منا فاصغ الى كلام هـذا الوزير ولا تخالف فتندم . فرأى حمزة ان من الصواب السكوت عن هذا الامر وما برح القتال عاملاً بين العرب والعجم على غير اهمية كبرى فيوماً تخرج العرب وعشرة ايام لا تخرج ينتظرون باب الله والفتح حتى كان ذات يوم وقد ضجرت العجم من القيام في تلك الارض وضاق عليها الحـال وطال المطال فباكرت وفي نيتها القتال العظيم وكذلك العرب فانهم خافوا ان يبقوا داخل المدينة وتطول مدة الحصار فيفرغ منهم الزاد والمؤن ويقعون في الضيق والضنك ولذلك قال الامير حمزة لقومه الى متى هذا المطال فاني ارى ان العجم مكتفون بالحصار والذخائر والمؤن قد قلت واذا بقينا على هذه الحالة عدة ايام اخر فرغت فنحتاج بالرغم عنا الى الخروج اما للحرب واما للحياة وعندي حيث صرت قادراً ان اركب جوادي واحارب وما من وجع بي يمنعني ان انزل ساحة النزال واطرد الاعداء عنا فان نفسي سئمت من المطاولة والاستنظار . فقال عمر لا تطمع نفسك بالقتال فما من وسيلة الى ذلك ولا بد ان ينتهي قول الوزير بزرجمهر واما من جهة

فرسانك فدعهم يقاتلون ويناضلون ولا ريب ان قوة الاعجام تضعف واذا تاخروا عادوا الى المدينة وانت ما زلت بالحيـــاة لا يحسب تاخرهم فشل او انكسار . فقال اندهوق اني اعدك في هذا النهار بالفوز فكن بامان واطمئنان وليرتح بالك علينا فكلنا بخدمتك وخروجك الى الحرب يغيظنا ويكدرنا ولا نريد ان نفعل خلاف ما اشار عمر وخلاف ما امرنا الوزير بزرجمهر . فسكت الامير وقال افعلوا ما شئتم وانا اصغي الان اليكم بالرغم عليّ والموت اهون جداً من ان اشاهد الاعداء تحاصرني وانا امتنع عن طردهم واتقاعد عن اذلالهم

قال ثم ان العرب خرجت الى قتال الاعجام وباقل من ساعـــة نادى منادي القتال فاشتبك الرجال بالرجال . والابطال بالابطال . وتحدر الدم وسال . واختلط الاعراب بالاعجام . اختلاط الظلام بالظلام وارتفع فوقهما كثيف القتام فاخفى عنهما نور السلام والقاهما في ديجور الحمام فلم يكن يسمع الا اصوات السيوف على الدرق . ولا يرى الا طعنات الاسنة في النحور والحـــدق فكم من فارس انكب ووقع . وكم من دم انهمر وهمع . وسال كالاتابيب في ذلك الموضع . ولم تكن الاعجام تسمع صوت حمزة قط فتأكد عندها انه غائب عن القتال . فثبتت ثبات اسود الدحال . وقاتلت قتال صناديد الابطال . فاتسع سوق المجال . وعظمت المصائب والاهوال وضاقت في وجوه القوم الامور والاحوال . فعرف كل واحد منهم انه سائر في طريق الهلاك والوبال وانه على شفير الانتقال . ولم ترَ العرب التأخير والاذلال . بامر الله الواحد المتعال . بالرغم عن اجتهاد اندهوق والمعتدي وباقي الرجال . الذين كانت اسنتهم تفعل ايشم لافعال وتخترق الصدور باسرع من ريح الشمال . ورأت الاعجام انها ان نجحت في ذاك اليوم فازت الفوز العظيم . وانزلت على اعدائهـــا البلاء الجسيم فلا يعود بعد ذلك للعرب ثبات . ويلتزمون الى التفريق والشتات . وطمعوا بالنصر وحركهم غياب حمزة الى توطيد العزم فداروا باعدائهم من كل ناح . واكثروا فيهم الصراخ والصياح . كل هذا وزوبين الغدار مع طوربان في معالجة ومحاولة وقد رآها انفردت الى ناحية ولم

تباشر القتال فلم يعد له صبر عن مفاتحتها فقال لها لما اراك يا ذات الجمال تتركين القتال وتنفردين على الدوام بنفسك فاني اراقب ذلك حيث اريد ان اكون بالقرب منك احفظك وارعاك ولا بد من ان لذلك سبب من اعظم الاسباب فابديه ولا تخفي شيئاً فاني صفيك ولا اظهر مرادك . قالت نعم ان السبب الاكبر هو وجودك في المعسكر وفي المعمعة فهذا الذي يثقل عليَّ ويدفعني الى الوراء ويجعلني ان اكره القتال والا لولا ذلك لرأيتني الان في اول المتحاربين فترى الفرسان والابطال افعالي فارجع عن سوءالي ولا تكلمني مرة ثانية ولولا الخوف من غضب ابي لما اتيت مع العساكر ولا احتملت صعوبة النظر الى وجهك القبيح ولا بد لي من ان ابعد بصيوانى عن صيوان ابي الى اطراف المعسكر فلا اجتمع معكم ولا اراك لا في مساءٍ ولا صباح فاقصر اذن . قال اني اعجب كيف تكرهين النظر اليَّ وانا ارغب القرب منك وافضل الموت بجانبك على الحيـاة بالبعد عنك . فاتركي هذا العناد واصغي الى ما اقوله لك واجيبي سوءالي ولا تظني انه يتيسر لك قرين مثلي صاحب عظمة وسلطان ومقدم من عمك كسرى انو شروان اكثر من سائر الابطال والفرسان . ومع ان العالم في هذه الايام اتفقوا ان الامير حمزة هو افرس من ركب الجواد فقد كبحته مرتين وجرحته جرحين وفي كل مرة يشرف على الممات ولهذا اكون انا اشد منه باساً وتشهد لي بذلك ابطال الفرس ونفرها وعالها ودونها . فضحكت منه وقالت انك لا تعرف من نفسك الخيانة والغدر فاين انت من حمزة وقد شاهدت حربك معه وخيانتك فلو قاتلته قتال الابطال لما ثبت امامه ساعة واحدة فارجع عني الان والا طعنت قلبك بهـذا السنان فانفطرت مرارته واحترق قلبه ولم يسعه ان يبدي لها كلمة واضمر لها الشر واصر في فكره على اتمام عمله في تلك الايام وهم بضواحي حلب واعرض الى غير جهة

وهذا والحرب ما برحت بالاضطرام . والفرسان عاملة على الحرب والصدام . وطوائف العرب تتأخر امام طوائف الاعجام . واندهوق والمعتدي وباقي الفرسان يقاتلون قتال الجان وينادون العرب بالثبات في الميـدان وان يفضلوا الهلاك

والقلمان . على التأخير والخذلان . فلا يفيدهم ذلك شيء بل داوموا على الرجوع الى الوراء شيئاً فشيئاً قاصدين ان يدخلوا الابواب وقد قتل منهم خلق كثير في ذلك اليوم الكثير العذاب . وفيما هم على مثل هذا الامر والشان والاعجام تطاردهم وتزاحمهم من كل ناحية ومكان وهي فرحة بذلك التقدم الذي لم تراه قبل ذلك الان وقد قارب الوقت العصر واذا بصياح من ناحية البر قد ملأ الفلاة وبيارق قد ظهرت ومن تحتها جيوش كسرب القطا وفي المقدمة غلام امرد لم ينبت الشعر بعارضيه وهو فوق جواد مسرج بالسرج الافرنجي وعليه من الحديد ما لا يطيق حمله الجبال ولما رأى ان الحرب عقدت بنودها . وقد حكمت قضاتها وتركت شهودها . صاح بلغته وحمل كانه القضاء الله اذا انزل فاخترق الصفوف وفرق المئات والالوف . وقد رأى ان الاعجام تطارد العرب وعرف منهم ذلك فانزل عليهم ميازيب المهالك . وقد حملت من خلفه ابطاله وفرسانه وعددهم نحو الثلاثين الفاً وكان يفعل في الاعداء كما تفعل النار في القش اليابس فجفلت من بين يديه الفرسان ورأت من قتاله انه اشبه بقتال حمزة البهلوان فخافته كل الخوف ورجعت الى الوراء متحسرة على ضياع ذلك النصر والظفر ومتكدرين من مجيء تلك العساكر والابطال فدافعت عن انفسها وقاتلت قتالاً عظيماً ورأت العرب تلك النجدة وتأخر الاعجام فعادت الى الامام ولا سيما عند ما سمعت عمر العيار يخترق الجموع وهو ينادي بالعرب ان تطارد اعداءها ويقول لهم هوذا الفرج المنتظر قد جاء فجردوا الطعن واكثروا من الضرب ومن رجع ارديته قتيلاً . وما جاء آخر النهار الا وحل بالاعجام البلاء وذاقوا كأس العناء ومن ثم ضربت طبول الانفصال فرجع العرب الى المدينة فرحين بالنصر الاخير وهم من التعب على جانب عظيم لا يصدقون بنزع العدد عن اجسادهم ووصولهم الى الجلوس على اسرتهم . وعرجت تلك العساكر التي جاءت الى ناحية من تلك الارض وضربت خيامها واقامت لوحدها تنظر ما يكون في الصباح وبعد ان هدأ بالها واكلت الطعام نهض اميرها الغلام واتجه الى جهة المدينة وهو راكب على جواده

ومدجج بالسلاح

ولما كان المساء اجتمع سادات العرب في مكان واحد واخذوا في ان يحكوا للامير ما كان من حرب تلك النهار وما لاقوا منها وكيف انهم كانوا يتأخرون الى ان جاءهم الفرج بالنجدة التي كان يتقدمها ذاك الغلام الامرد ثم اخذ كل واحد ان يتكلم عما رأى منه وما شاهد من حربه وقتاله وهم يباهون ويبالغون . فقال الامير عمر العيار اني تأكدت عن بعد ان هـذه العساكر هي يونانية لا ريب فيها ولا ارتياب لكن فارسها الذي تعنون عنه لم يكن يونانياً وقد رابني قتاله وقد نظرت منـه بطلًا لا كالابطال وفارساً لا كالفرسان فهو اشبه في حربه ونزاله وحملاته على اعدائه باخي حمزة حيث كان لا يستقر في مكان ولا يقاتل في جهة واحدة بل يدخل من الشرق فيخرج من الغرب والرجال تتمدد بين يديه على بساط الرمال وتقع تحت حوافر الخيل ولا يجسر احد منهم ان يقرب اليه او يدنو منه او يبقى واقفاً امامه . فقال حمزة لقد شوقتموني الى ملاقاة هذا الغلام حتى انه اخذ في فؤادي مكاناً عالياً وصار له عنـدي ارفع مقام وكان من الواجب ان ترسلوا اليه الرسل وتدعوه يدخل المدينة وينضم الينا برجاله لانه جاء لنصرتنا وهذا هو الفرج الذي اشار اليه الوزير بزرجمهر لاننا لم نكن بانتظار مساعد ولا معين غير ان الله بعث الينا من نعرف فضله ونعترف به ليبقى شأنه مرفوعاً بـين العرب والعجم واريد الان منك يا عمر ان تذهب الى هذا المعسكر وتنظر لنا في اخباره وتدعو هذا الغلام ان ياتي الينا لنرى في امره ومن هو واذا ابى عن الاتيان سرنا نحن اليه وسلمنا عليه وشكرنا فعله . فاجاب الامير عمر طلب الامير حمزة وكر سائرًا الى ان قرب من باب المدينة وقبل ان يفتحه سمع صوت طرقه فسأل البواب من هذا فاجاب الطارق هذا انا الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة العرب فوقع هذا الصوت في اذان الامير عمر العيار فطار فؤاده شعاعاً ورأى في معنى الصوت لهجة اخيه ثم سمع الطارق يقول افتح الباب حالاً واذهب الى عمي عمر العيار وقل له ان يأتي اليّ لاذهب واياه الى ابي . فاسرع عمر الى البـاب

وفتحه ونظر واذا به يرى الغلام الذي كان يقاتل في ذاك النهار . فدنا منه وسلم عليه وعرفه بنفسه وقال له ابشر يا ابن اخي فاني انا عمر العيار ولكن ابن من انت ومن هي امك لاني كنت في هذه الساعة ذاهباً اليك لادعوك ان تأتي الى خدمة امير العرب وسيدهم . قال اني اتيت لارى ابي حيث قد عرفت انه مجروح وانه جاء من المدائن الى هذه البلاد وانا بشوق زائد الى مرآه فاخبرني هل هو بخير وهل صار قادراً على نقل السلاح واما من سؤالك عن امي فهي زهربان بنت اسطفانوس اليوناني . فلما سمع الامير عمر هذا الكلام تحقق عنده انه ابن الامير فزاد فرحه وقال له ان اباك بسلام وعما قليل تراه فسارا الى حيث اجتمع العرب

قال وكان السبب في مجيء عساكر اليونان مع عمر اليوناني هو انه كان كما تقدم معنا في ما مضى ان الامير حمزة عند ما كان يجمع الاخرجة ويلم الميرجاء بلاد اليونان وتزوج بزهربان بنت ملك البلاد وانها رجعت الى بلاد ابيها واقامت هناك وهي تؤمل انه عند عودته من سفرته ورجوعه الى بلاده يرسل فيأخذها اليه وتقيم عنده وكانت حامل منه وبعد مضي اشهر الحمل ولدت غلاماً كانه القمر في تمامه صبوح الطلعة مسعود الطالع كامل الهيئة فسرت به مزيد السرور ولا سيما عند ما رأت انه يشبه اباه كثيراً وارسلت فاخبرت اباها اسطفانوس فجاء اليها ونظر الغلام وهو في اللفافة واخذه على يديه وقال لامه اعلمي ان هذا الغلام هو يشبه اباه ولا بد عند كبره اذا علم بانه ابن الامير حمزة تركك وذهب الى اهله ونحن لا نعرف ان كان زوجك يعود فيأخذك ثانياً او يبقى باقي عمره مشغلاً بالحروب مع كسرى وغيره فلا يفكر بك فتتناسين بهذا المولود ولذلك اريد منك ان لا تلفظي امامه ولا مرة واحدة اسم ابيه ولا ابن من هو بل قولي له ان اباك اسطفانوس فاربيه كأب له الى ان يأذن الله بالفرج ونرى كيف يكون من امر ابيه وهل يمكن ان يأتي بلادنا مرة ثانية او يرسل فيأخذك اليه . قالت اني اعرف انه لا بد من ان يدعوني اليه ويأخذني عند ما يعود الى بلاده ويرتاح ضميره من

حرب كسرى . قال ان ذلك بعيد المدة طويلها ولا نعلم ما تكون عاقبة هذه الحروب ومن يكون الفائز من المتحاربين لان العرب وان كانوا شديدون البطش والبسالة الا ان كسرى قوي السلطان كثير الاجناد يقدر ان يقاتل العرب خمسين سنة وهو يجرد العساكر حيث يملك على اكثر اقسام الدنيا شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً . ثم توافقا على ان يخفيا عليه امر ابيه واوصيا الخدم والجواري والمراضع بان تقول على الدوام بان اباه اسطفانوس وقد دعيا اسمه عمر اليوناني على اسم عمر العيار . وصار الغلام يكبر ويترعرع منذ ذلك الحين ولما بلغ سنة من العمر كان يمشي ويخرج الى خارج القصر ويتكلم وكل من رآه لا يظن الا انه ابن اربع سنوات . ولما صار عمره اكثر من سنتين طلبت زهربان من ابيها ان يأتيه بالاساتذة والمؤدبين فوضع له المعلمين يعلمونه العلوم فكان يتعلم بوقت قريب ولا يضيع الوقت بالباطل وما ادرك العشر سنوات حتى كان قد درس كل الدروس والعلوم اليونانية والعربية والفارسية وفاق بها على من سواه وتعجب منه الخاص والعام . ومن بعد ذلك صار يخرج الى الساحات ومحلات الاجتماعات ويشاهد الفرسان والعساكر . وهي شاكة السلاح فتتحرك بـه الفطرة العربية الى تعلم فن القتال فاتخذ له اعواناً وصار يتعلم منهم ركوب الخيل ولعب الرمح وضرب السيف وبعدة سنتين اصبح كانه افرس فارس في بلاد اليونان ولم يعد يقدر ان يثبت امامه احد من الابطال والفرسان وهو يفتخر بنفسه ويتشامخ على ابناء جنسه وما من رجل يقدر ان يعلمه ان اباه حمزة وانه وان كان على ما هو عليه فلا عجب من ذلك ولا زال يشتد ساعده ويقوى باعه وهو يظن ان اباه اسطفانوس ولا يعرف غير ذلك ولا خطر له ان يكون ابن عربي وصار يخرج الى البراري والقفار يطارد الوحوش ويبعد في جهات الارض ولا يخاف من احد وامه وجده لا يخافان عليه بعد ان رأيا ما هو عليه من الاقدام والبسالة الى ان كان ذات يوم عاد من الصيد والقنص ومعه شيء كثير من الذي اصطاده فرأى امه جالسة وحدها منفردة تبكي ودموعها تتساقط على خديها فارتاع وجفل قلبه فدنا منها وقبل يديها وقال

لها لا ابكاك الزمان يا اماه فما الداعي لذلك اهل مات احد اقاربنا ام اصبت بوجع فاخبريني لان بكاك افطر قلبي فزادت بالبكاء رغماً عن جلدها وتكفكف دموعها فالقى بنفسه عليها وبكي وقال اني اقسم عليك بحيات ابي ان تخبريني الصحيح ما هو الداعي لهذا البكاء . فقالت له اعلم يا ابني ان لكل بداية نهاية وان لا يصح في هذه الدنيا الا الصحيح ولا بد من اطلاعك على امر ابيك لتعرفه وتعرف من هو . قال ما تقولين وما طرأ عليك يأليس ابي اسطفانوس حاكم هذه البلاد وملكها قالت كيف يكون اسطفانوس اباك وهو ابي فعي الى ذلك واعلم ان اباك الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ومبيد الاكاسرة . فنهض واقفاً وقال ماذا تقولين اني سمعت كثيراً عن هذا الرجل انه فارس لا نظير له في هذا الزمان وانا اتوقع ان اسير اليه واقاتله لاعرف من منا اشد موقعاً في ساحة القتال فكيف يكون ابي ومن جاء به الى هذه البلاد فاعادت عليه زهربان كل ما كان من امر ابيه وامرها وكيف جاء الى تلك البلاد وفصلت له الواقعة تماماً وكيف ان كسرى يحاربه وقالت له اني ما برحت من حين ذهابه وانا اطلب كل من يكون في سفر وفي سياحة فاستخبر منه عن حالة العرب والعجم فتصلني الاخبار مسرة وقد كسر جيوش كسرى عدة مرار وبددها وتزوج ببنته بالرغم عليه واخيراً اخبرني احد التجار وكان قد ذهب الى بلاد العجم فجاء ببضائع منها ليبيعها في هذه البلاد انه سمع ان اباك بعد ان كان قد حصر كسرى وكاد ينهي امره غدر به زوبين الغدار فرماه بحربة سامة كاد يميته فحمله فرسان العرب وتركوا المدائن وجاؤوا به حلب لاجل مداواته وهو بحالة خطرة بين الموت والحياة ولذلك تراني ابكي كيف اني بعيدة عن ابيك ولا اقدر على خدمته وربما اصيب بنكبة وهو لا يراك وانت ابنه وكم كان يسر اذا رآك وشاهدك فهذا الذي ابكاني ويبكيني ولا اعرف ماذا جرى عليه

قال فلما سمع عمر كلام امه صاح ملء رأسه وهو يرغي ويزبد وقال ويلكم وويل جدي ايريد ان يخفي عني امر ابي وهو الامير حمزة فارس الارض

من تتناقل اخباره الركبان وانا قاعد عن التقرب منه وارض ان يكون ابي هذا الشيخ اسطفانوس وكيف اكون انا بهناء وراحة وابي يخوض معامع القتال ويحارب الاعجام فلا بد لي من المسير الى حلب لارى ماذا حل به فاذا كان لا يزال حياً سرت اليه وقاتلت بين يديه والا سرت الى المدائن واخذت له بالثار ولا ارضى على نفسي العار ويقال عني اني تقاعدت عن نصرة ابي فاستعدي للسفر وانا اذهب الى جدي واساله ان يسافر حالاً بالعساكر لندرك حلب باقرب وقت. ففرحت بذلك ودعت له . ثم انه جاء قصر الاحكام ودخل على جده وهو عابس الوجه قاطب فارتاع لذلك وقال له ماذا حل بك ياولدي ولما انت على هذا الامر. قال له من هو ولدك ولاي سبب اخفيت عني امر ابي وهو حمزة العرب. قال من اخبرك به . قال اخبرتني امي ولذلك اريد منك ان تخرج من هذه الساعة الى المعسكر وتامره بالركوب فما عدت اصبر عن الرحيل دقيقة واحدة فقال اني كنت اخفي عنك ذلك بالاول خيفة عليك لانك لا تزال صغيراً وتتوق نفسك الى ابيك وانت عاجز عن مساعدته اما الان وقد صرت تعد من فرسان هذا الزمان فما من خوف عليك فاذهب الى امك وفي الصباح نركب بالعساكر ونسير الى حيث تريد لاني مشتاق الى ابيك واحبه كشوقك اليه فاطمأن بال عمر اليوناني وعاد الى امه وأخبرها بواقعة الحال فهيأت كل ما هو لازمها من ثياب وجواهر وحلى وهي تؤكد انها لا تعود ثانياً فترى تلك البلاد ومن فيها وقلبها يخفق من السرور والفرح لمشاهدة زوجها التي لم تكن رأته واقامت معه الا اياماً قليلة جداً . وفي صباح اليوم الثاني ركب اسطفانوس بثلاثين الفاً من العساكر وركب عمر اليوناني في المقدمة وهو يريد ان يطير ليصل الى حلب ويشاهد اباه ورفعت زهربان على هودج عال من الحرير الغالي وسار الجميع عدة ايام وليال الى ان وصلوا مدينة حلب ورأوا الحرب قائمة على ساق وقدم فخاضوا معمعة القتال وجرى ما تقدم ذكره بين الفريقين وفي المساء سار الامير عمر اليوناني الى ان التقى بعمه الامير عمر العيار

ولما وصل عمر من القصر المقيم به الفرسان ومعه ابن اخيه دخل ونادى اخاه بشراك يا اخي فان هذا الغلام الذي انتم باضطراب وقلق من اجل معرفة اصله وفصله فهو ابنك الامير عمر اليوناني ابن زهربان بنت اسطفانوس ملك اليونان وقد جاءت امه وابو امه وها هو معي . ولما وقع صوت عمر في آذان الامير نهض بالرغم عن وعيه وقلبه طائر ونظر الى ولده ورمي بنفسه عليه وهو فرح كل الفرح ومسرور كل السرور وجعل يقبله ودموعه تذرف وكذلك فعل الامير عمر اليوناني فانه قبل ايادي ابيه والقى بنفسه على صدره وكل منهما يضم الآخر وحمزة لا يفتر عن ذكر الله . وهذا هو الولد الاول الذي رآه وشاهده وذاق لذة محبته وحنوه ودارت بهما الفرسان من كل ناح وهم يطلبون ان يبعد الامير عن ولده ليتقدم كل منهم اليه ويسلم عليه ويتعرف به ومن ثم اخذ يسلم عليهم واحداً بعد واحد وكلهم يتعجبون من صغر سنه وبسالته واقدامه وما منهم الا من يصفق من الفرح واجلسوا الامير عمر الى جانب ابيه وهو ينظر اليه لا يرفع نظره منه وقد سأله عن امه وجده فاعاد عليه ما كان من امرهم جميعاً وحينئذٍ امر ان تخرج الفرسان في صباح اليوم الآتي مع العساكر والرجال الى خارج المدينة وينصبون خيامهم في ضواحيها الى جانب عساكر اليونان ليصرف بعض ايام بالهناء والولائم اكراماً لولده ولزوجته وقال لهم ايضاً ان الفرج المنتظر قد جاء وهذا الذي كان قد اشار اليه الوزير بزرجمهر واي فرج للعرب اعظم من هذا الفرج الذي جاءنا وحلَّ علينا بوجود ولدي فارس اليونان ومجلي الكروب عن العرب . وصرفوا اكثر ذلك الليل بالحديث والاستخبار ولم ينم رجال العرب الا القليل حتى جاء النهار فنهض كل منهم واستعد برجاله وقومه وانتظروا الى ان خرج الامير راكباً على جواده اليقظان وهو كأنه في عظمته الملك سليمان او كسرى انوشروان وخرج من بعده الملك النجاشي والملك النعمان وعمر الاندلسي واندهوق ابن سعدون والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل ومعقل البهلوان وبشير ومباشر وكل فارس وبطل مع العبيد والخدم وضربوا الخيام وسرحوا الانعام واصبحوا

يعجون ويموجون في تلك الارض وقد ملأوا السهول والجبال وجاء الامير حمزة الى الملك اسطفانوس فسلم عليه وترحب به وشكر من معروفه واعتنائه بولده واهتمامه بتربيته الى ان خرج بطلًا صنديدًا ودنا من زوجته فسلم عليها وبكى عند مرآها وحركته محبته القديمة لنحوها واعتذر اليها . فقالت له اني اعرف ان قصورك ما كان عن حاظر منك او ارادة فاني كنت على الدوام اسأل عنك واطلب الى كل غاد ورائح ان يأتيني بأخبار العرب فتصلني على الدوام وكنت اجازي الجميع واكافيهم بالعطاء ليعودوا ثانية الى الوقوف على ما يكون من أمركم . وانا مشتغلة بتربية ابني ومهتمة بتهذيبه لا اظهر له اسمك وامرك حتى ادرك اشده وصار آفة من آفات الزمان . واذ ذاك بلغني خبر جرحك من زوبين الغدار فلم يعد في وسعي الاخفاء فبحت لولدي بما كنت اكتمه عنه الى الآن وعرضت اليه واقعة الحال بالتفصيل فكان منه ان ارغم ابي اسطفانوس على المجيء الى هنا والحمد لله الذي رأيناك بخير وصحة جيدة . ثم ان الامير حمزة جاء بزهربان الى مهردكار وتعرفت كل واحدة بالاخرى

قال وانعكف الامير على عمل الولائم وقيام الافراح والمسرات وقد شغل عن الاعجام وتركهم وشأنهم مدة ايام وقال ان الحرب لا تفوتنا ولا بد ان نهلك العجم عن قريب بعد ان نصرف ايام هنائنا ونرى ما يكون من اعدائنا . فذات يوم بينما كان الامير عمر العيار يدور حول المعسكر حسب عادته خوفاً من وقوع امر لم يكن في الحسبان واذ جاءه ابن اخيه وقال له يا عماه اني ارى الاعداء حولنا ولذلك اريد منك ان تذهب بي الى معسكر الاعجام لاتفرج فيه وانظر هذا زوبين الغدار ومن هناك من الابطال والفرسان فقال له هلم بنا لنذهب ولكن لا تبدي حركة هناك ولا تتظاهر بانك من العرب فيعرفونك وتقع بايديهم فاخذه وسار به بعد ان غيرا زيهما وعندما قربا من معسكر الاعجام نظر عمر اليوناني جماعة من الفرس يلعبون بالجريد ويمرحون في تلك الارض فحركه جهله الى الدخول بينهم وقد احتقرهم ولما صار فيما بينهم جاءته جريدة فاصابته فطار

الشرار من عينيه وكان يظن بنفسه انه وحــده يفني جيش العجم برمته ولذلك صاح ويلكم اوغاد غير امجاد فقد جاءكم الفناء والهلاك ثم استل سيفه وهجم عليهم فوعوا اليه وعرفوا من صوته انه عربي فمالوا اليه وجردوا سيوفهم فالتقاهم واخذ بينهم الضرب والطعان وهو يقتل فيهم ويعدمهم على بساط الرمال وينادي انا الامير عمر اليوناني ابن حمزة البهلوان والفرسان تتقاطر من كل ناحية وكان وتزدحم حواليه وترسل بأسنتها اليه وهو يطعن فيها طعن الابطال ويشردهــا ذات اليمين وذات الشمال وعمر العيار يختطف الارواح بضربات خنجره ويحمي ظهر ابن اخيه الا انه لما رأى ان الفرسان تتكاثر خاف من تحمل عساكر العجم فيقع مع ابن اخيه في قبضتهم ورأى من المناسب ان يتركه قليلا ما زال قادراً ان يدافع عن نفسه ويذهب الى اخيه الامير حمزة يدعوه لنصرته فأطلق ساقيه للريح حتى جاء معسكر العرب ونادى اخاه وقال له ادرك ابنك فهو بحرب مع الاعداء وكرّ راجعاً الى محل القتــال واسرع حمزة وكل الفرسان الى خيولهم فركبوها وتتطايروا من خلفه فأدركوا عمر اليوناني وهو يطارد الفرسان ويطردهم بين يديه كأنه الباشق يفتك بأصغر العصافير ولما وصلت الفرسان ورأت ما رأت صاحت وحملت وهي متعجبة من افعال عمر اليوناني ومن حملاته التي لا يقدر عليها الاّ ابوه . ولا يزالوا يقاتلون وقد ردوا الاعجام الى الوراء وفي المساء رجعوا الى الخيام وقد قال الامير حمزة لابنه كيف جئت الى معسكر الاعداء ودخلت بينهم دون ان يكون عندنا علم بذلك فما هذه الا مخاطرة عظيمة . ثم التفت لعمر العيار وقال له يا وجه القرد كيف اطعت ولدي ورميت به بين الاعداء الا تعرف غدرهم وخداعهم وجهل ولدي وهو لا يعرف الحرب وخدعتها فقال عمر اليوناني لا تغضب يا ابي على عمي فانا الذي سرت والتزم ان يسير معي ولا تحسب مسيرنا غلطاً فما الاعجام الا اشبه بالنساء ولو لم تأتوا اليّ لما لحق بي خطر بل كنت افنيت منهم كثيراً وعدت منصوراً فائزاً

واقام الجميع في الخيام بعد ذلك مدة ثلاثة ايام وفي نيــة الامير حمزة ان

يعودوا الى القتال فيبدد اولئك الذين جاؤوا من قبل كسرى وهو مملوء من الفرح والسرور لا يمتلىء من النظر الى ولده وفي اليوم الرابع جاءه ابنه وقال له لما يا ابتاه نتقاعد عن القتال ونترك امامنا الاعداء ونحن قادرون ان نبيدهم بيوم واحد قال له ان هذه الايام ايام افراح بقدومك علينا واجتماعنا ببعضنا ولذلك لا اريد ان يشوبه كدر ولا اريد ان اكون فيها انا البادىء بالشر اذ كل بادي بالشر خسران وهلاك الطائفة التي امامنا لا يفوتنا . فسكت عمر وهو يتوق الى الحرب وجاء عمه عمر العيار وقال له قد عرفت يا عماه ان عندك مكحلة اذا تكحل فيها الانسان وطلب ان يغير زيه ويتزيا باي زي اراد يصير له وانا اريد منك ان تكحلني بها لاصير كواحد من الاعجام فاذهب بينهم واتفرج عليهم وارى زوبين الغدار واعرف كيف هو ومثله باقي فرسان الفرس . قال هذا لا يمكن ابداً لاني اعرف جيداً انك لا تقدر ان تضبط نفسك فتى صرت بين الاعجام ونظرت افلنطوش وجماعته وسمعتهم يسبون العرب او يتكلمون مثل هذا الكلام لا تصبر على الاهانة ويدفعك جهلك الى اظهار نفسك واخذ حقك منهم فتقع بايديهم ويكون ذلك ويلاً علينا ويعتب ابوك عليّ ويغضب مني . قال هذا لا بد منه واني اعدك اني لا افوه بكلمة مهما سمعت ومهما رأيت قال لا تطمع نفسك بالمحال فما من وسيلة لان اجيبك الى طلبك . فقال وانا لا اتركك ولا بد من ان اذهب واياك الى الفرجة على ترتيب الاعجام ومن مشاهدة زوبين الغدار وافلنطوش . واكرر لك القسم بك وبابي اني لا افوه بكلمة ولا ابدي حركة ولو سمعت الف كلمة وافعل كما تفعل انت

ولا زال عمر اليوناني يلح على عمر العيار حتى سمح له ووافقه على طلبه ووعده انه يذهب واياه واشرط عليه ان لا يظهر نفسه وان يتغاضى عن كل ما يسمع ويرى ثم كحله بالمكحلة وتكحل هو فصار الاثنان كأنهما من الاعجام لا شك بهما ولا ارتياب . ولبسا ملابس الحجاب وسارا من معسكر العرب ودخلا بين الاعداء ولا زالا سائرين حتى وصلا [illegible]

عمر اليوناني ورأى ملابسه وعظمته وقال لرفيقه اني اراه يفتخر بنفسه كثيرًا . قال هكذا عادة الاكاسرة يحبون العظمة والفخار ثم نظر الى زوبين الغدار وهو الى جانب افلنطوش فتعجب من قباحة منظره وكآبة طلعته وكبر شدقيه وتشامخ انفه وتجعد خديه فلعبت نار الغضب في قلبه منه وقال ان هيئته تدل على انه اكثر الناس غدرًا واحتيالاً ونظر الى عمه وقال له اني سمعت من خالتي مهردكار ان طوربان بنت عمها عند ابيها وهي تشبهها جمالاً وكمالاً الا انهـا تزيدها بسالةً واقداماً فاين هي الان لم ارها بين الفرسان . قال اني متعجب من ذلك لانها كانت تجلس دائمًا بجانب ابيها والان لم ارها قط ولا اعرف اين هي . وفيما هما على مثل ذلك سمع افلنطوش يقول اني اعجب الان من بنتي طوربان فانها لم تحضر حتى الان ولا جاءني منها خبر عن سبب غيابها . فاستدرك زوبين الكلام وقال اني سألت عن ذلك يا سيدي فقيل لي انها ذهبت في هذا الصباح الى الصيد والقنص وستعود في المساء وقد نسيت ان ابدي لك ذلك وانت تعرف رغبتها في فن الصيد ولا ريب ان خدمها ذهبوا بمعيتها فهي بامان من العرب الان وتعرف ان لا حرب في هذا اليوم . وعلى ما اظن ان العرب الاوباش خائفون منا لا يباشرون القتال والحرب والنزال وكان بظني انهم يسارعون الى اقتطاف ثمرة ذاك الانتصار ولا بد ان يكون لذلك من سبب عظيم وعليه فاني عولت ان اباشر الحرب في الغد وأُذيق العربان كأس الهوان واقتل حمزة البهلوان واذيقه كأس المذلة وافعل فعلًا يذكر بعدي الى آخر الازمان . لاني اطلت روحي كثيرًا ولم يعد في وسعي الصبر والسكوت من ذل العرب وابادتهم . وكان يفكر زوبين ان يشغل افلنطوش عن السؤال عن بنته . فاغاظ كلامه هذا عمر اليوناني وقدحت عيونه شرار النار وقد احمرَّ واخضرَّ واصفرَّ فوضع يده على سيفه وفي نيته ان يجرده فلحظ منه عمر العيار ذلك فارتاع ودنا منه في الحال وقال له لا تفعل والا هلكنا واخرج من هذا المكان وقد اقسمت بابيك ان لا تبدي حركة . فخرج عمر اليوناني وهو يرغي ويزبد . فقال له لما فعلت ذلك قال اني قصدت ان اقتل زوبين وافلنطوش

معاً ولو قتلت فيما بعد ولولاك لفعلت ذلك . قال اني اشكر الله حيث قدرت ان تكظم غيظك فاذهب بنا الان من حيث جئنا . وكان عمر اليوناني لا يريد ان يذهب قبل ان يرى طوربان فاراد محاولة عمه وقال له اني سمعت منك فاصغ اليَّ واسمع مني حيث اريد ان اطوف بعد بين طوائف الفرس ارى الخاص والدون حتى نأتي على آخر المعسكر فنخرج من هناك ونأتي بعيدين في البر حتى نصل الى معسكرنا . قال افعل ما بدا لك ولو اقمت شهراً بين الاعداء فابقى معك لكن بشرط ان تحافظ على السكينة وتبقى كاتماً امرك فان من النظر لا احد يعرفنا . قال اني اعتدت ان اسكت وسوف ترى مني ما تريده ثم جعل يطوف واياه حتى آخر المعسكر وخرجا من هناك وافكار عمر اليوناني مشغلة مضطربة كيف لم يتيسر له ان يرى طوربان فوقف يتأمل وفي نيته ان يعود ثانياً الى بين المعسكر غير انه فكر ان يقنع عمه انه يعود به مرة ثانية فتكون قد عادت من الصيد فمشى الى جانب عمر العيار واوسعا في البر فصعدا على اكمة عالية ثم نزلا الى حضيض متشعب فرأيا صيواناً مضروباً وعند بابه عبد واقف وآخر بعيد قليلاً عنه فقصده عمر العيار وتبعه رفيقه ولما قرب من العبد الاول واراد ان يجتازه الى جهة الصيوان منعه وقال له ارجع مع رفيقك ولا تقرب من الصيوان فهو لسيدي زوبين الغدار وقد اوصى ان لا ندع احداً لا من العجم ولا من غيرهم يقربه والا غضب منه وانزل به العبر فارجع الى الوراء قبل ان يحل بك الاجل وتشاهد الموت ولا بد انه قريباً يكون هنا . فما تركه عمر العيار ان يتم كلامه حتى ارسل خنجره الى صدره فرماه قتيلاً ولما رأى العبد الواقف على الباب ما حل برفيقه خاف على نفسه من الهلاك فصاح الى عبد آخر كان داخل الصيوان ان يخرج ويتبعه وهرب من ناحية ثانية فلم يلحقه عمر بل بقي سائراً الى ان وقف في باب الصيوان وتبعه الامير عمر اليوناني وحالما وقف نظر الى داخله واذا بفتاة هناك كأنها الشمس بالاشراق او البدر عند تمامه لم يخلق الله احسن منها جمالاً ولا ابهى كمالاً ولقد صح ما قيل فيها :

البدر طلعتها والغصن قامتها والمسك نكهتها ما مثلها بشرُ
كأنها افرغت من ماء لؤلؤة في كل جارحة من حسنها قمرُ

وحالما رأتهما الصبية صاحت مستغيثة واظهرت لهما انها موثوقة بالحبال وقالت بلغتها الفارسية هلما ادركاني وخلصاني يا اولي المروءة فاني اكافئكما على فعلكما لاني انا طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى انوشروان ملككم وسيدكم وقد غدر بي زوبين الغدار واحتال عليّ وانا في فراشي غافلة عن كيده وبعث بي مع خدمه الى هـذه البرية وفي نيته ان يفعل القبيح فخلاني قبل ان يأتي المساء ويأتي هذا المكان وكانت تتكلم وعمر اليوناني واقفاً ينظر اليها ويحدق بها وهو لا يعي الى ما تقول ولا ماذا تريد بل رآها موثوقة فبهت متعجباً من امرها مأخوذاً من جمالها الباهر ولونها الابيض المتشرب حمرة ومن عينيها اللتين يعلوهما حاجبان لا ثخينان ولا رفيعان وامواج النور تتوارد من وجهها وتتدفق فضاع من ذلك عقله وحار لبه واصبح لسان حاله ينشد :

بدت تختـال في ذل النعيم كما مال القضيب مع النسيم
واشرق صبح واضحها فولى هزيع الليل في جيش هزيم
وكف الصبح قد سلت نصالاً تخرق حلة الليـل البهيم
واجج من شعاع الشمس ناراً اذاب لهيبها برد النجوم
فتاة كالهلال فان تجلت ارتنا البدر في ثوب ذميم
وكنت بهـا احب بني هلال فمذ تمت هويت بني تميم
بخصر مثل عاشقهـا نحيل وطرف مثل موعدها سقيم
وقد لو يمر بـه نسيم لكاد يؤده مرُّ النسيم
ايا ذات اللمى رفقاً بصب يراعي ذمة العهـد الكريم
يعلل من وصالك بالاماني ويقنع من رياضك بالهشيم
نظرت اليك فاستأثرت قلبي فادركني الشقاء من النعيم
فطرفي من خدودك في جنان وقلبي من صدودك في جحيم

اری سقم الجفون بری فؤادي ‏ ‏ ‏ ‏ وعلمني مكابدة الهموم
لعل الحب يرفق بالرعايا ‏ ‏ ‏ ‏ ويأخذ للبريء من السقيم

وكان ما يشغل خاطره ويستدعي انعطاف قلبه وجودها ذليلة مقيدة الايدي مع انهــا ملاك وهي فارسية تتكلم وهو ملتهٍ عن معنى كلامها فشغل خاطره لذلك وضاع وعيه وفقد لبه فتقدم وحاكاها بلسانه العربي مؤملاً انها تجيبه على سؤاله فلم تجب وحينئذٍ تقدم منه عمر العيار وقال ما لك ولهذه الغلبة فاذهب بنا ودعها وشأنها فان امرها لا يعنينا وكان قد فهم كلامها كله وعرفه حق المعرفة. فقال عمر اليوناني كيف اتركها وهي على هــذه الحالة أما من نخوة في رأسك ومروءة وانت تدعي الشرف والناموس فاقسم بحق الليل والنهار لا برحت من هذا المكان الا وهي معي واقتصصت لها من عدوها ايًّا كان ولو كان كسرى انوشروان . قال ان هذه عدوتنا وبنت اكبر اعدائنا هذه طوربان بنت افلنطوش ابن عم كسرى وقد غدر بها زوبين الغدار وارسلها الى هذا المكان ولا اعرف كيف فعل ذلك وفي نيته ان يأتيها فدع عبدة النار يفعلون ببعضهم ما يريدون فهم اهل فحش وقبح . فلما سمع عمر ابن الامير حمزة هذا الكلام وتأكد انها نفس طوربان زاد به الوجد والهيام وهاجت به نار الوجد والغرام لانه كان يضمر في نيته ان يراها على ما سمع عنهــا من زوجة ابيه مهردكار وهو متكدر من عودته كيف لم يرها وقد رآها وشاهد فوق ما سمع عنها وهي بتلك الحالة الموجبة للشفقة والاغاثة فقال لعمه اسرع اليها وفكها حالاً فاني لا اذهب من هنا الا وهي برفقتي فادرك الامير عمر العيار معناه وماذا يقصد وقال له ماذا يا ترى نستفيد من حلها فاننا اذا حللناها عادت الى قومها الا اذا كنت تريد ان نأخذها لك زوجة فنذهب بها قال اني اريد ذلك ولا ابرح الا وهي معي قال كيف يمكنك ان تتزوج بها وهي على دين النار وانت على دين الله العزيز الجبار ألا تعلم ان اهل الله لا يختلطون بالكفار . قال اعرض عليهــا الايمان فاذا قبلت خلصناها وذهبنا بها وهي مطلقة الايدي والا اخذناها معنا وهي على الحالة التي هي فيها

واخبرها ايضاً بامري واني اريد ان اتزوج بهـا وتكون عندي دائماً ويكون حظها كحظ بنت عمها مهردكار . فتقدم منها عمر العيار وقال لها اعلمي يا ذات الجمال اننا سمعنا كلامك وعرفناك بنت مَن انتِ ولذلك نريد ان نخلصك ونذهب بك عن قومك فهل ترضين بذلك . قالت الى اين تذهبان بي وانتما من الاعجام اصحابنا ورجالنا . قال كلّا بل نحن من العرب اعدائكم فانا عمر العيار وهذا الذي معي هو الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان صاحب المجد والجاه ورفعة المكان وامه زهرمان بنت اسطفانوس حاكم بلاد اليونان وقد وقعت من قلبه موقعاً عظيماً واحبك من نظرة واحدة ولا يريد ان يذهب من هنا دون ان تكوني برفقته اما مقيدة واما مطلقة الايدي . فلما سمعت طوربان هذا الكلام وقع من قلبها موقعا حسناً وكانت تحب من كل قلبها ان تتخلص من زوبين ومن جيش العجم وتتمنى الموت والبعد ولذلك قالت لعمر اني اعرف جيداً ان بذلك الفخر والشرف لي واتمنى ان يكون نصيبي كنصيب مهردكار واني راضية واقبل بكل ما اشرت اليه وارغب ان اكون زوجة لابن سيد العرب وفارسهم . قال ان ذلك لا يكفينا لان العرب لا يتزوجون بمن هنَّ على غير دينهم ولذلك نعرض عليك اولاً الايمان فاذا قبلت بكلمة الحق وامنت بالله تعالى وبرسله الاطهار كان لك عندنا التعظيم والاعتبار والا فلا امل بزواجك وانت على دين النار قالت اني اعرف ذلك وما قلت لك اني ارضى بزواج ابن الامير الا وفي نيتي ان اكون على دينه ومنذ الان اترك عبادة النار واتمسك بعبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار . فلما سمع ابن الامير حمزة منها هذا الكلام اسرع الى وثاقها فحله في الحال وقال لها انت منذ الان في زمامي وتحت لوائي ولا يقدر احد ان يصل اليك

ثم طلب اليها ان تسير وراءه فسارت وهي تتأمل فيه وتنظر في جماله وصفاته وقلبها يهلع من الفرح ومن السعادة التي عرفت من نفسها انها نالتها ووقعت بها لانها رأت غلاماً لا يتجاوز الخامسة عشر من العمر او السادسة عشر باهر الجمال بديع الاوصاف معتدل القامة كامل الهيكل عريض الاكتاف ابيض اللون عليه

هيئة الكرامة ودليل البسالة والاقدام وهي لا ترفع بنظرها منه وقد فضلت الموت والعذاب وملاقاة كل هول بالقرب منه وقالت في نفسها ابن زوبين الغدار من هذا الامير الذي لا يوجد له تان في ممالك العالم لا من الشبان ولا من النساء فسبحان من خلقه وقدر على ان اكون زوجة له انال عنده السعادة العظيمة والحظ الوافر واتمتع بباهر جماله وبديع محاسنه وبدقائق قليلة اصبحت عاشقة من اكبر عاشقات ذلك الزمان وقد نست اهلها واباها ودينها وتعلقت به وهي تراه كأنه :

اوضحت نار خده للمجوس	حجة في السجود للتقديس
واقامت للعاشقين دليلًا	واضحاً في جواز نهب النفوس
رشاء من جآذر العرب لكن	حاز ارث الجمال عن بلقيس
لابساً من بهائه ثوب بدر	ومن الوشي حلة الطاووس
وشهدنا من خده وسناه	كيف تكسي البدور نور الشموس
وجلاها والصبح قد هزم اللي	ل وهم الرفاق بالتعريس
والثريا ولت ومالت الى الغر	ب فكانت كالطائح المنكوس
ولد الشرق شكلها وهو لحيا	ن فصارت في الغرب كالانكيس
فعلت مقلتاه في انفس العش	اق فعل السلافة الخندريس
اهيف القد مخطف الخصر ساجي	الطرف انس النديم روح الجليس
لا تلام العشاق في تلف الار	واح في عشقه وبذل النفوس
نظروا ذلك الجمال وقد لا	ح نفيساً فخاطروا بالنفيس

هذا وعمر اليوناني يسير امامها والى جانبها وكان قلبه مملوءاً من الفرح والسرور على نوال غايته وكان لا يزال خالياً فامتلأ من محبة طوربان وصار لا شغل له الا الاهتمام بها والنظر في امرها وكان جهله وداعي سنه يحركانه الى التباهي والتباخر لدى حبيبته واصبح يطلب ان يقاتل امامها لتراه وتسرُّ من عمله وعليه كان وهو سائر يعرج الى جهة الجيوش العجمية وعمر العيار يضاده في ذلك ويطلب اليه ان يبتعد ولا يدنو من معسكر الاعداء وهو لا يصغى ولا يرجع ويقول له

.ما مرج بأس علينا واذا رآنا الاعجام وحملوا علينا فاني ارى من نفسي اني كفوء لهم اردهم وحدي وفيما هم على ذلك رأى جماعة من الاعجام قـد تقربوا منهم وهم يظنونهم مثلهم ففرح عمر وصبر الى ان قرب من الاول فاشهر حسامه وضربه به على هامه فالقاه قتيلاً ولما رأى رفاقه ما حل به حملوا عليه وصوبوا باسنتهم اليهم وسار واحد منهم الى المسكر واخبر بما رأى وما سمع من عمر اليوناني ومناداته بنفسه حتى اجتمع حوله خلق كثير وهو يتطاعن ويضارب كأنه القضاء المنزل فيفرق الصفوف ويطعن في المئات والالوف . ولما رأت طوربان ما حل بحبيبها وان اعداها محيطة به تناولت سيفاً ومجناً من بعض المتقدمين وصاحت وحملتهم كانت من البطش على جانب عظيم

قال وكان السبب في وجود طوربان في ذاك الصيوان موثوقة كما تقدم الكلام هو ان زوبين الغدار كان يراقبهـا كما تقدم معنا وقلبه مملوء من الحب والغيظ معاً حيث كانت لا تريد ان تراه ولا ترغب في ان تشاهد وجهه قط وقد صرف كل جهده الى مرضاتها فلم ترد الا نفوراً وبغضاً وعداوة وكرهاً ولا زال الى ان كان قبل ذلك اليوم بيوم استغنم فرصة انفرادها فجاء اليها واعاد عليها حبه وقال يا قرة العيون ليس من الصواب ان تعامليني بالجفاء والقطع وانت تعلمين شدة حبي لك وشوقي ولا اريد منك الا شيئاً ممدوحاً بحيث اريد ان تكوني لي زوجة فاحصل عليك بطريقة حسنة شريفة وتكوني قد رحمتي قلباً حزيناً مولعاً لا يرضى سواك ولا يميل الى سواك وبذلك ترضين النار التي ترغب في الازدواج ليكثر نسل بنيها وعبادها فقاطعته وقالت له قلت لك مراراً اني لا اريد ان ارغب في الزواج منك ولا من غيرك فدعني وشأني فاني لا اعرف الحب ولا اريد ان اعرفه فاجعل اعتمادك على غيري ولا تعلق املاً لي فما من نتيجة بالحصول علي ولا سيما اني اعرفك كما انت واعرف غدرك وخيانتك وقلبي لا يرغب في ان يقرب من الخائنين فوجودك بين جيش العجم جعلني اكره فيه واتمنى البعد عنه واكره لك . قلته سابقاً من ان الموت عندي افضل بكثير من الدنو منك ومن ان يقال

عني اني تزوجت بزوبين الغدار وغضب النار علي ورضاها فلا يتعلق بك كيف كان الحال واني مع ذلك لا اسأل رضيت او غضبت فاني حرة من نفسي وما من موجود حقيقي يجبر فتاة على الزواج بمن تكره . قال اسمعي لي وعي لقولي ولا تنظري الى بغضك فاني احكمك بنفسي وقومي فتكونين سيدة مالكة واكون لك كعبد على الدوام وكان عهدي بان قلوب النساء رقيقة شفوقة وارى قلبك اشد من الحديد صلابة لا يلين لذلي ولا يشفق على توسلاتي واذا كنت تكرهين بي لغدري بالامير حمزة فهذا عين المجد والفخر لان الحرب خدعة وعلى الانسان ان يقهر عدوه باي طريق كان أليس وقد حارب حمزة كثير من الابطال والفرسان وما منهم من قدر ان يثبت بين يديه او يصل باذى اليه وانا قد قهرته مرتين وفي كل مرة تتأخر العرب ويشرف على الموت والهلاك . فابعدي عنك الاوهام وارضي بحبي واجيبي طلبي فيكون ذلك بارادتك وقبولك وفي النهاية لا بد منه لان عمك كسرى وبختك قد وعداني بذلك وعداً صادقاً لا بد من اتمامه وابوك يرغب ويقبل بان اكون زوجاً لك فاذا يا ترى يوقف في طريق حصولي عليك وهل اذا امرك ابوك وعمك تمتنعين وتخالفين . قالت وماذا يمنعني من ان اقول لهما اني اكرهه ولا ارضاه وابغض النظر الى وجهه وماذا يبعدني عن ان اظهر لهما ان قلبي ينفر منه كونه قبيح المنظر خبيث الاعمال لا ريب انهما ينظران الى كلامي بعين الرضا ويعرفان انك كما اقول ولا تخفى عليهما حالتك ولا تظن ان عملك مع الامير حمزة ممدوح من الناس فان الرجل البطل يفضل ان يقتل بين يدي خصمه من ان يغدر به او يخدعه بطريقة دنية فارجع الى مكانك واتخذ لك زوجة غيري واعمل على سلوى . ومن القبيح على الانسان يحب من لا يحبه ويعلق قلبه بفتاة تكرهه وتبغضه وتتمنى هلاكه وموته . فلما سمع زوبين منها هذا الكلام انفطرت مرارته وهاج غضبه وتمنى ان يشرب من دمها على هذه الاهانة الا انه وجد نفسه غير قادر في تلك الساعة ان يبدي حركة وقد اضمر كل الشر في قلبه . ولذلك قال . لها اني مؤكد انه لا بد ان يكون قلبك قد تعلق بغيري وانك

تهوين فتي وانت عاملة على حبه دون علم ابيك واطلاعه على ذلك وهذا مما يزيدني غضباً منك وسوف ترين مني خلاف ما تظنين واني اصرّ على طلبي ولا بد من قهر غايتك واميالك واجبارك على الزواج مني بوقت قريب لاني منذ ما وجدت في هذا العالم وانا احصل على كل ما اريد واصرف الجهد الى نوال الغاية . وكنت قبلًا ارغب في زواج مهردكار فهربت وتزوجت بجمزة ومع ذلك فكنت عزمت ان الازم الحرب وابذل الجهد الى الحصول عليها لا حباً بها بل كيداً لها وقهراً لتقدم ذبيحة للنار وتعرف شر عملها وبغضها فيّ الى اين ذهب بها ومنذ رأيتك كرهت في مهردكار وعلقت قلبي بك وانا متيقن انك تكونين حكيمة عاقلة اكثر من بنت عمك ويكون لي معك الحظ والسعادة فجاء الامر بخلاف ما ظننت وسوف يكون لي ولك حديث يذكر بين قومنا فيما بعد . فضحكت من كلامه وهزت برأسها وقالت افعل ما انت فاعل فاني لا افكر بك وان شئت ان تغدر بي وانا بالحرب فاني متحذرة منك وها ان سلاحك معك وسلاحي معي فاذا اردت القتال فهلمّ فاما ان تقتلني واما ان اقتلك . قال ليس لي في قتلك نفع

ثم انه تركها وكرّ راجعاً الى صيوانه وفي قلبه لهيب النار يتوقد واحشاؤه تتمزق من شدة ما لاقى منها من الاهانة والاحتقار وهو ينظر في الطرق التي توصله من قهرها واغتصابها من نفسها وكانت افكاره القبيحة تزين له الطمع والحصول على غايته وتزيد من اهتمامه بنوال المراد ومن شدة غيظه ذهب الى صيوانه ولم يجتمع باحد كل ذلك النهار ولا رضي ان يرَ احداً الى ان كان المساء واسود الليل فكثرت به الهواجس وقلق القلق الزائد ورأى في نفسه انه اذا مضت تلك الليلة ولم ينفذ غايته في طوربان يموت كيداً وقهراً ولذلك دعا بكبير عبيده وكان اسمه عدو الامانة فاحضره اليه وقال له اني اذخرك لمثل هذا الوقت والآن اريدك ان تسرع الى طلبي وتسعى في غرضي ولك مني مهما طلبت . وكان عدو الامانة شديد الغدر والخيانة يعرف ابواب الحيل والخداع . فقال مرني يا سيدي بما شئت فاني

اقضيه لك ولو بذهاب روحي . قال اعلم اني احب طوربان بنت افلنطوش وقد صرفت الجهد الى مراضاتها واقناعها فلم تقنع ولا رضيت بل اكتفت باهانتي واحتقاري وعملت على ذلي وتوبيخي حتى طلبت نفسي الانتقام منها واغتصابها وقهرها ولم اكن ارى وسيلة الى ذلك اقدر ان اخفي بها عملي عن ابيها وخدمها واريد ان يتم ذلك في هذه الليلة . فقال العبد ان ما تزعمه يا سيدي سهل وعندي له طريقة وهي ان كبير عبيد طوربان هو ابن عمي وبيني وبينه مودة عظيمة ولا يقدر احدنا ان يفارق الاخر ففي كل ليلة بعد نصف الليـل اما يجيء عندي فاشرب الخمر واياه مع جماعتي العبيد واما اذهب اليه انا واقيم عنده على الحظ مدة ثلاث ساعات بعد ان اوكل بالمحافظة على الصيوان جماعتي العبيد . ففي هذه الليلة اذهب اليه واجتمع به عند صيوان طوربان مع جماعته العبيد فاضع البنج في الخمر ومتى سكروا رفعتهم مع عبيدي الى البرية فيخلوا صيوان طوربان ويمكنك ان تذهب اليها وتنال غايتك منها . قال ان بقاءها في الصيوان بين قومها مما يظهر الامر وربما لم اقدر ان اتمكن منها وعندي ان تأخذ صيواناً الى البرية خلف اكمة مستترة تنصبه هناك وتاخذ طوربان وهي نائمة الى هناك فتوثقها وتربط ايديها وتبقى على محافظتها الى مساء اليوم الاتي فاذهب اليها واصرف ليلي معها وهي واعية لنفسها لكنها مقيدة الايدي وبذلك اقهرها وانال ما انا طالبه وبعد ذلك اعتقك من رق العبودية وازوجك بالجارية التي تريدها واعين لك الاموال الغزيرة . فلما سمع عدو الامانة كلام سيده فرح الفرح العظيم وقال له سوف ترى ما يسرك

ثم انه اخذ اربعة من عبيده وبعث صيواناً مع عبيد آخر واوصاهم ان ينتظروه خارج المعسكر في مكان عينه لهما وبقي سائراً الى ان قرب من صيوان طوربان فاوقف العبيد الذين معه وسار هو وحده حتى وصل من العبيد فسلم عليهم ودنا من عبد طوربان وقال له اعلم يا ابن العم اني في هذه الليلة جئت قبل الوقت لاني كنت بشوق زائد الى رؤياك واتمنى ان اشرب الخمرة معك وارى من نفسي اني مسرور جداً ولا يطيب لي الحظ الا بالقرب منك نتعاطى الكؤوس معاً . فقال

بارك الله فيك واني بانتظار ذلك غير اني ارجوك ان تصبر عليَّ الى ان تنام سيدتي لاني اراها في هذه الليلة قلقة وفي كل برهة تدعوني اليها وتوصيني بالمحافظة والتيقظ . فقال له اني انتظرك حتى الصباح فما من عائق يعيقني لان سيدي قد نام ولا يقوم الى الصباح ووكلت بالمحافظة عليه اتباعي . وكانت طوربان متكدرة متأثرة في تلك الليلة مما جرى بينها وبين زوبين الغدار وهي حزينة جداً تتمنى البعد عن المعسكر والرجوع الى المدائن او القيام في مكان آخر بحيث لا تراه ولا يراها وقد شغل فكرها من وعده ووعيده لانها كانت تعرف انه غدار خبيث دنيء الاعمال قبيحها ولهذا كانت توصي العبد بان يبقى متيقظاً لتصرف تلك الليلة حتى اذا جاء اليوم التالي اخبرت اباها بعزمها على الرجوع الى المدائن وبعدت عن زوبين هذا . وصرفت اكثر من ثلاثة ارباع الليل وهي ساهرة قلقة الى ان تغلب عليها النعاس وفتك بها سلطانه فنامت وغرقت ببحر عميق . ولما تيقن عبدها انها نامت جاء عدو الامانة وقال له اني اعجب من مولاتي فانها لم تفعل في كل حياتها مثل هذه الليلة فانها خائفة جداً على نفسها ولا اعلم ممن ولولا تغلب النعاس لما نامت او لو كان عندها من يسليها لبقيت الى الصباح . فقال له دعها نائمة وهيا ادعُ جماعتك العبيد لشرب الخمر معاً ونبقى محافظين عليها الى النهار اجابة لطلبها . فاحضروا الخمر واجتمع العبيد حول عدو الامانة فاخذ يسامرهم ويحكي لهم القصص والنوادر ويشغلهم ويلهيهم حتى تمكن من وضع البنج بالزق وهو متضجر قلق على الوقت الذي يمضي وقد خاف كثيراً من ان تنقضي تلك الليلة ولا ينال مراداً ولا يتوصل الى غايته ثم سكب الخمر وناول كل واحد منهم قدحاً بدوره وصبر عليهم نحو خمس دقائق واذا بهم قد وقعوا الى الارض كالاموات . ففرح مزيد الفرح ونهض الى جماعته العبيد فدعاهم اليه وامرهم ان يشدوا عبيد طوربان ويحملوهم في الحال الى الخارج ويخفوهم في المغائر وينتظروه في البرية ففعلوا ودخل هو الى الداخل فوجد طوربان نائمة على سريرها فلفها بالفراش وحملها على عاتقه وسرع يركض الى خارج المعسكر وكان صيوان طوربان منفرداً عن باقي الصواوين

وكانت تقصد بذلك البعد عن ان ترى زوبين في غير صيوان ابيها وبقي عدو الامانة يعدو بها حتى التقى بالعبد الحامل الصيوان فسارا حتى جاء خلف تلك الاكمة فنصبا الصيوان وانزل طوربان وهي ضيقة الانفاس على آخر رمق من الحياة فرفع الفراش عنها واوثق ايديها وسقاها الماء فوعت الى نفسها والتفتت يمينا وشمالاً فلم ترَ الا ذاك العبد فقالت له ويلك من جاء بي الى هنا ولما ذلك قال ان الذي جاء بك الى هنا هو انا عبد زوبين الغدار صاحب العظمة والفخار وقصده يغتصبك وبذلك لتعلمي من نفسك كيف تكون نتيجة عداوته . قالت له ويلك وماذا يكون من امرك اذا رجعت الى المعسكر فاني بدون شك اقتلك شرَّ قتلة واقتل معك زوبين الخبيث المحتال وهل يظن انه يتمكن مني وانا بقيد الحياة قال انه ينال غايته باسهل الطرقات لانك موثوقة لا تقدرين الدفاع عن نفسك وباي شيء يا ترى تدافعين ومتى نال ذلك فلا ريب انك ترضين بزواجه وتصبحين سيدتنا ومولاتنا ويكون لنا الفخر الاكبر بعملنا هذا عندك وسوف تكافينا عليه المكافأة العظيمة مع اني امين على مطالب سيدي ولا بد من اتمام اوامره ولو كان بذلك هلاكي ولا ريب انك تعلمين اني خادم ومفروض عليَّ طاعة سيدي وقد عملت الواجب ولا اعرف ما يكون بينك وبينه

ثم انه اعرض عنها وتركها تعض على شفتيها تحرقاً والماً من فعل هذا الماكر المحتال وقد علمت انها وقعت في حباله وخبيث اعماله وانه اذا جاءها زوبين ينال مراده منها فيذها وتلتزم بعد ذلك على قتل نفسها واخفاء امرها وجعلت تبكي على تهاملها بامر نفسها . وخرج عدو الامانة الى خارج الصيوان وارسل العبد لجمع باقي العبيد وسألهم ماذا عملوا . فقالوا انه ثنا خفينا العبيد في المغائر . فابقَ عنده عبدين وارجع الباقين الى المعسكر واوصاهم ان يدخلوا على زوبين سراً ويخبرونه بما كان وانه يبقى محافظاً على طوربان الى ليل اليوم القادم ولا يدع احداً يطلع على امرها او يعرف اين هي ولا سيما ان الصيوان بمكان منفرد عن الناس وراء اكمة عالية لا يظن انها هناك وان ما من احد طلع على هذا السر الا

العبيد . وكان نور الصباح اخذ في ان يظهر شيئاً فشيئاً فعاد العبيد حسب امر سيدهم وجاؤوا الى المعسكر ودخلوا على سيدهم واخبروه بكل ما كان من امرهم وما فعل عدو الامانة وانه عند طوربان بالصيوان ففرح مزيد الفرح وسقط عن قلبه همٌ عظيم وتكدر من حلول النهار وجعل ينتظر انصراف ذاك اليوم ويذهب بانواره ويأتي الليل بظلامه فيسير تحت اجنحته لارتكاب القبيح ونوال المراد وكان يرى ان كل دقيقة اطول من سنة وهو يحاول ان يخفي امر طوربان عن ابيها ويشغله عن السؤال عنها والبحث عن امرها الى ان وصل الصياح الى افلنطوش وهو في صيوانه واخبر ان عمر اليوناني في وسط المعسكر يقاتل ويناضل والى جانبه طوربان تفعل كفعله . فطار عقل زوبين الغدار وهو لا يصدق بمثل هذا الخبر واسرع مع افلنطوش الى ساحة القتال

قال وكان عمر اليوناني كما تقدم معنا الكلام يصيح وينادي انا عمر اليوناني ابن الامير حمزة البهلوان وقد جئت لانتقم منكم لغدركم بطوربان وهو يطرد الجيوش فتسير بين يديه كانها قطيع من الغنم وهي تزدحم وتتقاطر من كل الجهات وطوربان تحمي ظهره ولا تدع احداً يقرب منه وتمدد الرجال على بساط الرمال وتنزل بهم الهلاك والوبال وهي متعجبة من صبر حبيبها على القتال وبراعته في فنون الحرب خائفة من ان يقع في ايدي قومها لانه وحيد وهم كثيرون ولذلك صاحت بعمر العيار وقالت له دع عنك القتال واسرع الى الامير حمزة واخبره بامر ابنه قبل ان يصل ابي وزوبين الغدار وتحمل العساكر برمتها عليه وانا وعمر اليوناني نقدر على الثبات والبقاء الى حين تاتون فقال لها لا تفارقيه الى ان اعود . ثم انطلق حتى جاء معسكر العرب وصاح باخيه حمزة وقال له ويلك ادرك ابنك فانه في وسط الاعداء وقد فعل بهم العجائب وانزل بهم النوائب ولا بد ان يقع به التعب فيصاب بنائبة او يقع بيد الاعداء وقد توافق مع طوربان بنت افلنطوش وهي تقاتل معه وتحمي ظهره فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابه وغاب وعيه واسرع الى جواده فركبه وحمل على معسكر الاعجام وحمل من خلفه

الدهوق بن سعدون والمعتدي حامي السواحل وكل فارس وبطل عربي وعند ما وصلوا الى ساحة القتال وجدوا ان قبائل العجم قد حملت باجمها على الامير عمر اليوناني وافلنطوش يحركها ويصيح بها ان تتقدم منه وتحمل عليه وزوبين الغدار مع طوربان في نزال ومحاولة وهي تطلب ان تقتله وهو كذلك وقد امتلأ قلبه حنقاً منها وكره في الحياة الا انه لما سمع صوت الامير حمزة وشاهد حملة العرب ترك طوربان وغاص بين قومه وكان القتال عظيماً والنزال جسيماً وقد اتسع المجال على الامير عمر اليوناني عند وصول ابيه وقومه ومباشرتهم القتال فجعل يخترق الصفوف ويطعن في المئات والالوف وطوربان الى جانبه وقد دفع اليهما عمر العيار جوادين فركباهما ودام القتال الى قرب الزوال ورجع الفريقان الى المنازل والخيام ودعا حمزة بولده وباخيه عمر العيار ولامهما على مثل هذا العمل وقال لاخيه اما اوصيتك في المرة الاولى ان لا تذهب بولدي الى المخاطر . فقال له ليس انا الذي ذهبت به بل هواه ونصيبه وقد حصل على ما هو طالب ونال غايته لانه كان يقصد ان يرى طوربان فحصل عليها وجاء بها وهي هنا الآن ويقصد ان يتزوج بها وما سرت معه الا خوفاً عليه . ثم ان عمر العيار حكى لحمزة كل ما توقع لهما مع الاعداء وكيف رأيا طوربان موثوقة في البرية تقاسي الذل والهوان . فدعا حمزة بطوربان ونظر اليها فوجدها على جانب عظيم من الحسن والجمال وهي اشبه الناس بزوجته مهردكار وكان قد رآها وسط القتال وشاهد منها اشتداد ساعدها وقوة باعها وخبرتها بفن الحرب والقتال فعلم انها تليق بولده واحبها كثيراً واستعاد منها حديثها . فاخبرته بما كان من امرها مع زوبين منذ اتيانها الى معسكر كسرى انوشروان الى ان خلصها ابنه . فقال لها اني اعرف ان هذا زوبين من اكثر الناس غدراً وخداعاً وما ذلك الا لانه يعبد النار ولو كان على دين الحق ويعبد الله العزيز الجبار لما يقدم على مثل هذه الخيانة واني اسألك الان الزواج بولدي فهل ترضين ذلك عن طيبة خاطر ورضاء لان شريعتنا تحرم الزواج الا برضاء الزوجين . قالت اني بطلب مثل هذا الشأن تركت معسكري وابي واهلي ليكون نصيبي

سعيداً كنصيب بنت عمي مهردكار

قال لكن بقي عليك ان تتركي عبادة النار وتتمسكي بحبال الله وتسلكي على حسب شريعته. قالت اني فعلت ذلك وعاهدت ابنك عليه ثم دعا بولده وعرض عليه زواج طوربان . فقال هو الغاية والمراد فاني ما سرت الى قبائل الاعجام الا لاراها واعرف هل هي كما قيل لي عنها او انها بخلاف ذلك فوجدتها فوق ما وصفت وقد سهلت لي العناية طريق الوصول اليها وهي بحالة مكدرة تحتاج الى مساعدتي فانتشلتها من العار ففرح الامير حمزة وعزم بان يزف طوربان على ابنه في مدينة حلب وامر ان تؤخذ الى قصر يليق بشأنها تبقى به الى حين سنوح الفرصة وذلك بالقرب من مهردكار . فأُخذت وجاءت اليها مهردكار وسلمت عليها وقالت لها حسناً فعلت يا بنت العم فان العرب قوم اصحاب وفاء وزمام لا يهينون الزوجة ولا يظلمونها ولهم الشريعة المطهرة والناموس يبذلون كل النفيس والنفائس في المحاماة عن العرض ورفع الاذى بخلاف قومنا الاعجام فان لا اعتبار لمثل ذلك في صدورهم فيكرمون الزوجة احياناً واحياناً يتخلون عنها لغيرهم كأنها غريبة عنهم وفي نياتهم ان غيرها تقوم مقامها . قالت اني عرفت ذلك واعرفه ولا سيما ان الفرق بين من احببته واحبه وبين زوبين الغدار لا بل عموم رجال الفرس عظيم جداً واني اهنئ نفسي بذلك واهنئك على ما سبق منك في مراعاة صالح نفسك والنظر في راحة حياتك

وبعد هذا روح طوربان واختلت بنفسها نظرت الى فعلها والى ترك ابيها وقومها نظر مضطرب وقالت ماذا يا ترى يقول عني ابي وهو يجهل السبب في ذلك نعم انه ينسب لي الخداع والمكر والخيانة ويغضب علي وصرفت وقتاً تفكر في ذلك وفي كل خاطرها ان اباها لا يعرف بفعل زوبين فأرادت ان ترسل له كتاباً تطلعه به على باطن القضية وظاهرها وتشرح له عما فعله معها زوبين الغدار من الاول الى ذلك اليوم وما نوى على عمله فكتبت كتاباً في ذلك وقالت في آخره ولا تغتب علي يا ابي في فعلت فاني اصبحت اسيرة لغلام من اشد فرسان العالم

بسالة بحيث خلص حياتي من العار والذل فملت اليه حباً بأعماله وكرهاً بزوبين الغدار الخبيث ورأيت ان الراحة وحفظ الشرف بالبعد عنه . وبعد ان فرغت من الكتاب دعت بعمر اليوناني واخبرته بذلك وقالت له اريد منك خادماً يسير الى ابي ليدفع اليه هذا الكتاب ويعود من حيث ذهب فدفع الكتاب الى عبد اخذه وسار حتى وصل الى افلنطوش في صيوانه وعنده زوبين الغدار وهو في حالة جنونية وضياع عقل وقد هان عليه فقد الحياة وتمنى الموت على ما يلاقي من عناد التدابير وثبت في ذهنه ان طوربان ستفارقه الى الابد ويكون من امرها كأبنة عمها مهردكار . فدفع الخادم الكتاب الى افلنطوش فأخذه وقرأه فزادت بقلبه نيران الغيظ وقال لزوبين هل وصل بك الغدر الى مثل هذا الحد حتى نويت ان توقع ببنتي وتلبسني العار مع انك كنت قادراً ان تطلعني على امرك فاجبرها ان تتزوج بك بطريقة شريفة . قال ان ما تزعمه هو على غير الصحيح لاني رجل احافظ على شرف العجم جداً وان الذي فعل هذا الفعل العبيد . ولا بد من ان اباكر في الغد الى القتال وابذل المجهود لاسترجاع طوربان وحينئذ تفحص عن سرّ هذه المسألة فيظهر لك الحق من الباطل . وكان افلنطوش يعلم بغدر وخيانة زوبين فثبت عنده ان هذا الفعل فعله وان لا احد يجسر ان يصل الى الايقاع بابنته وعمل مثل هكذا امر إلا هو ألا انه سكت على غيظه وقد رأى نفسه محتاجاً اليه والى رجاله وخاف من الانشقاق والتشتيت وترك هذا الامر الى وقت آخر

ولما كان صباح اليوم التالي نهض العجم من مراقدهم وامر زوبين بضرب طبول الحرب والكفاح وهو يريد ان يلقي بنفسه في ميدان الاخطار فاما انه يفوز بالمقصود واما انه يرتاح من التنكيس الحاصل له . وكذلك العرب فانها عندما رأت غاية العجم بالقتال امر الامير حمزة بضرب طبول القتال وركب على جواده اليقظان وركب عمر الاندلسي والملك النجاشي واندهوق بن سعدون وعمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان وكل فارس وبطل وحالما وقعت العين على العين حمل كل من الطائفتين وقوم السنان . وانطلق

العنان فاختلط العربي بالعجمي . والحبشي بالديلمي . وقامت الحرب على ساق وقدم وحكم سلطان العدم . وجار فيما حكم واستبد وظلم . وقسى وما رحم وسلم بهلاك وفناء تلك الامم . التي اقلقت راحة السلام . ولم يكن لعنادها وقتالها نهاية ولا ختام . فاندفقت الادمية في اقنية الارض كالانهار . واختلطت اجساد المقتولين بالتراب والاحجار . حتى ضاقت منهـا الصدور . ووقعت تحت قضاء الله المقدور . وسلمت انفسها تسليم المؤمن الى القضايا وقربت نفوذها على مذبح الفوز ضحايا . ولا زال القتال يعمل والدم يبذل الى ان اقبل الزوال وحان اوان الفراغ من القتال . فضربت طبول الانفصال . ورجع كل من المتقاتلين في الحال . وقد قتل في ذلك اليوم من الاعجام كثير ورجعوا مقهورين مذلولين الى ان كان صباح اليوم التالي اصطف الصفان وترتب الفريقان وهجما على بعضهم البعض حتى ارتجت جنبات تلك الارض ودار دولاب الحرب . وتبادل الطعن والضرب . طول ذلك النهار حتى كان المساء فضربت طبول الانفصال ورجع المتقاتلان ودام القتال سبعة ايام حتى وقع بعساكر الاعجام الفناء وامتلأت السهول من القتلى ورأى افلنطوش ما صار اليه من التأخير والتعب فأيقن بالهلاك والوبال . فجمع اليه زوبين الغدار وقال له ان اصل هذا الشر انت وقد ابعدت عني بنتي ولم تنفع بأمر لان العساكر اصبحت على وشك الانقراض والتأخر ولم نر وسيلة للخلاص من الاعداء فوقع هذا الكلام على زوبين اشد من ضرب الحسام . وقال له اني وعدت بخلاص طوربان ولا بد منه وانا اعرف ان النصر يكون لنا اذا قتل حمزة وقد جربت القتال معه مرتين فتوفقت الى قتله ولا بد في المرة الثالثة من النجاح غير انه من الواجب ان تبعث الان بكتاب الى العرب تسألهم الهدنة الى عشرة ايام لندفن قتلانا ويكون العسكر قد ارتاح واطمأن نوعاً ما ورجع اليه بعض قواه

قال فرأى افلنطوش ان ذلك صواباً فبعث بكتاب الى الامير حمزة يسأله ترك القتال مدة ايام بينما يكونوا قد دفنوا المقتولين فأجاب الامير سؤاله وكان

في نيته ان يزف ابنه على طوربان في هذه المدة حيث كان قد تولع بها كل التولع واحبها الحب الشديد وصار لا يفارقها الا حين القتال وهي لا تصبر على بعده . واذ ذاك دعا اليه السادات والاعيان وقال لهم اني اجبت افلنطوش الى طلبه املًا ان نصرف هذه الايام بالافراح والمسرات فتزف ولدي على طوربان لاني احب ان لا يقاسي ما قاسيت ولا يلاقي ما لاقيت من حب مهردكار ولذلك سنبتدئ بالعرس منذ الغد . فسرَّ الجميع لذلك ولا سيما عمر اليوناني فانه ايقن بقرب نوال المراد ممن احبها قلبه على صغر سنه وولع بها كل الولع واحبها الحب الزائد وذهب اليها وهي جالسة بانتظاره وقال لها لقد آن اوان الاجتماع وحل وقت الزفاف وقد امر ابي ان يكون في هذه الايام ولذلك تريني مسرورًا جدًّا ولا ريب انك تشاركينني في هذا الفرح . فقالت له ان قلبك يدلك على عظم سروري وان كان من الواجب عليَّ ان لا افرح لبعد اهلي وابي واني سأزف اليك كأسيرة بيدك او كابنة احد اعدائكم غير ان ثقتي الكبرى برحمتك تدفعني الى التمسك بحبال الامل الطويل ان اكون الان وعلى الدوام اسيرة حبك واءامل منك معاملة المحبوب الامين فانت سيدي وفخري وابي وامي لا بل انت السند والمحبوب والرجاء والامل الوحيد . ثم بكت وانشدت قائلة :

دنوًا لقد اوهى تجلديَ البعدُ ووصلًا فقد ادمى جوانحيَ الصدُّ
اجنُّ غرامًا فيك خشية كاشح ومن مدمعي ودق وفي كبدي وقد
وبي فوق ما بالناس من لاعج الهوى ولكن الى ان يجزع الاسد الورد
فيا من يبين الرشد فيمن احبه متى يلتقي الحب المبرح والرشد
تلاعبت بالاشواق حتى لعبت بي وما كنت ادري ان هزل الهوى جد
بليت بظبي عادل القد معطف عليَّ وها قد رق لي الحجر الصلد
اذا جئته يومًا لبث شكية اوحى باشجان على مثلها اغدو
تهددني من مقلتيــه اذا رنا قواضب مما يصنع الله لا الهند
حداد يلوح الموت في صفحاتهــا مواض لها في كل جارية غمد

كأنّ عليها القتل ضربة لازبٍ فليس لها مما تحاوله بدُّ
تعلم منها الدهر صولة فاتك فما برحت تَرداد فتكاً وتشتدُّ
كأنهما في حلبة الضيم فارسا رهانٍ وكل منهما سابق يعدو
سأفزع من جور الخطوب وألتجي الى عدلِ من اضحى له الحلّ والعقد
تصدى لنصر الدين بعد انخذاله فردَّ على اعقابه الزمن الوغدُ
أعني يا ابن الكرام فانني غريبة قومٍ انت لي العون والقصد

فضمها اليه وقبلها ومسح دمع عينيها وطيب خاطرها وهو يعرف انها مولعة به كل الولع شديدة الحب وصرف اكثر ليله عندها على شرب العقار ومناشدة الاشعار . وفي اليوم الثاني اخذتها اليها مهردكار ووضعتها في قصرهـا واصلحت شأنها . واخذ العرب في عمل زفاف ابن الامير حمزة وكلهم فرحون بذلك يرقصون ويطربون ويذبحون الذبائح ويولمون الولائم ويشربون الخمور مدة سبعة ايام وفي اليوم الاخير عقد للامير عمر على طوربان بحضور سادات العرب وقضاة حلب ودخل بها وامتلأ من حسنها وجمالها وصرف نحو ثلاثة ايام عندها لا يخرج من القصر وهما على اهنأ ما يكون من لذة العيش وقتلا الهجران بطيب الوصل والتقرب وبلغ في الاخير انلنطوش ان ابنته زفت على عمر اليوناني ابن الامير حمزة فتكدر جداً وكدر ينقد صوبه وكذلك زوبين الغدار فانه اصبح كالمجانين وانقطع امله وانفطر فؤاده وهان عليه الموت بعد ذهاب طوربان من يده وهو صابر على لوم فلنطوش وتوبيخه له . وما صدق ان جاء يوم القتال حتى نهض هو قبل الجميع وركب على جواده وامر بضرب طبول الحرب والقتال فضربت ونهضت الاعجام الى خيولها فركبتها وفعل مثل ذلك العرب واصطف الصفان وترتب الفريقـان وعولت العساكر على الهجوم واذا بزوبين الغدار قد سقط الى وسط المجال وهو فوق جواده مدجج بالسلاح فصال وجال ولعب على اربعة اركان الميدان . ثم انه وقف في الوسط ونادى هيا يسادات العرب فابعثوا الي بأميركم حمزة وغيره لااريد فاما في قتله واريح كسرى من شره واما اني اقتل فأكون قد لاقيت جزائي

منه . ونظر الامير حمزة الى زوبين الغدار وهو في وسط الميـدان وتعجب من امره وهو لا يصدق انه هو ذاته ولذلك اسرع اليه خوفاً من ان يندم على البراز ويرجع من ساحة القتال . ولما صار امامـه قال له ويلك يا زوبين الى متى انت مختف عني وانا اتمنى ان اراك وما الذي حملك على البراز اهل رأيت طريقاً آخر للغدر بي والخيانة اجاب اني عرفت ما فعلت معك ولذلك جئت كما تراني واطلب اليك اذا قدرت عليَّ ان تقتلني لاني ارى ذنوبي وقد وضحت امام عيني لاهانتي فاستعد الان فليس في وسعي الكلام فانه يزيد احزاني واكداري ويضعف قلبي ويذكرني بخيانتي . فانحط عليه الامير انحطاط البواشق وانقض عليه انقضاض الصواعق واخذ معه في القتال والحرب والنزال . وهو يراقب كل حركاته ويخاف من غدره وخيانته وزاد عليه الدرهم قنطار وضيق في وجهه واسعات تلك القفار حتى ايقن بالهلاك والبوار وشاهد الموت يحيط به احاطة السوار وعرف ان حمزة في هذه المرة لا يترك له طريقاً للخلاص ولا ينخدع اذا اراد خداعه ولا يقدر ان يحفظ نفسه من الهلاك الا اذا سلم نفسه اسيراً ولذلك صاح الامان الامان يافارس الزمان وجوهرة الفضائل والاحسان . فها ان سيفي بين يديك وروحي مسلمة اليك . ثم رمى بسيفه الى الارض ووقف ذليلاً فأغمد الامير حمزة سيفه في الحـال وانقض عليه وقبضه من جلباب درعه ورماه الى الارض واذا بعمر العيار قد انقض عليه واوثقه ورجع به الى الخيام وفي تلك الساعة حمل عمر اليوناني وحمل من خلفه فرسان العرب وداروا بالاعداء من كل الجهات وانزلوا عليهم انابيب الويلات وقيدوهم بحبال الشدات ولا زال القتال دائم وعزرائيل الهلاك قائم حتى اقبـل الظلام . وقد تقهقر العجم الى الخيام وايقنوا بالهلاك والاعدام وشرب كاس الحمام فرجع عنهم العرب الى المنازل وهم متيقنون ان حالتهم حالة ذل وويـل وانهم ما عادوا ينفعون لقتال ولا يقدرون على المقاومة

وعندما رجع الامير حمزة الى الخيام نزل في صيوانه اي صيوان اليونان شاه وكان العرب من صغيرهم الى كبيرهم فرحون بأسر زوبين الغدار وتيقنـوا ان

الامير لا بد ان يقتله اشأم قتلة ولذلك كانوا قد ازدحموا الى الصيوان ينتظرون امر الامير بالاتيان به وكان زوبين نفسه يعتقد انه هالك في تلك الليلة وانه لا بد من وقوع نظر الامير عليه يقتله في الحال ولما انتهى اجتماع الامراء والملوك في الصيوان قال الامير لاخيه عمر العيار اذهب وأتني بزوبين الغدار فسار واحضره وهو مقيد الايدي والارجل والناس تزدحم حواليه من كل الجهات حتى ادخل به الصيوان فوقف بين يدي الامير حزيناً واطرق الى الارض واظهر على نفسه الذل والكآبة فقال له الامير حمزة: ماذا رأيت من نفسك يا زوبين وهل ثبت لديك ان عاقة الغدر وخيمة ذميمة. قال اني عرفت ذلك من قبل ان بارزتك ولذلك سلمت بنفسي لاخلص من حياتي الذميمة وقلت في نفسي اذا قتلني الامير نلت ما انا مستحقه وجازاني على شري واذا عفى عني فقد تخلصت من خدمة العجم ومن قباحة دين النار الذي لا يمنع من الغدر ولا يعلّم عمل الخير فاعيش عنده وفي خدمته . وذلك لاني كنت احسد فرسانك وابطالك الذين بين يديك يخدمونك ويتقربون منك وهم معظمون مفضلون . قال كيف يمكن ان اصدق صفاء نيتك وصدق قولك بعد ان رأيت من غدرك بي وما اوصلت اليّ من الشر وانت توسم بالغدر . قال اني لا ألام على غدري بك لاني اعرف واعترف انك اشد مني بأساً ولا اقدر ان اكيدك في ساحة القتال ولا يمكني ان اتخلى عن حربك حيث كان اوصلني الطمع الى ان اعد نفسي بزواج مهردكار وبعدها بطوربان ولو كنت انت مكاني في مثل ذلك الوقت تفضلت الموت على عناد الزمان . ولا سيما اني كنت نشأ على عبادة النار والآن وطدت كل العزم على عبادة العزيز الجبار خالق الليل والنهار وهذا الذي يجعلني ان اخبرك بالصدق وافضل الصحيح على غيره وكفاك شاهد بر زي ايك وطرح نفسي بين يديك مع انه كان في وسعي ان ابقى مختفياً بين قومي و ذ نهزمو انهزمت معهم وعدت الى المدائن انتظر الفرص . فقال له حمزة ان كنت تؤمن بالله سبحانه وتعالى وتعتبر وصاياه وترضى بأن تكون معنا عفوت عنك وجعلت لك مقاماً بين رجالي وابطالي . قال ان ربك يشهد عليّ

ان لا اتكلم الا الصحيح واني لاخني في باطني شرًا ولا اكذب قط وما انت قادر عليّ فاماً ان تميتني فبحقك واما ان تبقي عليّ فمن كرمك وعدلك . فقال حمزة اني عفوت عنك وتركت لك جريمتك واعدت اليك سيفك فتكون بين رجالي منذ الآن. وانزع عنك اسم الغدار واسميك بعبد الله زوبين. فلا يكون اسمك منذ هذه الساعة الا هذا ولا ريب انك تسر من ذلك

قال ولما سمع الفرسان كلام الامير وعفوه عن زوبين دار بينهم الحديث وتقمقموا من عمله وما هان عليهم بقاء زوبين حيًا وصاح عمر العيار لما هذا العفو هل نحن بحاجة لمثل هذا الخائن الغدار وهل تظن انما يقوله صدق واني اقسم بالله العظيم انه يقصد الشر والخداع كسابق عادته فما من نفع في حياته وعندي ان تقتله وتريحنا من شره وكذلك قال باقي الابطال والرجال الذين في الصيوان. قال ألا تعلمون ان قتل الاسير حرام ولا سيما انه يقول ويؤكد بانه قبل الايمان وصار من عباد الله فكيف كان الحال فقتله يحسب اثمًا وخطيئة . واذا كان يخفي خلاف ما اظهر فلا اعلم ويعلمه الله . ثم نهض في الحال واطلق قيد زوبين وارجع اليه سيفه واعد له مكاناً بين الفرسان وما منهم من يريد ان يقرب منه او يحاكيه مليح ولا بباطل . وقد تعجب الجميع من صفاء باطن الامير وحلمه وحسن طويته وعدله وحبه لله واعتقاده واعتباره لارادته . واما زوبين فكاد يطير من الفرح وايقن بنوال المراد وبلوغ الغاية واعد له الامير حمزة مكاناً بين الفرسان يقيم به فنام تلك الليلة الى صباح اليوم الثاني ثم جاء الى صيوان اليونانيين فوجد الامير حمزة والفرسان قد جاؤوا واقام كل واحد في مكانه فسلم عليهم وجلس . ثم قال للامير اعلم يا سيدي انه لا خفاك ان افلنطوش قد رحل عن هذه الديار في الليل وسار الى جهة المدائن وقد خطر لي ان اتبعه فدما ان اقنعه واجبره ان ينقاد الى عبادة الله سبحانه وتعالى وينضم الينا وينادي ابن عمه كسرى انوشروان واما ارجع بقومي ورجالي لانهم يسروا منه ويكونون عوناً لنا . وليس من العدل ان اتركهم بيد الاعجام وبينهم وقد جئت استشيرك بذلك فاذا سمحت لي فعلت

قال اما الاتيان برجالك فلا بأس منه فهو لازم واما اقناع افلنطوش فهذا لا اظنه ولا يمكن لانه من عائلة الاكاسرة وعبادة النار مزروعة في قلبه قال اني اعرف ذلك ولكن اعرف ايضاً انه يفوت دينه وبلاده ورجاله وكل ما هو عزيز لديه اذا قدر ان يكون قريباً من بنته يراها في كل يوم لانــه يحبها محبة تفوق محبة الالهة . قال له اني اسمح لك فافعل ما انت فاعل . فركب عبد الله زوبين في الحال وسار في طريق المدائن ركضاً ليدرك عساكر الاعجام

وكان افلنطوش في تلك الليلة قــد حدثته نفسه بالهرب ورأى انه اذا بقي يوماً آخر هلك واهلك كل رجاله وثبت في ذهنه ان الامير حمزة لا يبقي على زوبين ولا يتركه دقيقة في قيد الحياة وعليه فانه امر رجاله ان تستعد للترحل بعد نصف الليل وتسير على طريق المدائن وهو مكدر كل الكدر على فراق بنته وعلى مصابه وتأخره . وبعد نصف الليل باكثر من ساعة ركب وركب من تبقي معه من فرسان العجم وساروا في طريقهم وعند الصباح افتقدهم العرب فما رأوهم ولا زالوا سائرين الى قرب الظهر وحينئذٍ ادركهم عبد الله زوبين وتبينوه عن بعد ففرحوا وللحال امر افلنطوش بان تقف العساكر فوقفت فرحة الى ان دنا منهم واجتمع بافلنطوش فسلم عليه وهنأه بالسلامة وقال له كيف خلصت من بين يدي حمزة . قال اني قبلت كلمة الايمان وعبدت الله سبحانه وتعالى فوجدت في ذلك لذة عظيمة وقد صرت منذ الان على دين حمزة ومن رجاله اقاتل بين يديه وقد جئت لاطلب اليك ان تجاريني في هذا العمل وتتفق معي على عبادة الله وترك عبادة النار والتخلي عن كسرى انوشروان فتجد في ذلك لذة كبرى وتنال الخير العظيم فضحك افلنطوش منه وقال له بارك الله لك بهــذا الدين الجديد ودامت عليك نعمه واما انا فلا تطمع نفسك بي فاني سأسير الى كسرى وعندي انك تسير معي وهناك ندبر في امر هلاك العرب . قال هذا لا يمكن فارضَ بما اعرضه عليك وسترى ما يسرك من امر العرب وسيدهم . وكان زوبين يتكلم بجد حتى توهم الجميع انه عبد الله وترك عبادة النار وصار من رجال حمزة الا انه لما اختلى

بافلنطوش قال له اتظن اني اترك ما انا عليه واعادي كسرى واجاري العرب على دينهم وانضم اليهم . غير اني وجدت من الحيلة ان اكون واياهم على اتفاق وابقى عندهم الى ان ينسوا ما فعلت معهم ويأمنوا اليَّ واذ ذاك اغدر بهم وادبر على هلاكهم وفنائهم فاذا شئت ان تتمم هـذه الحيلة ارضَ بما اعرضه عليك وسر معي طائعاً الى امير العرب واعرض عليه طاعتك وانك قبلت الايمان واطلب اليه ان يدفع اليك رجالاً يعلمونك ويعلمون العساكر الايمان والشريعة ومن العجيب ان حمزة الذي يحسب في هذه الايام من اعظم العالم بسالةً واقداماً واشدهم مجداً وفخراً بسيط القلب يصدق كل ما يسمع ولا يظن الشر باحد وهذا يساعدنا على نوال المراد واری من الضرورة ان تكون انت معي بينهم فيسهل علينا كلما نريد ونوقع بهم ونقتل الامراء والاكابر ولو احتملنا منهم في الاول الاهانة وعدم الركون لكننا سنلاقي فيما بعد النصر ونأخذ تأرنا منهم . فاطرق افلنطوش عند سماعه هذا الكلام الى الارض ورأى ان كل ما اشار اليه زوبين عين الصواب وما من ضرر بذلك . ثم قال له اني ارضى واجيب الى طلبك فان به الخير والنجاح لكن من الواجب ان نطلع كسرى على كل ما جرى ونخبره بامرنا واننا ما دخلنا مع العرب الا لاتمام الحيلة ونوال المراد حتى اذا بلغه ذلك يعرف سر المسألة فلا يتكدر قال هـذا لا بد منه فارسل له كتاباً الان نحن سنجعل الرسل متواصلة بيننا وبينه . وفي الغد عد بنا الى حلب

ثم ان افلنطوش كتب كتاباً الى كسرى انوشروان يخبره بما كان من امرهم مع العرب وكيف انهم تأخروا واخيراً رأوا من الصواب ان يخدعوا العرب ليوقعوا بهم ويذلوهم وهم باماں منهم ويسأل منه ان يكتم هذا الامر عن الوزراء وكل احد كي لا يعرف العرب بذلك او تصل اليهم الاخبار من احد . وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان وعند الصباح عادوا الى ان جاؤا مدينة حلب وكشفوا معسكر العرب فامر زوبين رجاله ان تضرب الخيام بالقرب من خيام الاعداء وان يصيروا هم من العرب ويتصل الطنب بالطنب واعلن بينهم انهم منذ ذلك

الحين اصبحوا مساعدين لحمزة ورجاله فعمل معسكر العجم كل ما اشار اليه زوبين واما هو فانه سار بنفسه واخذ معه افلنطوش حتى جاء صيوان الامير حمزة فوجده على كرسيه جالساً كانه الاسد في مربضه ومن حوله الفرسان والابطال كل الى جهة بحسب رتبته ومقامه ولما دخل دنا من حمزة وقال له هذا هو افلنطوش وقد صرفت الجهد الى اقناعه وبينت له حسن طويتك وحلمك وعدلك وان لنا الراحة العظيمة والمجد الاكبر بقربنا منك ووعدته لا بد ان تستولي على تخت كسرى فتعهد به اليه فاجاب وابان له انه متكدر من ابن عمه لانه لا يعاملهم بحق ولا يقدرهم حق قدرهم . ثم تقدم افلنطوش من حمزة وسلم عليه واشار الى باقي الفرسان بالسلام فاجلسه عمر العيار في مكان يليق بشأنه وقلبه يتحرق من عمل اخيه وبعد ان جلس قال له حمزة اعلم ايها الامير والسيد العظيم اننا قوم نعبد الله تعالى العزيز الجبار خالق الليل والنهار يعرف ما في الخبايا ويطلع على السرائر والخفايا . فاذا شئت ان تكون معنا وبيننا وتحسب نفسك كواحد منا يجب ان تعبده وتترك عبادة النار والاصنام وكذلك كل معسكرك والذين معك من الكبير الى الصغير ولا بد ان تلاقون راحة ولذة في هذه العبادة . قال لقد اخبرني زوبين بكل ما لاقى منك من الاكرام والحلم وانك بعد ان كنت قادراً على قتله عفوت عنه واكرمته وتركت له جرائمه العظيمة ونسيت غدره بك وخيانته السابقة فتعجبت وعرفت انك من كرام الناس ولا ريب ان من كانت هذه الصفات صفاته وهذه المزايا مزاياه يفدى بالارواح ولا يعادى وكنت قبلاً متكدراً من زواج بنتي بابنك والان رضيت وفرحت به لانها وحيدة لي ومن أملي ان تكون زوجة لرجل مثل ابنك فتلاقي الراحة والسعادة . وها انا الآن على دينكم وبين يديكم فعلمونا كل ما هو واجب ان نعمله وما انا بافضل من بنتي طوربن ولا تضيق نفسي البعد عنها لانها عندي افضل من ممالك العالم واعز من كل ما فيها وهذا حكيه لكم عن صدق قلب ونية لا اقصد الا الحقيقة واني منذ هذه الساعة صرت عدواً كبيراً لكسرى انو شروان حيث لم ينظر في

مصلحة نفسه حق النظر ولو كنت مكانه لسلمت بكل ملكي وبلادي اليكم وجعلتكم عوناً لنا وغوثاً لدولتنا . فقال حمزة اني اشكرك على قولك ولا بد من ان ادفع اليكم الاساتذة لتعلمك وتعلم قومك شريعته تعالى لكنني اقول لك امراً واحداً فقط . وهو الهنا يسألنا ان نسالم العالم ونعرض عليهم الايمان كما فعلت انا فمن قبل حرم علينا قتاله وهو لا يغش ولا يغدر به فاذا كان ايمانكم عن رضى وانكم بالحقيقة تقبلون كلمته وشريعته جازاكم بالخير وساعدكم وما ترك الكفرة تتمكن منكم والا اذا كان ايمانكم عن كذب وانكم تقصدون الشر جازاكم بمثله وانزل عليكم بغضبه وما ترك لكم باب الشر مفتوحاً بل سده في وجهكم ورد كيدكم الى نحركم . ومن هذا تعلمون اني اقبلكم كاخوة بالله واترك وما تضمرون لله تعالى . ثم انه نهض الى افلنطوش وقبله وترحب به وامر فرسانه وابطاله وملوكه ان تقرب منه وتسلم عليه وتقبله وتعاهده كواحد منهم فنهض اليه الجميع وقبله كل واحد بدوره وهم يتذمرون ويتقمقمون من عمل الامير ويتعجبون من صفاء باطنه وحسن اعتقاده بالله مع تيقنهم ان زوبين وافلنطوش وقومهما من الكفرة لا يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ولو سلخوا وشووا على النار وان ايمانهم كذب ولا بد من الغدر والخيانة ونووا ان يبقوا متحذرين منهم غاية التحذر على الدوام وان عمر العيار كذلك يبقى محافظاً على اخيه وابن اخيه وزوجتهما

قال وصار عبد الله زوبين وافلنطوش منذ ذلك اليوم مع اعيان معسكرهما يأتون الى صيوان اليون شاه ويقيمون بين العرب كانهم منهم ولا يظهر من امرهم شيء مكدر يجعل العرب بارتياب منهم نحو خمسة اشهر وفي كل هذه المدة كان يجتمع افلنطوش بابنته ويظهر لها محبته كالعادة وفي قلبه لهيب النار كيف انها مكنت منهم ورضيت عن قصد وطوع ان تكون زوجة له دون ان يكون اباها راضياً بذلك والرسل على الدوام متواصلة بين كسرى وبينه وهو ينتظر نتيجة لهذه الخدعة . الى ان كان ذات يوم وهم جالسون بالصيوان واذا بالعبيد قد

دخلوا على الامير حمزة وبشروه بان زوجته مهردكار قد ولدت ولداً ذكراً وهي سالمــة نفرح وسرَّ مزيد السرور واعتق العبيد واجزل لهم العطاء وانعم عليهم ووهب الاموال وفرق الذهب وبعد ذلك جيء اليه به وهو في لفافته محمولاً على ايدي العبيد والخدم فاخذه وقبله ونظر في وجهه فرآه كانه البدر في تمامه عليه دلائل السعد والاقبال فامتلأ قلبه من حبه ولا سيا لانه ابن مهردكار التي احبها الحب العظيم وفضلها على كل نسائه . ومن ثم اخذه الامرآء والفرسان كل واحد بدوره ينظر اليه ويقبــله ويهني الامير حمزة به ولما اخذه افلنطوش ونظر به انفطرت مرارته وهاجت بقلبه نيران العداوة وتذكر في داخله كيف يكون هذا ابن بدوي من بنت سيد العجم وملكهم وقد اخذها بالقهر والجبر رغماً عن ابيها وكل قومها الا انه اخفى ذلك وهنأ الامير به كغيره وكذلك زوبين فانه رأى به دلائل والدته التي كان احبها وتمنى ان يتزوج بها . وبعد ان طيف بالولد على الجميع اعيد الى ابيه وسأل ماذا يريد ان يسميه . فقال اني تركت الحق بتسميته لامه ونذلك من الواجب ان ابعث استشيرها على هذا ثم ارسل احد العبيد يسألها في ماذا تريد ان تدعوه ليكون اسمه معروفاً مع قومه منذ ذلك اليوم . فقالت للعبد اخبر مولاك اني اريد ان اسميه قباط حيث قد ولدته في غربتي . وحينئذٍ دعا الامير حمزة اسمه قباط واعاده الى امه وامر ان تقيم عندها المراضع والجواري خدمة الطفل وتربيته وهذا المولود يكبر ويسود بين العرب ويكون له اعظم شان ورفع مقام ويصير مالكاً عليهم كما سيأتي ان شاء الله

وكان عموم العرب قد لاحظوا حال افلنطوش وما وقع منه عند رؤيته الغلام وكيف ضطرب وقلق فاجتمعوا ببعضهم وقال اندهوق اني لا ازال الاحظ على زوبين و فلنطوش حالهما وما هما عليه ولا ريب لانهما لا يزالان على الشر والكفر لا يرضيان من نجاح العرب ولا راحتهم وظهر لي ذلك عياناً في هذا اليوم وعندي ن نخبر لامير بذلك ونسأله ن يطردهما عنا او يبعدها الى مكان آخر مع قومهما فقال النجاشي ن لامير سليم القلب فلا يرضى ان يكون ظالماً ويغدر بهما وان

كلانا مملوءين من الغدر والخيانة ولذلك فليبق كل واحد محافظاً على نفسه وقومه متنبهاً في الليـل والنهار خشية من الغدر حتى اذا ظهر منهما ذلك بطشنا بهما واهلكناهما مع قومهما ولا ريب ان الامير اذ ذاك يعذرنا ويعرف خيانتهما . قال عمر الاندلسي ان خوفنا على الامير منهما فانه سليم القلب يسلم لهما ويصدق كل ما يسمع فاذا احتالا عليه وافقهما وحينئذٍ يغتنمان الفرصة وينفذان مآربهما به . فاجاب النجاشي ان الامير محروس منه تعالى محفوظ بعنايته فلا تنفذ فيـه غاية الاشرار ومع كل ذلك فان عنده عمر العيار نقمة الانس والجان من لاتغفل له عين ولا ينام عن عدوه ولا ريب انه ساهر على حفظ اخيه لا بل حفظ العرب باجمعهم وهو يعرف ان افلنطوش وزوبين وسائر الاعجام لم يأمنوا بالله عن يقين وان قلوبهم مملوءة من الشر والخداع والفساد ولا بد من ان تكون نقمة العجم عن يده . وهكذا اصبح كلٌ من العرب في حذر من زوبين وافلنطوش ولكن القضاء اذا كان واقعاً لا بد من تمامه مهما تحذر المتحذرون

فهذا ما كان من العرب واما ما كان من افلنطوش وعبدالله زوبين فانهما بعد ان تركا صيوان الامير حمزة سارا الى معسكرهما وقد قال افلنطوش لعبدالله زوبين اني تكدرت فيهذااليوم كثيراً فوق ما انا متكدر لانه ما كفانا اننا في كل يوم نرى اعدائنا ونقيم بينهم ونسمع لهم ونذل بين يدي اميرهم كسيد لنا ونراهم يتمتعون ببناتنا رغماً علينا حتىاخيراً ياتوننا باولادهم منهمويعرضوهم علينا لنقبلهم ونفرح مثلهم وما هـذا الا عار عظيم علينا ونفسي لا تكاد تحمله وقد ندمت على الاتيان معك اليهم والصبر على الانضمام اليهم . قال قد مضى الكثير ولم يبقَ الا القليل وسوف ترى ما يكون من امرنا معهم ولا بد من مسك مهردكار وطوربان وارسالها الى المرازبة وخدمة النار لتكونا ضحيتين للنار عن ذنوبنا نحن الذين التزمنا بسببهما ان نكفر بديننا وننضم الى عبدة البطل والكفر . قال افلنطوش هذا لا بد منه فاني سأقبض على كل النساء اللاتي هنا كدرة الصدف وغيرها ولنجعل همنا واهتمامنا ان نأخذ النساء فقط ونسافر عن هـذه الديار لان

العرب متنبهون الينا كل الانتباه ويطول امرنا معهم اذا اردنا ان نغدر بهم ولولا الامير حمزة لما قبلونا قط ان نكون بينهم ولذلك سابعث اخبر كسرى ان بنته ولدت ولداً ذكراً ودعت اسمه قباط وهذا كان اسم احد اخوتها وقد توفي ولم يكفها ان صارت كواحدة من العرب حتى انتحلت اسم اخيها وهو من الاسماء المكرمة عند العجم ودعت ولدها به ولا بد انه يتكدر من ذلك ويخبرنا كيف نفعل ونطلعه على انتباه العرب وتيقظهم منا واننا اذا اردنا ان نغدر بهم لا نقدر الا بعد زمن طويل جداً لا يعرف مقداره اي الى حينما تطمئن افكارهم ويثبت لديهم صفاء بواطنتا ويتوهمون ان لا خوف ثمة منا . قال اكتب بذلك الى كسرى واني اوكد لك انه يفضل ان نبقى اكثر من عشر سنين وعشرين سنة بين العرب وهو بامان منهم على امل ان نقتل الامير حمزة

ومن ثم كتب افلنطوش كتاباً الى كسرى انو شروان يخبره بولادة بنته وانها دعت اسم ولدها قباط وسال منه هل يبقى على الانتظار او يترك العرب ويعود برجاله الى المدائن اذ انه لا يرى وسيلة لنوال مراده في الحال ولا يقدر احد من العجم ان يصل الى حمزة البهلوان . وبعث الكتاب مع نجاب ولما وصل الكتاب الى كسرى وعرف ما فيه ارسل له بالجواب يقول له فيه ابق مكانك ولا تترك ما انت عليه واحفظ مودتك مع العرب في الباطن الى ان تقتل الامير حمزة وتعدمه الحياة ولو بقيت دهراً واني ساع في ايجاد الوسائط السرية لنوال المراد فكن مطمئناً . وعندما وصلت هذه الكتابة الى افلنطوش بقي على ما كان عليـــه وما مضى على ذلك الا اشهراً قليلة حتى ولدت طوربان ولداً ذكراً ففرح به الامير اكثر من فرحه بولده وامر ان تزين مدينة حلب خمسة عشر يوماً وتدار الافراح في كل ناح ففعلوا وبعد ذلك جيء به الى صيوان اليرون شاه وناوله الى الامير حمزة فاخذه وقبله ودفعه الى جده الآخر افلنطوش فمد يده ليأخذه فجعلت يده ترتجف وخاف من ان يظهر امره فقال لحمزة اني كنت لا اصدق ان بنتي تاتي بولد ذكر وابقى حياً فاراه فهي عزيزة عليَّ والان لا اعرف ماذا اصنع فاني ارى كل اعضائي

تتحرك وتحن ولما اخذ الولد اليه وجده كأنه البدر في تمامه جمع بين بهاء ابيه وجمال امه فزاد اضطرام فؤاده الا انه تجلد وقال لصهره بشراك بهذا الغلام فاني اراه مسعوداً واشكر الله على مثل هذه النعمة واطلب اليه ان يعيش كثيراً وينال ما ناله ابوه وجده من الاقبال والتوفيق . ثم اخذه ابوه وقبله في جبهته وقال لابيه حمزة ماذا ندعوه . قال حيث ولد في ايام الراحة والهناء فلندعوه سعداً لان السعد بوجهه . ثم اعادوه الى امه ووضع له المراضع والخدم واخذ الوالدن يكبران ويترعرعان يوماً فيوماً وفي كل مدة يوتى بهما الى بين الفرسان ينظرهما الخاص والعام ويقبلهما الامير حمزة وابنه وافلنطوش ودام الامر على مثل ذلك حتى صار الطفلان يقدران على المشي فيأتيان مع الخدم الى افلنطوش يوماً بعد يوم ويقبلان يديه وهو يكاد يقضي عليه من ذلك ولكن كان يظهر في وجههما الرضا والقبول ويهش خشية من اظهار الامر وقلبه يتمنى لهما الموت والهلاك ومثله لاميهما حيث انهما نجستا عبادة النار واحتقرتها جداً ودخلتا عن حقيق في دين الاله تعالى

فذات يوم نهض الامير من نومه مرعوباً مضطرباً ودعا بفرسانه واعيانه الاخصاء وقال لهم اني رأيت حلماً راعني وارعبني وجعلني قلق الافكار مضطرب البال واني خائف من عاقبته جداً ولذلك دعوتكم لاعرف ماذا ترون في امر هذا الحلم . وهو اني بينما كنت نائماً في اعمق نومي وجدت نفسي كأني في مكة المطهرة بين قومي وهناك رأيت اسراباً من الغربان تحوم حول المدينة ورأيت بعض هذه الغربان ياتي المدينة ويخرج منها ومن ثم حانت مني التفاتة الى احداها فوجدت واحداً كبيراً يحمل في فمه ابي ابراهيم ويسرع في طيرانه ورأيت بعض هذه الغربان ايضاً تحمل من سادة مكة وتخرج مسرعة فغاظني ذلك واردت ان اتبع بهم واذا بي قد استيقظت فوجدت نفسي في فراشي فحزنت جداً وتذكرت ابي ورجاله وتلك الارض التي تفوح بمسك الطهارة وارتبت في راحتهم وقلت لا بد ان يكون قد وقع عليهم امر مكدر وفي ظني اني اركب واسير الى مكة

وانظر كيف حال ابي وقومي فقال اندهوق لولا وجود الاعجام بيننا لرحلنا عن هذه الديار الى تلك النواحي واقمنا فيها بضع سنوات الى حين نرى ما يكون امر كسرى غير اننا لا نزال مرتابين من صدقهما ونخاف ان نذهب بهما الى تلك الارض فتنجسا بوجودهما عليها وهما على الكفر والنفاق وقلة الامانة ونمكنهم بالتهائنا بالاسفار من الوصول الى الغدر بنا . قال الامير مالنا ولهذا الفكر فهذا لا يعرفه الا الله تعالى نعم اني ارى من اعمالها ما يجعلني في ارتياب لكني لا اريد ان افعل شيئاً قبل ان ارى منهم دليلاً على الغدر واضحاً فلا اكون ظالماً بعد ان امتهم على انفسم . فقال المعتدي حامي السواحل اني ارى من الصواب ان يذهب عمر العيار باسرع من البرق الى ارض مكة فيشاهد من بها ويخبرنا بكل ما يرى هناك ويخبر اباك اننا بخير وان الله قد انعم عليك بغلام فيسر بكل هذا . قال عمر اني كنت اخاف ان اسافر فيغتنم زوبين فرصة غيابي لكني سأضع في مكاني جماعتي العيارين واحرضهم على الامير وعلى خدمته واوصيكم انتم ايضاً ان تتحذروا لانفسكم اياماً قليلة فاني لا اغيب الا القليل وكيف كان الحال فيمكنكم ان تثبتوا على ملاحظة عدوكم الى حين ايابي واني اودعكم من هذه الساعة

ثم تركهم وجاء عياريه فجمعهم اليه واوصاهم بالمحافظة والانتباه وعلمهم كيف يجب ان يعملوا في غيابه وقسمهم الى فرق بعضها في خدمة الامير وبعضها حول صيوانه وصيوان ابنه وبعضها يطوف في المعسكر على الدوام وفي كل ليلة وسار من هناك واستلم طريق مكة المطهرة واسرع في الجري حتى بعد نحو خمسة ايام واذا به اقبل على شجرة كبيرة في جانب الطريق فعرج اليها ليجلس قليلاً تحتها واذ به يرى رجلاً نائماً هناك ملتفاً بردائه متظللاً بفيئها من حرارة الشمس فدنا منه وصاح به فوعي الرجل واذا به الامير عقيل رئيس الثاني مائة فارس خصاء الامير حمزة ففرح به عمر وسلم كلٌ منهما على الآخر . ثم سأله ما هو الذي اوجب تيانه وحده الى تلك الارض وهل جرى على رجال مكة شيء مكدر .

قال اني سائرًا الى جهة حلب لاخبر الامير بما كان من امر ابيه واما انت فالى اي جهة سائر . قال اني كنت سائرًا الى مكة حيث ان اخي رأى حلماً مريعاً دعاه الى التيقظ والانتباه وان يعرف ما جرى هناك من الامور في كل هذه الايام والحمد لله الذي رأيتك هنا وخففت عني ثقل السفر الطويل اذ لا اريد ان اغيب كثيرًا عن المعسكر . فاعد عليَّ ما جرى عليك بعد ان فارقتنا وما جرى على اهل مكة المطهرة . قال اني بعد ما فارقتكم مع الاميرة سلوى اخت المعتدي حامي السواحل سرت بين يديها وفي خدمتها الى ان وصلنا بالسلامة الى المدينة ودخلت على الامير ابراهيم واخبرته بكل ما جرى لنا وكيف اننا قهرنا كسرى وطردناه عنا وابدنا كثيرًا من جموعه وان الامير حمزة تزوج بمهردكار ففرح وشكر الله على ذلك وقال كان يودي ان اكون حاضرًا زفاف ولدي لافرح به واجبر كسر شيخوختي غير ان الله سبحانه وتعالى قضى عليه ان يكون طول زمانه غريباً بعيدًا عني فاشكره على سلامته وعلى تخصيصه بالسعادة والتوفيق . ثم قرب من الاميرة سلوى وسلم عليها فقبلت يديه واقامت في بيت اعد لها وبعد ذلك ذهبنا الى البيت وطفنا حوله ثلاثاً وكل اهل المدينة يصلون ويشكرون نعمة الله على هذا النصر الذي ناله الامير وساد به العرب وارتفع صيتهم على رؤوس الكبار والصغار . واما انا فاني بعد ذلك ذهبت الى مكاني واجتمعت باهلي واقمت بينهم املي باشواقي منهم وصرت في كل يوم احضر الى ديوان الامير ابراهيم ابقى كل نهاري هناك واعود في المساء الى ان كان ذات يوم من هذه الايام الاخيرة جاء مكة جماعة من العرب واظهروا ان قصدهم زيارة بيت الله الحرام فنزلوا في ضواحي المدينة وصاروا يدخلون ويخرجون ونحن بأمن منهم وفي كل نيتنا انهم من العربان الذين يأتون حسب العادة لقضاء فروض الزيارة فني ذات يوم اتينا ديوان الامير ابراهيم فلم نجده هناك ففتشنا عليه وطفنا كل المدينة فلم نقف له على خبر وافتقدنا اولئك الزوار فلم نر لهم اثرًا فشغل بالنا جدًا ولا سيما عند ما ثبت لدينا ان سادات مكة ايضاً قد فقدوا وغابوا عن المدينة فطفنا كل النواحي

والجهات وسألنا من الغادي والصادي فلم نقف لهم على خبر فزاد بنا الغيظ والكدر وحسبنا ان ذلك وقع من الاعداء ففارقت مكة وصرت استخبر عن مكان وجودكم حتى عرفت انكم لا تزالون بحلب فسرت اقصدكم لاخبركم بما كان من امر الامير ابراهيم

فلما سمع عمر العيار هذا الكلام قال لا ريب انه عمل عياري الاعداء قد احتالوا على سادات مكة وفعلوا هذه الافعال فهلم بنا بسرعة نقصد فرسان العرب لنطلعهم على هذا الخبر . قال سر امامي فاني لا اقدر ان ارافقك في السفر ولا يمكن للجواد ان يجري كجريك . قال اني اخفف عنك ثقلة المشي . ثم تناوله ووضعه في جراب اسماعيل وكر راجعاً مثل البرق الخاطف حتى جاء حلب ودخل بين معسكر الاعجام فوجدهم على حالهم فاطمأن باله . ثم جاء معسكر العرب ودخل ديوان الامير حمزة فرأى الفرسان مجتمعين من حواليه وبينهم افلنطوش وعبد الله زوبين فاشار الى اخيه ان يتبعه ولما اختلى به على انفراد اخرج الامير عقيل من الجراب وامره ان يعيد القصة ثانية على الامير حمزة ففعل . ولما سمع هذا الخبر اطرق الى الارض متحيراً مرتبكاً وقد اسودت الدنيا في عينيه وكاد يغيب عن صوابه كيف يفقد ابوه ولا يعرف من الذي فعل هذا الفعل وخاف من ان يكون قد لحق به سوء او ان الاعداء يقتلونه . ثم قال لعمر العيار قد اشكل علينا الامر ونحن لا نعرف من اين جاءتنا هذه المصيبة وكيف الوسيلة للاطلاع على حقيقة الامر لنتلافاه ونرجع قومنا قبل ان يحل بهم المصاب . قال اني فكرت بامر به الخير والنجاح وهو اني اسير الى المدائن وادخل على الوزير بزرجمهر واعرض عليه واقعة الحال واسأله في ذلك ولا بد ان يكون عرف بما جرى اذا كان كسرى عمل هذا العمل ويدلنا على المكان الموضوع به السادات فنسعى في خلاصهم ونرى ما يدبره الله تعالى . فقال حسناً تفعل فسر عاجلاً وأتني بالخبر اليقين فودعه بعد ان اوصى ان لا يدعوا عبد الله زوبين وافلنطوش وكل جماعة الاعجام يعرفون بمثل هذا الامر

ولا زال سائرًا حتى جاء المدائن وترقب الوزير حتى رآه خرج من الديوان وذهب الى قصره فتأثره حتى دخل ودخل من خلفه وتقدم اليه وسلم عليه ففرح به وسأله عن العرب وعن اخيه هل هم بخير فاخبره بكل ما جرى للعرب من السعادة والاقبال والنصر والافراح . قال اني لمثل هذا اتمنى لهم واعرف انهم سيلاقون بعد اعظم من ذلك . والان اتيت على ما اظن تسأل عن الامير وسادات مكة الذين سرقوا . قال نعم لقد وصل الينا الخبر بذلك ونحن نجهل السبب فأتيت لاعرفه واعرف اين وجودهم حيث لم يكن لنا من سيد نصوح مثلك نلتجيء اليه ونستمد اراءه ونطلب مساعدته . قال اعلم ان الامير ابراهيم والسادات قبضوا وارسلوا الى نهروان يشتغلون هناك ببناء القلع . وسبب اسرهم ان عيارين من عياري العجم وهما عمر بن شداد الحبشي وستلان الرومي ذهبا بجماعتهما الى مكة المطهرة ومعهما جماعة العيارين وتزيوا جميعاً بزي العرب واحتالوا على الامير ابراهيم فسرقوه وسرقوا اعيان قومه وجاؤوا بهم الى كسرى ففرح بذلك وانعم على العيارين وارسل الاسرى الى نهروان وامر ان يشتغلوا بالاشغال الشاقة هناك وان يهانوا كل الاهانة ولو سبقت نحو ثلاثة ايام لكنت وجدتهم هنا ولكن الان قد بعدوا كثيرًا فارجع الى اخيك واخبره واطلعه على سر المسألة واعلمه ان هذا كان بتدبير بختك الوزير قصد به اهانة حمزة ليشغل له باله ولا يدعه مرتاحاً ويلتزم ان يسعى خلفه ويفتش عليه وهو لا يعرف في اي مكان فاسعوا في خلاصه وخلاص السادات حالاً ولا تتأخروا ولادقيقة واحدة . فشكره عمر العيار على ذلك وقبل يديه وكر راجعاً في الطريق الذي جاء منه حتى جاء حلب فدعا اخاه سرًا واطلعه على كل ما عرفه من الوزير بزرجمهر فنما غيظه وقال قبح الله كسرى وبختك فانهما لا يسعيان الا بالمكر والاحتيال واذا كانا قد ظنا اني اعجز عن تخليص قومي فقد اخطأ ولا بد لي من المسير في هذا اليوم الى نهروان لارى اعدائي كيف حالهم . ثم انه دعا بعقل البهلوان واخبره بغايته وقال له كن على اهبة السفر فاني مزمع ان اسير الى نهروان . فاجاب طلبه وفي الصباح

وركب الامير ومعه معقل البهلوان وعمر العيار وما برحوا سائرين عـدة ايام حتى كشفوا نهروان فوجدوا البناء مشتغلًا في قلاعها من كل ناح والفعلة تنقل الاحجار وتحمل التراب وكان نحو خمسة وعشرين الف رجل يشتغلون في تلك الناحية وعليهم عمر ابن شداد الحبشي وسقلان الرومي وعياروهما ومن الجملة الامير ابراهيم وسادات مكة وهم يهانون اكثر من الجميع فنزل الامير عن جواده الى الارض وفك كربه وسقاه واطعمه ثم عاد فركب عليه وفعل مثله معقل البهلوان . ثم ان حمزة قال له اريد منك ان تسير الى جهة الشمال وانا الى جهة اليمين وننحط بغتة على هذا الصيوان المنحرف الذي في طرف القلاع لان يظهر من امره انه صيوان رئيس القوم وربما كان للعيارين الخبيثين اللذين سرقا ابي ومن ثم ننحط على الباقين فمن سلم عفونا عنه ومن امتنع قتلناه . فاجاب معقل البهلوان امره وافترقا وهجم كل واحد من جهة فثار العيارون وهاجوا واضطربوا ولما سمعوا ان الصياح هو صياح الامير حمزة تركوا الاسارى وطلبوا الفرار فادرك حمزة بن شداد الحبشي فشد وثاقه ومعقل البهلوان اسر صقلان الرومي وبعد مضي ساعة من الزمان تفرق كل من كان في ذاك المكان وحينئذ تقدم الامير من ابيه وترجل عن جواده وقبل يديه وبكى لما رآه بتلك الحالة وقال قبح الله كسرى الخبيث الغدار فانه يستحق اعظم من هذه الاهانة فهو لا يراعي حرمة العظماء ولا يقدر للشرفاء حق قدرهم . فقبله الامير ابراهيم وشكر الله سبحانه وتعالى على خلاصه وقال لولده لا تتكدر يا ولدي من وصول مثل هكذا امر اليّ فما ذلك الا بسماح منه تعالى فقد قدّر عليّ ان اشتغل بالتراب لاعرف حالة الانسان وتعبه وان الله لا فرق عنده بين الرفيع والوضيع وبينما كنت الاقي مثل هذه الاهانة كنت ارى نفسي مسرورًا والتذ لذة اتي ما كنت اشعر بهـا عند ما كنت اجلس في ديواني بين اعياني فاشكر الله سبحانه وتعالى تكرارًا على نعمته وفضله

ثم ان الامير سلم على باقي سادات مكة وصرف ذاك النهار في ذاك المكان وفي اليوم الثاني قال لمعقل البهلوان اريد منك يا اخي ان تذهب من هنا مع اخي

عمر العيار الى حلب وتخبر العرب بما كان من امرنا وتطلعهم على سر المسألة وتوصيهم ان يكونوا على التحذر والانتباه وانا مرادي الذهاب الى مكة لاوصل الى واشاهد امي وزوجتي الاميرة سلوى ومن ثم اعود الى حلب . فقال له افعل ما بدا لك . ثم ركب الامير وركب ابوه وباقي السادات واوثقوا عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي وساروا بعد ان ودعوا الامير معقل البهلوان وعمر العيار وساروا كل فريق في طريق . واما العيارون الذين هربوا من امام حمزة داوموا المسير حتى جاؤوا المدائن ودخلوا على كسرى واخبروه بان الامير حمزة قد فاجأهم الى تلك الجهات وخلص اباه وقومه وباقي الاسارى واسر العيارين فتكدر كسرى واغتاظ وتعجب من وصول الخبر الى العرب في الحال مع انهم بعيدون عن مكة وكان اعظم الحنق واقع على بختك الوزير وقد وقع في سوء التدبير واحتار في امره . واما الامير حمزة فانه ما برح سائرًا مع قومه حتى جاء مكة المطهرة وعرف به اهلها وكانوا باضطراب عظيم فخرجوا افواجاً افواجاً نساء ورجالاً واطفالاً وهم فرحون برجوع السيد ابراهيم اليهم ولما التقوا به قبلوا ايديه ونادوا بالافراح ولا سيما عند ما رأوا الامير حمزة سيدهم وسيد قبائل العرب باجمعها . وعادوا الى المدينة ودخل الامير حمزة على والدته وقبل يديها وسلم عليها فقبلته ودعت له بالبركة وطول البقاء ومن ثم جاء الى زوجته سلوى واقام عندها ليلته وقد طيب بخاطرها واظهر لها شوقه واقام في مكة سبعة ايام وقد طاف بالبيت وادى فروض الزيارة وسلم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي الى محافظين من رجال المدينة واوصاهم بالمحافظة عليهما وان يكون شغلهما على الدوام تنظيف الازقة والشوارع ورفع الاقذار الى الخارج الى ان يموتا وهذه الاهانة كان يراها الامير ضرورية لهما ثم انه ودع اباه وقومه والاميرة سلوى وهذه هي المرة الاخيرة التي يراها بها حيث لم يعد يراها فيما بعد وخرج من مكة وهو مطمأن الخاطر قرير الناظر على اهل البيت ووجه بكل افكاره الى جهة حلب وهو يود ان يصل الى هناك ليعرف ماذا جرى على قومه وهل ان زوبين

وافلنطوش لا يزالان على الامانة او انهما عادا الى الشر والخيانة . ثم خطرت في ذهنه مهردكار فانفطر قلبه من اجلها وارتاع وقال في نفسه ان كان زوبين يرجع الى الغدر والخيانة فلا ريب انه لا يتمكن من الغدر باحد الا بمهردكار وطوربان وانجلت له افكار جديدة فندم على البقاء عليهما وقال ماذا يا ترى جرى عليَّ حتى عاندت قومي وفرساني وتركت الافاعي تسكن بينهم . ولا ريب ان هــذا سيعود عليَّ بالشر والوبال ووطد العزم انه عند عودته الى حلب يبعد العجم عن العرب ويعين لهم مكان اقامة ببلاد الشام فاذا كانوا على دين الله يبقون على الراحة والسلام واذا كان بينهم الغدر والخيانة فيظهر امرهم في الحال ويرتاح منهم ولا سيا انه ليس في حاجة لان يطلب مساعدتهم او يرجو منهم خيراً وعوناً . ثم زاد عليه الامر وقال وربما كان زوبين غدر بمهردكار قبل ان اصل الى المعسكر وهرب فاذا يا ترى اعمل وهذا الفكر اشغله جداً وضيع له صوابه فجعل يسوق جواده وهو يتمنى ان يصل باقل من ساعة الى حلب ويشاهد مهردكار وابنها هل هما بخير وسلام وقد هاجت عليه البلابل فانشد :

بكيت لتغريد الحمائم في الفجر ... وبرح بي وجدي وزايلني صبري
وملت كما مال النزيف كانما ... سقاني حنين الورق كاساً من الخمر
وسار بما ابقين لي من تجلدي ... نسيم يريا الظاعنين الى يسر
خذي جسداً يا ريح يحكيك رقة ... فلاقي به قلباً مع الركب في اسر
ايا جسمي البالي تجسمت من ضنى ... ويا كبدي الحرا تكونت من جمر
براني الاسى والحزن بعد رحيلهم ... فلم يتركا مني سوى عبرة تجري
غدوا يستحثون المطيَّ على السرى ... فهل في جمود الدم للصب من غدر
وبانوا وجسمي فيــه بعض بقيةٍ ... فلم يبقَ منهُ ما يصور في فكر
تنازع روحي للخروج يد النوى ... فتحبسها عنهُ الاماني في نحري
اعلل قلبي بالمنى ان سنلتقي ... واحسبها كالال يلمع في القفر
سفكتم دمي عمداً ولم تتحرجوا ... وعاقبتموني بالمنون بلا وزر

لقد رقَّ لي مما تجرعت من اسى ... فؤاد عذولي وهو اقسى من الصخر
سهاد وسقم واشتياق ولوعة ... وصبح بلا ضوء وليل بلا فجر
ودمع بلا جفن وعين بلا كرى ... وقلب بلا انس وسر بلا ستر
وكم قائل جهلاً تسلَّ بغيرها ... ولا تجرِ ذكراها بسر ولا جهر
وكيف ترى ينسى العليل شفاءهُ ... وليس سلو الالف من خلق الحر
ألا فأدر ذكراه صرفاً فانني ... اغيب بهِ عن حالة الصحو فالسكر
احب غو الوجد فيه صبابة ... وان كان يفضي بي الى البؤس والضر
فلو تم وجدٌ فوق وجدي لعاشق ... تمنيته ان يستحيل الى صدري
ولم انسَ اذا احيي قتيل صدودها ... وقد برزت خوف الوشاة على ذعر
وقرطس احشائي سهام لحاظها ... رمتني بها عمداً عن النظر الشذر
فعاطيتها كأس العتاب مشوبة ... بدمع حكى في فيضه زخرة البحر
واخجلتها حتى تلتهب خدها ... تلتهب احشائي من الصد والهجر
ورضت بها اخلاقها وهي صعبة ... فلانت واهوى من قطوب الى بشر
وحيت بمسك عطرتهُ اكفها ... وانفاسها ازكى من المسك والعطر
وبتنا ندير الانس والليل قد سجا ... وقد غربت شمس المدامة في البدر
وحليت بالياقوت فضة نحرها ... وجيد الدجى حالٍ بانجمهِ الزهر
تقول وقد اوهى النعاس جفونها ... واغمد سيف اللحظ منها على قسر
اريد تعيد الانس قلت لها متى ... فيوم تلاقينا ابيع به عمري
فقالت وبدر الليل للغرب قد هوى ... وجفن الدجى يبكي من الهجر بالقطر
اذا امتلأت من دمع هذا ثغور ذا ... فقلت لها ماذا قاومت الى البدر
واخفت واستار الظلام تكشفت ... قليلاً وقد كاد الصباح بنا يغري
سقيت السحاب الجون يازمناً مضى ... ولم يبق منه للمتشوق سوى الذكر
احبتنا لم يبق صبر ولو بقي ... لنا بعدكم صبر لكان من الغدر
طوينا بساط الانس والدهر بعدكم ... وهذا بساط الحزن والدمع في نشر

عسى تبرد الاحشاء من حرقة الجوى دموع الاسى والشوق ان لم تكن تبري
تناسيتمونا بعد انس والفة احب الى الجاني من الامن والنصر
اتاح انا تغريقنا الدهر غادر ولا غرو ان الغدر من شيم الدهر
فيا قلب صبراً للقضا وتوكلاً فليس لغير الله شيء من الامر

وكان ينشد وهو يسير مسرعاً وقلبه وعقله وكل حواسه تطوف في معسكر حلب يرى ما جرى هناك وهل من حادث وقع في اثناء غيابه يستدعي قلقه وقد حدثه ضميره بان عبد الله زوبين لا بد ان يغدر بمهردكار وان قبوله عنده كان بسماح من الله وفيما هو على مثل هذه الافكار مطلق لجواده العنان . واذا باسمابري بنت اليون شاه قد سقطت من الجو الاعلى ووقفت امام الجواد ومنعته من الجري وقالت السلام عليك ايها الامير تقد نسيتني ولم اعد اخطر لك على بال فنظر فيها وعرفها فندهش وخاف من ان تثقل عليه وهو على تلك السرعة الا انه اجابها على سلامها وسلم عليها ورحب بها وقال لها اين تقصدين وماذا تريدين . فقالت اما قصدي فانت واما ما اريده فهو ان تذهب معي الى جبال قاف لاني بشوق زائد اليك وما برحت اصبر القلب وهو لا يصبر حتى عيل صبري فجئت لاذهب بك تقيم عندي بضع ايام وتنصفني منك وتعاملني كغيري من زوجاتك . قال دعيني الان فاني مشغل الافكار ومتى وصلت الى معسكر حلب ووجدت فرساني بخير وما من سوء عليهم سرت معك الى حيث تريدين . قالت اني اعرف انك ترغب في سرعة جد ترى مهردكار وتحب ان تصل الى فرسانك تقيم عندها بعض ايام فانا حق من الجميع وما كفاك كل هذه الايام الماضية حتى تريد ان تخدعني الان تصل الى زوجتك . ثم انها اختطفته عن جواده وسارت به في الجو الاعلى وهو غائب الصواب لا يعرف ماذا جرى عليه يتعجب كيف انها جاءت اليه وهو في مثل تلك الحالة حتى جاءت به الى جبال قاف وهو يلعن ويسب الساعة التي جاءت بها وقال لها ترضين في عذابي وقهري وقد وعدتك ان تصبري عليّ الى ان اشاهد قومي . قالت لا شيء عليهم فان عندهم من الفرسان ما يجعلك مرتاح البال وانا

اريد منك ان تبقى عندي فقط سبعة ايام ومن ثم اوصلك الى قومك فصبر على مضض وقلبه يلتهب بنار الاشتعال .

فهذا ما كان من الامير حمزة واما ما كان من العرب فانهم كانوا باضطراب على غياب الامير وقد ظنوه في الاول انه ذهب للصيد والقنص مع عمر العيـار ومعقل البهلوان الى ان جاءهم معقل واخبرهم بكل ما كان من امر الامير حمزة وابيه وابراهيم وسادات مكة وكيف انهما سارا لخلاصهما وبعد ذلك ذهب الامير الى مكة ليوصل اباه ففرحوا بذلك وارتاح بالهم واقاموا في حلب عـلى ما كانوا عليه قبلاً وهم ينتظرون عودة الامير الى انمضت مدة ايام وذهب الاجل الذي كان عينه لمعقل البهلوان وصبروا بعد ذلك ايضاً بعدة ايام فلم يرجع فاجتمعوا مع بعضهم ودعوا عمر العيار وقالوا له نريد ان تذهب الى مكة وترى لنا كيف حال الامير وما السبب في تأخره عنا فأجاب وذهب عنهم وكان افلنطوش وزوبين قد علما بما كان من امر حمزة وخلاص ابيه فكتبا بذلك الى كسرى ووعداه من حيث ان حمزة غائب لا بد ان ينالوا المراد بأقرب وقت . وبقي عمر العيار ذاهباً في طريق مكة حتى وصل الى نصف الطريق وهناك لاحت منه التفاتة الى جهة البر فرأى جواد اخيه اليقظان يرعي في تلك السهول وهو نافر عن الطريق العام فارتاع وارتبك وقصده فنفر منه فصاح به فلما سمع الجواد صوته عاد اليه وجعل يشمه فقبله عمر ورأى رمح اخيه معلقاً بسرجه فارتاع وجعل يفتش بتلك الارض عليه فلم يجد له اثراً فتكدر ووقف مبهوتاً وهو لا يعرف اين ذهب اخوه . فقال في نفسه لا ريب انه خرج من مكة قاصداً حلب وفقد في هذه الطريق ولكن كيف فقد لا اعرف ومن الصواب ان ارجع الى العرب وابقي الجواد هناك واسير من ثم افتش على اخي . وكر راجعاً حتى جاء مدينة حلب ودخل على الامراء واخبرهم بما كان فخافوا جداً على الامير وقالوا ان امره مشكل علينا ولا نعرف ما حل به وهل هو بقيد الحياة ام مات واصبحوا بارتباك واضطراب وشاع هذا الامر في كل القبيلة حتى وصل الى زوبين وافلنطوش . فاجتمعا وقال الثاني للاول

الان وقت نوال المراد وغير هذه الفرصة لا يتيسر لنا فان الاعداء الان مشغلون بغياب الامير وقد التهوا عن مراقبتنـــا وحمزة غائب عن المعسكر فمهما نريد ان نفعله الان نفوز به قال نعم ان هذه فرصة كبرى لكن نحن لا نخاف من حمزة بقدر ما نخاف من عمر العيار واني اعرف جيداً انه ما زال بين معسكر العرب لا نفوز بالمطلوب لاننا اذا قصدنا ان نبدي حركة راقبها قبل وقوعها واظهر امرها لقومه ولا بد ان في هذه الايام ذهب للتفتيش على حمزة فاصبر قليلاً ترى العجائب وجعلا يترقبان غياب عمر منذ ذلك اليوم

واما العرب فانهم بعـــد ثلاثة ايام من رجوع عمر اجتمعوا واستشاروه فيما يفعلون فقال لهم ان صدقني حذري يكون عند اسما بري وقد لاقته في الطريق واخذته بالرغم عنه وهو غـــير منتبه وفضلاً عن ذلك فاني عزمت على المسير الى المدائن لاجتمع بالوزير بزرجمهر واسأله عله يعرف عنه خبراً او يفيدنا بامر يرتاح من اجله بالنا . فقالوا افعل ما انت فاعل واسرع في الجواب فاننا على مقالي النار فودعهم وسار يقصد المدائن وبعد مسيره بقي العرب على حالهم من انشغال البال والخاطر وكلهم مرتابون في صحة حياة الامير ويتوهمون انه ربما قتل في الطريق غدراً او مات او وقع في اسر الاعداء . واما زوبين الغدار فانه اجتمع بافلنطوش وقال له اني في كل هذا اليوم ما رأيت عمراً في المعسكر وقد بعثت بعشرين رجلاً من رجالي طافوا كل معسكر العرب ما وجدوا له اثراً ولا ريب انه سافر للتفتيش على اخيه قال الان قد جاء الوقت المنتظر فهلم بنا نكبس العرب في هذه الليلة فنذيقهم العذاب الاليم قال يجب ان نصبر على ذلك الى بعد الغد لانه اذا كان ذهب باحثاً لا يعود باقل من شهر واخاف ان يكون مختف يترقب اعمالنا قبل ذهابه فكن على حذر الى بعد يومين واتفقا على مثل هذا الامر . وفي كل يوم يذهب زوبين وافلنطوش بين العرب ويظهران تاسفهما مع العرب والعرب في شاغل عنهما الى ان تحقق زوبين غياب عمر العيـــار وبعده عن العرب فسر مزيد السرور ورجع الى المعسكر يدبر امره وبقي افلنطوش الى المساء . وبعد انقضاء

السهرة تفرق كل واحد من العرب الى ناحية ودخل صيوانه على الحالة التي تقدم ذكرها وقد اشغلهم غياب الامير عن ملاحظة اعدائهم وناموا مطمئنين من غدرات الزمان الى ان مضى نصف الليـــل واذا بعساكر العجم قد حملت من كل ناح واكثرت من الصراخ والصياح واغتنمت هذه الفرصة فبذلت سيوفها في اعدائها وانزلت عليهم شرار شرها وبلائها وغاصت بين الخيـــام ولم تترك للعرب سبيلاً للرجوع الى الحرب والصدام وزوبين الغدار يصيح وينادي اليوم يوم الاعـــادي وقد قصد صيوان طوربان وفي نيته ان يقتل عمر اليوناني ويأخذ طوربان ليعذبها ويذيقها كاس الهوان ولما وصل الى الصيوان وجد عمر اليوناني قد خرج منه وبيده الحسام وعول على الركوب والمدافعة عن العرب . فلم يتركه زوبين ان يستوي على ظهر الجواد حتى فاجأه من قفاه وضربه بسيفه على رأسه فجرحه جرحاً بالغاً لان عمراً لما استيقظ ووجد الصياح قد ملأ الارض وسمع صراخ الاعجام وعويل العرب ايقن ان زوبين قد غدر بهم وخاف من ان يلحقوه وهو في الصيـــوان فيذيقونه الممات ولذلك تناول سيفه ولم يعد يصبر ليفرغ عليه درعه ويلبس خوذته وفي فكره انه اذا استوى على ظهر جواده وبيده الحسام يكفيه للدفع عن العرب ورد الاعداء عنها الا انه جرح قبل ان تمكن من غايتـــه فذهب صوابه وضاع وعيه وما عاد عرف حاله في اي مكان هو فشرد به الجواد وخرج من بين المعسكر ونفر في البر الاقفر وهو عليه ضائع الوعي لا يسمع ولا يرى والدم يسيل من جرحه كالانبوب واما باقي العرب فانهم نهضوا مرتبكين فبعضهم شرد في الفلاة وبعضهم قتل من سيوف الاعجام واكثر الفرسان نهضوا من مراقدهم فوجدوا خيولهم مفقودة فارتاعوا وطلبوا الامان لانفسهم بالالتجاء الى البراري يترقبوا بعد اتيان النهار ما يكون من امر الاعداء وما منهم الا من يلوم حمزة ويعنفه على تركه زوبين حياً . ودام القتال على مثل تلك الحال حتى كاد الفجر ان يظهر للعيان واذ ذاك امر زوبين بان ترجع الفرسان وكل واحد يصحب معه ما وصلت اليه يده من الاموال والخيل والانعام وقد قبض على طوربان ومهردكار ووضعهم

وغيرهما من النساء وقيد الجميع اذلاء حيارى وقد نكبت العرب نكبة لم تذقها قبل ذلك اليوم وتشتتوا اي مشتت وشردوا في البراري وما منهم من يعي على نفسه او يقدر ان يعرف في اي مكان هو

ولما رجعت عساكر الاعجام الى الوراء امرهم افلنطوش ان يسيروا في الحال على طريق المدائن وان لايتركوا عقالاً في تلك الارض قبل ان تجتمع العرب وتنضم الى بعضها فسار وهو فرح بالنصر والظفر يشكر من زوبين ويقول له حسناً فعلت في العرب ولولا هذه الحيلة التي عملنا عليهم لما نلنا منهم المراد وعندي انهم من بعد الان ما عادوا يقدرون على حرب وثبات ولا ريب ان حمزة قتل ونال شرَّ عمله ولاقى كل بؤس وضير ولا بد ان يرى ابن عمي كسرى عملنا هذا بعين الشكر والرضى . قال اني اعرف ذلك وافرح لاجله واعظم فرحي بطوربان ومهردكار فاني ما زلت حتى قهرتهما ولا ريب انهما يستحقان الحرق بالنار حيث قد خانتا حقوق الوالدية وانضمتا الى الاعداء وكل واحدة منهما طلبت ذلي وقهري ونفرت مني كيداً لي . قال لا بد ان يقدمهما كسرى تقدمة للنار لتحرقا مع ولديهما قباط وسعد . وداموا على المسير الى المدائن على تلك الحالة . واما العرب فانهم في اليوم التالي اخذوا يجتمعون ويلتمون الى بعضهم ولا سيا بعد ان رأوا ان تلك الارض قد خليت من الاعجام وقلوبهم تضطرم ناراً من عملهم ويعضون على زنودهم ويتحرقون من عمل اميرهم كيف ان بعد ان كان قادراً على هلاك هذه الطائفة سلم اليها زمام امانه وقربها منه وجعلها بينهم كواحدة منهم غير انه كان قد انفذ فيهم قضاء الله المقدور وتفرقوا ونهبوا وسبيت نساؤهم واولادهم ولم يروا وسيلة الا الصبر على هذه المصيبة الى حين يجمع الله شملهم ويعيد اليهم النصر فيأخذون لانفسهم بالثار ويرون ما يقدرهم الله عليه وبعد ان مضى على ذلك عدة ايام جاءهم عمر العيار ورأى ما راى من حالة العرب وشاهد القتلى قد ملأت الارض فناح وبكى وحث التراب على رأسه وتقدم من الفرسان وسألهم عن السبب فاخبروه بكل ما جرى وقالوا له كل ذلك جرى علينا من ايدينا لاننا لو اوقعنا بالاعجام وقتلنا

زوبين وافلنطوش لارتحنا من كل هذه المصائب والويلات وتقدمنا في طريق الراحة والسلام خطوة عظيمة واما الان فقد تأخرنا وضيعنا كل النصر وأُخذت طوربان ومهردكار وباقي الحريم والاولاد . قال ان هذا وقع بقضاء منه تعالى وهو الذي جعل اخي ان يرى فيهم التوبة والامانة قالوا وماذا عرفت عن اخيك وفي اي مكان هو . قال اني لما وصلت الى الوزير بزرجمهر واخبرته بفقدان اخي قال لي ان حمزة حيٌّ وان التي اخذته هي زوجته اسما بري وسيأتي عن طريق قاصيا فعدت وانا لا اعرف شيئاً مما جرى عليكم قالوا أهل رأيت الاعجام في طريقك سائرين الى بلادهم . قال لا ريب انهم يسيرون في الطرقات العامة الواسعة لكثرة عددهم واما انا فاني في اكثر الاحيان اسير في الشعاب والهضاب فأتسلق الآكام وانزل الوديان اختصارًا للطريق وتقرباً للمسافة فاذا وصلت الى مكان ووجدت ان الطريق طويلة وانها مأخوذة بعلة ودورة اخترقت الادغال وقربت الوصول الى رأسها الثاني وعلى هذا لم يتيسر لي ان اراهم وفي كل نيتي اننا نسير الى قاصيا للتفتيش على الامير واما الان صار لنا شاغل مهم واريد ان اعرف اين ذهب عمر اليوناني ابن الامير حمزة واخاف ان يكون قتل وشرب كاس الآفات قالوا لا نعرف كيف ذهب أهل هو اسير او هرب بالعلاة او قتل وهمنا الان ان نعرف ماذا جرى على نساء الامير واولاده فاذهب الى الوزير بزرجمهر واسأله عنهم واستشيره في امرهم فقال اني كنت عزمت على ذلك ولا بد من الرجوع الى المدائن واسأل الله العزيز الجبار ان يوصلني الى خلاصهم اجمعين

ثم ان عمر العيار ترك الفرسان في حلب وكر راجعاً وهو كئيبٌ حزينٌ على ما حل بهم ويريد ان يعرف ماذا جرى على عمر اليوناني هل قتل او اخذته الاعجام اسيرًا . وما برح في مسيره حتى جاء المدائن ووجد الناس في هرج ومرج وعساكر زوبين الغدار وافلنطوش حول المدينة مع عساكر كسرى وهم بفرح لا يوصف فصبر الى ان خرج بزرجمهر الى قصره فتبعه حتى نفرد به فسلم عليه وقال له لا تخفى يا سيدي ما جرى على العرب ولذلك جئت اليك مستخبرًا . قال اني عرفت كل

شيء. ولذلك تراني متكدراً جداً كيف ان اخاك ترك زوبين وسمح له ان يتمكن من الغدر به وبقومه . قال انت اخبر الناس بسلامة قلب اخي حمزة وحسن طويته وقد نهيته عن ذلك فقال ان الله اخبر بما في قلبه وانه بعد ان طلب اليه الامان وعاهده على عبادة الله لم ير ان في قتله صواباً وما ذلك الا حكم العزيز الجبار والان قد مضى ما مضى واريد منك ان تخبرني يا سيدي ماذا جرى على مهردكار وطوربان واولاد اخي حمزة عمر وقباط وابن عمر اليوناني سعد . قال ان عمر اليوناني هو مشتت الان لم يقع قط بيد العجم وامامهردكار وطوربان فانهما وضعا في مكان منفرد تحت الحفظ ليقدما الى النار . وذلك انه لما وصل افلنطوش الى هذه الديار وبلغت اخباره كسرى انوشروان وان زوبين الغدار قد شتت العرب فرح وامر الوزير بختك ان يخرج الى ملاقاتهما في الحال بالموسيقات والدفوف وزينت المدينة وكان لعملهما هذا موقع عظيم عند عموم الفرس من الكبير الى الصغير ولما قدمت مهردكار وطوربان الى كسرى اراد ان يوبخهما ويجازيهما بالعذاب فمنعه بختك وقال له من الصواب ان لا نضيع كلمة معهما فهما قد خرجتا من مصاف الاعجام ونجستا دين النار وحيث ان لا غاية لنا فيهما الآن وما عاد احد من قومنا يرضى ان يكون زوجاً لواحدة منهن فمن الواجب ان تضعهما في قصر منفرد مع الاولاد والنساء وتضع عليهم الحراس بكثرة وترسل كتاباً الى هدهد مرزبان قاعدة دين المجوس وسيد المرازبة وامام النار فيأتي الى هنا ويأخذهم جميعاً ويقدمهم ضحية للنار فتأكلهم وترضى عنا فيما بعد بحيث تعرف اننا ما بخلنا باولادنا عليها اذ خرجوا عن عبادتها . فاستحسن كسرى هذا الرأي ولم يرض ان يرى وجه احد منهم وامر ان يبقوا تحت الحفظ ووضع عليهم الحرس الزائد الكثير والحجاب حتى لم يعد للطير طريق ان يمر من جهة فيرى احداً لا من النساء ولا من الاولاد. فاذا تم ما يقصدون تكون خطيئة هؤلاء الابرياء برقابكم لان مهردكار وطوربان سلمتا بانفسهما اليكم وفي نيتهما انكم تحافظون عليهما فوضعتموهما مع اعدائهما وكان موتهما وموت اولادهما بسبب تهاملكم فأطرق عمر العيار

الى الارض برهة وسقطت الدموع من عينيه ثم انهض رأسه وقال في اي يوم يقدم النساء والاولاد الى النار فقال في عيد النيروز بحيث ان في تلك الايام يكون هدهد مرزبان قد وصل الى هذا المكان . قال وكم من المدة باق لهذا العيد . قال بعد ستة اشهر من هذا التاريخ . قال اني اعدك يا سيدي وعداً لا يمكن وحياتك ان اكذب به وهو اني لا تمضي هذه الايام حتى اكون خلصت الجميع من الكبير الى الصغير . قال ان هذا يصعب عليك جداً ولااظنه يتم او ينتهي لان الاحتياط متخذ من كل جهة ولا يمكن ان تهرب بهم وتنجو . قال اني اعرف كيف اقدر على خلاصهم وفي كل ذلك اني اعدك ايضاً بأن اضع في قلب كسرى حسرة لا ينساها الى الابد وهو اني احتال عليه واجعله يقبل يدي عن طوع واختيار مع وزيره بختك وكل اعيان الفرس وسوف اذكرك بكل شيء . قال ان قدرت على ما تقول شهدت لك وتكون قد فعلت ما يعجز غيرك عن فعله فاذهب موفقاً بعنايته تعالى وانا على الدوام ادعو لك بالسعادة والتوفيق في سائر اعمالك وادعو لمهرد كار وطوربان بالخلاص فان قلبي حزين عليهما جداً واريد ان يتخلصا من العذاب ومن الحريق

وبعد ان ودع عمر العيار الوزير بزرجمهر سار من المدائن الى ان جاء حلب واجتمع بالفرسان والابطال وطمنهم على مستقبلهم وقال لهم كونوا براحة واطمئنان واينضم بعضكم الى بعض وادخلوا البلد الى ان اعود اليكم فاني ما زلت حياً اجريت غايتي في كسرى انو شروان وجعلت العرب على النجاح والتوفيق واعدت اليهم نساءهم واولادهم واموالهم وتركت حالة الفرس من اسوأ الحالات . غير اني اريد اولاً ان اسير الى قاصيا و نظر هناك الامير حمزة قبل كل شيء ومتى عدت به تم لنا كل ما نريده ونختاره قالوا افعل ما بدالك ولا تطيل علينا غيابك فاننا في حالة تاخير نحتاج بعدها الى الاصلاح والراحة ولا نريد ان نصبر على الاهانة والاحتقار . ولما قصد السفر جاء اليه معقل البهلوان وقال له اعلم يا اخي اني اريد الذهاب معك الى الامير حمزة ولا اطيق فراقه اكثر من هذه

المدة تأخذني معك الى قاصيا قال اريد ان تكون رفيقي غير اني مستعجل جداً ولا اريد ان اتعوق وانت لا تقدر على رفقتي لان الذي اقطعه بيوم لا يمكن ان تقطعه انتَّ بشهر . قال كيف كان الحال فاني رفيقك ومتى رأينـا الامير حمزة سرت انت الى قضاء ما تروم وبقيت انا مع الامير حمزة . فالتزم عمر ان يأخذه معه لما رأى اصراره على الذهاب معه وسارا عن حلب يقطعان البراري والقفار والسهول والاوعار يقصدان قاصيا وتلك الجهات

فهذا ما كان من امر العرب والعجم بعد ذهاب حمزة البهلوان عن تلك الديار واما ما كان منه بعد وصوله الى جبال قاف فانه امل بعد مضي اسبوع تذهب به اسما بري الى حلب فاقام عندها على الحظ والهناء الى ان مضى الاسبوع فقال لها. اريد منك ان توصليني الى قومي فقد كفى ان لاقيت ما لاقيت من الاضطراب بالبعد عن العرب ولا اعرف ما جرى عليهم من بعدي . قالت اني فارقتك كل هذه المدة وقلبي بشوق لا يوصف اليك فهل تظن ان سبعة ايام تكفيني لان أسلم عليك بها فاصبر بعد سبعة ايام اخر فما من خوف على العرب فكلهم فرسان يقدرون على حماية انفسهم فقال لها اذا لم اكن بينهم لا يتوفقون . قالت انك غبت عنهم قبلاً عدة سنوات وعدت اليهم فوجدتهم كما كانوا والان اذا عدت اليهم تراهم على الخير والراحة ثم انه اقام عندها سبعة ايام اخر وطلب اليهـا ان تحمله فحاولته وقالت له لا بد من بقائك عدة ايام آخر اكراماً لخاطر بنتك قريشة فقد سألتني بذلك وما زالت تطيل مدة قيامه سبعة بسبعة وهو صابر عليها وقلبه يتحمل ذلك حتى ضاق صدره وعيل صبره فقال لها الى متى هذا التطويل فاني اذهب لوحدي ماشياً على اقدامي ولا عدت اقدر ان اتحمـل منك اكثر مما تحملت . قالت اصبر عليَّ الى ان اعود فقد خطر لي ان اذهب لزيارة بعض مدني وبلادي ومتى عدت اوصلتك . ثم تركته واوصت مردة الجان والطوائف ان لا احد يوصله وفي نيتها ان تحاوله سنين واعواماً . وبعد ان ذهبت جلس الامير مفتكراً باهله ووطنه فبكى على فراق الجميع وكان قلبـه يحدثه بوقوع مصيبة على العرب

وانطبقت الدنيا في عينيه وفيما هو على مثل ذلك جاءته بنته وقالت له لما يا ابتاه تبكي هل كل ذلك لاجل ان فارقتك امي في هذا اليوم . قال كلّا يا ابنتي فاني ابكي لوقوعي بين يدي امك وهي تريد ان تبقيني عندها الدهر بطوله وكنت اريد ذلك لو لم يكن عندي شغل مهم وقد تركت العرب قومي بضيق واخاف ان يصابوا بضر واذا هلكوا قتلت نفسي لا محالة واريد منك ان توصليني الى اول العمار ومن ثم اسير انا الى بلادي . قالت اني افعل لك ذلك اكراماً لك ومهما شاءت امي فلتفعل فاني لا اخافها . ثم انها حملته وطارت به في الجو الاعلى ولا زالت سائرة حتى وصلت الى اول العمار فانزلته وقالت له ان بلادك من هنا قريبة واما اريد الرجوع الى جبال قاف فقبلها وقبلت يديه وودعته ورجعت الى بلادها واقامت في قصرها الى ان جاءت امها وهي بشوق زائد الى الامير وفكرها مشغل عليه ففتشت عليه فلم تجده فسألت ابنتها قريشة عنه . قالت قد اوصلته الى بلاده قالت وكيف قدرت على ذلك ولم تسأليني به وانا لا اقدر على فراقه . اجابت كفاك ما فعلت معه وهو يتحرق على بلاده وقد ترك معسكره في حلب ولا يعلم ما جرى به واذا كنت لا تطيقين فراقه فاذهبي اليه واقيمي على الدوام عنده وبين نسائه كواحدة منهن . اجابت انا لا اطيق ان اراه مع غيري فكيف اوافق ان اكون عند مهردكار وهو يحبها اكثر مني ولا بد لي من ان اذهب اليه واعيده الى هنا ولا يمكنني ان اترك ملكي وابقى عنده . قالت قريشة اذا اتيت به الى هنا عدت انا فاوصلته ولو كان ذلك الف مرة الا ان يقبل بالقيام هنا ولا بد له بعد مضي زمن الحرب من الراحة فاذا جاء واقام عندنا عدة سنوات لا يكون خلفه يشغله . فتألمت اسما بري من كلام ابنتها الا انها كتمت امرها وسكتت وعرفت ان من اللازم الصبر على الامير الى ان يصفو له الجو ورات انه ليس من المناسب عناد قريشة

واما الامير حمزة فانه بقي سائراً في الطريق الذي وجد عليه وهو لا يعرف من اين يسير وقد تيقن انه عن قريب يصل الى احدى المدن والبلدان ومنها يأخذ

له جواداً ويسير من بلد الى بلد حتى يأتي حلب ويجتمع بقومه وهو مسرور غاية السرور وفرح بالخلاص من جبال قاف ولا زال في مسيره الى ان قرب من البحر المالح فجعل يمشي على الشاطيء وسيفه وطارقته عليه وصرف ثلاثة ايام دون ان يرى انساناً ويمر على بلدة فضاق خلقه وفرغ منه الزاد ولعب به الجوع فعرج قليلاً عن الشاطيء وسار حتى دخل بين خميلة من الاشجار ملتفة وكلها مثمرة فجعل يقتطف من اثمارها ويأكل لسد رمقه وفيما هو على تلك الحالة واذا به يرى رجلاً جالساً تحت شجرة من تلك الاشجار مطرقاً برأسه لا ينظر الى ما حواليه ولا يرى غير بين يديه فتقدم من ورائه ونظر اليه فرآه مسنداً بظهره الى جذع شجرة وقد وضع بين يديه ورقة ينظر فيها ويتأمل بما عليها فنظر الامير حمزة الى تلك الورقة واذا به يرى عليها صورة فتاة جميلة المنظر بديعة المحيا حسنة التركيب على رأسها اكليل من الزهور وفي عنقها عقد من الجوهر وعليها ثوب اسود يزيد في بياض وجهها . فتعجب من ذلك وغاب صوابه ورأى ان داخل قلبه واحشائه تتحرك الى صاحبة تلك الصورة وسبح الله الخالق وظن في نفسه انه لا يمكن ان يوجد في عالم الانس من هي توافق تلك الصورة وفيما هو على ذلك انتبه اليه الرجل ورآه من خلفه فارتاع منه ونهض اليه وقال من انت ولما اتيت الى هذا المكان قال له اني مسافر فمررت من هذه الجهة ودخلت بين الاشجار فرأيتك جالساً فعرجت اليك وتعجبت عند ما وجدتك تنظر الى هذه الصورة بتأمل فهل هي ذات اصل او انها صورة وهماً . اجاب لا بل هي ذات اصل وصاحبتها لوعة القلوب بنت ملك قاصيا التي ضرب بحسنها المثل في هذا الزمان . فقال له من اين وصلت اليك واين صاحبة هذه الصورة اجاب اخذتها من بعض الدراويش وعندما رأيتها وجدت مكتوباً تحتها ان هذه صورة لوعة القلوب بنت ملك قاصيا وتحت ذلك هذين البيتين

الم تر ان الحسن خير بضاعة تباع وتشرى بين كل الخلائق
فسبحان من خص الجمال جميعه بغادة حسن كالشموس الشوارق

فمال قلبي الى صاحبتها ولعبت بي لواعج الغرام فتركت ملكي وسرت اطلبها .

فقال له وهــل انت ملك اجاب نعم واسمي شرشوح واسم مدينتي منابع الجوهر . قال وكيف وصلت الى هذه النواحي ودخلت بين هذه الاشجار وجلست في هذا المكان . اجاب اني اتخذت مركباً وسافرت عليه قاصداً قاصيا فهاجت علينا الرياح واضطرب البحر وقذفت بالمركب الى البر فتكسر وغرق كل من فيه . الا انا فاني صعدت سالماً الى البر ومشيت حتى وصلت هذا المكان فاقمت الى ان جاءني النعاس فنمت ثم قمت وتذكرت هذه الصورة وكنت قد وضعتها في قماشٍ مطل بالقير ووضعتها في جيبي . وخفت كثيراً من ان تكون قد عدمت فاخرجتها من جيبي واذا بها كما تراها ففرحت جداً وصرت انتقل كل يوم الى جهة انتظر الفرج حتى وصلت الى هذا المكان فأعجبني جداً واكلت من اثماره ثم جلست اتأمل في هذه الصورة وعرفت يقيناً ان لا نصيب لي بها والا لما كان صار عليَّ ما صار وفيما انا اتأمل فيها وجدت مكتوباً في اربع زواياها اربعة احرف كل حرف بزاوية ففي الاول حرف ح وفي الثانية م وفي الثالثة ز وفي الرابعة ة . وما احد يقدر ان يعرف سرَّ هذه الاحرف . فاحدق الامير بتلك الاحرف فرأى كما اخبره شرشوح وقال ان هذا اسمي ولا ريب ان صاحبة هذه الصورة تقصد هذا الاسم .وشغل باله زيادة عن الاول وطلبت نفسه ان ترى لوعة القلوب ويجتمع بها ويشاهد غايتها واخفى ذلك عن ملك شرشوح وقال له هلمَّ بنا نسير الان فما في جلوسك في هذا المكان فائدة عسانا نصــل الى باب الفرج فندخل منه ونجتمع بالناس من ابناء جنسنا . فنهض شرشوح صاحب مدينة منابع الجوهر ومشى مع الامير حمزة وهما يتحدثان بشأن لوعة القلوب والامير يسأله عن بلاد بيها وقوته ودينه وعدد رجاله وفيما هما على مثل ذلك واذا به يرى شخصاً يركض خائفاً من مطارد يطارده وجاء الى تحت الامير واحتمى به فنظر الامير اليه يتعجب وقال له ما بالك وممن تخاف . فلم يتمكن ذلك من الجواب واذا به يرى صبية من الجن قد انحطت امامه وقصــدت ان تتناول خصمها وتضربه بسيفها فتقطعه قسمين فاعترضها الامير حمزة وامتشق من وسطه الحسام وضربها به فجاء في بطنها ودخل

الى احشائها فصاحت وتألمت ووقعت الى الارض مائتة . وحينئذٍ نهض الرجل ورمى بنفسه على ارجل الامير يقبلها وهو يتعجب من شجاعته وكذلك شرشوح فانه خاف كل الخوف وقال لا ريب ان هذا الرجل من اشد الابطال حتى يقدر ان يفتك بالجان ولا يخاف ولا يرتاع . ثم ان الامير حمزة سأل الرجل عن سبب خوفه من الجنية وما هو الداعي للحاقه وقتله . اجاب اعلم يا سيدي اني منذ مدة وهذه الجنية تحاولني لتتزوج بي وانا امتنع عليها وفي هذا اليوم جاءت اليَّ وحملتني الى هذه الارض مدة وراودتني من نفسي فحاولتها كثيرًا فلم ترجع وقالت لي لم يبقَ لي قط درهم صبر عن وصلك فاما تجيب طلبي واما اقتلك وارتاح من شرك ولما رأيت نفسي مغتصباً وان لا نجاة لي اردت ان اجيبها الى طلبها غير اني ترددت وفضلت الموت على التقرب منها حيث ان نفسي كانت تكره ان تراها واذ رأيتكما مررتما من هذه الجهة خطر لي ان التجي اليكما وقد فعلت ذلك على غير انتباه ولا قصد فكان لحسن حظي ان قتلتها وارحتني من شرها وصار لك عليَّ الفضل والجميل قال الامير حمزة وما هو اسمك انت . اجاب اسمي شمروخ . قال الحمد لله صار معي شرشوح وشمروخ وهذه رفقاء اخر الايام

ثم انه صار سائرًا معهما من تلك الناحية الى جهة البحر فمشوا عند الشاطيء الى قرب العصر حتى وصلوا الى نهر يصب في البحر المالح ووجدوا عند فم النهر جماعة من النوتية يملأون ماء ومعهم جماعة من التجار في قارب هناك فدنا الامير منهم وسلم عليهم فردوا عليه السلام وسألوه عن سبب وجوده في ذاك المكان قال نحن كنا في مركب فهاجت الارياح وغرق المركب وصعدنا على اليابسة ولنا عدة ايام نطوف في هذه الجهات الى ان رأيناكم هنا فاستأنسنا بكم فمن انتم ومن اين آتون . قالوا نحن تجار نقصد مدينة منابع الجوهر وقد فرغ معنا الماء فرسى المركب الذي كنا فيه وطفنا في هذا القارب على الماء حتى عثرنا على هذا النهر ونحن نملأ منه وسنرجع الى مركبنا قال الامير هل لكم ان تكرموا علينا وتأخذونا معكم الى تلك المدينة فتحيون نفوسنا ويكون لكم بذلك الاجر

والثواب . قالوا حباً وكرامة . وبعد ان فرغوا من اخذ الماء صعدوا القارب جميعاً وساروا الى جهة المركب فركبوه وقد فرح الامير بسيره الى مدينة شرشوح ليسير من هناك الى مدينة قاصيا ويرى لوعة القلوب وكان قلبه قد تولع بها جداً وصار في كل مدة يأخذ الصورة من شرشوح وينظر فيها ويتعجب من ذلك الحسن البديع العجيب وهو لا يصدق ابداً ان لوعة القلوب تكون في جسمها كما في رسمها وما زال المركب سائراً والريح موافقة له حتى قرب من مدينة منابع الجوهر فرسي المركب وبعد ان استقر جاء محافظوا البحر وصعدوا المركب وفتشوا فيه فرأوا البضائع التي فيه فطلبوا من اصحابها رسماً عليها يعادل قيمتها . فقال التجار ما هذا الظلم فان كلها لا تساوي هذه القيمة ولا تباع بها واذا كنتم لا ترحموننا نرجع من حيث اتينا

قالوا ان هذا لا يفيدكم فان طلبكم السفر لا تحصلون عليه ولا بد من دفع الرسم المطلوب او نحجز البضاعة ونذهب بها الى البر فارتاع التجار وخافوا على اموالهم ولم يعد في وسعهم الامتناع ولا التسليم ووقفوا محتارين في امرهم . وكان الامير حمزة واقفاً يشاهد كل ما يجري وقد اغتاظ جداً من المحافظين فدنا منهم وقال لهم هل انتم على الدوام تأخذون هذا الرسم او ضربتم ذلك مؤخراً . قالوا كلا فان قبل هذه الايام كان يحكم علينا ملك عادل اسمه شرشوح فكان لا يأخذ الرسم قطعاً ويسهل للغرباء ان يأتوا بلاده غير ان هذا الملك قصد السفر منذ ايام فوكل مكانه رجلا ظالماً غاشماً لا يخاف العاقبة ولا يراعي حرمة لانسانية فجعل يفعل الفحشاء ويضع الضرائب على العباد وزاد دخله فكأنه يسلب الاموال عياناً من اصحابها حتى ترى المدينة في قلق وضجر وكل الناس يتمنون هلاكه ولا يقدرون على الاتيان بحركة ضده . وعليه يكون رسم هذا له لا لنا ونحن لا ذنب علينا وجل ما نتمناه ان يرجع الينا ملكنا شرشوح فنخلص من ظلم هذا واذا ما انفذنا امره قتلنا واهلكنا . فقال لهم حمزة صبروا هنا الى ان اعود اليكم . ثم انه نزل الى القمرة فوجد شرشوح جالساً والصورة بين يديه ينظر اليها ويبكي

فلعبت به الغيرة والحمية فتناولها من امامه ومزقها ورماها وقال له انهض حالاً فان بلادك قد خربت وماذا يفيدك العشق ولا نصيب لك به فاراد شرشوح ان يدافع وقد احترق قلبه فدفعه دفعة ارعبته وسار معه الى ان جاء المحافظين وقال لهم هوذا ملككم شرشوح وقد عاد اليكم فانزعوا عنكم ثقل هذا الحاكم الظالم الجديد وعودوا الى المدينة وبشروا اهلها برجوعه وها نحن في اثركم ولما رأى الرجال ملكهم فرحوا به جداً وقبلوا يديه وسلموا عليه واخبروه بما لاقوا من الحاكم الجديد . فقال لهم سيروا امامنا الى البر ثم نزل في القارب وامر حمزة التجار ان تخرج بضائعها الى البر وتبيعها بغير رسم ونزل المحافظون على الشاطي. ودخلوا المدينة وجعلوا يطوفون في اسواقها وينادون بشراكم يا اهل مدينة منابع الجوهر لقد رجع اليكم ملككم شرشوح وتخلصتم من ظلم الحاكم الحاضر اليكم الامان والاطمئنان . فكانت الناس تجتمع من مكان الى مكان وتتبع المنادي وترى ملكها فرحة به وهو سائر الى ان دخل دار الحكومة واذا بجماعة العسكر قد اعترضوا حمزة وشرشوح فجرد سيفه وانحط عليهم وفرقهم وقتل منهم اكثر من عشرة انفار ثم دخل الديوان فوجد الحاكم الجديد جالساً على كرسيه فصاح به وقال له من حيث انك ظالم غاشم لا تراعي حرمة العباد وراحة خليقة الله فقتلك لا بد منه كيف كان الحال ولا تستحق ان تبقى في هذه الدنيا . ثم ضربه بسيفه فقطعه نصفين والتفت بعد ذلك الى ارباب الديوان وقال لهم هوذا ملككم شرشوح قد عاد اليكم فاما ان تطيعوه واما يكون نصيبكم كنصيب غيركم من المعارضين . فقال الجميع اننا لا نريد لنا ملكاً غير شرشوح ونحن ما اطعنا هذا الا خوفاً منه والحمد لله على خلاصنا . وجاء بشرشوح واجلسه على كرسيه وعاد الى حال المدينة كما كان سابقاً . ثم ان الامير حمزة اظهر نفسه لاهل المدينة وعرفهم عن سبب وصوله اليهم وكانت اخباره واصلة الى تلك الجهات فاكرموه مزيد الاكرام واولموا له الولائم وعملوا له الافراح مدة سبعة ايام واهل المدينة يأتون اليه ويتفرجون عليه . وقد نصح حمزة لشرشوح ان يترك لوعة القلوب اذ ما

من وسيلة له للوصول اليها . فقال له اني تركتها لاني كنت قبلًا ارى صورتها فاتذكرها والان نزعتها عن افكاري شيئاً فشيئاً وما من نصيب لي بها

وبعد ان قام حمزة سبعة ايام في مدينة منابع الجوهر سأل شرشوح ان يحضر له مركباً يسافر عليه الى البصرة فاجاب سؤاله واحضر له مركباً كبيراً واسعاً . فودع شرشوح واهل المدينة وسار من هناك على ظهر البحار مسافراً الى جهة البصرة وقلبه يضطرب من جهة قاصيا ونفسه تطلب ان ترى لوعة القلوب بنت حاكمها وما زالت الريح موافقة والبحر ساكناً حتى رسي المركب عند شاطىء البصرة فنزل على قاصيا وسار الى جهة المدينة وكان الوقت بعد غروب الشمس بساعة فرأى ابواب المدينة مقفلة فطرق الباب وسأل الحارس فتحه فقال له يجب ان تبقى الى الصباح لان ابواب البلد لا تفتح الا في النهار واما في الليل فتقفل ولا يؤذن بفتحها قط لاحد . فوقف الامير مبهوتاً ثم التفت الى شمروخ وقال له سر بنا لنلتجي الى كهف نبيت فيه هذه الليلة او نرى فندقاً نأوي اليه الى حين الصباح . فعرجا وسارا مقدار نصف ساعة واذا بالامير قد رأى قصراً منيراً في تلك الناحية فمال الى ناحيته وقرب منه فوجد بابه مقفلًا فجلس عند جذع شجرة هناك على مصطبة نظيفة ومكان مرتب للجلوس وقال لشمروخ اجلس قليلًا هنا ولا بد من السؤال عن اهل هذا القصر وسكانه فاذا قبلونا هذه الليلة بتنا عندهم واذا كان في ذلك ثقلة عليهم بقينا هذه الليلة هنا الى الصباح فان المكان يوافق للمنامة . وفيما هما على ذلك واذا بثلاثة من الخدم قد حضروا امام الامير وقدموا له مائدة عليها الوان الاطعمة فتعجب من ذلك وقال لمن هذا الطعام . قالوا هو لكما . قال ومن اين عرفتما حتى قدمتما لنا الاكل ومن الذي بعثه . قالوا ان هذا القصر هو للوعة القلوب بنت ملك قاصيا تقيم فيه ايام الحر وقد عدت هذا المكان الذي انتما عليه لاجلوس المسافرين فيمرون على الدوام من هنا ويبيتون بانتظار الصباح لكي يدخلوا المدينة وسيدتنا عودت ان ترسل لهم الاكل بحيث يكونون قد دخلوا في ضيافتها . فلما سمع الامير هذا الكلام طار قلبه

فرحاً وقال لقد وصلت الى المطلوب من اقرب طريق . ثم تذكر الصورة وما رأى مكتوباً عليها من الاحرف فاراد ان يمتحن القضية . فقال للخدم هل في وسع سيدتكم ان تقبلنا لنبيت في هذا القصر باقي ليلتنا وفي الصباح نرحل عنها الى المدينة . قالوا هذا لا يمكن قط لانها مقيمة في اعالي القصر وليس عندها ذكر قط ونحن لا نراها الا نادراً وعندها قهرمانتها فانوس فنخاطبها بواسطتها وما من احد من جميع الذين ضافونا طلب هذا الطلب او بات داخل باب القصر بل في اعالي الشجرة . قال اذهبوا الى سيدتكم واخبروها ان الذي ضافنا هو الامير حمزة البهلوان ابن الامير ابراهيم فارس برية الحجاز وطلب الينا ان يدخل هذه الليلة الى القصر فيبيت فيه . فلما سمع الخدم هذا الكلام ما منهم الا من ارتاع واضطرب لانهم كانوا يسمعون بان الامير حمزة يحارب كسرى وقد اذل العجم وخافت بأسه السلاطين والملوك فعادوا متحيرين وجاؤوا سلم القصر ونادوا القهرمانة فانوس فجاءتهم وقالت لهم هل يحتاج ضيوفنا الليلة الى شيء غير الطعام . قالوا اخبري سيدتنا ان ضيفنا هذه الليلة هو بحاجة الى ان يدخل القصر وقد ذكر لنا اسمه ونحن نكاد لا نصدق انه هو . قالت وما اسمه . قالوا قال لنا انه الامير حمزة البهلوان ابن امير مكة المطهرة الذي انتشر صيته في العالم من مشرق الشمس الى مغربها ولا نصدق ان ذلك الرجل يأتي هذا المكان على مثل هذه الحالة وعنده الملوك والفرسان في خدمته وتحت طاعته . فلما سمعت هذا الكلام وقفت مبهوتة نحواً من خمس دقائق . وكانت لوعة القلوب قد سمعت بعض هذا الكلام فنزلت من غرفتها للاستفسار ودنت من فانوس وقالت لها ما يقول الخدم . قالت لها والله يا سيدتي ما يقولونه يحير الافكار ويضيع العقول وهو انهم اخذوا الطعام ضيفين زارا مضيفنا هذه الليلة فطلب احدهما ان يدخل هذا القصر وسأل الخدم ان يطلبوا الى سيدتهم ان تأذن له بالدخول وادعى انه الامير حمزة صاحب البند والعلم ومذل الجبابرة والابطال الذي لا يخفاك امره وعلو منزلته في هذا الزمان وهذا لا يكاد يدخل عقلنا قالت ويلك كيف لا يدخل عقلك وهل من

العجب ان يزور سيد العرب لوعة القلوب وقد سألت الله ذلك الوف مرات . فأمري الخدم ان يطلعوه الينا ومتى رأيناه عرفناه . وفي الحال رجع الخدم الى الامير حمزة وقالوا له ادخل فان سيدتنا بانتظارك . فدخل وترك شمروخاً في الخارج وحالما دخل نزلت اليه فانوس وترحبت به واصعدته الى اعالي القصر وهي تتعجب من حسن طلعة الامير وهيبته وقد ثبت عندها انه هو الامير حمزة بعينه . ولما صار في الطابق العلوي تقدمت منه لوعة القلوب وسلمت عليه وقالت له لقد شرفت فتاة صرفت اشهراً واعواماً تتمنى لقاك وترغب ان تراك فالحمد لله على هـذا الملتقى النير منتظر وقد عملت جميع الوسائط لتعلم بي واني عشقتك بمجرد السماع قال ان من حضر ما غاب ولو رأيت صورتك من قبل لما تأخرت الى هذه الايام فالحمد لله الذي وصلت اليك ورأيتك وكنت لا اصدق ان هيئة جسمك تنطبق على رسمك ولان اراك ابدع صورة مما في الصورة ولم يقدر المصور ان يأتي ببراعة الصنعة بل قصر جداً عن الاتيان بكل معناك وها اراك الان ربة الجمال وآلهته ثم وضعت يدها بيده وهي طائرة الفؤاد لا تعي على نفسها من شدة الفرح والمسرة ودخلت الى غرفة فسيحة مفروشة بالاثاث الفاخر والبسط العجمية وجلست على مقعد من الحرير واجلسته الى جانبها وهي لا تفتر عن شرح حبها له وقد قالت ملأت الارض صوراً وانا متيقنة بان لا بد ان تقع في يديك احدى هذه الصور فتتحقق ان تراني . قال ومن اين عرفت بي . قالت كنت ذات ليلة في قصر ابي وذا بتاجر من نواحي حلب قد دخل مدينتنا وهو من اصحاب الفكاهات والنوادر فزار ابي حسب عادته وكان رجلاً شيخاً اعتاد الاسفار والتجارة في نواحي الارض شرقها وغربها محبوباً من الملوك والوزراء وكان ابي سامعاً طرفاً من حديثك فسأله عنك فعاد عليه قصتك من الاول الى ان رجعت من جبال قاف وان كل من رآك من النساء احبك وقد تزوجت بعدة نساء وقهرت كسرى انوشروان . وكان يحكي لرجل وقلبي يهلع ويخفق ووقعت من قلبي موقعاً عظيماً حتى صرت احسب نفسي من نسائك وان اصلي الى الله تعالى ان يقيدك بي ولا يحرمني منك ثم خطر

لي ان اصور نفسي وانشر صوري بيد الدراويش والسياح عسى ان واحدة منها تصل اليك فتـ الغاية وتأتي اليّ فهلا وقعت واحدة منها بيدك . قال نعم لقد ر يت واحدة منها ولهذا السبب جئت اليك . واعاد عليهـا قصته مع شرشوح وشمروخ حتى وصل الى قصرها فشكرت الله وامرت قهرمانتهـا ان تقدم لهما الطعام ففعلت واكلا وهما غارقين ببحر الغرام والهيام وبعد ان فرغا من الطعام قدمت لهما القهرمانة سفرة المدام والنقل والزهور وارادت الانصراف فقالت لها لوعة القلوب لا تنصرفي بل ابقي عندنا واحضري العود واضربي لنا عليه فان ليلتنا هذه ليلة حظ وما باس بقيامك معنا فأجابتها واحضرت العود وجعلت تضرب عليه وكانت ذات صوت رخيم جداً وبارعة بضرب العـود وبعد ان شدت الاوتار واصلحت شأنه ضربت به وانشدت :

لك لا لغيرك اشتكي جور الصدود المهلكِ
فارحم اسيرك انني القي السلاح ام افتك
اشكو الى من لا يجيـ ـب ولا يرق لمشتكي
واقول يا عين اسمحي فيقول ياعين اسفكي
يا معرضاً فضح استتا ري واستباح تهتكي
اني فنيت وانمـا امل التلاقي ممسكي

وكانت تلك الغرفة ترقص من الحظ والفرح والامير يشرب الخمر من يدي لوعة القلوب وهي تشرب من يده وتطلب ان لا يأتي صبـاح تلك الليلة فيبقى حبيبها عندها وتطول حالتهما على مثل هذه الحال غير ان ليل الاجتماع قصير كما ان ليل الفراق طويل فداما على الحظ والمسرة والهنـاء ومناشدة الاشعار ومعاطاة الخمار الى ان تبلج وجه الصباح وحينئذ قال الامير اني رجل اود سرعة العودة الى بلادي ولذلك ارغب في ان اذهب هذا اليوم الى المدينة واسعى في التقرب من ابيك فتزوج بك و عود الى بلادي لارى كيف حال قومي ورجالي مع كسرى وقومه قالت ان هذا ريده واني مثلك ارغب في سرعة التقرب من بعضنا فافعل

ما انت فاعل وتراني مطيعة لك في كل ما تريد . قال لكني اريد ان اسألك سؤالاً عن سبب قفل ابواب المدينة من حين غياب الشمس وقد تأكدت ان لا بد لذلك من سبب عظيم . قالت نعم وهو انه منذ سنة تسلط على مدينتنا اسد هائل المنظر فيدخل اليها ويفترس منها اثنين او ثلاثة اشخاص وقد صرفوا الجهد الى قتله فلم يقدر عليه احد ولما اعياهم الامر اتفقوا ان يقفلوا ابواب المدينة في المساء ويفتحوها في الصباح وعليه فقد ردوا عنهم شره فيأتي الليل والابواب مقفلة فيطوف حول المدينة ولا يقدر على الدخول اليها الا انه كان يفترس كل من يصادفه وعليه فاني لا اخرج قط خارج قصري في الليل ولا ادع احداً من قومي يخرج بعد اشتداد الظلام . قال وهل ياتي الى نواحي القصر . قالت لا اعرف فاني ما علمت انه جاء قط ولكن اتوهم انه لا بد ان يمر من هنا . قال والذين ياتونك ضيوفاً . قالت بعد ان اقدم لهم الطعام انصح لهم ان يبيتوا في جوف الشجرة فيعملون من الاغصان سريراً ويبيتون فضلاً عن اني امرت خدمي ان يعملوا اسرة في جوف الشجرة حتى اذا مرَّ الاسد لا يرى بشراً ولم يعتد عليَّ الاسد قط ولا اظنه يعتدي عليَّ فلما سمع الامير منها هذا الكلام ظهر عليه الكدر والاضطراب وقال لها كان من اللازم ان تخبريني بذلك منذ اول الليل فان لي خادماً اسمه شمروخ تركته في الخارج واخاف ان يكون الاسد قد افترسه . قالت اني شغلت بك ولم يخطر في ظني ان معك رفيق كما انك شغلت بي عن خادمك وعلى ظني انه لا يزال حياً فنهض الامير الى شباك القصر ونظر واذا به يرى الاسد جاء يفترس شمروخ ويرمش عظامه فصاح واحسرتاه عليك يا شمروخ خلقت من الجان ورميت بنيب الاسد . ثم استل سيفه وكر في سلم القصر فتعلقت به وهي تقول وقالت له لا تخاطر بنفسك يا سيدي فان خادمك قد هلك ومات ولا بد للاسد بعد ان يفرغ منه يذهب قال لا بد من قتله بثأر خادمي وحيث قد عرفت انه في هذه الناحية فلا بد من تمكني رجوعه قالت ان حياتك عزيزة عندي قال سوف تريني اذبحه كما شاة فهو عندي كهرة التي في الشباك تنظر اليَّ قبل ان يذهب

وما من وسيلة للتقاعد عنه فكوني براحة من جهتي فقد قتلت مثله كثيراً والا كيف اكون حمزة العرب وسيد السيف والسنان اذا كنت ارهب الاسود فتركته ورجعت الى الشباك واذا به خرج من باب القصر وبيده الحسام وصاح بصوت اشبه بالرعد القاصف وقال ويلك يا كلب البرية اما حلا لك غير خادم حمزة العرب اما وصلك طرف من اخباري اما عرفت ببطشي وقوة ساعدي حتى قدت نفسك الى حفرة الهلاك فلما رأى الاسد الامير وسمع ارعداد صوته تنفض واستعد للهجوم عليه وقد احمرت عيناه منه وزئر زئيراً عالياً جعل لوعة القلوب ان تخاف على حبيبها وقد تمسكت بيديها في جهتي الشباك ونويت ان رأت الامير وقع بين يدي الاسد رمت بنفسها الى الارض فتموت ويكون قبرها وقبر حبيبها جوف الاسد . ومن ثم قد رأت الاسد اجتمع على الاربع وانحذف بكليته على الامير وهو مكشر الانياب مقوم الاظافر فزاد خوفها وعولت على رمي نفسها واذا بها قد ارتاحت الى ضربة سيف وقعت من كف الامير بين عيني الاسد فشقت رأسه وعنقه وصدره وجوفه الى ما بين الخاذه وانحذف نصفاه يميناً وشمالاً ثم مسح سيفه بجلده وقال ويلك ايها المعتدي اظننت ان حمزة كغيره يصبر على عدوه . ثم عاد الى ما بقي من جسم شروخ وجعل يبكي عليه وقد تكدر لاجله مزيد الكدر وذم الهوى الذي جعله ان ينسى خادمه ورفيقه ويلتهي بحبيبته وامر بعد ذلك الخدم ان تدفنه في التراب وصعد الى اعالي القصر فوجد لوعة القلوب لا تزال واقفة في الشباك وهي منتبهة اليه بل مأخوذة العقل والفواد من عظم ما نالها من الفرح فدنا منها واخذها الى صدره وسقاها الماء فعادت الى وعيها وقالت له اصحيح ايها الامير انك تحبني واني استحق ان اكون زوجة لرجل باسل نظيرك تخافه الاسود وتذل لديه الابطال . فقال لها هدىء روعك فانا حبيبك ولا انفكاك لي عنك فسأتزوج بك وارجع الى بلادي وانت تكونين من سيدات العرب وزوجة كبيرهم واميرهم . قالت اذن من الواجب ان تذهب الى المدينة وتدخل على والدي وتعرفه بنفسك ومن ثم تطلب اليه ان تتزوج بي فيسألني فاجيب ولا تظهر

له انك اتيت عندي او عرفتني · قال هذ اعرفه وافعل كل ما يرضيك فكوني في قصرك كما انت وسأعود اليك في كل ليلة الى ان نزف من بعضنا

ثم انه ودعها وخرج من القصر وهو محروق الفواد على شمروخ وبعد دقائق قليلة وصل من ابواب المدينة فوجد احدها يفتح وحالما فتحه البواب وجده عنده فاظهر التعجب والاندهاش وقال له اين كنت نائماً طول هذه الليلة قال كنت نائماً عند البـــاب قال وكيف لم يفترسك الاسد قال جاء اليَّ فطاردته ففرَّ من امامي فادركته وقتلته وهنذا ترونه مقتولاً في الخارج فهلموا اليه لتتفرجوا عليه · وكان جماعة من اهل المدينة واقفين يسمعون هذا الكلام فتعجبوا وارتاعوا من الامير واستعظموه في اعينهم وعادوا راجعين الى المدينة ونادوا بها بقتل الاسد وصارت الناس تخرج وتتفرج عليه وكلهم من الفرح على جانب عظيم وببرهة قليلة وصل الخبر الى حاكم قاصيا فسقط الهم عن قلبه وطلب ان يأتوه بالرجل الذي قتل الاسد فقدم اليه الامير وسلم عليـــه وجلس امامه فقال له انت الذي قتلت الاسد قال نعم · قد قتلته عند ما اراد ان يعتدي عليَّ وهذا ليس بعجيب فقد قتلت مثله كثيراً في زمني · قال من اين انت وما اسمك وما الذي جاء بك الى بلادي · قال اما انا فاسمي عبدالله واصلي من بلد الله جئت هـــذه البلاد لاتوصل اليك واتعرف بك والان اسألك هل من عدو لك في كل هذه النواحي وهل من احد من اتباعك عاص عليك وخارج عن طاعتك · قال نعم ان كل القبائل التي حول جبل قاصيا لا تدفع الجزية منذ خمس سنوات وحتى اليوم خارجة عن طاعتي · قال سوف اجعلها كلها كالعبيد بين يديك · ففرح جداً وعمل له وليمة فاخرة ذلك النهار هذا والناس تأتي من كل ناحية للفرجة عليه · وعند المساء طلب من الحاكم ان يدفع اليه مائة رجل من رجاله ليكونوا في رفقته ويستدل منهم على القبائل العاصية · فاجابه ودفع اليه مائة رجل فخرج بهم وسقط على الاعداء فنزل بهم الويل وقتل منهم كثيراً وارغمهم على الطاعة لحاكم قاصيا ثم انتقل الى جهة ثانية وفعل فيها كالاولى حتى انتشر الخبر بين كل تلك القبائل المجاورة ووقع الرعب

في قلوبهم واخذوا يتقاطرون من تلقاء انفسهم الى المدينة صاغرين مظهرين الطاعة نادمين على ما جرى منهم . والحاكم يطلب اليهم ان يدفعوا الجزية عن السنين الخمس الماضية فيدفعون اليه وهو مسرور من عمل الامير حمزة فرح به . ولما رأى الامير ان جميع العصاة قد انقادوا الى سيد البلاد عاد اليه . وقال له لقد فعلت ما يرضيك فهل من حاجة بعد في قلبك . قال اني اعرف ان بلادي قد عاشت بك بعد ان كادت تخرب واريد منك ان تسمع مني وتبقى عنـــدي في بلادي وانا اشاركك في الحكم واجعلك خفير البلاد وحاميها من الاعداء . قال هذا لا ارغبه ولا اريده واني بعد ايام قليلة اسافر عنك فاذا كان في نفسك حاجة فابدها . فلما سمع الحاكم هذا الكلام تكدر وخاف من غيابه وتمنى ان يبقى عنده لترتفع به شوكته وتتسع بلاده . فقال اني لا اريد ان افارقك وصار لك الحق في البلاد اكثر مني ولا ريب انك تسرّ بالبقاء هنا فاني وجميع اهل بلادي نعرف قدرك ونعترف بفضلك ولا يصير لك عند غيرنا ما يصير لك عندنا . قال لا بد من السفر بعد ايام قليلة . ثم خرج من دار الاحكام الى المكان الذي اعد له ولما كان المساء ذهب تحت ظلام الليل الى قصر لوعة القلوب فوجدها بانتظاره فسلم عليها وسلمت عليه وترحبت به وقالت له قد مضت كل هذه الايام وانت بعيد عني ولم اسمع عن طلبك الزواج الى ابي مني فلما ذلك

قال اني اردت في الاول ان اباديه بالجميل والمعروف ليعرف قدري ويتعلق بي وحتى الساعة لم اذكر له اسمي ولا عرفته بحالي بل قلت له ان اسمي عبدالله وفي هذا اليوم استأذنته ان يسمح لي بالسفر الى بلادي فتكدر وقدم لي بلاده لاكون حاميتها وصار لا يقدر على فراقي ولا ريب اذا طلبت اليـه الان الزواج منك اسرع فاجاب وفرح كل الفرح وفي الغد اسأله في ذلك . فقالت له حسناً فعلت . ثم تناولته من تحت ابطه ودخلت واياه غرفة الطعام وجلست معه على المائدة فأكلا وشبعا ثم خرجا الى غرفة ثانية حيث كانت فانوس القهرمانة قد اعدت سفرة المدام وصفت عليها الزجاجات والاقداح وجلست هي بالقرب منهما تضرب

على العود وكانت كما تقدم رخيمة الصوت ناعمته حسنة الضرب . فجعلت لوعة القلوب تشرب وتسقي حبيبها وتسمع صوت الالة وكلٌ منهما غارق ببحر هواه ضائع العقل عند الآخر وما زالا على ذلك الى ان فاجئتهما سنة الكرى فنهض كل واحد الى فراشه وهو ثامل من شدة شرب العقار . وعند الصباح نهض الامير حمزة وودع لوعة القلوب وجاء المدينة ودخل على حاكم قماصيا

قال وكان ابو لوعة القلوب بعـــد ان خرج الامير من امامه قال لقومه ماذا ترون في امر عبدالله فاني لا ارغب ان يسافر عنا ويترك بلادنا ونحن في حاجة اليه وكيف العمل لنجعله ان يبقى طول عمره ولا يبارحنا . قالوا ان الرأي عندنا ان تعرض عليه الزواج من بنتك لوعة القلوب وهذا الامر يربطه بك ويجعله بالرغم عليه ملزوماً ان يحافظ على البلاد ونطلب الى لوعة القلوب ان تقنعه بذلك . قال اخاف ان لا يرضى عبدالله بهـــا ويذهب عنا ويتركنا . قالوا لا ريب انه يرضى ويكون ممنوناً من هذا لان لوعة القلوب نادرة المثال لا نظير لها في كل العالم فاذا عرف بذلك فرح وسلم امره اليك . فاتفقوا على ذلك ولما كان اليوم الثاني وجاء الامير الى مجلس ابي لوعة القلوب ترحب به واجلسه الى جانبه وزاد في اكرامه وقبل ان يبدي الامير كلمة تتعلق بشان لوعة القلوب قال ابوها اني ارجوك ان تبقى في بلادنا وخطر لي ان ازوجك من بنتي لوعة القلوب التي لا نظير لهـــا في هذا العالم وقد طلبها كثير من الشرفاء والعظماء ولم تقبل ان تكون زوجة لاحدهم واريد منك ان تقبل هذا وترضاه ولا ريب ان بنتي ايضاً تسرّ بك بعد ان بلغها شدة بطشك وعظيم قدرتك وجسيم بسالتك . قال اني كنت لا رغب ان قيم في هذه البلاد اكثر من يام قليلة وحيث قد نعمت عليّ بلوعة القلوب فاني اعرف منك هذه النعمة واقدرها حق قدرها واشكر لك هذا المعروف فلما سمع حاكم قماصيا هذا الكلام سرّ به جداً وفرح فرحاً ما عليه من مزيد . وقال له انت منذ هذه الساعة صهري ومساعدي ومعيني ولك احق في بلادي وفي تدبير امرها كما لي . فكن انت المتصرف والحاكم مثلي ولي ثقة كبرى انك تزيد في شأن قماصيا

وترفع قدرها وتوسع دوائر حكومتها وتأتي لها بكل نفع

ثم ان حاكم قماصيا ارسل الى بنته وجاء بها الى قصره وعرض عليها امر عبدالله وقال اريد منك ان تقبلي بالزواج منه لاننا بحاجة اليه واذا ذهب عن بلادنا ساء حالنا واذا كان صهري زوجك خاف باسنا الملوك الكبار والفرسان والابطال وقد رأيت من افعاله ما ادهشني فقد قتل الاسد الذي عجزت عنه انا وكل جيوشي واذل العصاة وسهل لي ولبلادي طرق الاتساع فهو بدون ريب نادرة المثال سينتشر صيته في الافاق كانتشار صيت حمزة العرب وربما كان اعظم منه ثباتاً في ساحة القتال . قالت افعل ما بدالك فاني لا اخالف لك امرًا في الزواج بهذا الرجل حيث اني احب الابطال واريد ان اكون زوجة لرجل يدفع عني الغارة وكل معتدٍ ويحمي بلادنا من حملات الاعداء فسرّ ابوها من كلامها ومدحها وهو لا يعلم ما بينها وبين الامير وعاد اليه فاخبره بجواب بنته . ومنذ تلك الساعة اشهر زواج لوعة القلوب بعبد الله ففرح الناس وبدأ بعمل العرس ودعا القريب والبعيد وقد قامت الافراح في كل ناح مدة سبعة ايام وفي الثامن عقد للامير على لوعة القلوب ودخل بهـا وسر منها سرورًا لا مزيد عليه وصرف عندها وقتاً ليس بقايل واطمأن بال حاكم قماصيا من جهة عبدالله وثبت عنده انه سيبقى الى الممات في بلاده والامير في قصر زوجته مجتمعاً بها يشرب ويسرُ ويطرب وهو لا يحب ان يفارقها وان يصرف اياماً بقربها يتمتع بجمالها وعذوبة الراحة عندها . وهذه تروح من الامير حامل بولد يدعى سعد الطوقي ويكون من الفرسان والابطال ويفرج عن العرب الشدة والضيق كما سيأتي في محله

فهذا ما كان من الامير ولوعة القلوب وحاكم قماصيا ولنرجع الى عمر العيار ومعقل البهلوان حيث قد تركناهما سائرين الى قماصيا ليجتمعا بالامير كما تقدم معنا ولا زالا سائرين من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة يخترقان السهول والاوعار ويتسلقان الجبال والاكام وعمر يلتزم ان يسير الهوينا ليساوي في مسيره معقل البهلوان الى ان وصلا قماصيا وصادف انهما جاءا نحو الساعة الواحدة من الليل

قصر لوعة القلوب وهي فيه مع زوجها الامير حمزة البهلوان فعرجا اليه وجلسا تحت الشجرة التي عند بابه وقد اعجبهما ذلك المكان وقال الامير عمر لرفيقه حيث قد وصلنا البلد والوقت ظلام فننام هذه الليلة هنا وفي الصباح ندخل المدينة ونفتش على اخي

قال له قد اعجبني هذا المكان وجلس واياه واخرجا ما معهما من الطعام ليأكلا واذا بخدم القصر قد خرجوا منه حسب العادة وجاؤوا لهما بالطعام فقدموه بين ايديهما . فقال عمر لهم لمن هذا القصر وكيف ارسلوا لنا هذا الطعام قالوا ان هذا القصر للوعة القلوب بنت ملك قماصيا ومن عادتها ان تكرم ضيوفها فمن جاء المكان قدمنا له الطعام حيث يكون في ضيافتها فهي كريمة الفعل والطباع قال جزاها الله خيرًا . ثم تناول الطعام وذهب الخدم في حال سبيلهم فقال عمر يظهر لي ان بنت صاحب قماصيا كريمة وصاحبة فضل ومعروف . قال لا بد ان نجازيها على فعلها هذا اذا ساعدنا الزمان ولا عجب اذا صار منها ذلك فان اهل هذه البلاد اهل كرم وسلام . ثم صرفا ساعات قليلة يتسليان بالكلام . ومن بعدها نام معقل البهلوان وعلا غطيطه . فتركه عمر العيار وقال لا بد لي من ان اعرف لوعة القلوب هذه واعرف من داخل القصر لاني ارى انوارًا كثيرة فيه و سمع اصوات الغناء والعود وجاء القصر وجعل يدور من حوله من كل جهاته حتى ادرك المكان الذي يمكنه الدخول منه فتسلق الحائط وجاء النافذة وانسحب منها ثم قلب الى الداخل وانسل في دهاليز القصر وصعد سلالمه حتى جاء الغرفة التي فيها لوعة القلوب والامير حمزة وكان او نظر على صغرة المدام فقرب من نافذتها ونظر الداخل و اذا به يرى الامير حمزة جالسًا مع لوعة القلوب وهي كانها الكوكب الوضاح يتلألأ في ظلام الليل الحالك وامامها القهرمانة فانوس وقد وضعت العود بين نهديها تضرب به وتغني برخيم صوتها والامير مشتغل مع محبوبته بالكلام وقد سمعه يقول لها . اني اسر الان بك جدًا ويفرح قلبي الفرح العظيم ولكن فكري لا يزال يشتغل عند ضواحي حلب حيث ان جيشي مقيم هناك ولا اعرف ماذا صار

به واريد منك ان تذهبي برفقتي الى هناك كي تكوني مع نسائي قالت لا ازال اراك مشغل البال عند قومك وهم بامان وسلام وراحة وعندهم عمر العيار الذي حكيت لي مراراً انه صاحب الرأي الحسن والتدبير العظيم والعرب بدونه لا تصلح بشيء ولا لشيء . قال اني اعرف انه ما زال عمراً بينهم لا خوف عليهم ولا تصلهم اذية لكنهم لا بد من ان يضطربوا لغيابي ويلتزم عمر ان يسعى خلفي بالتفتيش عليّ واذ ذاك يترك المعسكر ويبعد عنهم وربما جاء هذا المكان ايضاً واعظم شيء يدفعني الى الذهاب هو شوقي لولدي ورجالي ونسائي ولا سيما اخي عمر . قالت دع عنك الان هذا الحديث وخذ هذا القدح فاشربه بصحة اخيك عمر ودع فانوس تنشدنا عليه شيئاً من الشعر تضربه على عودها . فضربت القهرمانة ضرباً يحرك الحواس من داخلها ويطرب الشجي الولهان وانشدت :

نفسي الفداء لشادن حشمته وشفيت بالتقبيل منه غليلي
ظفرت يداي بصيده بوصيده فأجدت ثم توصلي بوصولي
صادفتــهُ واكفهُ مشغولة بابارق قد اترعت بشمول
فمنعته بالضم من إلقائها وجعلتهــا تحنيه للتقبيل

فلما سمع عمر العيار من الخارج ذاك الصوت وشاهد تلك الجلسة غاب صوابه ودخل بغتة وقال السلام يا اخي حمزة انت جالس هنــا على الحظ والانشراح وضرب العود وشرب الخمار ونحن ندور البلدان ونسأل الركبان ولم نزك قط في مكان . فاندهش الامير ولوعة القلوب من عمر ونهض اليه وقبله وسلم عليــه وقال له اني لا ازال اتذكرك فأهلا وسهلًا بك . ثم سلم على لوعة القلوب والقهرمانة فانوس وقد مال قلبه اليها ورأى فيها من معاني الحسن ما جعله يميــل اليها كل الميل ويحبها محبة عظيمة . فقال لاخيه ابق يا اخي على ما انت عليه فما اتيت لانغص عيشك بل اتيت لاطمئن عليك والحمد لله انت بخير وسلام . قال اجلس الان معنا وشاركنا في سرورنا فهذه زوجتي لوعة القلوب وقد جئت قاصيا لاجلها وتزوجت بها . فقال عمر لقد احسنت فهي وقهرمانتها نادرة المثال . فأدرك

الامير غايته واجلسه الى جانبه وهو مسرور به كل السرور وقــد تناول قدحاً وناوله اياه فشربه وامر فانوس ان تنشده شيئاً من الشعر . فاخذت العود وضربت ضرباً ناعماً لطيفاً ترقص له بنات الافكار وتطرب عنــد سماعه الحور والولدان وانشدت :

رقصوا فقام الحرب واشتبك القنا من كل قد كالقضيب اذا انثنى
ونضوا من السود المراض صوارماً بيضاً فلم نعلم علينا ام لنــا
هزوا الغصون وكلفوا اعطافهم حمل الجبال فكان ظلماً بينا
من كل ردف كالكثيب مجاذب قداً اغض من القضيب والينا
صدوا وردوا سافرين وجوههم نحوي فشاهــدت المنية والمنا
ضمنوا قرى اسماعنا وعيوننــا للعين رقصهم وللسمع الغنا

فسكر الامير عمر العيار عند سماع صوتها وزاد في قلبــه الغرام ولم يتمالك نفسه عن ان ينشد :

شجى وشفا لما حدا وترنما فأنعس ايقاظاً وايقظ نوّما
وجس من الاوتار مثنى ومثلثا خفت بنا الافراح فرداً وتوءما
اغن كأن العود ضم صدى له يحاكيه في الفاظه ان تكلما
يحاكيه في الحالين صوتاً ولهجة فقد كاد يلقى ضاحكاً متبسما
اذا رتلت الفاظه الشعر معرباً وعادت لنا اوتاره اللفظ معجما
له منطق يستنزل العصم عندما يحرك في الاوتار كفاً ومعصما
يضم الى نهديه عوداً تظنــه نسيباً تجزى او نديماً مجمجما
كأن حشاه ضم سراً مكتما يكتم عنه و حديثاً مجمجما
يطارحنا شرح الضروب مبرهناً فنأخذ نقل اللهو عنه مسلما
وان حركته الكف ابدى تململاً فحرك منــا يذبلاً ويلملما

وعندما رأى الامير حمزة الى حالة اخيه عمر التفت الى لوعة القلوب فرآها تنظر اليه كعالمة بحاله فغمزته ان يجمع بينهما فاجاب في الحال والتفت الى عمر

وقال له اني اعرف انك احببت فانوس وهي تستحق هذه المحبة وقد عزمت ان ازوجك بها في هــذه الساعة فتكون زوجة لك وتكون انت بعلًا لها وتساوينا بالمسرة والحظ . قال حسناً تفعل فاني مــا شغلت زماني بفتاة ولا عشقت فتاة كعشقي لهذه الفتاة . ثم قالت لوعة القلوب لقهرمانتها اني ازفك الآن من الامير عمر العيار فتكونين عنده على الدوام لانه سيد في العرب ونافذ الكلمة عليهم فأطاعت فانوس كلام سيدتها وفي الحال حسبت زوجة له وبعد انصراف السهرة ذهب كل بزوجته يصرف باقي الليل معها وفانوس هذه تلد من الامير عمر ولداً ذكراً يسمى الشاه ذنب ويكون لونه احمر وسيأتي ذكر حديثه ان شاء الله

وفي الصباح نهض الامير واجتمع بعمر وهناه بليلتــه وقال له هل جئت وحدك من حلب او صحبك أحد من العيارين والامراء فانتبه اذ ذاك الامير عمر الى حاله وافتكر بأنه ترك في اسفل القصر معقل البهلوان وقال لاخيه قد ارتكبنا غلطاً عظيماً وفعلنا فعلًا جسيماً نستحق لاجله اللوم وشغلت بفانوس وبك عن ان افتكر بمن تركته في اسفل القصر وهو معقل البهلوان وقد تركته نائمــاً وجئت انظر من في القصر على امل ان اعود في الحال . فلمأ سمع حمزة ذلك تكدر وقال له يا وجه القرد كيف لم تخبرني بذلك منذ اول الليل وماذا ترى يقول عنا معقل وكرَّ الامير من أعالي القصر قاصداً ملاقاة صديقه ليسلم عليه ويصعد به القصر ويعتذر له عن بقائه في الخارج وكان في الصباح نهض الامير معقل ونظر الى ما حواليه فلم يرَ عمراً فخاف ان يكون قد أصيب بمصيبة او انه وقع في ايدي اهل القصر فقبضوا عليه ولذلك استل سيفه وهجم على باب القصر ونادى ويلكم يا اهل هذا القصر اخبروني هل ان رفيقي الاسود الذي كان معي بالامس دخل القصر فاذا كان عندكم ردوه اليَّ والا هجمت وقتلتكم باجمعكم وفعلت معكم فعلًا يذكر الى آخر الزمان وهدمت على رؤوسكم قصركم . فاجابه الامير من داخل مرحباً بك يا اخي معقل فإنه دخل القصر وجاء الينا . ثم انه فتح الباب نظر كل واحد الى الآخر ورمي بنفسه عليه يقبله ويضمه الى صدره ومعقل

يتعجب من وجود الامير في ذلك المكان . ثم ان الامير اخبره بما كان من امر عمر العيار وقال له ارجوك المعذرة يا اخي فاني لم اطلع على امرك الا الان وعمر لم يخبرني به قط وقد شغل عنك بزوجته الجديدة . قال اني لا اعتب عليه فان النساء يشغلن البال ويلهين الاخ عن اخيه والاب عن ابنه . ثم ان الامير صعد به الى اعالي القصر واجلسه هناك وامر الخدم باكرامه وان يقدم لهم الطعام جميعاً فاكلوا وشربوا وسروا وطربوا فرحاً ببعضهم . وعاتب عمراً كيف نسيه وتركه لوحده في الخارج . قال اني وجدت الامير على سفرة المدام فنسيت ان اذكر له انك في الاسفل وارجوك المعذرة واريد منك ان تبارك لي ولاخي بهاتين الزوجتين اللتين امامك فان لوعة القلوب قد تزوج بها الامير حمزة الذي اذا طال عليه الزمان تزوج بنساء العالم اجمعها وما ترك فتاة جميلة الا واختارها لنفسه وتمنى ان تكون له والثانية وهي فانوس كانت من نصيبي . قال بارك الله لكما بهما . ثم ان الامير حمزة قال اريد الان ان اذهب الى المدينة فهلما بنا نتزل معاً فتتفرجان عليها وتريان اهلها فاجاباه وذهبا جميعاً . ولا زالوا في مسيرهم حتى جاؤوا دار الحكومة فوجدوا عندها خيولاً غريبة مربوطة وعليها سروج رومية مزركشة بالذهب والفضة فتعجب حمزة من ذلك وقال لا بد من ان يكون قد زار المدينة قوم غرباء لامر مهم ودخل الى الديون ووقف ببابه واذا به يرى رجلاً عليه ملابس العظمة والجلال جالساً على مقربة من حمزة قرصيا وهو يوبخه ويعنفه ويلومه بكلام عنيف وهو مطرق الى الارض لا يبدي خطاباً ولا يأتي بحركة فلعب الغضب بالامير وقامت عيناه في ام رأسه ودخل بغتة الى وسط الديون وصاح بالرجل ماذا تريد ولاي سبب هذا الكلام . قال ان سيدي قد بعثني بمهمة هذا الملك الغش ولا بد من خراب بلاده وهلاك فرسانه وكل رجاله وقلع اثره وهرق دمائه . ثم اخذ الرجل في ان يبدي الامير حمزة وقعة امره وسبب تهكمه على حاكم قاصيا

وذلك انه لما انتشر خبر لوعة القلوب في كل البلاد وذاع صيتها في جهات كثيرة من العالم وصل خبرها الى الملك عج ملك الصقلية ورأى بعض تلك الصور

التي كانت تصورها.فهام بها وعشقها على السماع وارسل وزيره الى ابيها يطلبها منه زوجة له فلما جاء الوزير الى ابي لوعة القلوب وسأله زواجها بسيده احضرها واخبرها بذلك فأبت وقالت اني لا احب الزواج ولا اريد ان اكون زوجة لاحد من الناس بل احب ان ابقى منفردة بنفسي بعيدة عن هذا العالم صارفة كل وقتي في قصري فالح عليها ابوها بان ترضى بهذا الملك لانه جبار صنديد وفارس مجيد وبطل عنيد وعنده من الجيوش ما لا يعد ولا يحصى قالت اني اعرف ذلك واعترف ان هـذا الملك هو اعظم الملوك واشدهم ولو كنت احب الزواج ما اخترت سواه ولكنني لا اريده ونفسي تطلب البعد عنه . فعاد الوزير الى سيده واخبره بما سمع من لوعة القلوب . فقال اني لا ارغمها على الزواج فربما كانت تكره فيه لكن اذا كانت حكت ذلك عن غش وخداع وتزوجت بغيري لا بد من خراب بلاد ابيها وسبيها بالرغم عنه . ووضع منذ ذلك الحين العيون والارصاد في قاصيا واقام الجواسيس في قصر حاكمها تخبره بما يكون من لوعة القلوب هل ترد طالباً آخر او تتزوج به وبقي الامر الى ان جاء الامير حمزة الذي كانت بانتظاره ولا ترضى احداً سواه فتزوجت به كما جاء معنا وحينئذٍ عادت الرسل الى الملك عج واخبرته بما كان من حمزة وان لوعة القلوب زفت عليه فقام وقعد وارغى وازبد وقال لا بد من هلاك ابيها وخراب بلاده فقال له وزيره ان لوعة القلوب ذات حسن وجمال وهي معظمة بنفسها وما امتنعت اوانئذٍ الا كرهاً بك لا بالزواج واراد ابوها ان يجبرها عليه فما قبلت فهي المسؤولة لديك والمخطئة عندك فالمجازاة يجب ان تقع عليها . قال اريد منك قبل كل شيء ان تذهب الى قاصيا وتطلب من حاكمها ان يرسل لوعة القلوب معك سبية فاتمتع بها زماناً ثم اردها الى زوجها او ابقيها عندي فاذا اجاب ذلك عفوت عنه وعن بلاده . والا زحفت بجيشي على قاصيا واهلكت كل ذي نفس فيها فجاب الوزير امر سيده حتى جاء قاصيا ودخل على ابي لوعة القلوب وجعل يتهدده بمثل هذا الكلام ويهينه ويطلب اليه ان يسلمه بنته ليأخذها ويعود بها الى سيده وهو مطرق الى الارض لا يعرف ماذا يجيب

وقد وقع الخوف والرعب على قلبه وارتاع واضطرب وايقن اما بخراب بلاده واما بتسليم بنته . وفي تلك الساعة دخل الامير حمزة ورأى ما رأى واعاد عليه الوزير طلب سيده الملك فقامت قيامته وصاح بصوت اهتز منه القصر من اربع جهاته واشهر سيفه وضربه به وهو غائب عن الصواب فاصاب رأسه فشقه ورماه الى الارض قتيلًا فاضطرب حاكم قاصيا واعيانها وصاحوا بالويل والحرب وقالوا لقد رميتنا يا عبد الله بويل عظيم وشر جسيم فما امامنا الا خراب الديار وقلع الاثار وعمّا قليل تروح ارواحنا وتدوس رؤُوسنا خيول الصقالبة وان ملكهم جبار لا نظير له في جبابرة هذا الزمان وقد اعد بعشرة آلاف فارس . فقال حمزة لا بد من قتل هذا الرجل وتشتيت عساكره وهلاك رجاله وتغريقهم فقال ابو لوعة القلوب انك لا تقدر على ذلك لا انت ولا الوف مثلك وعمّاً قليل ترى رجاله مثل الجراد المنتشر حول بلادنا تهدم اسوارنا وتخرب ديارنا وتنزل بنا البلاء الجسيم . قال لقد آن الاوان وصار من الواجب ان تعرف من انا وما هو السبب الذي جئت لاجله بلادك واذ ذاك تعرف ان الذي فرق جيوش كسرى انوشروان وانزل عليه ميازيب العذاب والهوان بعد ان جمع عليه جيوش الشرق والغرب وكل فارس قدر على الطعن والضرب انا الامير حمزة العرب فارس برية الحجاز ومذل الجبابرة ونقمة الاكاسرة وسيد الحق والعدل في هـذا الزمان وقد جئت اتزوج بلوعة القلوب حيث قد سمعت بجمالها وانا عائد من جبال قاف

قال فلما سمع الحاكم وجماعته هذا الكلام سقطوا عن كراسيهم الى الارض وصاحوا بصوت واحد بشراك يا لوعة القلوب قد نلت السعادة والاقبال وقرنت بنت كسرى انوشروان ودنوا من الامير يسلمون عليه سلاماً جديداً ويترحبون به وهم مأخوذون من هذه الكرامة التي اختصهم بها الله سبحانه وتعالى بنجاتهم قريبين من رجل ذلك الزمان ووحيد العصر والاوان . فمدحهم وقال لهم كونوا براحة وامان وسوف ارسل اخي عمر العيار يأتي ببعض فرساني ويعطي حكم هذا الملك الذي يريد ان ينزع مني زوجتي ثم خبرهم بخبر عمر ومعدي البهلوان

فسلموا عليهما وجلسوا جميعاً ثم ان حمزة دعا برجال الوزير وقال لهم احملوا سيدكم وخذوه الى بلاده وبلغوا ملككم انه اذا حدثته نفسه بالاتيان الينا لاقى ما لاقاه الوزير فحملوه وساروا وبعد مسيرهم امر حمزة اخاه ان يسير الى حلب ويسرع بالاتيان بفرسانه الاخصاء ويخبرهم ان مراده خلاص زوجته ومن ثم يعود معهم الى المعسكر . فسار عمر الى حلب وبعد مسيره سأل حمزة عمه ان يجمع العساكر التي عنده وينظر في عددهم . قال ان كل ما اقدر ان اجمعه هو نحو عشرين الف فارس

قال مرهم ان يجتمعوا في هذه البلد قبل ان يصل الينا ملك الصقالبة اذ انه لا ريب يصل قبل ان تصل عساكري ورجالي فبعث برسله الى القبائل المتفرقة حول المدينة ان تجتمع عنده وبعدة عشرة ايام اجتمع عنده العدد السابق ذكره اي عشرون الف نفر . وما مضى على ذلك ايام قليلة حتى وصل الخبر بوصول الملك عج برجاله وهم بعدد الرمل الذي على شاطىء البحر حيث كان رجال الوزير قد حملوه اليه واخبروه بقتله فارغى وازبد وقام وقعد وحلف انه لا بد ان يفلح بلاد قاصيا وان لا يترك ذات نسمة فيها . ونهض في الحال وسار بنحو مائة الف فارس من فرسانه الاشداء وسار بهم في البحر الى ان وصل الى قصيا فصعد البر وضرب خيامه بالقرب منها وسرح خيوله وعزم على الهجوم عليها في اليوم التالي حيث تكون عساكره قد ارتاحت من سفر الطريق ولما رأى حمزة ذلك دعا اليه معقل البهلوان وقال له اعلم يا اخي ان اهل هذه المدينة قوم جبناء يشبهون نساء العجم فما من رجاء بهم على القتال واريد منك ان تبذل الجهد في قتال هذا الجمع الكثير الى ان يصل الينا رجالنا وابطالنا . قال سوف ترى مني ما تعهده بي . وحينئذ اخذ حمزة العساكر وخرج بهم الى مقابل عساكر الصقالبة وضرب خيامه واقام ينتظر صباح اليوم التالي واهل المدينة في اضطراب عظيم بعضهم يؤمل النجاح والفوز لما يعهده بالامير حمزة من القوة والبطش وبعد الصيت وبعضهم يخاف من الفشل وخراب البلاد عند ما يرى ازدحام الاعداء وكثرتهم

وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق صباح اليوم الثاني وبسطت انواره على البسيطة

فهبت العساكر من مراقدها ونهضت الى خيولها فركبتها وركب الامير حمزة وحمل كأنه قضاء الله المنزل وكان منذ زمان طويل ما باشر حرباً ولا قتالاً ولا خاض معمعة ولا نزالاً وفعل مثله معقل البهلوان فالتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وطال سلطان الموت واستطال وكان ذاك اليوم كثير الاخطار . عظيم الاهوال فيه ارتفع الغبار . وحجب نور الشمس عن الابصار . وانزل على المتقاتلين امطار الدمار . فلله در الامير حمزة وما فعل وكم من فارس وسيد قتل ولم يكن الملك عج قصر في اعماله . او تهامل في قتاله . وقد اوقع بعساكر قاصيا ي ايقاع وهم لا يحسنون على ثبات ولا دفاع ولولا حمزة ومعقل البهلوان لتشتتوا بين البراري والكثبان واختاروا الهرب على البقاء في ساحة الميدان . ودام القتال الى المساء وفيه رجع الامير مع رفيقه الى الخيم وبات الى اليوم التالي فنهض القومان وتحاربا الى المساء فضربت طبول الانفصال ورجعا الى المبيت ودامت الحال على مثل هذا المنوال مدة خمسة ايام حتى كاد يتفرق جيش قاصيا لضعفه وقلته والامير يشجعه ويطيب بخاطره ويعده بقرب النصر وفي الليلة الاخيرة اجتمع معقل البهلوان وقال له [illegible] قوم يخافون الحرب ويهابون الموت مثل هل هذه المدينة و[illegible] في مثل هذه الحرب حيث اريد ان افني الاعداء و[illegible] ولا اتركهم عرضة [illegible] وهذه [illegible] التي نحن فيه صعبة جداً [illegible] ان ندخل [illegible] المدينة [illegible] نحن نقاتل [illegible] . فقال معقل لا بد في [illegible] يكون [illegible] في [illegible] وكيف [illegible] تقدرون على الثبات [illegible] من الحرب [illegible] من اصحابه [illegible] فضرب وتعجب من فعل الامير حمزة وقال لاعيان قومه اني ما كنت اظن ان عساكر قاصيا [illegible] وحدة [illegible] عرفهم [illegible] من اكثر الناس جبناً ولكن روح [illegible] التي يحميهم [illegible]

القتال ان التقي به لاضربه ضربة واحدة ازيل بها رأسه عن جسده وعليه فاني عولت في الغد 'ن اقسم عساكري الى قسمين فعند هجوم عساكر قاصيا ورجالها نضربهم من جهتين ونتركهم في الوسط ولا ندع لهم مجالاً ونبيدهم عن آخرهم كبيرهم وصغيرهم

قال ثم انه قسم العساكر الى قسمين واشار اليهم كيف من الواجب ان يفعلوا مع الاعداء وكيف يقاتلوا . وعند اقبال الصباح هبوا من مراقدهم وتقلدوا بنصولهم . وركبوا على خيولهم . وانقسموا الى قسمين وفي كل نيتهم انهم في ذلك اليوم يبيدون الاعداء وينزلون عليهم ميازيب الفناء . واذا بالامير حمزة صاح وحمل ومال الى جهة اليمين ومعقل البهلوان الى جهة الشمال وقامت الحرب على قدم وساق ومدت لاسنة الرماح والبيض الصفاح طوال الاعناق ولعبت فيهم ريح المحاق واخذ عزرائيل وقومه الى قبض الارواح بالسباق . هذا والحرب تضطرم والرجال تصطدم ورواق العذاب ينتشر من الشرق الى الغرب ويرسل من اوتار كبده سهام الويل والكرب ورأى الملك عج افعال الامير حمزة في رجاله فخاف واضطرب واقسم انه لا بد من ان يضيق عليه في ذاك اليوم ولا يتركه ينجو فصاح برجاله ويلكم قوّموا بزاريقكم وارسلوها الى هـذا العاتي ومتى قتل انتصرنا انتصاراً عظيماً وملكنا المدينة بساعات قليلة ومن هرب منكم كان جزاؤه الموت والاعدام فقومت العساكر اعنتها وارسلت اليه باسنتها واحاطت به من اليمين والشمال وكان الصقالبة من الرجال الاشداء الذين تضرب بهم الامثال في الشجاعة والاقدام ففضلوا الموت على البقاء واصروا انهم لا يرجعون عن ساحة القتال ما لم يقتلوا الامير حمزة ولو قتلوا عن آخرهم ورأى الامير عنادهم فجعل ينحط عليهم انحطاط البواشق ولو كان عنده جواده اليقظان لما وقع في ارتباك وضيق ولكن الجواد قصر من تحته ولم يجبه الى غايته حيث كان من عادته عند ازدحام الفرسان من حواليه ان يخترقها من اولها الى آخرها ويقلبها من باطنها الى ظاهرها . وعليه فقد شعر بالتقصير وخاف من ان يقع من تحته الجواد اذا طال

عليه الحال في ذاك المكان محاطاً بالرجال والابطال . فبذل جهده وابدى من الشجاعة ما يعجز عنه كل من حمل سيف وباشر قتال من فرسان الزمان من عهد آدم الى ذاك اليوم وكذلك معقل البهلوان فانه وقع بالضيق والشدة واحاط به الاعداء من كل جهة ولم يكن من فارس يفرج عنه او يساعده في القتال ليتسع عليه المجال وعرف ان اتكاله على نفسه وان الامير لا يقدر ان يصل اليه حسب عادته لبعده عنه ففعل افعال الجان . وقاتل قتال عفاريت السيد سليمان . ورأى الصقالبة بدء ذاك النجاح ولاح لهم شخص النصر من خلال ذاك القتال فما قبلوا ان يضيعوا تلك الفرصة فزادوا في القتال وابدوا اشد الاعمال وبربروا بلغاتهم ورموا بانفسهم على الاعداء حتى سالت الدماء واكتست منها الارض بالاحمرار وصبغت بلون البهار . وفيما القوم على مثل تلك الحال والامير حمزة ومعقل البهلوان في ضيق المجال . وقد تفرق رجال قاصيا وتركوا الحرب واختاروا السلامة على الممات . واذا بعمر العيار قد خرج من بين تلك القفار كأنه السهم الطيار وهو ينادي ويلكم ايها الاوغاد قد جاءكم البوار وحق بكم الدمار تخلوا عن الحرب والقتال واطلبوا رؤوس البراري والتلال حيث وصلت اليكم فرسان العربان تلبسكم اثواب المذلة والهوان . وما انتهى من كلامه حتى ظهر من خلفه اندهوق بن سعدون فوق جواده والمقتدي حامي السواحل وباقي الابطال الجلاجل كعمر الاندلسي والنجاشي وقاهر الخيل وبشير ومباشر ولما رأوا الحرب قائمة صاحوا وحملوا حملات الاساد وخضوا معمعة البراز والطراد . فاهتزت الارض لحملاتهم واضطربت الصقالبة عند اصواتهم ودمدمتهم وظنوا ان الارض انطبقت عليهم من كل الجهات وان اسوار العزاء احاطتهم بحيطان الشدات ولا سيما عندما رأوا رماح العرب تخترق الصدور وتلتقي بالاعداء في وهدات صعاب الامور وسمع حمزة صوت اخيه عمر وباقي الفرسان فهشت روحه وانتعشت نفسه وبأقل من نصف ساعة رأى عمراً حواليه يدافع عنه ويقتل ويحمي ظهره وحينئذ صاح ونادى بالبشر والامان وسمعت العرب صوته بعد ان غاب عنهم كل تلك المدة فسرت

الراحة في ابدانهم وجودوا الطعن والضرب كل اثنين في جهة وقرب العصر التقى الامير حمزة بالملك عج فصاح به وخبله وتجاول واياه مقدار ساعة ثم ضربه بحسامه شقه نصفين فالقاه قتيلاً فقطع عمر رأسه ورفعه على خنجره وجعل يصيح بين الفرسان هذا رأس ملككم ياصقالبة واذا ثبتم فنيتم عن آخركم ولما رأى الصقالبة ذلك فروا من امام ابطال العرب وطلبوا الهرب وغابوا عن تلك الناحية والفرسان تضرب باقفيتهم الى ان جاء الليل فرجعوا فرحين ولما رأى عسكر المدينة انهزام الصقالبة فرحوا جداً واخذوا في جمع الاسلاب والغنائم والتقى حمزة برجاله فسلم عليهم واحداً بعد واحد واذا بابي لوعة القلوب قد وصل اليهم فسلم عليهم وترحب بهم ودعاهم الى المدينة فدخلوا بالفرح والاستبشار ولاقتهم النساء بالمزاهر والدفوف وبايديهم المصابيح وهم يدعون لحمزة وقومه ويشكرون من اعمال العرب. وقد امر الامير ان تجمع الخيول والمؤن وكل ما تركه الصقالبة يعطى الى حاكم المدينة ورجالها وصرفوا تلك الليلة مع بعضهم البعض وحاكم قاصيا يذبح لهم الذبائح ويقدم لهم الطعام والخمور وهم فرحون بسلامة الامير ولم يرضَ احد منهم ان يخبره بفعل زوبين الغدار وافلنطوش خوفاً من تصديع خاطره على مهردكار وابنه عمر اليوناني بل ابقوا ذلك الى حين يعودون معاً. وكانوا وهم بحلب ينتظرون عودته الى ان جاءهم عمر ودعاهم اليه فاجتمع مائة فارس من رؤساء العرب وساروا في الحال بعد ان ادخلوا الجميع الى البلد خوفاً ان يأتي كسرى في غيابهم ويبطش بهم ويذيقهم العذاب الاليم

هذا والامير في تلك الليلة فرحان بقومه وفكره عند لوعة القلوب لانها كانت في القصر وحدها ولا بد انها تحب ان تراه ليطمئن بالها ويرتاح ضميرها عليه ووطد العزم انه في الصباح يذهب اليها ومن ثم يرحل الى بلاده وينتهي من غيابه وسفرته ولم تطمعه مروءته ان يفارقهم تلك الليلة بل بقي بينهم الى الصباح وعند الصباح ركب وخرج الى قصر لوعة القلوب فوجد بابه مفتوحاً فدخل قليلاً واذا به يرى الخدم مقتولين ومتروكين على سلالم القصر فارتاع وخفق قلبه وخاف على

زوجته فصعد القصر في الحال وفتش على لوعة القلوب وعلى قهرمانتها فانوس فلم يرَ لها اثرًا فزاد قلقه وفتش في كل نواحي القصر دون ان يحصل على نتيجة وحينئذٍ كرَّ راجعاً في الحال واخبر ابا لوعة القلوب بما كان من امره في القصر وكيف ان الخدم مذبوحون وهي مع خادمتها مفقودتان فاضطرب الجميع وخافوا ان تكونا قد سرقتا واخذتا مع جماعة الملك عج الذين هربوا وساروا عن تلك النواحي . وكان عمر باضطراب على زوجته فقال لاخيه اذا شئت ان تفتش على زوجتك وزوجتي فهلم بنا نسير في البحر على احدى المراكب فنلحق بالاعداء ونفتش المراكب ومن كانتا في مركبه غرقناه ورجعنا بهما . فاسرع حمزة الى البحر وركب على مركب وسار يخترق البحار واينما وجد مركباً سائرة عرج اليها حتى وصل الى مركب قد جمع شراعه ووقف في وسط البحر فقرب منه ودخله مع اخيه عمر واذا هو من مراكب الصقالبة فقبضوا عليه وعلى من به وسألوهم عن لوعة القلوب فما منهم من اجاب . واخيرًا كان بينهم رجل يعرف الفارسية فخاطبهما بها وقال ان جماعة الصقالبة جاؤوا بفتاتين الى مركبهما هذا ونزلوا معهما وساروا جميعاً ونحن بينهم حتى وصلنا الى هذه الناحية والريح طيبة معنا والمركب على اتم سرعة واذا بفتاة من فتيات الجن قد انحدرت من الجو الاعلى الى قاع المركب فاختطفت الفتاتين وطارت بهما في الجو الاعلى فارتبكنا في امرنا وجمعنا شراع المركب ونحن كما ترانا متحيرين مضطربين . فقال الامير من الذي جاء بهما فدله عليهم فهجم عمر العيار ورماهم الى البحر وعاد الى اخيه ونزلا في مركبهم ورجعا الى المدينة حزينين . ولما صارا في البر قال حمزة لعمر اني لا ارجع ما لم ارجع لوعة القلوب وتليه فاني سأطلب من فرساني ان ترجع الى حلب وتنتظرني الى ان اعود واسير واياك نفتش على بركة الله عساه يوصلنا الى نسائنا فترجع بهما . فقال له كنى يا اخي فاننا الان في ويل اعظم وقد حان الوقت الذي يجب فيه ان ارجع مهردكار وابنها وطوربان وابنها . قال وما ذلك ابن مهردكار وطوربان . قال اعلم يا اخي اني لما جئت هذه المدينة وجدتك بحفظ وسعادة وهناء فما اردت ان انغص

لك عيشك بل صبرت وفي نيتي ان اعود واياك بعد زمن قريب فاخبرك بما وقع على العرب ثم كان ما كان من امر الصقالبة والان تحب انت انتطيل المدة وتسير في بر الله الاقفر فتهلك زوجتك ولا تعود تراها في كل حياتك . ثم اخبره بكل ما كان من امر العرب مع زوبين الغدار وافلنطوش المكار وكيف غدرا بهم وسرقا النساء وبعد الجميع عن حلب . قال ويلك واين ابني عمر اليوناني . قال لا نعرف اين مكانه ولا باي ارض هو فاننا في صباح اليوم الذي كبس به العجم العرب افتقدناه فما وجدناه ولا علمنا في اي مكان هو وقد سرت الى المدائن واجتمعت بالوزير بزرجمهر فاخبرني ان كسرى ارسل خلف هدهد مرزبان ليأتي ويأخذ مهردكار وطوربان وباقي النساء والاولاد ليقدموا في عيد النيروز ضحية للنار وانا عازم على خلاصهم لكن اخرت ذلك الى حين مجيئك الى قومك فيبقى فكري براحة والان قد كاد يقرب زمان هذا العيد الذي تحترمه الفرس وتعتبره وتقدم ضحاياها فيه . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام غاب عن الصواب وسار الى ديوان ابي لوعة القلوب وصار كل فكره عند مهردكار واولاده ثم اجتمع بفرسانه وقال ويلكم كيف ما اخبرتموني منذ الاول بامر مهردكار وما فعل بكم الاعجام . فقالا له انا ما جئناك بوقت سلام بل وصلنا اليك وقت القتال . ومع كل ذلك فان الحق عليك لاننا طالما اخبرناك ان الفرس لا يعبدون الله وان زوبين لا يمكن ان يقلع عن غدره ولو ملكته الدنيا باسرها ولولاك لقتلناه وقتلنا افلنطوش وكنا الان براحة منهما . قال قد مضى ما مضى ولم يبقى الا السعي في سبيل خلاصهم ومجازاة كسرى وقومه على الغدر والخيانة . ثم انه في الحال ودع حاكم قاصيا ووعده انه لا يترك لوعة القلوب ولا بد من ان يفتش عليها وسار من هناك بكل عجلة مع قومه وابطاله

قال وكان السبب في فقد لوعة القلوب هو انها كانت في قصرها عند ما كانت الحرب واقعة بين زوجها والصقالبة واذا بعشرة رجال قد دخلوا بغتة القصر وقتلوا العبيد وجاؤوا لوعة القلوب فحملوها وحملوا فانوس وساروا بهما الى البحر وكان

الوقت في اول الليل والصقالبة قد هربوا وركبوا المراكب وساروا متقطعين خوفاً من ان يلحقهم العرب ويمنعوهم عن دخول البحر فنزل هؤلاء في مركب كان باق بانتظارهم وساروا بلوعة القلوب وفانوس وفي كل نيتهم انهم فازوا بالمطلوب وحصلوا على الفتاة التي وقع الحرب لاجلها وقهروا الامير حمزة بالحصول عليها وسار المركب بهم الى ان بعد كثيراً وقد انفرد عن باقي المراكب ليعرج الى احدى الشواطىء ويترل الرجال هناك يتمتعون بغنيمتهم ولما اشرق النهار ووضحت الشمس نظر الصقالبة الى لوعة القلوب فوجدوها حورية من حوريات الجنة لا نظير لها في بلادهم فمالت قلوبهم لها وتمناها رئيسهم وقال لهم اني احب ان آخذها لنفسي ولا اترك احداً منكم يصل اليها وكفاكم الفتاة الثانية فافعلوا بها ما تريدون . قالوا لا بل هي غايتنا فاننا نطيع لك في كل شيء اما في ترك هذه الفتاة فلا فاننا نفادي بحياتنا من اجلها . قال لا بد لي من ذلك فاصروا على العناد وكاد يقع بينهم القتال . وبالصدفة كانت اسما بري طائرة في الجو الاعلى ومن خلفها بنتها قريشة حيث كانت لا تفارقها خوفاً من انها تصادف اباها فتأتي به كالعادة لتعذبه وتبعده عن قومه عند حاجتهم اليه فرأت ما هو واقع في المركب فسقطت من الجو الاعلى لما رأت لوعة القلوب تبكي وكذلك فانوس واخذتهما من المركب الى البرية وسألتهما عن حالها. فقالت لها لوعة القلوب اني بنت حاكم قاصيا وزوجة الامير حمزة البهلوان . وحكت لها كل ما هو حاصل لها وواقع عليها وعلى قومها وزوجها وكيف انه يحارب الصقالبة وقد كسرهم في ذلك اليوم وابعدهم عن المدينة وفيما هم هاربين انفرد منهم عشرة واخذوها وهم يتقاتلون لاجلها . فتكدرت اسما بري عند علمها انها زوجة الامير حمزة وقالت لها من اين صرت زوجة له وفي اي يوم تزوج بك فاخبرتها بامرها معه . فالتفتت اسما بري الى بنتها قريشة وقالت لها كيف رأيت اباك وانت تلومينني فانه اينما سار يتزوج ويقيم عند نسائه اشهراً ويحارب من اجلهن وانا لا يقيم عندي الا بالرغم عليه وكيداً له اريد ان اقتل هاتين الجاريتين واقتل كل نسائه كي لا يبقى له زوجة غيري. قالت ان ابي حر

بذاته لا تقدرين على عناده ولا ادعك تمدين يداً الى هذه الفتاة فانها خالتي زوجة ابي وقتلها يغيظه فاذهبي في حال سبيلك ودعيها وشأنها مع رفيقتها . ثم حملتهما قريشة ووضعتهما بالقرب من قرية هناك وقالت لها سيرا على توفيق الله فهو يعينكما على الحياة الى ان تصلا الى بلادكما . وتركتهما ومضت الى والدتها وذهبتا من هناك ودخلت لوعة القلوب مع جاريتها الى مدينة صغيرة هناك وكلتاهما حاملين وصارت تبيع من حلاها وتصرف على نفسها ولنتركهما هناك الى ان يأتي الكلام عليهما في محله

واما الامير وجماعته داوموا المسير يقصدون حلب حتى وصلوا الى وادٍ اسمه وادي الكمال فنزلوا فيه ليرتاحوا وقال لهم عمر العيار ابقوا هنا الى ان اعود اليكم ومرادي ان اسير الى المدائن واري كيف حال مهردكار وهل وقع شيء جديد بشأنها وربما قدرت على خلاصها وخلاص الذين معها . فارجع ومعي الجميع ولا بد لي في هذه المرة من ان القي بقلب كسرى حسرة لا تستأصل الى آخر الايام . فاجابوه واقاموا في ذاك الوادي ينتظرون رجوعه وسار هو الى ان وصل الى المدائن في نصف النهار فدخل حسب عادته الى الديوان ووقف ينتظر خروج بزرجمهر الى ان خرج فسار في اثره حتى دخل قصره فتأثره ودنا منه وسلم عليه . وقال له اني عدت يا سيدي من قماصيا ومعي اخي والفرسان وقد تركتهم في وادي الكمال بانتظاري وجئت اليك اقبل يديك واري ماذا جرى في كل هذه المدة اي في حين غيابي وهل لا يزال الملك كسرى مصراً على تقديم النساء ضحية للنار . قال كيف يعدل وبختك الوزير يذكره به في كل يوم وانا قائم على مقالي الجمر الليل والنهار خوفاً من احراقهن مع الاطفال وقد قرب عيد النيروز وعما قريب سيصل هدهد مرزبان فيأخذهم الى خراسان يضحيهم جميعاً فتأكلهم النار . ويكونوا قد اصيبوا بهذه المصيبة بسببكم ولا بد ان الله يجازيكم عليها لانهن قد تركن دينهن وتمسكن بدين الحق وخانّ اباءهن وسلمن بانفسهن اليكم فلا سامح الله اخاك اذا اصبن بشيء حيث تقاعد عن قتل زوبين وسلم الى غدره وخيانته .

قال لا تخف يا سيدي على النساء فاني قادر على خلاصهن وسوف اذكرك بذلك وتراني قد فعلت شيئاً عجيباً يذكر الى آخر الزمان . واريد منك فقط ان تخبرني انه عند ما يجيء هدهد مرزبان ماذا يفعل وكيف يكون مجيئه ومن الذي يرافقه وكيف تكون عبادة النار . فاخذ الوزير في ان يشرح له بالتفصيل كل شيء وكيف في كل عام يأتون المدائن وماذا يكون من كسرى عند وصولهم . ثم قال له اخيراً لا تتهامل يا عمر فان هدهد مرزبان سيكون هنا بعد عشرة ايام وقد وعد رسول كسرى بذلك وعين له الزمان فاذا تأخرت هلك الجميع واحتملتم خطيئتهم وحاسبكم بها الله في اليوم الاخير ولا سيما مهردكار وطوربان فانهما عاملتان على البكاء الليل والنهار لا تنفكان وقد قطعتا اليأس والرجاء من الحياة وخصوصاً عند ما تريان ان الوفاً من العساكر والحجاب تحيط بهما خوفاً عليهما من الخلاص . قال كن براحة يا سيدي فاني قريباً اريك بعينك ما اريد ان افعله وتشهد لي باني اقدر على اتمام ما اقول . ثم انه ودع الوزير وخرج من عنده عند نصف الليل وهو لا يريد ان يضيع دقيقة من الزمان وسابق البرق بسيره حتى وصل الى وادي الكرال حيث كان الفرسان والابطال بانتظاره . فقال لا تبارحوا هذا المكان حتى اعود اليكم بالنساء وافعل ما خطر لي فعله لان عيد النيروز قد قرب والمرزبان الاكبر سيأتي المدائن ويأخذ النساء والاولاد الى المعبد ليقدموا ضحية للنار كفارة عن خطايا اولئك الاشرار

فقال حمزة دعنا نكمن لهم في الطريق فمتى جاؤوا بالنساء كبسناهم وخلصناهن قال ان الوزير اخبرني انه سيكون مع هدهد مرزبان نحو خمسين الف فارس فيحتاج الامر الى قتال عظيم بينكم وبينهم واني اعرف انكم تقدرون على تشتيت اولئك الفرسان غير انه ربما قدرتم على خلاص النساء والاولاد فيهربون بهم عند شعورهم بكم ومع كل هذا فصبروا هنا الى ان اعود اليكم وارى كيف تكون الحال . ثم دعا بكبير عياريه وسمه شيحف وامره ان يسير خلفه ومعه خمسة عشر عياراً من عياريه وساروا جميعاً الى ان وصل من وادي

خراسان وكشف عن بعد ضواحية فرأى خياماً منصوبة وخيولاً تسرح في ذاك الوادي . فتأكد انهم من الفرس فاوقف عياريه في ذاك المكان واوصاهم ان يختبئوا الى ان يعود اليهم وجاء الى ذاك المعسكر واختلط بينهم . ثم انفرد بواحد منهم وسلم عليه وقال له اظنكم يا سيدي سائرون الى المدائن فاني منذ اربعة اشهر سمعت بان سيدنا الاعظم وركن ديننا هدهد مرزبان سيأتي ليأخذ الكافرات اللاتي نجسن دين النار واركبن علينا العار فيقدمهن مع اولادهن ضحية للنار فهل انتم الان سائرون الى قضاء هذا الامر . قال نعم وقد خرجنا مع مولانا لنكون في خدمته نستمد بركاته ونستضيء بنوره وندفع عنه غارات الاعداء اذا تجاسروا ان يفكروا به شرّاً وهو الان في صيوانه مع مرازبته الاثني عشر وبعد قليل من الايام نكون في المدائن فنأخذ هدايا كسرى وكل ما يريد ان يقدمه اكراماً لسادتنا ونأتي ايضاً بمهردكار وابنها وطوربان وابنها ومن معها لنرميها بالنار يوم عيد النيروز ونسألها السماح والرضى عن الفرس . فصبر عمر الى ان انفرد بنفسه وجاء الى ناحية هدهد مرزبان فوجد عند بابه اربعة من الحجاب يمنعون الناس من الدخول فوقف ونظر الى الداخل فرأى في الصدر رجلاً مسناً جليل القدر عظيم الهيبة والوقار جالساً على تخت من الفضة محلى بالذهب وعلى جانب التخت كرسياً من الفضة ايضاً جالساً عليها رجل يقربه بالعظمة والجاه والى جانب هذه الكرسي ١١ كرسياً يجلس عليها ١١ رجلاً وكلهم من المرازبة وفي وسطهم تنور من الفضة تضرم به النيران وينوح منها الروائح الزكية وكلما خف اشتعال تلك النار اضرمها اولئك المرازبة فصبر يفكر فيما يعمل وهو يتأمل في تلك الحالة ويستفيد منها وقد عرف ان الرجل الثاني هو كاتم اسرار المرزبان الاكبر والواسطة بينه وبين باقي رفاقه وبين من يريد منه بركة او يسأله امراً . وفيما هو على مثل تلك الحالة واذا به رأى ذاك الرجل قد خرج فسجد له الحجاب وانفرد قليلاً لقضاء حاجة فباغته عمر ولف رأسه بعبايته وعدا به بعيداً عن الصيوان ولم يمكنه من ان يصيح صوتاً واحداً قبل ان صار في البرية وحالاً انزله الى الارض ورفع

عن رأسه العباءة وقال له اذا حدثتني بكل ما اسألك اياه عفوت عنك والا اخترقت صدرك بهذا الخنجر فارتجف وقال له اسألني ماذا تريد اجيبك قال ما هو اسمك وما هي خطتك عند المرزبان . قال اسمي هرزان كبير مرازبين هدهد مرزبان وحافظ سره والواسطة بينه وبين الناس وكل من يريد منــه امراً حيث ان من قواعد ديننا انه لا يجوز لمن كان رئيساً للدين ان يخاطب حتى اذا شاء لا يخاطب كسرى انوشروان فلا يجسر على الوقوف امامه فيسأله ما يريد بواسطتي . قال والى اين سائرين الان قال اننا سائرون الى المدائن لنأتي بهردكار وطوربان ومن معهما لنحرقهما يوم العيد وفي مساء امس اخبرني ان مراده يبقي العسكر في هــذا المكان ونسير به نحن الى المدائن فيأتي بالنساء ونعود جميعاً حيث ان الطريق امان وما من عدو فيها وعند رجوعنا نقيم في هــذا الوادي مدة ايام فنعمل العيد فيه ونضرم النار في كل مكان للعبادة والسجود وندعوا كسرى يتبعنا اليه . وبقي الامير عمر يسأله كلما يحتاج ان يسأله اياه ولما فرغ ضربه بالخنجر فقتله واوراه التراب بعد ان نزع ثيابه ولبسها ونظر في المرآة وطلب ان يصير كهرزان المقتول فصار في الحال نظيره وجاء الى المكان الذي به شيحان وجماعته فجاء بهم وامرهم ان يكمنوا حول الصيوان الى ان يدعوهم ودخل هو فقام له المرازبة احتراماً ثم تقدم الى النار المتقدة ورمى فيهــا من البنج شيئاً كثيراً وسد نفه فوقع الجميع كالاموات فدعا بعياريه ان يدخلوا وينزعوا ثيابهم ويلبسوا ثياب ونك المرازبة ففعلوا وطلب من المرآة ان يصيروا كمرازبة النار فصار الجميع ثم تناول خنجره وقتل الجميع وطمرهم في ذلك المكان ولبس هو ملابس هدهد مرزبان وجلس على تخته والبس شيحان ملابس هرزان الذي قتله في الخارج وجلس الجميع حول النار واقام اربعة من الحجاب عند الباب وهم الذين زادوا من عياريه وبعد ساعتين اصبح ذلك الصيوان يجمع عمراً ورفاقه وهم كانهم من اعظم روساء اديان الفرس وناموا تلك الليلة فرحين بالفوز وعمر على ذلك التخت الذهبي وعليه الملابس الذهبية وعند الصباح نهض من فراشه ونظر الى العيارين وصار يضحك في قلبه منهم ثم

نظر في المرآة ورأى وجهه واذا هو كهدهد مرزبان الذي كان رآه في الليل وحينئذٍ دعا بشيحان وقال له يا هرزبان قل لباقي المرازبة ان يتقدموا مني ويقبلوا يديّ قبل ان يدنوا من النار ويسجدوا لها . فبلغهم شيحان ذلك فتقدموا وسجدوا بين يديه وقبلوا اذياله ورجعوا جلسوا حول النار فقال عفاكم الله اتقنتم الصنعة والعبادة . ثم انه التفت الى شيحان وقال له اخرج انت الى الصيوان ونادي بقواد العساكر ان يأتوا الى امام الصيوان ويسجدوا للنار حسب عادتهم وبعد ذلك اخطب عليهم ما هو كذا وكذا واعلمهم بان غايتي ان يبقوا في هـذا المكان. واسير انا بكم الى المدائن ومن ثم اعود بالنساء ونفعل العيد في هذا المكان مدة ثلاثة ايام . ثم توسد عمر على التخت وتمدد . فقال له يا شيحان بارك الله فيك من مرزبان لا نظير له بين عبدة النار . ثم ان هرزان وقف في باب الصيوان وصاح بالقواد والاعيان فحضر الجميع ومن خلفهم العساكر فقال لهم ان النار قد اتقدت فاسجدوا لها . وفي الحال خرّ الجميع وسجدوا بكفرهم وضلالهم الى ذاك اللهيب وبقوا نحواً من ساعة . ثم رفعوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما يأمرهم سيدهم هدهد . فقال شيحان اعلموا ايها القوم الذين اصطفاكم سيدكم الاكبر قاعدة دين النار الحائز على رضاها والخادم الامين على عبادتها سيد الاتقياء وينبوع البركات انه راض عنكم مسرور منكم (فصاح الجميع فلتنعم علينا النار ببركاته) ولذلك لا يريد ان تتحركوا من هذا المكان حيث انه يريد ان يعمل العيد فيه فاسرحوا وامرحوا واحضروا ملابس العيد وانتظروه هنا الى ان يذهب الى المدائن ويبارك كسرى انوشروان ويستلم منه النساء اللاتي اعددن للضحايا والاموال التي اعدها لكم لتقسم بينكم والهدايا التي تقدم اليه وحيث من عوائدكم في مثل هـذا العيد المبارك ان يقدم كل منكم تقدمة للنار لتحرق على نيته فتكون راضية عليه وحافظة لروح آبائه واجداده فاحضروها الى حين عودته واعظم شيء اوصاني سيدي وسيدكم هدهد مرزبان ان لا يقرب احدكم من المكان الذي ضرب به صيوانه لانه مقدس ومبارك وغايته ان يجعل الاتون الكبير في هذا المكان

فاياكم ان تدنوا منه او تقربوا اليه فيغضب عليكم ومن قرب او افتكر ان يقرب يكون محروماً ومغضوباً من قاعدة الدين . واخيراً اني اطلب الى النار ببركة هذا السيد العظيم ان تقبل ارواحكم وان تحرق ارواح آبائكم واجدادكم وتحفظها فيها الى ابد الآبدين وان تحرم منها ارواح اعدائكم وكل الذين على غير دينكم آمين

وعند فراغ هرزان من خطبته ضج الجميع بالدعاء للمرزبان الاكبر وحينئذ اشار اليهم ان ينصرفوا فانصرفوا شاكرين متعجبين من فصاحة هرزان ومحبة هدهد مرزبان وبعد ان انصرفوا تقدم شيحان من سيده وقال له قد نفذت غايتك وبلغت القوم ما امرتني فماذا تريد بعد ذلك قال اريد ان تجمع هذا الصيوان وترفعه على البغال وتتقدموا انتم الاثنى عشر مرزبان وتحملوا هذا التخت وتسيرون بي في طريق المدائن فقال له شيحان ان هذه ثقلة كبيرة تريد ان تحملنا اياها فكيف نحملك انت والتخت الى المدائن نقم وامش مثلنا ومتى كنت تحمل على العواتق قال قلت لك افعل ذلك والا امرت النار ان تحرقكم وجعلتها تغضب عليكم اذا عصيتم لي امراً . فضحك هرزان وقال له انا نحملك الى ان نغيب عن المعسكر وبعد ذلك نرميك الى الارض ودع النار تفعل ما تشاء بنا . ثم انهم جمعوا الصيوان ورفعوه على ظهور البغال وساقوها امامهم ومن خلفها الحجاب من عبيد عمرو ثم الاثنى عشر مرزباناً فحملوا التخت على عواتقهم وساقوا به من تلك الجهة وساروا عن تلك الارض الى ان قرب العصر فنظروا الى ورائهم فلم يروا احداً وتأكدوا انهم بعدوا كثيراً عن المعسكر . فقال شيحان ترى يا عمرو قد تعبنا منك . قال قد سيروا ولا تعارضوني والا جعلت النار تغضب عليكم فاني مرتاح من [illegible] خمس و[illegible] ذقته بطول زماني . فامر شيحان بقية المرازبة ان يضعوا التخت ففعلوا وقال لعمرو جعلناك مرزباناً كذباً على الاعاجم لا على العرب فقم وامش . فنهض وهو يضحك منهم ورفعوا التخت وساروا على تلك الحالة حتى كادوا ان يقتربوا من المدائن وحينئذ قال لهم عمرو قد شفقت الشمس وصار من الواجب ان تعودوا الى

وظائفكم وتوقدوا النار ولا تظهروا خلاف ما علمتكم كي نتمم حيلتنا ونقهر الفرس ونسترجع النساء والاولاد ففعلوا وحملوه وساروا به حتى لم يعد بينهم وبين المدينة الا ساعة واذ ذاك ارسل شيحان وقال له اذهب الى كسرى واطلعه على قدومي ومره ان يخرج الى تقبيل يدي هو ومن عنده وان لا يتاخر ولا دقيقة. فاجاب وسار حتى دخل باب المدينة فرآه الناس وفرحوا به وجعلوا يزدحمون عليه ويقبلون يديه ويرفعون اذياله على رؤوسهم يتباركون به لعلمهم انه كبير مرازبة هدهد مرزبان وحافظ سر النار وحامل اوامر قاعدة الدين واساسه المتين. ولازال سائراً حتى وصل من ديوان كسرى فركض الحجاب واخبروا الملك كسرى فارسل وزيره بختك لملاقاته ففعل ودنا منه وزاد في اكرامه ودخل به على الملك كسرى انوشروان فترحب به غاية الترحاب واكرمه غاية الاكرام وسأله عن هدهد مرزبان فقال له قد جاء وهو خارج المدينة محمولاً على اعناق المرازبة وارسلني لاخبرك بقدومه لتخرج اليه وتقبل يديه مع اعيانك ووزرائك فلا تخسرون البركة والرضى فاظهر كسرى الفرح والاستبشار وقال هذا فرض عليَّ فاني اذهب منذ هذه الساعة ثم امر العساكر ان تقيم على الطرقات من باب المدينة الى الديوان وان تزين كل الجهات وخرج بموكبه وسار الى ان خرج من باب المدينة وسار قليلاً واذا به قد اشتم رائحة المسك فانتعشت روحه وروح قومه وسجدوا لعلمهم انها منبعثة من النار التي تضرم امام هدهد مرزبان ولما وصلوا من التخت وقفوا بعيداً عنه وقال كسرى لهرزان تقدم من سيدي هدهد واخبره بقدومنا واسأله في ان يرضى علينا ويسمح بتقبيل يديه فدخل على عمر وهو موسد على التخت غير مهتم بمن حضر ولا بمن جاء فسأله هرزان السماح لكسرى بتقبيل يديه فأشار بيده الا فاصبروا فبقي كسرى وقومه واقفين منتظرين الامر بالسماح ليدنوا منه ويقبلوا يديه ويتباركوا من اذياله ومن الفاظه. ثم بعد ساعة اشار اليهم ان يذهبوا امامه واشار الى المرازبة ان تحمله وتسير الى المدينة فتعجب كسرى من ذلك واشتعل في قلبه لهيب الخوف وقال لبختك ماذا تظن يا وزيري واي شيء عملناه فأغضب

استاذنا وسيد ديننا فاننا بانتظار امره لنقبل يديه فلم يقبل مظهرًا غضبه منا . قال لا اعرف واني محتار بذلك واخاف ان يذهب بالنساء ولا يسمح لنا بهذه البركة العظيمة ولا بد له من رحمتنا والشفقة علينا فيأذن لنا بتقبيل يديه وبقي كسرى سائرًا الى الايوان وهو مرتعب القلب خائف ان تكون النار غير راضية عنه ومن بعد ذلك امر عمر المرازبة ان تسير به وان توقد التنور ويحمل بين يديه ففعلوا وحال دخولهم المدينة سجد النـاس الى الارض مكرمين النار ومحترمين قاعدة الدين هدهد مرزبان يتباركون من النظر الى وجهه والنساء تزدحم من كل الجهات وتدعوا له وتسأله بان يرضى عليهن وعلى اولادهن واكثرهن يرمين عليه الزهور من الشبابيك والمحلات المرتفعة وهو على التخت غير مهتم بكل هـذه الامور الى ان قرب من الديوان فدخل والحجـاب سجود الى الارض ووضعه المرازبة في الوسط وحينئذ نهض الجميع وقوفاً وكشفوا رؤوسهم واطرقوا الى الارض ينتظرون الامر بالاذن كي يتقدموا منه ويقبلوا يديه ويستعطفوه بالرضى ودام ذلك مقدار نصف ساعة . واخيرًا قـال كسرى لبختك تقدم من هرزان ودعه يسأل لنا سيده بقبولنا ويسمح لنا بتقبيل يديه وكان شيحان يتكدر من ارادة عمر وعمله فدنا منه على اعين الناس وسجد امام التخت ودنا من يده فقبلها وقال له سرًا كفاك تعظماً وافتخارًا فر كسرى وقومه بتقبيل يديك فهم على الانتظار وقوفاً وارجلهم تكاد لا تحملهم من التعب ومن الخوف ان تكون غضباناً عليهم فتحرك حينئذ عمر وابدى اشارة الرضى ثم جلس واشار الى كسرى وقومه ان يتقدموا فتهللت وجوههم من الفرح وصفقوا بايديهم ودنا في الاول كسرى نوشروان وقد رفع التاج عن رأسه واطرق به قليلاً في الارض ثم تقدم من السرير فمد له عمر يده فقبلها باحتشام ورجع بترتيب في ذوره ثم تقدم بعده افلنطوش فتبين يده واراد الرجوع فمسكه ونظر اليه نظرة القبـول وقال له ان النار راضية عنك نت حيث فعلت مع اعدائها فعلاً يذكر امامها فاعد التقبيل ثانية ورجع و ... لا تسعه من شدة الفرح . وتقدم بعده بختك وقبل يده ثلاثاً

فقال له انت مكرم ومحبوب من النار لانك حافظت على دينها وقواعدها ولا تزال تخدمها بأمانة . فرجع ايضاً مسروراً وتقدم بعده بزرجمهر وقلبه يلتهب من الغيظ والحنق وهو خائف كل الخوف على مهردكار وطوربان وثبت عنده انهما ستسلمان الى هدهد مرزبان في ذاك اليوم مع النساء والاطفال . ولما اخذ يد عمر واراد ان يقبلها ضغط له على يده وقلبها فانتبه الوزير وطرق ذهنه حالاً كلام عمر العيار الذي قال له من اني لا بد ان ارمي بقلب كسرى حسرة لا ينساها الى آخر الزمان فقبل اصبعه ورجع وهو يقول لله درك ياعمر ما اشد حيلك واكثر خداعك فقد فعلت الان فعلاً عظيماً والقيت بقلب كسرة حسرة لا تمحي الى آخر الايام حيث قبل يديك وسجد لك . ومن بعد ذلك تقدم زوبين فهش في وجهه والتفت الى كسرى وقال له اوصيك ايها الملك ان تكافئ زوبين احسن مكافأة فقد نصح في خدمة النار وهي راضية عليه كل الرضى . فقال سمعاً وطاعة سأجعله حاكما في بلادي ولا اعز عنه عزيزاً . وبعد ذلك تقدمت الاعيان والامراء واحداً بعد واحد يقبلون يديه ويرجعون باحتشام وهو يتظاهر بالعظمة والمجد ويرضى عليهم ويشكر منهم . ولما فرغ الجميع من تقبيل يديه وعادوا الى الوراء اشار اليهم بالجلوس فجلسوا في مراكزهم ثم اخذ كسرى كاساً من الشراب واراد ان يقدمه بنفسه له . فعارضه هرزان وقال له لا تفعل ان سيدي صائم للنار وله عشرين يوماً ما اكل طعاماً ولا شرب شراباً يواظب لدعاء لك بالنصر والظفر على العرب حتى وعده وهي من النار اكرامه لخاطره تساعدك وترسل بلهيبها فتحرق العرب وتبددهم في ربع اقطار الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فاضطرب كسرى وقال العفو يا سيدي فاني ما عرفت ذلك وارجو منه المعذرة والرضى ولا يتكدر علي ثم رجع الى مكانه وبعد ذلك دعا هدهد مرزبان بهرزان وبلغه ان يخطب بهم خطابا ويدعو لهم برضى النار ذات الشرار فأجاب الى ذلك ووقف في الوسط وقال ان الاستاذ الاعظم والسيد المكرم قاعدة دين النار والرافع عن خبايا الكفر الاستار قد امرني بكلام اقوله بينكم واعرضه عليكم وهو انكم اعزتكم

النار وحفظتكم مدى الادهار هي العبادة التي لا ينكر فضلها ولا يجحد نفعها وفعلها . ظاهرة العيان . وعليها مدار الاكوان . ومنها تسري الحرارة في الابدان وتنتعش روح الانسان . لولاها لما وجد الجائع طعاماً ولاحفظ في مسيره على الارض ترتيباً ولا نظاماً . فمنها تنفصل الانوار . وتنير ظلام الاعتكار . فترون في الليل الحالك كما في النهار . مستعرة بذاتها . منفردة بآياتها . لا يقدر المرء ان يدنو منها في اي وقت شاء . وضرامها متصل على الدوام الى الاعداء . محبة السلام . تزور بيوت الاصدقاء . والاخصاء على ملء نيهم مع الآدي يشعرون بفضلها . ويعترفون بغزارة نفعها وفعلها . فيسرعون الى عبادتها ويجودون بشكر نعمتها . ولا تمضي السنون القليلة الا ويصير كثير من الناس على دينها قويم . ويتقاطرون من كل فج مقدمين لها التبجيل والتعظيم . وان استاذي اوصاني ان اقول لكم ان بين العرب رجل كثير الاحتيال كانه شيطان محتال [illegible] عمر العيار فاحذروه [illegible] الحذر . واذا وقع [illegible] فتيموه وارد الضرر . لان النار [illegible] عليه [illegible] باشر ايه . فزيدوا في [illegible] ولا تقتلوه [illegible] بل [illegible] [illegible] ويكون لكم [illegible] لاجر [illegible] [illegible] الاجيال والادهار . محفوظين منها [illegible] فيها لى ابد لآبدين

[illegible] كسرى [illegible] [illegible] متعجبين من [illegible] انوشروان [illegible] مع [illegible] خراسان حيث [illegible] في [illegible] مع كل فرس وبطل [illegible] جميع [illegible] تباركم [illegible] عمر العيار وجميع [illegible]

اثنان من المرازبة من تحت ابطيه وامر كسرى وحده ان يسير امامه الى القصر المقيم به النساء فطرق كسرى الى الارض وسار بين يديه ذليلًا لا يقدر ان ينظر في جهه او يحدق احتراماً للدين وله وكذلك الناس في الطرقات كانوا يلثمون التراب والحجارة التي يدوس عليها ويتبركون منها ويفرقونها على بعضهم البعض وهو يظهر رضاه منهم ويباركهم ومن ثم وصل الى سراية الحريم ففر الحجاب من كل ناح وفتحوا طريقاً فدخل كسرى ومن خلفه هدهد مرزبان ولما صارا في وسط القصر قدم الى هدهد مرزبان سريراً من العاج فجلس عليه ليرتاح

ثم امر ان تقدم اليه مهردكار وطوربان وابناهما . فتقدموا جميعاً ووقفت مهردكار فمد لها يده وقال لها قبلي يدي . فقالت اني امرأة عبدت الله سبحانه وتعالى وعرفت الحق فلا اميل لغيره . وليس لي في تقبيل يدك من نفع قال نعم انت عاصية النار وقد نجست عبادتها حتى غضبت على ابيك ولا ترضى عليه الا بعد ان يسمح بك وتحرقين بها وسوف ترين ما يحل بك . قالت اني اعرف النار التي تعظمها انت وغيرك من الاعجام هي من القش والحطب الذي يوجده الخالق سبحانه وتعالى فتضرمونها بايديكم ثم تطفأ بقليل من الماء او ببول الحمير فلذلك انتم تعظمون ما لا نفع فيه واني اعتقد ان الاله الذي يعبده زوجي يسهل لي الخلاص من ايديكم ويبعدني عن الضرر ويحفظ لي ولدي ويرجعني الى زوجي فأظهر هدهد مرزبان الغيظ والحنق وقال لابيها قد تعدت بنتك بالكفر وخرجت عن طريق الصواب وصار من الواجب حرقها باقرب آن والا غضبت عليك النار غضباً ليس بعده رضى . قال اني اعرف ذلك ياسيدي ولاجله ارسلت اخبرتك بامرها وطلبت احراقها . وكانت ام مهردكار موجودة فرمت بنفسها على رجليه وقالت يا سيدي لا تواخذوها بكلامها بل اعف عنها واصبر عليها فلا بد من ان تعرف الحق وترجع الى عبادتها فهي جاهلة الان قال كلا لا بد احراقها والا افسدت دين النار ثم دفع أم مهردكار بصدرها وابعدها عنها وقال لها ابعدي عني ولا تلمسيني بيدك فرجوك غير مقبول

ثم التفت الى طوربان وقال لهـا وماذا حملك انت ان تتركي اباك وقومك وتتعلقين بالاعداء. وقد رفضت الزواج بزوبين الغدار وهو من الحائزين على رضا النيران . قالت حملني على ذلك الحق والسعادة وبغض الغدر والخيانة لان زوبين الغدار اراد لي الشر وفعل القبيح فارسل لي الله عمر العيار وزوجي فخلصوني ومن ثم عرفت ان الله الذي يعبده العرب هو القادر على كل شيء وهو سبحانه وتعالى يحيي ويميت خلق المخلوقات وعلمها ما لا تعلم . قال ادعي هذا الاله الذي تدعين بقدرته على كل شيء ان يخلصك مني ومن النار التي عما قليـل تأكل جسمك وتذهب بروحك . قالت اني اعرف انها لا تقدر ان تصل اليَّ ولا تحرقني ولا ولا يلبث الله ان يرسل لنا عمر العيار فيخلصنا من ايديكم ولو فعلتم معنا مهما فعلتم واذا قتلتـونا فنموت على الحق ويبقَ لنا الرجاء باليوم الاخير فاقصر ياهدهد مرزبان ولا تتهددنا فاننا لا نخافك ولا بد الله ان ينتقم لنا منك فلما سمع هـذا الكلام اظهر الغيظ والحنق ونهض مكدراً وقال لا بد من احراقكم جميعاً فهلموا سيروا امامي . فعاودت ام مهردكار الى بين يديه وبكت وشكت حظها وقالت له العفو ياسيدي فاني احب بنتي وارجو لها السماح منك وفي اضمن لك انها تعود الى عبادة النار وتترك عنادها هذا . قال محالاً ترجين فني لا اقبل لا بنات الكافرين لتستعز النار وتحفظ من الشوائب فيرى ذلك دقي البنات فيعلمن صدق هذه العبادة التي لا تتقاعد عن خارجين . ثم دفع ام مهردكار وتركها تنوح وخرج من القصر وبين يديه كسرى والنساء والاولاد وهم صاغرين ولا زال في سيره حتى جاء الى الديوان فنهض له الجميع وقوفاً وقبلوا يديه ثنياً فباركهم وامر ان يرفعوه على السرير ففعلوا . ثم قال يا كسرى نوشروان من الآن خدمتك ان تسوق الاموال التي كانت مع العرب الي وتسير تحت امري ولا يبقى منهم عدداً في هذه المدينة فهي من خصائص معابد النيران لا حق لك بها لانها خلصت من الاعداء وما دمت في امرك ان تتبعني بعد ثلاثة ايام محفوفاً بزينة الذخيرة المخصوصة بمثل هذا العيد ببلادك ويكون العيد في وادي خرسان . فلما سمع

وفي الحـــال اخرج جميع ما كان سلبه ونهبه افلنطوش وزوبين وحمله على البغال والجمال وساق الانعام ولم يبق منها ولا واحدة وقد ملأت السهل والوعر . ثم جاء كسرى بهدية فاخرة من الجواهر والماس والذهب الخالص وقدمها له وترجاه قبولها فاخذها ومن ثم تقدم بختك وقدم له مثل ذلك وبعده بزرجمهر وباقي الامراء والاعيان وهو يأخذ هداياهم ويباركهم حتى اجتمع عنده ما يعجز عن وصفه القلم فامر ان يحمل على البغال فحمل . وبعد ذلك اشار بيده مودعاً الجميع فخروا له ساجدين فباركهم وفي قلبه يلعنهم وامر شيحان ان يحملوا السرير ففعلوا ورفعوه على عواتقهم وهو موسد فوقه وقد اغمض بعينيه وجعل نفسه نائماً وسار بين يديه النساء والاولاد وامامهم الاموال شيء كثير جداً وهو مسرور بنجاح غايته ونوال مراده وخلاص النساء والاولاد وبعد ان خرجوا من المدينة التفت فرأى الملك كسرى سائراً على الاقدام مع سائر بطانته لوداعه فشار اليهم بالرجوع فرجعوا جميعاً وسار هو محمولاً على طريق خراسان كل ذلك النهار حتى المساء وعند المساء انزلوه عنهم وقال له شيحان كفاك دلالاً فاننـــا نكاد نهلك من التعب وانت مسرور . قال بارك الله فيكم نانكم مرازبة أمناء على خدمـــة سيدكم ولا بد ان اجعل النار ترضى عليكم ونباركم وانت يا هرزان سوف يمي بعد موتي ان تكون انت مكاني فيكون لكم اعظم اكرام واعتبار ويقبل كسرى الملك الاكبر يدك ويذل بين يديك وانت تعرف يا هرزان اني مسموع الكلمة عند الفرس لاني قاعدة دينهم ورسول النار عندهم . فقال له شيحان دع عنك هذا الهذيان فقد انتهت اعمالنا ومن الآن وصاعداً ما عدنا نحملك ولا نسير بك وما عدنا نعرفك الا عمر العيار . ونريد ان لا تنسانا من نصيبنا من هذه الهدايا التي وصلت اليك . قال هي لكم ولاخي حمزة ثم نصب الصيوان وجلس فيــه وامر ان تتقدم اليه مهردكار وطوربان لرحدهما فقدمتــا فسك مهردكار من يدها وقال لها ادنى مني فانتشلت يدها وقالت له دعني منك ايها الكافر ومن لا دين له فلست انا لمن تهيم وما انت عندي الا رجل الاحتقار والاهانة . قال اني قادر

على هلاكك وبعد قليل ساقدمك للنار ضحية على التصاقك بالعرب اعداء الدين وعلى نكرانك جميل الدين الذي ولدت فيه وربيت عليه فهو الذي القاك بيدنا قالت كذبت فانت وكل عبدة النار عاجزون عن ايصال الاذى اليَّ ما زلت اعتقد بالله سبحانه وتعالى واعرف جيداً انه قادر على خلاصي واؤمل ان عمر العيار اخا زوجي سهران على خلاصنا ولا يمكن ان يتقاعد عنا . قال ومن اين يقدر ان يصل اليك عمر وانت صرت قريبة من الاحراق وبين يديَّ قالت هو في ساعة قريب منا ينتظر الفرص بدون ريب ولابد قبل ان تصل بنا الى خراسان وتحرقنا هناك ينحط عليك مع اخيه حمزة وباقي الفرسان فيهلكونك وينتشلوننا من بين ايديكم . فاقصر عن غايتك ودعني وشأني . فلما سمع كلامها لم يقدر ان يتمالك نفسه من تحريك حواسه واسقاط الدمعة من عينيه وقال لها مرحباً بك يامهردكار لقد اصبت فانت بالحقيقة جوهرة النساء وقد شاهدت منك من الثبات والحب والطاعة لله ما لم اكن اظنه فيك قبلاً فانا اخوك عمر العيار وقد خلصتك وفعلت كل ما فعلت بتوفيق منه تعالى ففرحي ونحي عن قلبك الاحزان فان اخي والفرسان قريبون من هذا المكان

فلما سمعت مهردكار بذلك اغرورقت عيناها بالدموع لشدة الفرح ومثلها طوربان وجعلت كل واحدة منهما تشكره وتدعو له بالبقاء وطول العمر وتثني على اعماله . ثم قال عمر لمهردكار هل صحيح ما تقولين من املك بالخلاص على يديَّ . قالت نعم اني كنت في كل دقيقة انتظر وصولك بي حية كانت وهذا الذي كان يقويني ويشد عزمي وهذه طوربان فاني كنت اقول لها لا تخافي الموت فان عمراً لا يتركنا حتى ولو وصلنا الى ابون النار لوجدناه داخله ينتظرنا ليخلصنا وما ذلك الا لعهدي بك ورجائي بالله سبحانه وتعالى فهو يحب اولياءه ولا يترك نساء مثلنا تركنا اهلنا وتعلقنا به ولا يسلم بهلاك ضعاف مظلومين مثل هؤلاء فيموتون محروقين بألسنة اللهيب ولا ذنب عليهم . قال حقاً انك وحيدة بين النساء وانتا منذ هذه الساعة سنسير ليلاً ونهاراً حتى ندرك اخي ولابد ان يكون

على مقالي النار في وادي الكمال ثم امر ان يقدم الطعام فاكل واكل الجميع وشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمه . وبعد ذلك تقدم من السرير فقطعه قطعاً صغيرة ووضعه في جراب اسماعيل . فقال شيحان اعطنا قسمنا منه فقد تعبنا نحن اكثر منك قال هو كله لكم ولا امنع عنكم شيئاً وبعد ان يراه اخي افرقه عليكم فانزعوا عنكم ثيابكم وادفعوها اليَّ قالوا كلا بل هي لنا ولا يمكن ان نتخلى عنها لان ما عليها من الذهب يغنينا . قال اني لا احرمكم من شيء . فاخذها كلها ووضعها في جراب اسماعيل وساروا من هناك الى وادي الكمال وسبق شيحان الى الامير واخبره بكل ما فعل عمر وانه خلص مهردكار وطوربان والاولاد ففرح مزيد الفرح وخرج الى ملتقاهم وهو يكاد لا يصدق ان يراهم بخير وبعد ان استراحوا قليلًا واكلوا الزاد نهضوا الى خيولهم فركبوا وساروا من هناك حتى قربوا من مدينة حلب فخرج اهلها الى ملتقاهم مع من بقي من فرسان العرب الكبير والصغير وكان لهم يوماً عظيم الشان وقد اولموا الولائم ونشروا الافراح في كل ناح واجتمع الصديق بالصديق والصاحب بالصاحب

فهذا ما كان من العرب وعمر العيار واما ما كان من كسرى انوشروان فانه اخذ يستعد للمسير في اثر هدهد مرزبان بعد ثلاثة ايام وامر جماعته واعيان دولته ان يكون كل منهم حاضرًا ومتهيئاً لصرف العيد في المكان المعهود فجعل كل واحد يجمع من الخمر والمأكولات ما يكفيه الى ثلاثة ايام ويحضر الهدايا والتحف والاموال ليقدمها الى المرازبة والنار وبعد مضي الاجل المعهود ركب كسرى وركب بختك الوزير وبزرجمهر وافلنطوش ابو طوربان وزوبين الغدار وكل فارس عظيم الشان رفيع المقدار واعلنوا في المدينة ان مرادهم الذهاب الى هدهد مرزبان ومن شاء فليتبعهم . وسار كسرى واعيانه من حواليه والموسيقي تضرب بين يديه والناس تتقاطر افواجاً افواجاً بعضهم ماش وبعضهم راكب وتبعهم كثيرون من كهول وشيوخ وشبان ونساء واولاد لان ذاك العيد عندهم من اعظم الاعياد وافضلها ولا زال كسرى في مسيره حتى قرب من وادي خراسان وعرف بقدومه

الرجال الذين تخلفوا في ذاك المكان فخرجوا جميعاً وقد ملأوا السهل والوعر وفي كل نيتهم ان هدهدمرزبان وباقي المرازبة موجودون مع كسرى وبعد ان ترجلوا وحيوا ملكهم ولم يروا مرزبانهم الاكبر سألوا كسرى عنه . فقال لهم انه منذ ثلاثة ايام رحل من المدائن يريد هذا المكان بعد ان سلمته مهردكار وطوربان وباقي النساء والاموال وكل ما جيء به من العرب والاموال ولم يبقوا ولاعقالاً فقالوا انه لم يصل الينا ولا رأيناه قط ونحن بانتظاره قائمين في هذا المكان كما امرنا . نطار صواب كسرى عند سماعه هذا الخبر والتفت الى بختك وقال له هل تظن ان هدهد مرزبان سار في غير طريق او تأخر في جهة من الجهات . فخفق قلب بختك لما علم بغياب هدهد مرزبان وحدثه فكره ان لابد من وجود حيلة في سر المسألة . فقال لكسرى اني لا اظن يا سيدي ان هدهدمرزبان يضيع عن الطريق او يعرج الى جهة ثانية واذا صدقني حذري يكون قد راقبه عمر العيار وهو عائد ومعه فرسان العرب فبطشوا به وقتلوه مع المرازبة واخذوا النساء والاموال . فزاد غيظ كسرى من ذلك واضطرب واطرق الى الارض لا يبدي خطاباً ولا كلمة نحو ربع ساعة ثم التفت الى بختك الوزير وقال اريد منك تحقيق هذا الامر لاعرف اين سار قاعدة ديننا ومرزبان ايماننا واذا كان اسره العرب او فعلوا به شراً يكون ذلك من اكبر الويلات التي وقعت علينا من هذه الطائفة الدنيئة فنظر بختك الى جماعة خراسان وقال لهم هل رأيتم احداً غريباً قبل سفر سيدكم من هذا المكان وهل جاءه رجل بحيلة فارسياً كان او عربياً وكيف كان عمله قبل سفره

قالوا ما رأينا احداً قط ولا سمعنا بوصول احد اليه ولكن قبل سفره خرج الينا هرزان المرزبان وخطب فينا واخيراً اوصانا بالانقرب من المكان المضروب به صيوانه وان نبقى بعيدين عنه ومن خالف ذلك غضبت عليه النار ورفضت روح آبائه واجداده واخرجتها الى البرد والثلج فاجابة لامره ما قرب احد منا من ذاك المكان ونحن متعجبين من ذلك لان من عادتنا ان نأتي المكان الذي يكون به

الصيوان ونتبارك من ترابه من اثار النار ومن ثم سار هدهد مع مرازبته ونحن حتى الساعة بانتظاره . فقال لهم بختك دلونا على المكان الذي كان قد ضرب به الصيوان لنفحص هناك ما السبب من ذلك فساروا جميعاً الى ذلك المكان وقبل ان يصلوا اليه بمائة خطوة شموا رائحة كريهة جداً فتعجبوا وارتابوا وتقدموا واذا بتلك الرائحة تزيد حتى تكاد لا تحتمل وعندما وقفوا على مكان الصيوان المذكور اشاروا اليه فنظر بختك واذا به يرى التراب محفوراً جديداً فأمر ان يرفع التراب ففعلوا واذا به يرى هدهد مرزبان مذبوحاً مع جماعته ومطموراً بالتراب فغاب صوابه وحث التراب على رأسه وقال حيلة عظيمة ومصيبة اعظم يا سيدي فان العرب فعلت بنا فعلاً قبيحاً ورمتنا بسهام الخيانة فقد قتل مرازبة ديننا ولم يبق منهم احد قط وان الذي فعل ذلك هو عمر العيار وجماعته ولا احد غيره يقدر ان يتوصل لمثل هذا العمل الخطير . فلما سمع كسرى هذا الكلام وقع الى الارض من شدة الكدر وغاب عن الوجود نحو ساعة من الزمان وقد ظن الجميع انه فارق الحياة ثم وعى الى نفسه ولطم على وجهه وقال اكان من قدر العرب ان تفعل بنا مثل هذه الفعال وتذبح لنا المرزبان الاكبر وجماعته ولم تبق لنا واحداً منهم نقيمه مرزباناً كبيراً وفوق كل ذلك فان هذا العبد الخبيث القبيح المنظر تجاسر بان جعلني انا ملك ملوك العرب والعجم والفرس والديلم وسيد هذا الزمان ان اقبل يديه واسجد كعبد واقف ذليلاً حقيراً فأهلكته النار ولعنته الف لعنة واني اقسم بالنار والنور وقبر جدي سابور ان من جاءني بعمر العيار لاقتله واشفي غليل قلبي من عذابه اعطيته نصف مملكتي . ثم صعد الزبد على اشداقه وضرب الدم في دماغه واحمرت عيناه وتفجرت انابيب انفه وكاد يختنق فلم يجسر احد ان يقف امامه او يدنو منه او يفوه بكلمة ومضى عليه وهو على ذلك نحو ساعتين حتى رجع الى صوابه فبقي مطرقاً الى الارض برهة . ثم نظر الى بختك وقال له انت اصل كل هذه البلايا والمصائب فما كنت افكر اني اعادي العرب قط حتى حملتني على عداوتهم واوصلت اليّ اذيتهم فتجاسروا على خرق حرمتي

واخذوا بنتي جبراً وارغموني على ان اسكت عنهم وقد جمعوا اموال بلادي وغنائمها ونزعوا مني علم بيكار الاشتهار الذي افضله على المدائن وخراسان وكل بلد عظيم في طاعتي فهم يجتمعون تحته كأكبر ملوك الاكاسرة واخيراً احتالوا عليّ وقتلوا شيخ النار وسيد الدين واهلكوا جماعته وفوق كل ذلك فاني كنت اتشوق ان اقبل يدي عبدهم النحس ولا يسمح لي بذلك . فلعنت النار العرب وكل من يميل اليهم واقسم بآبائي واجدادي ان كل من ذكر لي العرب منذ هذه الساعة قتلته ولو كان ابني الاكبر واعز الناس عندي . ثم افتكر بما كان من عمر وتصور تلك الحالة التي كان فيها وكيف مد يده ليقبلها بعد الرجاء والامتنان فعاد وغاب صوابه ولما وعي نهض الى جواده فركبه وترك تلك الارض غير ملتفت الى النار ولا الى من يقيم مرزباناً لان ما من احد كان يقدر ان يخدم النار ويعرف قاعدة الدين الا المرزبان الاكبر وهذا يختار لنفسه جماعة يعلمهم ويقدمهم واحداً على واحد ويدرس عليهم واذا مات يقوم مقامه الاكبر منهم واذا مات واحد منهم اختار عوضه من الشعب فيعلمه وينشئه مرزباناً ويقدمه شيئاً فشيئاً . وسار خلف كسرى جماعته وهم على تلك الحالة متكدرين متوسين مقتضين يلعب الغيظ في قلوبهم حتى وصلوا الى المدائن ودخل كسرى قصره وصرف عدة ايام على الحزن والكآبة وقد لف قصره وايوانه بالقماش الاسود وفعل مثل ذلك كل اعيان البلد وكان الحزن شاملاً الكبير والصغير وصار عندما يخرج الى ديوانه يجلس صامتاً لا يتفوه بكلمة ولا يفكر لا بما وقع عليه ويلوح امامه شخص عمر العيار فيضطرب ويغتاظ وما من واحد من قومه يقدر ان يذكر له العرب او اسم واحد منهم

فلنترك كسرى حزيناً ونرجع الى العرب فانهم كانوا بغاية الفرح والسرور وما من شيء يكدرهم الا غياب عمر اليوناني ابن الامير حمزة فكان يفكر على الدوام به وهو يتمنى ان يعرف في اي مكان هو وهل باق بقيد الحياة او فقد في ذاك اليوم الذي غدر به العجم بالعرب وارسل بعض العيارين في تجسس اخبار

واستطلاع الاحاديث والبحث في الجهات المجاورة عسى ان يقف له احد على خبر .
واما طوربان فانها كانت مسرورة جداً بخلاصها من يد الاعجام وخلاص ابنها من الحريق ولكن عند ما علمت بغياب زوجها وانقطاع خبره كل هذه المدة تكدرت جداً وشعرت بضياع رجائها وخافت من ان يكون قد قتل واختفى امره وكانت تتمنى الموت وتريد ان تكون باقية بيد اعدائها واصيبت باعظم المصائب او حرقت بالنار ولا رأت تلك الوحشة ولا علمت بفقدان من احبته الحب العظيم وجعلت كل اتكالها عليه واملت ان تقيم واياه كل حياتها على الراحة والسلام مسرورة بالقرب منه وكانت حالتها حالة الحزن واليأس تبكي الليل والنهار وهي على الدوام تنشد الاشعار وتندب في الاصال والاسحار . ومما انشدته :

من سحر طرفك ام من جيدك الحالي ... قد حرت ما بين نظار وغزالِ
يا حبذا في الهوى وجد اكابده ... من جوهر الثغر او من عنبر الخال
روحي فداؤك من بدر محاسنه ... قد ناسبت بين اسماء وافعال
اهلكت قلبي بانواع الغرام وقد ... ملكته فارع حفظ المال يا مالي
كحلت عيني بميل السهد فاتصلت ... مسافة البعد يا عيني باميالي
ما ضرّ ناظر جفنيك التي كسرت ... ان لو غدا ناظراً بالخير في حالي
افديه من ناظر ماضي الولاية بل ... واحر قلباه من ذا الناظر الوالي
ناديته يا غزالاً جل عن شبه ... ما كفو جيدك الا عقد اغزال
وعاذلٍ رام يسليني فقلت له ... ما عذل مثلك يسلي عنه امثالي
ان المحبة للاهواء فائدة ... وللهوى خطرات ذات ارقال
صمت عن العذل اذاني به فلذا ... قد ارغم الله فيه انف عذالي
ليت الثغور حكت برقاً بهم فرأوا ... سحاب دمع على الخدين هطال
حسبي وحسبي الهوى اني فنيت به ... ارجو اللقاء باوجاعٍ واوجال
آياب اوصافه ام عمر ريقته ... تتلى عليَّ بالحان وتجلى لي
اذاب جسمي بنار الهجر ثم قلى ... قلبي وقال نعم هذا هو القالي

ورام يشري بغالي المجر انفسنا رخصاً فاشرى رخيص النفس بالغالي

وكانت حزينة القلب على الدوام تتسلى بولدها احياناً واحياناً يكون وسيلة تذكرها به فتبكي على بعده مشخصة امام اعينها تلك الايام الملذة انقصيرة العهد التي صرفتها بجانبه ولولا املها باهتمام الامير حمزة بالفحص والسؤال عن ولده لسلمت بنفسها الى الهلاك يأساً واختارت الموت على الحياة من دونه

ومضى على العرب نحو اربعين يوماً في ذاك المكان ينتظرون ما يكون من امر كسرى ويودون ان يعلموا ماذا جرى عليه بعد علمه بحيلة عمر وموت مرازبته فلم يصل اليهم قط خبر من ذلك ولا علموا على ماذا عوّل واذ ذاك قال الامير انه مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى ونخاف ان يكون عمل حيلة جديدة او اجتهد في جمع الجيوش ليفاجئنا الى هذا المكان طلباً لثار مرازبته وانتقاماً من عمر العيار . قال عمر اني اسير بنفسي حسب عادتي واكشف لكم خبر كسرى انوشروان وماذا يدبر وهل ترك امر القتال او لا يزال مصراً عليه قال اندهوق نخاف عليك ان تقع بايديهم وانا اوكد لك انك اذا وقعت في قبضة كسرى لا يبقي عليك وربما عذبك اشد عذاب وهو مغتاظ منك دون شك ويتمنى ان يأكل لحمك باسنانه على ما فعلت معه . قال اني اعرف ذلك واعرف ايضاً ان لا احد من الفرس او غيرهم اذا تزييت بزيه يقدر على معرفتي فكونوا براحة من هذا القبيل

ثم ان عمراً غير زيه وصار كواحد من الاعجام وانطلق يسير في طريقه حتى وصل الى المدائن وهو ينظر يميناً وشمالاً فيرى كل انسان في عمله وما رأى قط اهتماماً كالسابق فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى وجه كسرى فرآه مسوداً وهو عابس مطرق الى الارض لا يتكلم في كل ساعة كلمة ولا يقدر احد ان يكثر من الكلام امامه والايوان بجماعته ورجاله هادىء ساكت كان لا رجل هناك فزاد تعجبه وشعر بان كل ما هو جار من هذا القبيل بسببه وان سقوط شرف كسرى امام قومه من تقبيل يده دعاه لا ينسى ذلك بل يتذكره على الدوام

وكلما تذكره تهيج في احشائه نيران الغضب فصبر يضحك في داخله الى ان ارفض الديوان وذهب كل واحد الى حال سبيله فتأثر بزرجمهر حتى دخل قصره فدخل عمر من خلفه واغلق الباب فلما رأى عمراً وقد تقدم منه وقبل يديه عرفه فهش له وقبله بين عينيه وقال له مرحباً بك يا فخر العرب وعلة نجاحهم اني كنت ارد ان اراك لاشكرك على عملك الذي فزت به ونلت المراد وقد القيت بقلب كسرى حسرة لا تقلع الى اخر الايام وهو يكاد يموت من شدة الغيظ والغضب فما فعلته انت بيوم واحد اوقعه بالحزن ورواه ثقيلاً عليه اكثر مما حاربه العرب منذ البداية الى هذا اليوم . قال اني لحظت منه ذلك وعرفت ان سبب غيظه وغضبه وسكوته عن الكلام هو انا ولا بد ان تبقى عليه الحملة الى الممات قال ولاجل هذا قد وعد ان كل من جاءه بك حياً او ميتاً اعطاه نصف ملكه وماله وقدمه على سواه من رجاله وما قصده الا ان يشفي قلبه منك ويراك ميتاً قال ان هذا لا يناله ولا في المنام وسوف يرى مني في حياته اعظم مما رأى فيقع في غيظ اعظم وبلاء اجسم والآن اريد منك ان تخبرني ما نيته وعلى ماذا عوَّل وما يريد ان يفعل في هذا الشان وهل لا يزال يصرُّ على عناد العرب ويسمع وشايات بختك ويعتمد على ارائه . قال انه منذ يوم علمه بموت مرازبته اجمع والاخلال بقاعدة دين النار حلف الايمان ان كل من ذكر امامه العرب قتله واعدمه الحياة وعليه فان هذه المدة كان كما ترى وما من احد جسر ان يفاتحه ويخاطبه او يسأله امراً من هذا الوجه وعلى ما اظن ان كسرى سيبقى على هذه الحال مدة غير قصيرة وكيف كان الحال فمن الواجب ان تتحذروا لانفسكم وتحافظوا على النساء اللاتي دخلن بدين الله سبحانه وتعالى وتزوجن بكم وهذه اكبر وصية اوصيكم بها فوعده عمر بكل خير وطلب رضاه ودعاه وسار من المدائن عائداً الى حلب وقد التقى بقومه واخبرهم بكل ما كان من امر كسرى وبزرجمهر فسروا وقال حمزة فلندعه وشأنه يعض على زنوده ويحترق بنار غضبه فقد راق لنا العيش وصفا الزمان ولم يكن من شيء يكدر الا غياب ولدي عمر اليوناني ولي رجاء بانه في قيد الحياة

واني سأأتي به بعد امد قريب

قال وصرف العرب اكثر من ستة اشهر وهم على السلم والامان لا حرب ولا قتال ولا طعن ولا تزال يجتمعون في كل نهار عند اميرهم وفي المساء يتفرقون الى بيوتهم وابن مهردكار وابن طوربان يترعرعان ويكبران والامير يعتني بهما ويعلمهما ما يحتاجان اليه وكانت طوربان صارفة كل عنايتها واجتهادها في تخريج ولدها بطلاً من الابطال فعلمته بنفسها كل فنون الحرب وكان وهو ابن اقل من تسع سنوات كأنه في العشرين من العمر وذلك لضخامة جسمه ومتانة اعضائه . وفي ذات يوم بينما كان الامير جالساً في صيوانه وعنده فرسانه وابطاله واذا بخادم اصطبله وقد وقف بين يديه وهو مطرق الى الارض حزيناً فارتاب من امره وقال له ما السبب لحضورك الي في مثل هذا الوقت اهل اصيب جوادي اليقظان بمرض او جرى شيء آخر قال علم يا سيدي اني منذ ثلاثة ايام خرجت بالجواد الى [illegible] الحقول وسرحته هناك يأكل من ربيع الارض على حسب العادة وعدت [illegible] بعض [illegible] الحي وما كان من وجود عدو في المعسكر ومن ثم عدت الى ذلك الحقل وبحثت فيه فلم اره فسألت عنه وفتشت كثيراً في مدة هذه الايام [illegible] دون ان احصل على علم يريح لي فكري من هذا القبيل فامت ان اخبرك [illegible] وخذ الى خارج القبيلة وكنت خفت منذ الاول ان ابدي لك ذلك الا انه [illegible] لا [illegible] ان اسأل عنه وتعلمه [illegible] خبرك بواقعة الحال فاعف عني يا سيدي [illegible] [illegible] تقصرت [illegible] وتيقظي عن اني مطمئن [illegible] من وجود [illegible] الامير حمزة هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب حسام وتكدر [illegible] واغتاظ الغيظ الاعظم وبقي برهة غائب [illegible] [illegible] وقال له [illegible] عياريك في سائر الطرقات والنواحي [illegible] منكم يعتربه [illegible] العيارون بالتفتيش عليه و بحث على امره وقال حمزة [illegible] ان الحصان [illegible] عن امره وتعرف من [illegible] سرق

وبقي الامير في غيظ وحرد لا يلتذ بطعام ولا يشرب المـدام وهو مشغول الفكر والخاطر من اجل جواده اليقظان حيث كان يحبه محبة عظيمة ويفضله على نفسه ويتحرق ليعرف من الذي تجاسر وفعل هذا الفعل وسرق الجواد وهو وقومه على غير انتباه اليه وبعد ذلك اخذ العيارون في ان يرجعوا الى حلب بالخيبة دون ان يقفوا له على اثر ورجع عمر وقال لاخيه اني فتشت في كل هذه النواحي فما وقفت على خبر اليقظان ولذلك عدت لاخبرك اني ذاهب الى المدائن لتيقني ان الذي سرقه يذهب به الى هناك ولا بد ان يطلع على امره الوزير بزرجمهر . قال سر متكلاً على الله سبحانه وتعالى فهو يدلك الى الصواب فسار عمر بعد ان غير زيه وصار كواحد من الاعجام وقد دخل المدائن ووقف في ديوان كسرى على حسب العادة فرآه كالمرة الاولى لا يبتسم ولا يضحك ولا ينظر الى احد بل رآه مطرقاً الى الارض فعرف انه باقٍ على الغضب والحنق فصبر الى ان انصرف الديوان وخرج بزرجمهر فسار في اثره واجتمع به في قصره فسلم عليه وقبل يديه فقبله وسأله عن اخيه وباقي العرب فقال له هم بخير ولكن جواد حمزة قد سرق وما عرفنا من الذي اخذه فجئت المدائن اكشف امره واستعلم منك لعلمي انك تكون قد عرفت شيئاً من امره قال نعم اني عرفت ذلك واظن اخاك حرم من هذا الجواد بالكلية وما عاد يقدر ان يصل اليه ولا يراه بطول حياته قال ولما ذلك ومن الذي سرقه وسار به واين هو الان قال ان الذي سرق الجواد هما عمر بن شداد وصقلان الرومي اللذين تركهما اخوك في مكة المطهرة يكنسان اسواقها فقد احتالا وهربا من هناك وجاءا الى المدائن واجتمعا ببختك واخبراه ان مرادهما الايقاع بالعرب واستعمال حيلة يقتلان بها الامير حمزة فقال لهما اذهبا من هنا الى حلب ولا تخبرا كسرى بشيء من هذا والا تهلكا ولا تخبرا احداً بانكما اجتمعتما بي واعلمهما بما وقع منك على كسرى كيف انه صار يكره ذكر العرب ولا يريد ان يسمع من احد ذكر حديثهم فقالوا لا بد لنا من مسك عمر العيار في هذه المرة والاتيان به الى كسرى ليقتله فقال اذا فعلتما ذلك اعطاكما نصف ملكه وقدمكما على

غير كنا من سائر الناس فسارا حتى اختلطا بالعرب واقاما فيما بينكم يختفيان في النهار ويظهران في الليل يتوقعان الايقاع بك او باخيك دون ان ينالا مراداً لانهما راياك ساهراً كل السهر على نفسك وعليه في وذات يوم كانا خارج المدينة في احدى الحقول فرأيا اليقظان جواد اخيك فقال احدهما للاخر هذا جواد الامير حمزة وهو عنده بمقام نفسه فاذا اخذناه تركناه يتحرق عليه ولا بد انه يفتش عليه ويسير في اثرنا من اجله او يرسل عمراً العيار فنقبض عليه ونمسكه وننال المراد ثم تقدما من الجواد ليمسكاه فلم يقدرا فجاءاه بفرس وقدماها منه واحتالا عليه يجذبهما حتى قيداه فجراه خلفهما وجاءا الى المدائن فرحين مسرورين بذلك ودخلا على كسرى ومعهما الجواد ولم يبديا كلمة فاستشاط غضباً وسأل بختك من الذي ذكر لها ان يأتيا بالجواد فانكر انه ما رآهما ولا عرف شيئاً من امرهما فطردهما كسرى من امام وجهه وامرهما ان لا يبقيا الجواد في المدائن قط والا قتلهما فخرجا وفي المساء اجتمعا بالوزير الخبيث بختك بن قرقيش فقال لهما ان كسرى لا يطيب خاطره ولا يتزل عن غيظه ما لم يقبض على عمر ويقتله ويشفي فؤاده منه فاخبروه بكل ما كان لهم عندكم وكيف انهما ما قدرا الا على سرقة الجواد ولهم الامل الاكبر بمسك اخيك او مسكك فقال لهما حيث ان الملك الاكبر لا يقبل ان يبقى هذا الجواد في المدائن خوفاً من وقوع حيلة ثانية من عمر العيار عليه فاذهبا به الى بلاد العبيد والسودان الى فرهود صاحب التكرور وهو قادر ان يحميكم من غدرات الايام ومن عرف ان العرب لا يتركون الجواد ولا بد من ان يعرفوا انه هناك فيسيرون في طلبه وينقرضوا في تلك النواحي وفي كتب كتابة لفرهود على لسان كسرى اوصيه بكم وسأله ان يعتمد عليكم في كل اموره فاستحسنا هذا الامر واخذا كتابة فرهود وفي نفس ذلك اليوم عرفت بهذا الامر وخبرني احد خدام بختك بكل ما سمع وهو من اتباعي ويحبني ويظهر لدى مولاه ببغضي وبغض العرب وفي السر يحبنا جميعاً ويعبد الله العزيز الجبار وقد تكدرت من هذا الخبر علمي ان الجواد حتى في تلك النواحي ولا يمكنكم المسير اليها لبعدها

وصعوبة مسالكها وحزنت جداً على ذاك الجواد الذي لا نظير له وانا قاطع الرجاء من رجوعه الى اخيك قال اني اعدك ان اخي يذهب الى تلك النواحي ويأتي بالجواد ويقتل فرهوداً ويجازي اللصين اللذين سرقا جواده وسوف تصل اليك الاخبار قال وفقه الله وابعد عنه كل شر وويل وقهر اعداءه بين يديه

فشكره عمر على غيرته وقبل يديه وخرج من المدائن وهو يتعجب من عمل عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي كيف انهما كانا في حلب واقاما بينهم عدة ايام وهو ساه لاه عنهما وما عرفهما ولما وصل الى حلب دخل على اخيه وعاد عليه كل ما سمعه من بزرجمهر عن الجواد وانه اخذ الى داخل بلاد السودان الى فرهود صاحب التكرور فغضب حمزة وقال اني ابقيت على هذين الشريرين علة لنا ونقمة واني سأسير في اثرهما اين سارا ولا اترك جوادي ولو اخذاه الى داخل البحور السبعة او الى ما وراء جبال قاف . ثم التفت الى قومه وفرسانه وقال لهم انكم سمعتم ان اليقظان هو الان في بلاد السودان وعليه فاني عولت ان اذهب الى خلاصه واعيده اليَّ اذ لا صبر لي على فراقه وتركه بيد اعدائي فمن منكم اراد المسير معي فليكن على حذر ومن اراد البقاء في هذه البلاد فله الخيار فقال له الجميع اننا لا نفارقك ولا نبعد عنك ولو سرت الى الموت كنا معك ولا حياة لنا الا بقربك ولا بد من تأثر هذين الخبيثين وارجاع الجواد من تلك البلاد الصعبة فشكر الامير من اهتمامهم وحبهم واوصاهم ان يكونوا على اهبة المسير فيبارحون تلك الارض في مدة ثلاثة ايام فأخذ كل في تدبير امر نفسه وحملوا الاحمال والخيام وقادوا الجنائب وسرحوا الاغنام وكل ما يلزمهم من المؤن وفي اليوم الثالث ركب الامير على جواده الاشقران وركب الى جانبه اندهوق بن سعدون والملك النجاشي وعمر الاندلسي والمعتدي حامي السواحل وقاهر الخيل وبشير ومباشر ومعقل البهلوان واصفران الدربندي وكل بطل من ابطال الكفاح وساروا عن حلب بعد ان حصنوها وتركوا اثارهم فيها ولا زالوا في مسيرهم مدة ايام وليال حتى جاوزوا دمشق الفيحاء وكان ذلك في زمن الربيع وقد فتحت الازهار وفاحت

الروائح الزكية واكتست الارض ثوباً اخضر بما يبهج الانظار ويذهب بالافكار فسرّ الامير من تلك الارض وامر عساكره ان تنزل في ضواحي البلد واوصى ان لا يضر احد بالمزروعات والحياض وكل ما يأخذونه من المدينة واهلها يدفعون ثمنه مضاعفاً فخرج اليه اهل البلد وقدموا له طاعتهم وشكروه على نزوله عندهم ورحبوا به كل الترحيب وقدموا له الاكرام الواجب . فعظموا في عينيه وحب القيام بينهم وصرف مدة الربيع هناك وقد رأى منهم من الانس واللطف والظرف ما لم يره في بلد من كل البلاد الذي جاءها ودخلها وعرف ان ما كان يسمعه عن اهل تلك المدينة هو اقل من الحقيقة . ولذلك قال لزوجته مهردكار اذا سمح لي الزمان وتركت الحرب ما اخترت غير هذه المدينة موطناً لانها جنة عدن واهلها ملائكة الوداعة والعذوبة فهم عائشون في نعيم وقد نظرت منهم ما يكاد ينسيني اهلي ووالدي الذي انا سائر في طلبه . قالت اني عرفت ذلك وما سرورك باعظم من سروري واني كنت احب ان رجوك نبقى في هذا البلد ولو اشهراً واذا خيرتني رضيت البقاء فيها طول عمري قل ليث ، تطلبن فهذه فرصة ولذة عيش ينبغي ان تختلسها ويطيب قلبك فيها ولا علم هل يسمح لنا الزمان بالرجوع الى هذا الفردوس البهيج مرة ثانية ام لا . وصار الامير يزور رياضها وبساتينها وفي كل يوم يسرون الى ان يقرب الصباح وهم على اللهو والحظ والانشراح يتمتعون بقول القائل :

دعت من نعمي النهاة ومدام عادلات
وديار خاليات وصول ... ات
لا يروق الشعر الا في رقيق وجنات
وعثار في تركت ر ... ح بموت نفحات
في قصور عاليات ورياض عطرت
تحت ستر غصون فوق ديباج نبت
قوهم فديت مولاي خذ الكاس وهات

فاختلس فيه التصابي سابقاً وشك الفوات
واطرح وصف الفيافي ووخيد اليعملات
ما الذي يحسن من نعـ ـت رسوم دارسات
فابذل المجهود في وصـ ـف مدام وسقات
واسرق اللذات ما دا م لك الدهر موات
بين تغريد حماما ت وانشاد رواة
وندامى هم نجوم بل بدور الداجيات
واقاح الروض في الوصـ ـف ثغور الغانيات
واشفع اللهو باصوات المثاني المطربات

وما برحوا في ذاك النعيم مدة غير قصيرة حتى قارب فصل الخريف فرحلوا من هناك آسفين على هذا الرحيل وما منهم الا من يتمنى لو طال زمان قيامه بين اولئك الاقوام الذين ضربت بانسهم وكرمهم الامثال ما عدا طوربان فانها كانت طول تلك المدة ضيقة الصدر مفطورة القلب باكية العين تندب بعد زوجها وغيابه كل هذه الايام وليس عندها الا ولدها سعد قد قارب العشر سنوات الا انه اصبح كالغول وهو يتمنى ان يلتقي بابيه وداموا في المسير مدة ايام وليال حتى قربوا من مصر وشاع خبر وصولهم الى تلك الديار فجعلت العمال وحكام القطيعات تأتي اليهم وتزورهم وتقدم لهم كل احتياجاتهم والامير يردها اليهم ويشكرهم على طاعتهم وفي كل مكان يقيم اياماً واخيراً خرج اسمندار حاكم مصر الذي كان اقامه عليها حاكماً كما تقدم معنا فترجل بين يدي الامير وسلم عليه وسار بين يديه الى المدينة وقد خرج الكبير والصغير الى ملتقاه والسلام عليه وقد زينوا له البلد وذبحوا الذبائح واولموا الولائم واكثروا من الدعوات والامير يزور الكبير والصغير ويحرضهم على الطاعة والسلام ويفرح من التفاتهم وبقي هناك عدة ايام . ولما عزم على المسير والرحيل وصل الى الامير اندهوق كتاب من عمه الذي اخلفه في سرنديب يقول له فيه . اعلم يا ابن اخي انه منذ غيابك عنا والبلاد في امان

واطمئنان غير ان هذه الايام قد طمع بنا ملوك التركان وهم ثلاثة ومعهم العساكر الغزيرة وقد زحفوا على البلاد وفي نيتهم ان يملكوها فدافعنا الدفاع العظيم الا اننا لم نقدر ان نمنعهم عنا ونفوز عليهم بل بالعكس انكسرت شوكتنا فتأخرنا وحاصرنا داخل المدينة مؤملين ان نبقي على هذا الحصار الى حين مجيئك فاياك من الاهمال والتأخير فان البلاد ستخرب والنساء ستسبى والرجال ستقتل ولا يبقون على احد واذا وقعت بايديهم لا بد من ان يقتلوني وينزلوا بي العبر فاسرع بقومك والسلام

فلما قرأ اندهوق الكتاب تكدر واطرق الى الارض برهة كأنه واقع بحيرة عظيمة فقال له الامير هيا بنا نسير يا اخي الى بلادك ونفرج عنكم هذا الكرب ومن ثم نعود الى بلاد السودان ونخلص الجواد من آخذيه . فقال له الامر لا يحتاج الى مسيرنا كلنا فاني اعرف من نفسي اني كفوء لهلاك المتعدين ومهاجمي بلادي غير ان غيظي وكدري من وقوع مثل هذا الامر وانا بحاجة لان ابقى بين يديك واقاتل في ركابك خدمة للعرب . قال اننا لا نعدم من بسالتك واقدامك فسر الى بلادك وافرج الكرب عن قومك واذا رأيت ان الامر بحاجة الينا سرنا اليك وكشفنا عن بلادك الضيم واهلكنا التركان عن اجمعهم . واجاب اندهوق راي الامير ونهض بقومه وودع العرب وهو باكي العين حزين القلب على فراقه وكذلك هم فانهم حزنوا جدا وودعوه بدموع الحب والمودة وتبعوا بجملتهم [illegible] وسار اندهوق نحو سرنديب هذا بقومه ورجاله الذين جاء بهم وهو يتمنى ان يصل باقرب [illegible] . ومن بعد مسيره امر الامير العرب ومن معهم ان يركبوا ويسيروا في طريق السودان [illegible] من هذه [illegible] فركبوا ومشى الامير في مقدمتهم وهو حزين جدا لا يفوه بكلمة قط وقد لاح في خاطره ان فرحه بقومه وفرسانه مجتمعة قد ذهب [illegible] حزن [illegible] لانه فقد ولده وهو ركن عظيم في العرب تفتخر به وقت القتال وكنت [illegible] من سعدون ولا يعلم اذ يكون من [illegible] [illegible] مرة [illegible] ولا

وما بعد عن مصر الا ساعات قليلة حتى ظهر من خلفه غبار مرتفع الى العنان ومن تحته فرسان تسير مسرعة الى ناحية مصر فوقف الامير في مكانه وقال لاخيه عمر العيار سر الى كشف اخبار هذه الشرذمة لنعلم من عليها ومن اين آتية واخاف ان يكون قصدها نحن فاذا بعدنا عن البلاد نضيع عنهم ويضيعوا عنا فأجاب عمر سؤال الامير وانطلق الى ان قرب من ذاك الغبار وتبين ما تحته فاذا هم قوم من الاكراد فتقدم قليلاً ليرى من عليهم والى اي جهة سائرون واذا به يرى في مقدمتهم الامير عمر اليوناني والى جانبه رجل عظيم ايضاً من الابطال فصاح صياح الفرح وصفق بيديه وتقدم نحوه فلما رآه ابن حمزة ترجل عن الجواد ورمي بنفسه عليه وجعل يقبله وهو يشكر الله على سلامته واخبره بان اباه ارسله لكشف خبره وانه بكدر عظيم من اجله ثم انه كر راجعاً حتى وصل من الامير ونادى بشراك يا اخي فقد فرج الله كربك وارجع اليك ولدك وهو سالم من غدرات الزمان ونوائب الايام فطار فؤاد الامير فرحاً وكاد يغمى عليه من شدة الفرح وما لبث حتى وصل منه ابنه فترجل وتقدم منه ففعل هو ايضاً وجعل يقبله ويشكر الله على رجوعه اليه سالماً وفعلت مثله جميع فرسان العرب من الكبير الى الصغير وكان الفرح شاملاً الجميع وسلموا ايضا على باقي الذين معه وقال الامير ودعت في هذا اليوم اخي ولاقيت ولدي ومن الواجب ان افرح به وامر ان يعود الجميع الى مصر ليبقى هناك بعض ايام اكراماً له ليرتاح من مشاق السير والجد في تلك الطرق المقفرة الطويلة فرجعوا ثانية الى المدينة وقد ترحب بهم منه بكل الترحاب وهنأ الامير بولده واولم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة اكراماً له وزين المدينة زينة فاخرة وبعد ذلك سأل الامير ابنه اين كانت غيبته وفي اي مكان بقي كل هذه المدة ومن الذين رافقوه فاخبره بقصته من الاول الى الآخر

قال وهو ان عمراً لما جرحه زوبين الغدار كما تقدم معنا وشرد به الجواد في البر الاقفر كان شبه غائب عن الصواب لا يعي الى اي جهة يسير فسار به الجواد ركضاً الى ان وقف في ناحية من الارض مقفرة بعيدة عن الخوف وحينئذ انتبه

الامير الى نفسه قليلًا ورمى بنفسه الى الارض وشعر ان قواه خائرة لان الدم كان يسيل بغزاره من بدنه ولا يقدر على ضمد جرحه من نفسه ولم يبق على مثل ذلك وقد يئس من الحياة وشعر بفقدان القوى وصار يودع هذه الحياة وكان وهو في تلك الحالة يفكر بقومه وما حل بهم واعظم همه كان طوربان وولدها سعد الطوقي كيف انه يموت ولا يراهما وماذا يا ترى يصير بزوجته اذا فارق هذه الحياة وعرفت بذلك وفيما هو على ذلك واذا بثلثمائة من الاكراد تحت رئاسة الامير الغضبان قد صادف مرورهم من تلك الناحية فرأوا الجواد عن بعد فتقدموا منه فرأوه ملقى الى الارض وهو يئن من الوجع والالم فشفقوا عليه وتقدموا منه وحملوه معهم بعد ان ضمدوا جرحه وربطوه بمنديل وغسلوه بالماء وساروا به حتى جاؤوا قبيلتهم وكانت تلك القبيلة تحت امرة اخت الغضبان وهي من البنات ربات الجمال قد اعطيت من الحسن ابهاه ومن الشجاعة اسماها اسمها الاميرة هدلا فعرضوا اليها امر الامير عمر اليوناني وكيف رأوه يكابد نزاع الموت على تلك الارض منقطعاً عن المساعد والمعين فحنت اليه ووقت حسناً فعلم لان الانسان يحتاج الى مساعدة بني جنسه ونظرت اليه وامعنت فيه وكانت ذات فراسة وامعان فعرفت انه من اولاد الملوك او الامراء وان لا بد ان يكون له حديث وشأن فأمرت ان يوضع في بيتها وان يلازمه الطبيب في المساء والصباح وان تبقى عنده الخدم الى ان يشفى وتذهب عنه الآلام ويمكنه الجلوس وصارت في كل يوم تأتي اليه وتخدمه بنفسها وتلازم مداراته وقد رأت فيه شاباً جميلًا وهيبةً ووقاراً فأخذ من قلبها موقعاً عظيماً وصارت تتمنى ان يشفى لتسأله عن حاله وتعرف من هو وما الذي جرى عليه ومن الذي جرحه ولما كان جرحه بليغاً اقتضى له وقتاً طويلًا للشفاء وصرف اكثر من ستة اشهر في الفراش حتى صار اخيراً يمكنه الاستواء والجلوس والكلام واذ ذاك دنت منه الاميرة هدلا وهي مسرورة السرور العظيم وقالت اعلم ايها الرجل اني لست من الناس الذين يتباهون بعمل جميل ولا اريد ان اذكرك باني وجدتك في البرية بحالة اليأس وقطع الرجاء فعاملتك معاملة الام الحنون لان الانسان

ملزوم بان يعين ابن بجلته ولا سيا من كان مثلك عليه دلائل الكرامة والجلال وكنت احب ان لا اسألك عن نفسك ولا اريد ان اعرف من انت كي لا يقال باني عملت ما عملت لاجل غاية حتى ان نفسي لا تساعدني ان اعرف من هو الذي عملت معه المعروف ويكفيني ان اعرف فقط انه انسان لكن لما كانت غايتي الوحيدة ان اتوصل الى سبب جرحك لاعرف من الذي جرحك وبنفسي شيء آخر اريد من اجله ان اعرف اصلك وفصلك وهل اني مخطئة بظني لتأكدي انك من السادات العظماء. قال اني لا اريد ان اباهي بنفسي وكان بقصدي ان اخفي امري الى ان يسمح لي الزمان بمكافأتك على معروفك معي وانعطافك عليّ غير اني لا ارغب في الكذب وحيث سألتني عنه فاشرحه لديك لعلمي بانك وضعت الجميل في محله فانا ابن من رجح ميزان العرب واخفى شمس العجم تحت حجاب الغرب.

فاهتزت طرباً ومالت من الاعجاب وقالت انعم واكرم لقد عرفت بانك ابن فارس برية الحجاز وسيد سادات هذا الزمان الامير حمزة البهلوان الذي طالما تمنيت ان اكون في ركابه وبين يديه ونفسي تحدثني على الدوام ان اراه وارى كيف هو فهل انت من زوجته مهردكار فقال كلا ثم حكى لها قصته من الاول الى الآخر الى ان جرحه زوبين الغدار غدراً وخيانةً وشرد به الجواد وهو عليه يمسك نفسه فوقه على غير انتباه فقالت قطع الله يد زوبين الغدار واسكنه رمسه واني اشكر الله الذي اوصلك اليّ وسمح لي ان اخدمك واقوم بين يديك فتكون مكافأتي عندك قبولي خادمة لك واكون عندك الى الابد فادرك عمر غايتها من انها تريد ان تتزوج به وقد اعجبه حسنها وتعقلها وكرامة اخلاقها ولذلك سكت وكان يريد ان يمتنع كي لا يغيظ طوربان ولا ياخذ عليهـا زوجة ثانية الا انه كان يشعر بمعروفها معه واهتمامها به وما اراد ان يبدي حركة او اشارة بل اظهر على نفسه انه متألم وصبر الى حين شفائه وكانت قد ادركت ذلك بفراستها وذكائها وعرفت ان اصل تردده كونه متزوجاً بغيرها وكانت تتكدر من ذلك وتتحرق كيف سبقتها عليه طوربان وساعدها الزمان بان تكون زوجته الاولى والامرأة التي احبها

قبل كل امرأة فاخذت المركز الاول من قلبه ومع كل ذلك فقد علقت املاً كبيراً بانها ذات يوم تكون زوجته وقالت في نفسها انه لا يزال مريضاً ومن اللازم السكوت عن هذا الامر الآن الى وقته وقد تعلقت به كثيراً وزاد هيامها وغرامها عندما تأكدت انه من اشرف الناس وسادات ذلك الزمان وان اباه الامير حمزة البهلوان شريف العمل والاصل وزادت في اكرامه وانتشر خبر ذكره في كل القبيلة فصار كل واحد منهم يرغب ان يشاهده ويخدمه ويكون بين يديه ليتوصل الى تقبيل يدي ابيه. وبقي الامير عمر على ذلك مدة شهر ايضاً الى ان شفي تمام الشفاء وصار يمكنه ان يركب ويذهب الى البراري والقفار ويسير الى القبائل المجاورة مع الاميرة هدلا ومع اخيها ويسطو على كل عاص حتى جعل للقبيلة صيتاً واسعاً بعيداً وكل هذه المدة وهو مع هدلا على الحظ والانشراح ورأى نفسه مضطراً لان يحبها ويباديها على جميلها بالجميل واللطف فتكون قد اشترت حياته وخدمته لاجل نفسها ولا سيما عند ما رأى من صفاتها الكريمة وما اعجبه وابهره وما تصوره بغيرها من ربات الخدور وفي النهاية اخذها زوجة له وزف عليها وسر من قربها وصرف اياماً أخر على الحظ والهناء والسعادة والراحة وبعد ان انقضت هذه الايام قال لها قد انتهى كل شيء ولم تبق حاجة بنفس يعقوب ولا خفاك اني مشغل البال بسبب اهلي ولا اعرف ما جرى عليهم في غيابي ولا ارى ماذا حل بابي وهل رجع اليهم او لا يزال بعيداً وهل لا يزالون مجتمعين او انقرضوا وذهب كل منهم في ناحية ومن الواجب المسير الى حلب والانضمام الى العرب قالت اليك ما شئت فاننا كلنا الآن عبيدك وبين يديك وما من واحد يخالفك وجميع من في القبيلة يرغب ان يسير الى ابيك ليقبل يديه ويكون بين العرب في خدمته وهاك اخي الغضبان فانه رئيس القوم واميرهم هو منتظر امرك واما انا فما عاد يمكني الا الاقامة في البيوت والامتناع عن الركوب فوق الخيول ومباشرة الحروب كوني صرت مملوكة

وفي الحال ركب عمر اليوناني وركب معه كل فارس من الاكراد وحملوا الاحمال

ورحلوا عن تلك الارض وداوموا المسير مدة ايام وليال حتى وصلوا الى حلب فلم يروا هناك احداً من العرب فخفق قلب عمر اليوناني وتقدم من المدينة فخرج اليه نصير الحلبي صاحب حلب وسلم عليه وهناه بسلامته واخبره بان اباه سار بالعرب في طريق مصر على بلاد العبيد والسودان واخبره بقصة الجواد وانه سرق واخذ الى هناك . فاقام عمر اليوناني تلك الليلة في المدينة واخذ ما يحتاج اليه في سفره من المؤن ورحل من هناك في اثار ابيه يجد السير ويقطع الفيافي والقفار حتى وصل الى الشام فاخبروه انه سار عنها فرحل من هناك ولا زال يأخذ اخباره حتى اجتمع به في مصر كما تقدم معنا وفرح كل واحد وكانت طوربان اشد الجميع فرحاً وسروراً وقد زالت عن قلبها الاكدار والاوصاب واطمأن بالها وخاطرها وسكن جاشها وصبرت الى ان جاءها فتلقته وترحبت به وسلمت عليه وبكت بكاء الافراح وكان من امره ان اخذها الى صدره وقبلها في جبينها وشكر الله الذي رآها سالمة وكذلك ولده سعداً وراه قد كبر وصحته جيدة جداً

ففرح به واخبر زوجته بما كان من امره فقالت اني سعيدة من الله الذي ارجعك اليّ سالماً وفرج كربي لاني كنت في كدر عظيم وتخلصت منه بعنايته تعالى فعشت انا وعاش ولدي ورجعت انت بخير . ثم انها حكت له كل ما كان من امرها عند كسرى انو شروان وكيف ان زوبين الغدار واباها قصدا هلاكها وهلاك ولدها مع باقي النساء والاولاد الى ان جاء عمر العيار وخلصهم جميعاً وحكت له كيف عمل حتى خلصهم فضحك من عمله وقال لها يا ذل العرب من بعده لانه ساهر عليهم لا يغفل دقيقة عن صوالحهم ولا يقدر العدو ان يصل شراً الينا الا اذا كان غائباً عنا واما زوبين فقد نويت على هلاكه ولا بد عند وقوعه بيدي ان اهلكه واميته شرّ ميتة فقد طال في غدره وتمادى في شره ولولا اني لقتلناه في هذه المدة وارتحنا منه . وصرف باقي ليلته عندها الى الصباح

وبقي الامير حمزة في مصر سبعة ايام اخر وبعد ذلك رحل من هناك في طريق بلاد السودان بتلك الحملة العظيمة ودام في المسير على تلك الاراضي الحارة المحرقة

وكل ما وصلوا الى ارض نزلوا بها للراحة واقاموا عدة ايام ليأخذ العسكر راحته ولا يتكدر احد منهم من التعب وشدة الحر وانتهى المسير بعد ذلك الى الملك فرهود صاحب التكرور فضربوا خيامهم ونزلو في ساحة فسيحة وقد سدوا السهل والجبل وضرب الامير حمزة صيوان اليون شاه ونصب عند بابه علم بيكار الاشتهار حتى ابتهجت منه تلك الارض وتزينت من جماله وبهائه ولما استقر بالامير المقام كتب رسالة الى فرهود وبعثها اليه وانتظر الجواب

قال وكان فرهود من الابطال العظام اصحاب البسالة والاقدام وكان يندر وجود مثله في زمانه طاغ باغ فذات يوم جاءه عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ومعهما اليقظان فسلماه اليه ودفعا كتابة كسرى فقراها وقال لا بد لي من الاتمام والاجابة ولا بد ان يرى ما افعله بالعرب اذا جاءوا بلادي واما انتما فعلى الرحب والسعة واكراماً لخاطر كسرى اقدم بلادي بين ايديكما فسيرا واحكما وما من معارض يعارضكما قالا اننا لا نريد امرا ولا نحملك ثقلة بل اقبلنا في بلادك الى حين نتخلص من ظلم العرب ولا بد ان يعلموا بنا ويأتوا الى هذه النواحي . قال سوف يظهر لكما عملي وكان قد سر جداً من الجواد اليقظان واعجبه واراد ان يركبه فامتنع عليه فتجاول واياه وقتاً فلم يقدر ان يعلو ظهره وهو يضرب برجليه الارض ويعلو بايديه ويهجم على كل من يقرب منه حتى قتل خمسة من العبيد فغضب منه فرهود واراد ان يقتله لولا حبه له ومعرفته انه اذا كان على ظهره وقتل اعظم الابطال فوز عليه فقاده العبيد الى اصطبل مخصوص ووضعوه فيه وجعلوا يقدمون له الاكل وصبر فرهود الى ان ينال مراده منه وصار في كل مدة يأتي ويجرب نفسه دون ان يحصل منه على نتيجة الى ان وصل العرب تلك الديار واخذ مكتوب الامير حمزة ففضه وقراه واذا به

بسم الله الحي القيوم

« اعلم ايها الملك الجاهل اني انا الامير حمزة فارس برية الحجاز ومذل الاكاسرة

وابطال هذا الزمان قد جئت بلادك لاجل غاية واحدة لا اريد سواها وهي انه بلغني ان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد سرقا لي جوادي وهربا اليك فقبلتهما واكرمتهما واخذت الجواد لنفسك فاريد منك ان ترجع اليَّ جوادي في الحال وتسلمني هذين الحبشيين اللصين فاسير عنك ولا اضر باحد من بلادك وتكون قد حقنت دماء بني البشر ورفعت عن قومك ثقلة حرب العرب ورفعت العداوة من بيننا والا فاني لا انفك عن بلادك ما لم اضر بها واقتل كل امير وسيد فيها واسترجع جوادي قوةً واقتداراً فلا ينفعك العناد ولا تؤخذ باقوال عمر ابن شداد وصقلان الرومي فهما يقصدان غشك والسلام »

فلما قرأ فرهود هذه الرسالة التفت الى عمر بن شداد وقال له سمعت مايقول امير العرب كأنه يظن باني اخافه او اخاف رجاله وسوف يرى مني حرباً لم يرها زمانه بطوله وهو يتهددني قاصداً اخافتي وفزعي . قال له اعلم يا سيدي ان العرب قوم كذابون وما هم الا اهل بادية ومتى حاربتهم عرفت انهم من اجبن اهل الارض لا يثبتون امامك ولا يطيقون حربك وخصامك فاخرج اليهم بالعساكر والابطال حتى اذا رأوا منك ذلك خافوا واضطربوا وعرفوا انك من الابطال الاشداء اصحاب الصولة والعظمة فيرجعون في الحال على اعقابهم او انهم يفنون بسيفك وحسامك ولا ريب انه اذا عرف الملك الاكبر بانك قتلت حمزة وبددت العرب انعم عليك الانعام الكثيرة ومدح منك ومن معروفك وشاع صيتك بين الناس اجمعها في اربعة اقطار المسكونة فيعترفون بانك فارس هذا الزمان الامجد وبطله الاوحد فيطيعك البعيد والقريب ويمكنك ان تملك على قسم كبير من العالم من مصر الى اقاصي الارض فأمر فرهود في الحال بجمع العساكر والاستعداد للحرب والقتال وأرجع رسول حمزة بلا جواب وأقام العرب مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس خرج فرهود برجاله وابطاله السودان وهم كالجراد المنتشر ويدبر امرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وضرب خيامه مقابل خيام العرب ونزل بعساكره هناك فعرف الامير حمزة ان في اليوم التالي ينتشب الحرب والقتال فاستعد

مع قومه الى ان كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح وخرجت الفرسان من مرابضها كانها اسود البطاح وقد اشهرت بيض الصفاح وهزت عوامل الرماح وتقدمت من بعضها البعض وانتظرت الاوامر بالهجوم وكان الامير حمزة في الوسط فأخرج سيفه من غمده واشار الى العرب بالهجوم والقتال واقتحم تلك المعركة بقلب قد من صوان الجبال وهو ينادي انا حمزة العرب سيد الفرسان والابطال وحبيب مهردكار ذات الحسن والجمال وفعل مثل ذلك الامير عمر اليوناني وهو يهدر كالجمال . ويزأر كاسود الدحال . وعمر الاندلسي والمعتدي حامي السواحل الاقيال . واصغران الدربندي . ومعقل البهلوان . وقاهر الخيل . ومباشر وبشير . فتعاظمت الاحوال وعظمت الاهوال . وانتشر غبار الموت . واندفع عزرائيل الى قبض الارواح خوفاً من ان يفوته الفوت . واما فرهود فانه قوم سنانه . واطلق لجواده عنانه . وغاص بين العرب . وانزل عليهم ميازيب العذاب والكرب وقد قلب المياسر على الميامن والميامن على المياسر . وابهج بقتاله الخواطر وحير النواظر وما قصد كتيبة الا فرقها . ولا وقع على فرقة الا ومحقها . هذا وقد اشتد القتال والطعان . وراج سوق الموت والهوان . ونادى سوق الموت والقلمان . الا هبوا الى الرحيل فقد آن الاوان . ونصبت كفة الميزان . ليظهر الرابح من الخسران . والناقص من الرجحان . وقد كثر الهول وقل الامان . و نشبت اظافر الهلاك في افئدة الشجعان . فألقت بهم الى بساط الصحصحان . تقلبها في حجر الفناء تقلب الموجوع السهران على فراش الضنا من لسع الاسنان . فصمت الآذان . وعميت العينان . وثبت الشجاع وفر الجبان يختبي في مغاير ذلك المكان . الى ان ينقضي النهار . ويقبل الليل بالاعتكار . ويعود متظاهراً بالثبات مفتخراً بالنزال . وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم . ونيران الوغى تزداد وتضرم . الى ان ولى النهار وانهزم . واقبل جيش الظلم . فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى المضارب والخيام بعد ان صبغوا وجه الارض بالاحمرار . وكسوا البسيطة ثوباً بلون البهار وتركوا القتلى والجرحى فيها اكثر من رمل البحار . فسبحان العزيز الجبار . والواحد

القهار . الذي قدّر على الانسان ما شاء واختار . وجعل من مزاياه حب الانتقام من الاعداء والاخصام . كما جعل في قلبه حب الامان والسلام . من الاحباب والاهل والاصحاب

وبات القومان وهما من التعب في هم وغم وكان قد تعجب الامير حمزة من السودان وجلادهم على الحرب والطعان وهم لا يخافون الموت ولا يحسبون حساباً للقتل والهلاك كأن البربرية فرضت عليهم ان من الواجب على الانسان الموت في ساحة الميدان وعندما اشرق وجه الصباح ولاح نوره وانبسط على تلك البراري نهضت الفوارس الى خيولها فركبتها والى اسلحتها فتقلتها . وتقدم الصفان . وترتب الفريقان . وبأقل ساعة من ساعات الزمان . حمل الجميع على بعضهم البعض . وابتدأوا يتضاربون ويتطاعنون ويبربرون بما يخيل للناظر انه جاء يوم العرض . وكان القتال في هذا اليوم اعظم من اليوم الاول . والموت اشد واعمل . حتى تحرك الظلام واقبل . فرجع المتقاتلان الى الخيام وفي الصباح رجعا الى الحرب والكفاح ودام الحال على هذا المنوال مدة عشرين يوماً على التمام . وفي الاخير ضجر كل من الفريقين وقد قال فرهود لقومه اني ما كنت احسب ان فرسان العرب بهذا المقدار قوية الجأش ثابتة العزية فقد اهلكوا من نصف قومي وان كنت اهلكت منهم كثيراً لكني لا ارى وسيلة لانقراضهم لانه لو بقي منهم واحد لثبت وقاتل ووقف في وجه فرساني . وقد كدرني هذا كثيراً وجعلني بحالة يأس وخوف على رجالي ان يفنوا قبل ان اتم عملي واهلكهم جميعاً . فقال له عمر بن شداد الحبشي ان العرب كثيرون وهم من عالم مختلف وبينهم كثير من الفرسان الذين اذا قتلوا انقرضت بسالة جماعتهم وتفرقوا ومن الرأي عندي ان لا تلقي برجالك الى ساحة القتال بل ابرز انت وادعهم واحداً بعد واحد فاذا قتلتهم واقتلعت فرسانهم هرب الباقون او سلموا ولا سيا الامير حمزة وولده عمر اليوناني والمعتدي حامي السواحل فقال لقد اصبت ولا بد لي من ان اترقب ذلك واباشر القتال بنفسي وامنع قومي وسوف ترى ما افعل بالامير حمزة وفرسانه

فهذا ما كان منه واما ما كان من الامير حمزة وقومه فانهم عند رجوعهم من ساحة القتال دار بينهم الكلام في هذا الشان . فقال الامير اني اريد ان اعرف فكر فرهود في امر القتال وكيف انه لم يحاربنا على الجواد واخاف ان يكون جوادي قتل او ابعدوه عن هذا المكان والا لو كان بيد فرهود لكان حارب عليه وافتخر به . فقال عمر العياراني سأذهب في هذه الساعة واكتشف خبر السودان وارى اين هو الجواد واذا تسهل لي ان اصل اليه احتلت واتيت به ولو كان دونه الف عيار ومحتال . فقال له الامير سر على توفيق الله ونجاحه عسى ان الصدف تخولك في هذه المرة كما في غيرها فتأتيني بما نقتضي . فذهب عمر في الحال ولبس ملابس السودان وتزيا بزيهم حتى صار كواحد منهم وانطلق الى معسكرهم واختلط فيهم وهو سائر من مكان الى مكان حتى وصل الى صيوان فرهود فدخله ووقف بين الخدم ونظر الى فرهود في الصدر ومن حواليه عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسمع عمر بن شداد الحبشي يكلمه بشأن الحرب الى ان قال له خيراً واني اكفل لك النصر يا سيدي والفوز لانه خطر بفكري خاطر وهو انه عندي سلسال من حديد اذا القيته على الفرس ولو كان بعيداً علق به فتسحبه اليك سيراً وحيث قد نويت على ان لا بد ان يكون معك فتنال المراد وانا منذ هذه الساعة سأذهب الى صيواني وارجع اليك بعد قليل ومعي السلسال . فقال له افعل ما بدا لك وعجل بالمسير . فانبسط عمر وخرج من جميع من الصيوان وبقي عمر العيار ينظر اليه ويتعجب من خبثه حتى رآه قد خرج من الصيوان وهو عمر بن شداد منفرداً عن فرهود وسار من بين الخيام وهو يخطر بفكره بان حسناً يعود من وقت حضوره ولا يعلم من غيره من الانس والجان وفيما هو كذلك ما شعر الا وعمر بن شداد الحبشي قد قبض عليه من وراه وصاح هذا هو عمر العيار يا سيدي وقد وقع بيدينا وجاء ليحتال علينا فهلموا يا خدم الى مسكه فاسرع الجميع اليه وقبضوا عليه فتحير كيف اخذ بغتة وكيف عرف واراد ان يحاول وينفي عن نفسه فلم يسمع له احد بل كتفوه

وقربوه من فرهود وقال له هـذا يا سيدي رأس العرب وفخرهم فلولاه لما نجحوا ولا فازوا وهو حاميتهم في الليل والنهار وطالما قصدت ان اسرق الامير حمزة او غيره من الفرسان فامتنعت خوفاً منه لانه ساهر العين متيقظ الخاطر لا يغفل عن احد ولا يرى فوزاً بالعرب بدونه ففرح فرهود غاية الفرح وقال طالما سمعت عنه انه شيطان في صورة انسان ولكن اراه كواحد منا وليس من العرب ومن ابن عرفته ولو رأيته الف مرة لما تأكدت الا انه من قومي . قال هـذا لا اعرفه ولا اعرف حيله من هذا الوجه وجل ما اعرفه عنه انه يتزيا بزي كل رجل من رجال هذا العالم حبشياً كان او عجمياً

ثم اخبره بما كان من امر هدهد مرزبان وكيف قتله واحتال على كسرى فتركه يقبل يديه وخاص النساء . فتعجب فرهود وانبهر وقال هذا لا بد من قتله وهلاكه لترتاح الناس من شره وكيده فخذه واقتله . قال ليس في قتله فائدة الان يا سيدي لاننا اذا ذهبنا به الى كسرى انوشروان وسلمناه اياه حياً يقتله وينتقم لنفسه منه اعطانا نصف ملكه واصبح ممنوناً منك شاكراً من صدقك ومودتك وهكذا كل فارس اسرناه سرنا به الى المدائن ولا بد لي من الاحتيال بسرقة الامير حمزة حتى اذا فرغنا من الحرب سرنا بهما الى الملك الاكبر وسوف ترى ما يكون من الاكرام عنده و لانعام . قال صدقت ولا بد من المحافظة عليه والتشديد في اسره واني سأسلمه الى عياري الاكبر فرار واوكله بالمحافظة عليه الليل والنهار ولا يفارقه ابداً حتى ابدد قومه

قال وكان السبب بمسك عمر العيار هو ان ابن شداد كان كما تقدم معنا خبيثاً محتالاً متيقظاً منتبهاً من اكبر العيارين واعظم السلالين وقد عرف ان الامير عمر لا بد له ان يأتي الى صيوان فرهود في كل الاوقات ويغير زيه حتى لا يعرفه احد وعرف هو ايضاً انه اذا رآه ربما اشكل عليه امره وما انتبه اليه فعد عدد الخدم الموكلين بخدمة الصيوان فاذا هم عشرة ففكر انه متى رآهم زادوا واحداً يكون الزائد عمر لكنه بقي عليه ان يعرفه ويعرف من هو من بينهم ليقبض عليه فدعا

بالخدم المذكورين واخبرهم بهذه القضية وقال لهم اني مؤكد بان هذا الخبيث لا بد ان يأتي يسترق منا الاخبار او بالحري يسرق سيدكم واني نويت على مسكه واخاف ان لا اعرفه من بينكم ووضعت يدي على رأسي فليقبض كل واحد بيده اليمنى اذنه اليسار واحداً بعد واحد ومن لم يقبض اذنه يكون هو فيقبض عليه ولا نعفو عنه واياكم من التقصير واوصاهم بذلك كثيراً وان يكتموا هذا الامر بينهم وجعل في كل ليلة دأبه ان يعدهم في كل دقيقة فيراهم على حالهم وهو مكدر كيف لم يأت عمر لانه يشتهي ان يقبض عليه يأخذه الى كسرى ويقبض انعاماته التي وعد بها وصرف نحو عشرين يوماً قلقاً ولكنه ما فتر عن الانتباه وفي كل يوم يعيد الامر على الخدم ويوصيهم بالطاعة ويؤمل انه في اليوم القادم يأتي حتى تلك الليلة فعد الخدم بلحظة وهو يكلم فرهود فرآهم قد زادوا واحداً فسقط الهم عن قلبه وتأكد مجيء عمر العيار وكاد يطير فرحاً لكنه اخفى حاله وخاف ان اظهر امره حالاً فر وطار ولا يقدر على مسكه فمد يده الى رأسه فانتبه الخدم وجعل كل واحد بدوره يقبض اذنه ما عدا عمر العيار فانه ما عرف هذه الحيلة وما انتبه اليها ولما عرفه اكيداً نهض واحتال بقوله ان مراده يأتي بالسلسال حتى بعد عن الصيوان ثم عاد متمحصاً وقبض عليه بغتة . فانفطر قلب عمر من عمله واحتار كيف ان هذا الخبيث عرفه مع ان لا احد في الدنيا يقدر ان يعرفه وصار عمر بن شداد الحبشي يعد نفسه انه ينال نصف اموال كسرى ويتقدم في دولته كثيراً وقال في نفسه لا بد لي من تمام عملي واسر الامير حمزة . ثم ان فرهوداً دعا اليه غيره فوراً وقال له في سلمتك عمر هذا واوصيك ان لا تفارقه دقيقة واحدة لان في عزمي ما زال عندي بن شداد وصار الان يروح واليه من الغنة فجعل دائماً محروضة عليه وقد هرب كان جزاؤك رأسه . قال بنسيمي اني لا افارقه دقيقة واحدة فمن عنده وقوم عليه واطعمه من يدي ولا ادع احداً يراه فسلمه اليه فرهود فوثقه بحبل وربط يديه وشدهم في معصمه وقاده الى خيمته وقعد عنده وجعل يشتمه ويهينه من

يديه وقد شده الى وتدين في الخيمة مربوط الرجلين والايدي وهو يتحرق ويتحسر على ما اصابه

فهذا ما كان منه واما ما كان من الامير حمزة والعرب فانهم صرفوا قسماً من الليل في صيوان اليون شاه بانتظاره فلم يرجع فشغل بال الامير من جهته وقال لا اعرف كيف بقي الى الان وما رجع الينا فقال النجاشي ربما تأخر ليسرق الجواد ويرجع به واني اؤكد بان لا احداً يعرفه منهم لتغيير حالته واخيراً نهض الامير الى صيوان منامته فنام وتفرق العرب كل الى صيوانه . على امل ان ينهض في الصباح الى الحرب والكفاح واما عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانهما بعد ان انصرفا من حضرة فرهود قال الاول للآخر قد تأكد لدينا النجاح ولا بد لي بعد نهاية الحرب ان آخذ عمر العيار الى المدائن واسلمه الى كسرى فننال انعامه . قال لا بد ان الملك الاكبر يسر منا سروراً لا مزيد عليه ولكن يبقى عليه عداوة العرب لانهم لا يتركون عيارهم وعندي ان نحتال على مسك حمزة العرب فاذا فعلنا ذلك تفرق العرب بعد انكسار شوكتهم وسر كسرى سروراً كاملاً فيقتل الاثنين معاً قال صدقت واذا كان لذلك من فرصة فهي الان لان امير العرب ينام مطمئنا لجهله ما وقع على عياره ولا ريب انه بدون محافظة ولا حارس ينتظر عودة حارسه فهلم بنا الى معسكر العرب فنأتي بحمزة فاجابه الى ذلك وانسل الاثنين بين العرب يتباعدان من مكان الى مكان ومن جهة الى جهة والعرب نائمين حجر الامن . حتى وصلا الى مكان الامير حمزة فلم يريا احداً عند بابه سوى خادمين تغلب عليهما النعاس وسطا عليهما سلطان النوم فهجم كل واحد على واحد وبغتة سد فمه والقاه الى الارض واخذا قليلاً من البنج فاشعلاه وحذفاه الى داخل الصيوان وصبرا برهة ثم دخلا وربطا الامير حمزة وحملاه وسارا به في الجهة القريبة من البر . ثم عرجا الى المعسكر وهما بمزيد الفرح والمسرة وكلاً منهما يعد نفسه بالسعادة والاقبال ولما وصلا الى معسكر السودان دخلا على فرهود وهو نائم وايقظاه من فراشه ودفعا اليه الامير ففرح غاية الفرح وقال حسناً فعلتما

وكيف قدرتما على ذلك فاخبراه بعملهما

وبعد ذلك امرهما ان يعطياه ضد البنج ففعلا ولما استيقظ حمزة وجد نفسه بين الاعداء وامامه فرهود وعدواه الالدان ابن شداد وصقلان فعض على كفيه من شدة الاسف وتأكد وقوعه بايديهم وبقي صامتاً . الى ان قال له فرهود كيف ترى نفسك الان فهل عرفت ان عداوة كسرى لا تطاق وان العالم باجمعه يخدمه وانه اذا حاربكم الى آخر الزمان لا يكل ولا يمل ويقدر ان يسحب بعساكره لقتالكم مهما قتلتم ولا بد من هلاكك وموتك باقرب وقت لاريح الدنيا من شرك واخدم الملك الاكبر خدمة صادقة . فقال صقلان سنسير به الى المدائن ونذبحه عند اقدام كسرى اخيه . ثم قال لحمزة اعلم ان اخاك قد وقع بايدينا وما من سبيل لنجاته بعد الان وهو مربوط الايدي والارجل لا يقدر احد الى الوصول اليه . فاغتاظ حمزة من هذا الامر وتأكد عنده ان العرب ستباد بعده وبعد اخيه وندم غاية الندم كيف انه ابقى على هذين الشقيين ولم يقتلهما ويرتاح من شرهما ولكنه اظهر الجلد وقال لفرهود ان كنت تظن حمزة وقع في اسرك وانك تقدر على هلاكه فقد غلطت لان العناية ... على خلاصي في كل دقيقة وسوف تدور الدائرة عليك فتذهب طعاماً للاسنة لان بين جيوشي كثير من مثلي ولا بد من الخسران تري ولو انك اسرتني في ساحة الميدان حتى لك ان تفتخر وتتباهى ولكن بحيلة عار على فاعلها ولو كنت تريد ان تأخذ عمراً كما اخذتني لصعب علي ولكني اكره الاسراف واحب ان آخذ خصمي وجهاً لوجه فافعل الان ما انت فاعل فغضب فرهود من كلامه واراد ان يميته في الحال فقال عمرو بن شداد احابشي بقتله الان تحت الحفظ حتى نبيد قومه ونسير بهما الى المدائن . وعندي ان ترسله الى قلعة حميد على شاطىء البحر وتوكل به حاكم القلعة الى ان تطلبه منه وتوصيه ان لا يسلمه الى احد حتى ولا الى ملك ملوك السودان وحاكم العبيد باجمعها حتى ولا الى كسرى نوشروان الا انت بنفسك . فاستصوب هذا الامر وارسله مع جماعة من عسكره الى محافظ القلعة

وكتب له ان يحافظ عليه ولا يسلمه الى احد مطلقاً . فاخذه المحافظ وكان اسمه الامير هداد ووضعه داخل القلعة واقفل ابوابها واعتمد ان لا يفتح لاحد ورأى الامير حمزة نفسه مقيداً ومأسوراً في ذاك المكان فانطبقت الدنيا عليه وشعر بانسلاخ حياته وخاف كثيراً على العرب ولا سيما على اولاده وزوجاته من كيد الخبيثين واخيراً صلى الى الله وطلب منه المعاونة والاغاثة وبقي على امل الفرج منه تعالى

وفي صباح اليوم الثاني نهض العرب من مراقدهم وافتقدوا اميرهم فما وجدوه ورأوا الخادمين على تلك الحاله ففكوهما وسألوهما عمَّا كان من الامير فاخبراهم بعمل السلالين فتكدروا من ذلك وخافوا على حمزة ووقعوا باليأس والمصائب وعند ما رأى عمر اليوناني حالهم قال لهم لا ترتاعوا ولا تضطربوا فشدوا عزائمكم وقووا قلوبكم واحملوا على الاعداء فاذا فزتم خلصتم الامير ولا ريب ايضاً ان عمر العيار وقع بايديهم واصابه ما اصاب ابي فالاتكال علينا والا ذهبنا ذري الرياح وطمع السودان فينا واصابونا باكبر مصيبة وان كان ابي قد أُسر فانا مكانه وترونني افدي روحي في سبيل النجاح والفوز . فقالوا له اننا نقسم بالله العظيم ان تكون ارواحنا فدية عن الامير ولا نرجع عن القتال حتى نخلصه ونهلك الاعداء او نهلك عن آخرنا . فمدح منهم وامر في الحال بضرب طبول الحرب والقتال فضربت وارتجت منها السهول والجبال وتقدمت عساكر العرب كأنها اسود الدحال وكان فرهود يظن بأن العرب لا تقدر بعد الامير حمزة على القتال ولا يمكنها الثبات في ساحة المجال حتى رآهم وقد حملوا فتعجب من عدم تأثيرهم وركب بعساكره وفي كل نيته انه يوقع بهم في ذاك النهار ويفنيهم عن آخرهم . وباقل من ساعة حمل العرب على السودان واشتبك القتال في كل مكان وكثر الضراب والطعان وفعلت فرسان العربان افعال مردة الجان او عفاريت السيد سليمان وقد القت بارواحها في حفر المخاطر والقت باجسادها بين مشتبك الرماح والخناجر حتى تركت القتلى كالتلول والدماء كميازيب السماء وما جاء آخر النهار

حتى اظهرت لفرهود عظيم فعلها وعزيز بطشها ورجعت عند المساء وفي مقدمتها عمر اليوناني كأنه شقيقة ارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان وقد سر من عمل العريان باعدائه السودان ورجع فرهود وهو متكدر الخاطر مما رأى في ذاك النهار وما حل بقومه من اعدائه الا انه كان بطلًا صنديدًا يتكل على نفسه كل الاتكال ويعرف انه يقدر وحده على ابادة الرجال ولو كانوا بعدد الرمال فعول ان يبارزهم فيما يأتي من الايام اذا عادوا الى الحرب والقتال غير ان العرب في ثاني الايام ما باشروا القتال وقد اختاروا ان يريحوا اجسادهم اياماً قليلة من تعب ذاك اليوم حتى يتمكنوا من الثبات ومن فعل يوم آخر كذاك اليوم

قال وكان الامير عمر عند فرار العيار على ما تقدم معنا يلازمه الليل والنهار ولا يبعد عنه الا قليلًا من الوقت ولم يترك له مجالاً لان ينظر الى احد او يحتال لنفسه في الخلاص وقد قال له بعد اسره بثلاثة ايام ان نجم سعد العرب قد افل وسوف يبادون ويبيدون وتكون بطون وحوش مدافن لهم جميعاً . فقال له عمر ماذا يهمنا يا ابن خالتي اذا سلم العرب او هلكوا فاني غريب عندهم وما انا الا عبدهم وما صدقت ان خلصت منهم ووقعت بيد ناس من السودان عساء البيضان يخلصوني منهم ويعيدون الي حرية فاذ هلكوا خدمت لود لي سيدي فرهود وخدمته معك وتعينت من رجالك لانك على ما يظهر لي من السادات الكرام اصحاب الفضل والاحسان تغار على بني جنسك وترعى حرمة الانسانية وفي رجوت متى لحق بالعرب مصيبة لا تخفى عني لاني فرحت و تأمل نقرضهم باقرب وقت لاتخلص منهم . قال انهم ويل وشدة وقد ... عمر بن شداد الحبشي وصلاح الرومي في معسكرهم ليلًا وسرق منهم حمزة وجاء به في ملكنا وسيدنا فرهود مقيد ذليلًا فارسله في قلعة حديد في وسط البحر ووكل به الامير هـ د و ... بتشديد ... ولا يمكن ان يتخلص من هناك ولا بد ان يأتوا بالعرب و ... بعد ... ولا يتركو منهم سيد ولا خادم و ... انهم يتفرقون وينقرضون بايام قليلة . فلما سمع عمر هذا الكلام تأكدت ... ت

تتمزق وتتقطع وقال في نفسه هلكت والله العرب فاذا تقاعدت عن نصرتهم وعن التحيل بالخلاص اصيبوا وانقرضوا الى آخر الازمان وما بقي منهم انسان الا انه اظهر الفرح وابدى خلاف ما اضمر وقال انرار بشرك الله بالخير يا اخي فهذا الذي كان يجبرني الى خدمته ولا خفاك اننا نحن السودان مهما خدمنا البيضان لا نخدمهم الا خوفاً منهم ومتى لاحت لنا فرصة للخلاص تخلصنا ولو هلكوا . واريد منك يا اخي ان تطلق سراحي لاذهب الى فرهود واعرض عليه خدمتي واتوقع على اقدامه عله يقبل ما اساله اياه . قال اني اكرمك واطعمك واراعيك واما اطلاق سراحك فلا امل به لاني اعرف يقيناً ان سيدي لا يقبل بخدمتك وانه مصر على هلاكك ولا بد من ارسالك الى كسرى انوشروان لتموت هناك . فبكى عمر على حاله وقال له صدقت يا اخي فما من سبيل للحياة وقد نسيت ذلك واني لا ابكي الان على نفسي ولكني ابكي على ما معي من الذخائر التي كنت افوز بها على كل سيد وبطل ومولى واخاف اذا مت يأخذهم كسرى انوشروان او الاعداء اللئام وهي اذا اردت ان اتزيا بزي فرهود سيدكم لما صعب عليّ واذا اردت ان اعرف طرقات الموت والبلاد كلها عرفتها بدقيقة واحدة واذا قصدت الاكتشاف على خبايا العالم وكنوز الارض ظهرت لي كأنها بين يديّ . وغير ذلك مما لا يوجد عند احد من العالم

فلما سمع نرار هذا الكلام مال قلبه الى اخذ هذه الذخائر وحدثته نفسه ان يحتال على عمر العيار ويأخذها منه . فقال له لا ريب يا ابن الخالة اذا مت اخذوها منك وانتفعوا بها ولا سيا هذان الخبيثان اللصان اللذان سرقا جواد اخيك . قال واين هو الان فاخبره بقصته وجعل يقدم له الاكرام ويراعيه ويعطيه الاكل اضعاف ما تعين له حتى جاءه ذات يوم وقال له اني حزين جداً يا ابن خالتي على مصابك ولا اعرف ماذا يصير بك واسأل زحل والنجوم السيارة وكل معبود ان يرضي عليك ويخلصك من ايدي هؤلاء الظالمين . قال لا امل لي بالخلاص لكن يا خي اريد منك ان تقبل مني الذخائر التي اشرت لك عنها فتأخذها ولا تطلع

احداً انها عندك والا نزعوها منك واحرموك اياها فهي تساوي ملك كسرى انوشروان ولا تثمن بثمن من الاثمان . فانت احق بها من غيرك لانك راعيتني واحترمتني واحسنت معاملتي . فلما سمع فرار هـذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وما صدق هذا الكلام وقال له اصحيح ما تقول قال اي وابيك فاطلق لي يدي الواحدة فقط فادفع اليك الجميع واعلمك عن كل واحدة ماذا تعمل بها وكيف تستعملها وبذلك يظهر لك صدق حبي وتعرف اكيداً اني لا اترك مكافأتك واني اعرف الجميل . قال وكيف اقدر على اطلاق يدك وقد منعني سيدي من ذلك واخاف ان تتخلص ويحصل لي من بعدك العذاب ويقتلني سيدي . قال من اين اتخلص وانا مقيد الارجل ويدي الثانية مربوطة وانت واقف امامي لا تبارحني تنظر اليّ وتراقبني ومع كل ذلك فانا لا ارغب في اطلاق يدي الا لاجلك فاذا رفضت ذلك تندم فيما بعد ويأخذ ما معي غيرك وتكون قد رفضت السعادة بيدك فتحركت عواطف فرار الى الحصول على هذه الذخائر وقال في نفسه اذا فككت له يده ماذا يا ترى يقدر ان يفعل وانا بين يديه ورجلاه مقيدتان ويده الثانية مربوطة ومتى اخذت منه هذه الذخائر وتعلمت كيفية العمل بها اعدته الى الكتاف . ثم قال لعمر اني لا اخاف منك يا اخي واجيبك الى ما تطلب وها انا الان افك لك اليد الواحدة واطلقها لحريتك فافعل ما انت فاعل واعذرني على امتناعي لاني اخاف من فرهود فاقتصر على هذا العمل . قال اني اعرف ذلك ولو كان لي قبل امل بخلاص لما سألتك هذا السؤال ورجوتك قبول ما معي ولكني مؤكداً موتي فيأخذ بعدي متاعي واكون مت مغتاظاً مقهوراً محصوراً فاني اظن باني اموت براحة واعرف ان بعدي السبب الذي كنت انقلب به عليهم

وبعد ذلك تقدم فرار من عمر وفك يده الواحدة وقال له قم بوعدك يا اخي فقد اجبتك الى طلبك قال مرحباً بك ثم مد يده الى داخل ثيابه واخرج السيف ذا الشطتين وقال له هاك السيف الذي لا يوجد مثله عند كسرى انوشروان وهو

من عمل اليونان القدماء فاخذه فرار ونظر فيه فاعجبه جدًا فقال جزاك الله خيرًا فما معك غيره فاعطاه الخنجر وقال له هذا يصلح لك لا لغيرك فاعجبه جدًا ثم دفع اليـه المرآة والمكحلة وقال له هاتين الذخيرتين لا نظير لهما فانك اذا نظرت في المرآة عرفت خبايا العالم وتعلمت طرقاتها وما اختفى عليك شيء مما تريده واذا تكحلت بالميل واردت التزيي بأي كان لا يصعب عليك ذلك . قال حسنًا وهبت يا اخي فجزاك الله خيرًا ونظر في المرآة فانبهر وتحير وكاد يطير من الفرح . ثم قال لعمر وهل باقٍ معك شيء اخر يا اخي . قال نعم باقٍ معي ذخيرة واحدة يصعب عليَّ التسليم بها واريد ان احفظها لي قال وما هي . قال هي علبة صغيرة من النحاس فيها برغي اذا حللته ورفعت الغطاء وطلبت اي نوع من الطعام حضر في الحال كانه مغروف من الوعاء ومرفوع عن النار . قال يا اخي انت لم تبخل عليَّ بغيرها فكيف تبخل بها ولا ريب انك مائت لا محالة فيأخذها غيري قال صدقت فخذها الآن واحضر لنا الطعام الذي تريد لنأكل معاً . ودفع اليه علبة بقدر الجوزة وفي رأسها برغ مثقوب فاخذها وقصد ان يفتحها فلم يقدر فقال له عمر امسكها بيدك وشد البرغي بفمك فاخذ العلبة بين يديه وجعل يشد عليها باسنانه وقد توجه البرغي المثقوب الى انفه وكان في تلك العلبة بنجٌ فلعب في انفه وفي فمه وفي الحال وقع الى الارض كالقتيل غير واعٍ الى نفسه فتناول عمر الخنجر وقطع به وثاقه وتيقن بالخلاص وفك رجليه في الحال وتقدم من فرار فربطه وهو غارق بالثبات واخذ منه ما كان اعطاه وخرج من الخيمة مسرورًا وكان الوقت اذ ذاك ظلاماً فلم يقصـد صيوان فرهود بل بقي كامناً الى ان عرف الصيوان المقيم فيه عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي فانتظر بعيدًا مستترًا بالظلام الى ان راهما قد جاءا الصيوان ودخلاه فصبر ايضاً ساعة الى ان تأكد نومهما فجاء من ظهر الصيوان ومزقه بخفـة بخنجره ورمى قطعة البنج مولعة الى الداخل وصبر قليلًا حتى تأكد فعلها بهما فوسع الخرق ودخل منه بخفة وتقدم من اللصين فربطهما واخذ خنجره وقطع اذنيهما وانفيهما واخرج من عبه مرهماً وضعه على

مكان الجرح ليقطع الدم فقطع في الحال فاعطاهما ضد البنج وتركهما وخرج وهو يقول في نفسه اني لو قتلتهما لما فعلت حسناً واذا استيقظا ورأيا حالتهما وعلما اني انا الفاعل انفطرت مرارتهما وبقيت هذه الحسرة بقلبهما الى اخر الزمان

ودام في مسيره حتى وصل الى معسكر العرب وجاء الى المكان الذي فيه العيارون فنهضوا اليه واعترضوه وصاحوا به فاظهر لهم نفسه ولما تأكدوا انه عمر سيدهم صفقوا من الفرح وقام الصياح بالافراح من كل ناح وانتشر الخبر بين الجميع وما من رجل الا استيقظ وجاء يستخبر من عمر عن حاله ونهض عمر اليوناني ورؤساء القبائل وجاءوا جميعاً الى الصيوان الاكبر واجتمعوا وهنأوه بالسلامة وسألوه عن حاله فاخبرهم بما توقع له حتى تخلص من الاسر فمدحوه على فعله وقالوا له اننا نخاف على الامير من العذاب والهول لانه تحت الحفظ وربما فعل به فرهود شراً قال كونوا براحة فما زلت مطلق الحرية اقدر على كل عمل ولا يصعب عليّ خلاص اخي واريد منكم فقط مداومة الحرب والثبات في الميدان تباكروا الى الهجوم على فرسان العبيد الى ان يعود اليكم فارسكم . فقالوا هذا نداوم عليه واننا نثبتون على الحرب ولو بقيت سنين عديدة . ثم انهم صرفوا باقي تلك الليلة دون نوم الى ان اشرق الصباح

وكان عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي قد نهضا من نومهما في ذلك الصباح ونظر احدهما الاخر مشوهاً على تلك الحالة فجعل يضحك منه . واخيراً عرف كل واحد انه اصيب بما اصيب رفيقه فتكدرا جداً من هذا العمل وضاق صدرهما وقال صقلان اني اوكد لك ان ما فعل هـذا الفعل الا عمر العيار وقد تخلص من الاسر وجاء الينا ليترك بنا اثراً سيئاً . قال يا ليته قتلنا لكان افضل من بقائنا وكيف يمكننا ان نواجه احداً ونحن على هذه الحالة واننا لا نخرج الان من الخيمة . وفيما هما على ذلك وصل اليهما رسول فرهود وقال ان سيدي نهض منذ الصباح وجلس في صيوانه واجتمع عنده كل رجاله وانما لم تحضرا شغل باله جداً وتكدر عليكما فبعثني ادعوكما اليه وانظر في امركما . وفي الحال

نهضا وتقدما معه الى صيوان فرهود وكل من راهما في الطريق ضحك وتعجب من حالتهما وهما صابران على ذلك حتى دخلا الصيوان وراهما الجميع على تلك الحالة بلا اذان ولا انوف فضحكوا من هذا العمل وهم لا يعرفون سببه وسألهما فرهود عما حل بهما فقالا اننا لا نعرف السبب وجل ما نعرفه اننا في الصباح نهضنا ونظرنا الى بعضنا واذا نحن على هذه الحالة وان صدقني حذري يكون عمر العيار قد تخلص وجاء الينــا فارسل فرهود الى فرار واذا هو على تلك الحالة فاحضروه اليه ففك وثاقه وسأله عن اسيره فاطرق الى الارض فقال لا تخف اخبرنا بما احتال عليك عمر العيار ولك الامان فاعاد عليهم القصة من اولها الى آخرها . وقال ما كان بظني انه يفعل هكذا وهو مقيد الرجلين واليــد وانا الى جانبه . فقال صقلان انه شيطان رجيم يفعل كل ما يريد وقد حذرناك كثيراً ونحن خائفين ان يفعل ما فعل واعظم

وفيما هم على مثل ذلك واذا بقبائل العرب قد تقدمت طالبة القتال حاملة من كل ناح وارتجت الارض من وقع حوافر خيولها فالتزم فرهود ان يحمل بابطاله وفرسانه وفي الحال انتشب القتال . وراج سوق المجال . وبطل القيل والقال . وزادت الاهوال وعظمت الاحوال . فما كنت ترى الا رأساً طائراً ودماً فائراً . وجواداً غائراً . وغباراً ثائراً . وقد فعل عمر اليوناني في ذاك اليوم افعال عنترة بن شداد وطعن في الصدور والاوراد . والتقى بالوف من الفرسان على بساط الوهاد . ومثله فعلت بقية الفرسان الشداد حتى تركوا الارض مغطاة من اجسام المقتولين ودام القتال الى المساء فضربت طبول الانفصال ورجع العرب مسرورين بفعل ذلك النهار وعمر العيار يمدح من اعمالهم ويشكرهم على افعالهم ولا زالت الحرب مدة ثلاثة ايام حتى ضاقت الارض من كثرة ما تكوم فيها من القتلى وحينئذ اتفق القومان على عقد هدنة الى عشرة ايام ترفع الاموات من ساحــة القتال وكان ذلك بطلب عمر العيار حيث كان قصده ان يذهب في خلاص اخيه من قلعة الحديد وفي نفس تلك الليلة ذهب الى صيوان مهردكار ليخبرها بانه

يقصد الذهاب الى خلاص زوجها فسمعها تبكي وتنوح وتندب بعد زوجها واسره وتنشد وتقول :

بلغ النوى مني مناهُ والشوق جاوز منتهاهُ
يبكي ويبكيه الحبيـ ـب وليس ينفعه بكاه
اهلًا بطيف زائر كشف الدجى عني سناه
حيا فاحيا في الكرى فقضى عليَّ الانتباه
فعل الغريب بنفسه ما ليس تفعله عداه
اهلًا بطيف طارق زاد الردى عني سراه
يحظى به القلب المشو ق ومقلتي ليست تراه

وبعد ان فرغت من هذا البكاء تنهدت ثانية وقالت تخاطب نفسها كيف اصبر على بعده وهو في يد اعداه يقاسي العذاب والاسر لا اعرف هل يبقى عليه او يقتله الاعداء وما من مجير ولا نصير غير البكاء والنواح لقد تغافل عمر العيار وتقاعد القوم عن مساعدتي فهل من منجد لي وهل من مسعف فاليك يا رب اشكو ذلي وضعفي فارحم قلبي واجبر كسري وارحمني ثم عادت فانشدت :

يا راحتي وارتياحي وبهجتي وسروري
ذكراك مونس قلبي في غربتي وسميري
لي انة كل وقت مقرونة بزفيري
لاحرقتها بجمر في صدري لصدور
يا مونسي ونديمي في غيبتي وحضوري
لا تشرح الرسل والكتب بعض ما في الضمير
لو لامست نار شوقي اتيك نار السعير
قد ضاق غل التنائي على خناق الاسير

فلما سمع عمر منها هذا النوح والتعداد حزن لها وشفق على حالتها وعرف انها صادقة المودة كثيرة الحب لاخيه فتقدم منها وطمنها على مقصدها ووعدها انه

سيذهب الى خلاص اخيه ولا تمضي ايام قليلة حتى يكون في معسكره عند قومه وتراه ويرتاح بالها من اجله فشكرته على ذلك ومدحته وقالت له اني رأيتك لاه عني وعنه فكدرني ذلك واني غريبة منقطعة لا احد يسليني فاشكو اليه مصابي . قال اني ما التهيت قط ولكني اشغلت فرهود بالحرب حتى خسر كثيراً من قومه وتعب كثيراً ولذلك ما عاد يمكنه الا الراحة وينشغل عن اخي بجمع العساكر ودفن الموتى واريد منك الان ان تدفعي اليّ كل ما عندك من الحلى والجواهر ولا تظني انها ترجع اليك قالت اليك الجميع فاني لا اسأل عن شيء ولا ارغب في شيء وجل ما ارغبه خلاص اخيك فقط فاسعى بذلك قريباً ولو فقدت جواهري . ثم نهضت واحضرت له كل ما طلب فكان شيئاً كثيراً فاخذه منها وذهب الى حاله بعد ان وعدها بكل خير واوصاها ان تبدل حزنها بفرح وتصبر مدة خمسة ايام او ستة فيكون عندها . وجاء بعد ذلك الى فرسان العرب وقال اريد منكم ان تجمعوا كل السلاح القديم الموجود عند العرب من سيوف ورماح ومحنات وغير ذلك فاخذ العرب في جمع ما طلب وسار هو من هناك ومعه بعض عياريه مسافة يومين حتى جاء البحر ورأى هناك مركباً راسية فنزل اليها مع جماعته بقصد الفرجة ولما صار فيها امر عياريه بان لا يبقوا على واحد من الملاحين ففعلوا وقتل الجميع وجاء بالمركب الى شاطيء آخر منفرد بعيد عن السكان وامر العيارين ان يذهبوا الى المعسكر ويحضروا السلاح الذي طلبه ليشحن به المركب فنقل العيارون السلاح على ظهور البغال والجمال وانزلوه المركب ولما امتلأ امر العيارين ان ينزلوا اليها ولبس هو ملابس ملك كبير عظيم السطوة والقدرة وافرغ عليه تلك الحلى والجواهر من رأسه الى قدمه واخذ المرآة في يده وتكحل بميل المكحلة وقال بحق ما كتب عليك من الاسماء ان تغيري حالي الى حال قابض بن مخلص ملك ملوك السودان وسلطان العبيد الاكبر حتى من رآني لا يظن الا اني هو بنفسه ونظر في المرآة فاذا هو كما قصد وحينئذ امر جماعته ان تحل المراسي وتنشر الشراع وتسير الى ظهر البحر ففعلوا وما مضى الا ساعات قليلة حتى غابت السفينة

عن الشاطيء وبعدت كثيرًا واذا ذاك امر عمر بان يديروا مقدمة السفينة الى جهة قلعة الحديد ففعلوا وصارت السفينة سائرة والريح موافقة لها تخترق البحار وقد نشرت علماً كبيرًا يدل ان رجلًا عظيماً ذا قدر ومقام وفي اليوم الثاني وصل المركب من القلعة وقاربها فخرج الامير هداد محافظ القلعة واعترض على المركب السائرة ان لا تقرب من القلعة اذ ما من اذن لاحد بالدنو منها فصاح به بعض الملاحين وقال له ويلك ما هذه الجسارة القوية هلم الى تقبيل ايدي الملك الاكبر قابض بن مخلص سيد السودان وفخرهم وهو يدعوك الى تقبيل ايديه ويريد ان يسأل منك بعض سؤالات يجب ان تجيبه عليها . فلما سمع هذا الكلام اضطرب وخاف وبادر في الحال الى المركب وهو يتعجب كيف ان الملك العظيم جاء الى تلك القلعة وما ذلك الا لسبب عظيم ولما وصل بين يديه سجد وقبل الارض بين يديه وقبل قدميه ووقف مطرقاً الى الارض ينتظر امره وهو مأخوذ مما شاهد من الحلى والجواهر كانه الشمس المضيئة في رابعة النهار . ثم قال له ماذا تريد من عبدك يا سيدي . قال اريد ان اسألك عن الحرب مع العرب هل تعرف شيئاً عنها . قال لا اعرف الا ان الحرب واقعة بين قومنا والعرب وقد اسروا سيد العرب وبعثوه الى القلعة وهو اسير عندي قال قبح الله فرهود فلا بد من فصله ومجازاته على عدم اعتباري كيف يحارب العرب دون ان يبعث الي ويسألني وقد اهلك كثيرًا من السودان ولما بلغني الخبر حضرت بنفسي طرده وحبسه في هذه القلعة الى ان يموت واما انت فاني اعرف صدق خدمتك وطاعتك لي وانه يليق بك ان تكون ملكاً وسيداً فقد اقمتك حاكماً بدلاً من فرهود منذ هذه الساعة ولكن اكتم هذا الامر وابقه في قلبك الى ان يتم وترى ماذا يكون من امر العرب . فلما سمع الامير هداد سيد القلعة كلام قابض بن مخلص فرح فرحاً لا يوصف وامل بالخير الكثير وانه بعد قليل يصير حاكماً على السودان عوضاً عن فرهود فزاد في اكرام مولاه وتعظيمه وتبجيله ودعاه الى القلعة ليتناول الطعام عنده . قال سأفعل ذلك واتنزل اليه كرامة لخاطرك ولكن خبرني كم عدد

الحرس المحافظين على القلعة . اعلم يا سيدي ان فرهود اعهد اليَّ برئاسة خمسة عشر نفرًا من الحراس وهولاء جميعهم عندي في هذه القلعة . فاظهر عمرًا كدرًا وغيظًا وقال قبح الله هذا الخائن فانه يريد ان يخرب بلادنا ويجعل مطمع الفاتحين نافذًا فيها فانهم اذا علموا بان لا نفر بالقلعة الا خمسة عشر فقد طمعوا فيها وجاءوا اليها وملكوها وهو مشغل بقتال العرب لا يرسل اليَّ بالاخبار ولا يقدر ان يدافع عن السواحل وسوف ترى ما يحل به واجازيه على عدم اعتباري واحترام شأني . فهلم بنا الى القلعة . ثم امر العيارين ان ينقلوا السلاح الى القلعة وامر حاكم القلعة ان يأمر جماعته بنقل السلاح وقال ابقها في القلعة الى حين يصل الينا باقي العساكر والرجال الاتين على المراكب فيتسلحون وينزلون الى الشاطىء . فاجاب امره طوعاً وقلبه يكاد يطير من الفرح ويعد نفسه بكل جميل واحسان

ومن ثم صعد الامير عمر وجماعته العيارون الى القلعة فلاقاهم الحرس وسجدوا لملكهم الاكبر وقبلوا يديه فتبسم في وجوههم فاندهشوا وظنوا بانفسهم انهم ملكوا الدنيا بما فيها . ولما جلسوا قال الامير هداد اذا شئت يا سيدي اتيتك بالامير حمزة العرب الذي اخبرتك عنه بانه اسير في القلعة . قال ما من حاجة لي به الآن وسوف انظر ما افعل به واما انت فاصعد الى اعالي القلعة وانظر لي في واسع البحار هل اقبلت المراكب ام لا تزال بعيدة فاني على انتظارها . فصعد الجميع الى فوق ورأوا مركباً بعيدة جدًا تكاد لا تظهر فعادوا اليه واخبروه بما رأوا فقال لا ريب هذه طليعة المراكب وابدى الفرح والاستبشار وكان بعدة تفريقهم عنه الى اعالي القلعة ارسل كبير جماعته ليضع البنج بالطعام الذي كانوا يصلحونه في الاوعية . وبعد قليل احضر الطعام على الموائد وصف امام عمر وجماعته فقال لهداد ان هذا الطعام هو لكم واما انا فلا ارى ان آكل الا من الطعام الذي اعتدت عليه واحضرته معي . ثم امر ان يوءتى بالطعام فاسرع العيارون وجاوءوه به فوضعوه امامه واخذ في ان يأكل وامر حاكم القلعة ان يجلس على سفرة الطعام مع جماعته فامتنع تأدباً منه وقال حاشاي ان اتطرف بمثل هذا امام سيدي

الاكبر . فقال له اني اريد ذلك فانك صرت منذ الآن من عظماء رجال السودان وسيد عليهم ومثل ذلك هؤلاء الرجال فسأقيم كلًّا منهم على مقاطعة واخص بهم السيادة والتعظم على البلاد . فلم يمكنهم المخالفة وجلسوا جميعهم باحترام وابتدأوا يأكلون ويتعجبون من كرامة اخلاق ملك ملوك السودان صاحب القدر الرفيع الشان الا انهم ما لبثوا ان وقعوا الى الارض كالاموات فامر عمر العيار ان يذبحوا عن آخرهم ما عدا الامير هداد فذبحهم العيارون ودخل هو الى غرف القلعة وفتش بها واحدة فواحدة حتى رأى الامير حمزة في حجرة في اسفل القلعة مظلمة فدنا منه وفك قيوده وعرفه بنفسه ففرح فرحاً عظيماً وشكره منه وصعدوا في الحال الى العيارين وتركوا القلعة واخذوا معهم الامير هداد ولما صاروا في الخارج اضرموا النار بها وركبوا المركب وساروا عليها يتقدمون الى الشط الذي خرجوا منه وعمر يخبر الامير حمزة بما كان من امره مع عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وكيف قد شوه وجهيهم وقد سعي الى خلاصه بعد ان قاتل العرب قتالاً عجيباً وارعبوا السودان وفرهود فسر الامير من ذلك وقال ان الله سبحانه وتعالى قد اجاب طلبنا ونظر غربتنا فلم يبق بذلنا والا لو فقدت انت وانا وتمكن منا الاعداء لتفرق العرب وانقرضت هذه الدولة . فقال له عمر اني اشور عليك بشورة به الخير للعرب وهو ان تضمهم جميعاً الى ملك واحد تقيمه عليهم منهم فيكون للعرب ملجأ من العظمة وعز مئزرة فيصيرون اكثر من الآن انتظاماً وترتيباً لانهم يميلون الى ذلك وعندك [illegible] فيجتمعون تحته فهو فضل من قوم كسرى و[illegible] بسالة . قال هذا لا يكون عنده [illegible] في [illegible] ويطلب الفرسان ذات [illegible] فلا [illegible] فيه ولا [illegible] يظنون [illegible] ان يبقيهم عندي على ذلك الى الابد فيتركون بلادهم ووطنهم مع انهم مختلفو الاجناس وربما كان اكثرهم يرغب في الرجوع الى اهله وملكه وخجله مني جعله ان ينضم الينا ويبقي برفقتنا في وقت القتال

وما زالوا حتى وصلوا الى الشاطيء فخرجوا الى البر وساروا من هناك على

اليابسة حتى وصلوا الى معسكر العرب ولما عرف الفرسان بوصول اميرهم كادوا يطيروا فرحاً وسروراً وتقدموا منه وسلموا عليه وهنأوه بالسلامة ودارت الافراح فيما بينهم وعمت الكبير والصغير والرفيع والوضيع ودخل الامير بعد ذلك على زوجته مهردكار فوجدها منفردة تنتظره ولما رأته دنت منه وقبلت يديه وهنأته بالسلامة فشكرها وقال لها ان الله لم يسمح بذلي وايصال الاذى اليّ . قالت هو يعرف ذلي وتغربي فلا يريد ان يضر بي قط فأسأله تعالى ان يفصم هذه الحال ويريحنا من شر الحروب والعذاب ويرجعنا الى مكة لنقيم على الراحة ايامنا الاخيرة . قال اني اعرف جيداً ان اباك وقومه ولا سيما بختك لا ينفكون عن عداوتي الى ان ينقرضوا او اموت انا وتنقرض العرب ولو كنت اعرف انه يسر برد الشيء الذي اخذته وغصبته اياه ويترك عداوتنا لفعلت فكل ما نحن به من اعمال بختك الوزير لانه هو الذي دس الينا سم هذه الفتنة وبعث بالعيارين عمر بن شداد وصقلان الرومي قالت اني اظن ان ابي يرضى عنك اذا رجعت اليه علم بيكار الاشتهار . قال اني ارضى ذلك ولكني اعرف ان فرساني يتكدرون منه لانه هو الذي يجمعهم ولو كنت اعرف اكيداً انه يرضى به لفعلت ولو اغظت قومي وتفرقوا عني حيث يعودون الى بلادهم واعود الى بلادي ويطيب لي ولهم الوقت ولو كنت اعرف ايضاً ان اباك يحسم النزاع بيني وبينه اذا ارجعتك اليه لفعلت وما ذلك الا حفظاً لراحتك لانك تتعذبين بسببي كثيراً ولم تري سنة واحدة وافتك براحة وامان . فشعرت مهردكار ان قلبها قد نزع من جسدها عند سماعها كلامه وكانت لا تنتظر ان تسمع منه مثل هذا الكلام القاسي غير ان حبها له جعلها ان تبسم في وجهه وقالت وان كان يرضى ابي ذهابي اليه لكني اعرف مؤكداً انك تفضل ان ترى الدنيا قاعاً صفصفاً وان ترى الارض خاوية خالية وروح الله يرف على وجه المياه من ان تراني بعيدة عنك وانا ارى ان كل ما تحمله هو هين وسهل عليّ وجل غايتي ان اراك تاركاً الحرب كارهاً في سفك الادمية وقتل النفوس التي حرمها الله . وقطعت بعد ذلك الحديث معه . ولما

انفردت بنفسها جعلت تبكي على حالها وعلى ما اصابها وخافت من ان يتم ما قاله من انه يرسلها الى ابيها وجعلت تتردد في صدق مودته وقالت في نفسها امثل هذا الكلام يخرج من فم الامير حمزة وانا اعهد به الامانة وحفظ العهد . نعم لا اظن انه كغيره من الرجال الذين اذا طال زمن زواجهم كرهوا نساءهم او بالحري اخذوا في ان يكرهوهن شيئاً فشيئاً ولا سيما اذا لم يلدن اولاداً وكان قلبها وضميرها يتنازعان في هل ان حمزة يفعل ما يقول او انه حكى ذلك ليمتحن محبتها وليعرف هل باقية على حالها او انها ضجرت لكثرة ما لاقت من الاهوال والعذاب والاسفار الطويلة واخيراً سلمت بامرها الى الله سبحانه وتعالى واضحت تترقب الاحوال وتلاحظ اعمال الامير لتعرف ما هو عليه من قبلها ومع كل ذلك فانها كانت لا تفتر عن البكاء قطعاً في كل فرصة والامير يلحظ منها ذلك ولا يريد ان يمنعها عنه وقد ظن ان هذا من جرى الغربة والوحدة وطول العذاب وصار في بعض الاحيان يعرض عنها وفي البعض الاخر يسليها وبقيت على ذلك مدة كما سيأتي معنا في غير هذا المكان

ولنرجع الى ما كنا عليه وبات الامير حمزة في تلك الليلة الى ان كان صباح اليوم الثاني نهض من نومه فسمع طبول السودان تضرب والعساكر تتهيأ فامر ان تضرب طبول العرب وتركب فرسانها وابطالها . وبعد قليل من ساعة نشبت نيران الوغى بين الفريقين . ولعبت بنحورهم اسنة اليمن . واحتاط بهم جيش الهلاك ومن يرغب بالتخلي عنهم ولا الانفكاك . وبقيت الارواح عرضة للفناء . والاجساد محط للتعب والعناء . فكان ذلك يوم عظيم الاهوال . فيه طال حمزة واستطال . وصرح بجد الرجال . الى حفر الآجال . وشك بصدور الابطال . [illegible] . ومددهم على بساط الرمال . وفعل معهم [illegible] . وبطشه وقيه . وكذلك فرهرد فانه قتل منهم وما قصر في ذلك النهار . ونزل على العرب شهب الحرب والدمار . وذاقوا مر العذاب والبوار . لانه كان كلما تقدم معه من الفرسان الذين اشتهروا في ذلك الزمان . وعند المساء ضربت طبول الانفصال فرجعوا عن حرب

والقتال ونزلوا في الخيام وكلهم من التعب على جانب عظيم وقد ملئت الارض من القتلى والجرحى فلم يكن يسمع الا اصوات انين وبكاء وتشكياً ولا سيما عساكر السودان فاظهر فرهود من ذلك غيظه وكدره وقال لمن حوله من رجاله اني اتعجب من ثبات العرب واقدامهم فقد اهلكوا منا كثيراً ولا يزالون على حالهم وهذا يؤدي بنا الى الخراب والدمار فقال له عمر بن شداد الحبشي لقد اعرضت لك قبل الان ان العرب قوم صناديد وجل غايتهم القتال فيساعد بعضهم بعضاً ويتسع عليهم المجال ومن اللازم ان تبارزهم واحداً فواحداً ومتى قتلت رؤسهم هانت عليك الاذناب . قال اني في الغد لا بد ان افعل ذلك وكان في نيتي ان اطلب البراز في هذا اليوم غير ان الكبر منعني وعزة نفسي اوقفتني عن ذلك فانتظرت ان يكون منهم اولاً فلم يفعلوا واما الان فقد نويت كل النية ان اباكر الى طلب ابطالهم وفرسانهم ولي ثقة كبرى ان افنيهم عن آخرهم ولا ابقي منهم من يخبر بخبر . وبات فرهود على هذه النية

وفي صباح اليوم التالي نهض من فراشه فركب فرسه وتقلد بسلاحه وسبق الجميع الى ساحة القتال وكانت العرب قد ركبت وتقدمت وفي نيتها الهجوم الا انها توقفت عند ما رأت الامير فرهود يصول ويجول ويطلب مبارزة العرب وفي الحال صدمه الامير حمزة صدمة جبار صنديد واخذ معه في الحرب والقتال والطعن بالسمر الطوال وقد اتسع عليهما المجال اذ نتقلا من مكان الى مكان فتارة في اليمين وطوراً في الشمال حتى تعجبت منهما الابطال وتحيرت من قتالهما الرجال وهما لا ينفكان عن بعضهم البعض وقد جوفا بارجل جواديهما جنبات تلك الارض . وما زالا على مثل ذلك الى ان خيم الظلام فافترقا على سلام ورجع العسكران الى الخيام وباتوا الى الصباح فتقدموا يطلبون الحرب والكفاح واذ ذاك توسط فرهود الميدان ولعب على الاربعة اركان واراد حمزة ان ينزل اليه واذا به رأى الامير سعد اليوناني قد صار امامه ولما رآه فرهود تعجب من صغر سنه وقال له اني احزن عليك ايها الغلام فارجع الى امك ولا تخاطر بنفسك فما

انت من رجال سيد السودان . فقال له سوف ترى مني ما تتحدث بــه الفرسان جيلاً بعد جيل كيف لا وجدي الامير حمزة البهلوان وابي الامير عمر اليوناني عروس الميدان . ثم صاح به وارتمى عليه فالتقاه فرهود بقلب اشد من الجلمود وهو يتعجب من عمله وصغر سنه مع انــه ولد امرد بديع الصورة جميل الخلقة فغاصا تحت القسطل والتحما كأنهما من امتن القلل هــذا والامير حمزة في حيرة عظيمة من وقوع ابن ابنه بين يدي الامير فرهود وقــد خاف كل الخوف وكاد يطير صوابه فتقدم قليلاً ينتظر ما يكون من امره يلاحظ حركات القتال وقد عزم على ان يخلصه اذا رآه وقع بين يدي خصمه او لاحظ منه التعب والانحلال ولو كان بذلك عليه عار وشنار الا انه كان يرى منه ما يدهشه لانه كان ينقض على فرهود انقضاض الصواعق ويدور من حواليه كقضاء الله المنزل ولا يترك باباً من ابواب الحرب مفتوحاً وما زالا على مثل ذلك الى ان انقرض النهار ومضى بانواره وتقدم الليل ونشر ظلامه على العباد وحينئذ فترق المتقاتلان على سلام ورجع الامير سعد فاخذه جده وقبله بين عينيه وجاء به الى صيوانه وهناك قال له اني اشكرك على ثباتك واقدامك ولكني لومك على نزولك الى فرهود وهو مجرب من الدهر وبطل عظيم وانت لا تزال صغير السن وقد خفت عليك كثيراً وصرفت النهار على مقالي النار . قال اني بعنايتك وداعتك لم يلحق بي ضرر وقــد امرتني امي ان ابرز اليه ولولا انها تعلم في كفوءاً لما سلمت معي بذلك فارسل الامير في طلب ابنته طوربان فحضرت بين يديه . فقال لها كيف تثقين بولدك في الخطر وتسلمين معه بقتال فرهود وليس لك سواه في ذلك لا جنون وبعض منك له . فقالت كلا يا سيدي فاني خرجت معي وربيته بيدي وقد رأيته كثيراً واعرف مقدار شجاعته واقدامه . قال كيف كان الحال فهو دون فرهود لان لانه صغير السن وهذه المرة الاولى التي دخل بها ساحة القتال وكان من الواجب ان يتطرق على الحرب شيئاً فشيئاً وليس من الاصابة ان يقاتل اول مرة مثل فرهود . قالت اني رغب في ان يكون بطلاً عظيماً اي لا يكون دونك في ساحة القتال ومن

يقاتل في اول مرة مثل فرهود وهو بهذا السن لا يصعب عليه فيما بعد ان يزيح الجبال وجل غايتي ان يكون له اعظم اسم بين العرب فاما ان ينال ذلك واما يموت ويندثر خير له من ان يكون جباناً او يخاف مبارزة فارس او بطل ان كان كفرهود او كغيره . فقال سعد لا تخف عليّ يا جداه فالعمر محدود واني اعرف صغر سني واني لست اعد الان من الابطال ولو كان عظمي اشد مما هو لما تركت خصمي يفتل العنان ومع كل هذا فلا بد لي من قتله وارجوك ان تسمح لي في الغد بقتاله ثانية لاريك ماذا افعل فيه . فقال هـذا لا اريده ولا اسمح به فانا اعرف ان فرهوداً قليل المثال ولا اريد ان يبرز اليـه سواي . واما انت فاني اقيمك اميراً على قبيلة الكراد فتكون رئيس قوم منذ الان

فهذا ما كان من الامير وحفيده واما ما كان من فرهود فانه رجع الى صيوانه وهو كثير الغضب والغيظ ولما اجتمع به قومه وجاء اليه عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي سألوه عن حاله في النهار . فقال اني اعرف واعترف بان العرب قوم جبابرة فكل من فيهم يقاتل كالاسد وقد رأيتم ان الذي قاتلني في هذا اليوم لا يبلغ الحادية عشرة من العمر ومع ذلك فليس هو دون الامير حمزة في الجولان والاخذ والعطاء واني اقول الصدق ان حالنا مع العرب في تاخير ولا بد لهم من ان يذلونا وقد مال قلبي اليهم ومن عادة الشجاع ان يحب الشجاع . فلم يكن عمر بن شداد ورفيقه ان يجيبا بشيء ولما اجتمعا ببعضهما قال الواحد للاخر على ما يظهر لي ان العرب ستفوز على فرهود ولا بد لهم بعد ذلك من القبض علينـا ولذلك ارى من الواجب ان نستعد للسفر والرحيل حتى اذا رأينا الغلبة على السودان غطستا تحت الظلام وتعمقنا في جنبات الارض فلا تصل الينا العرب وانا اعرف ان حمزة يطلبنا ولا يتخلى عنا واذا وقعنا بيديه اهلكنا لا محالة . فاجابه رفيقه الى كلامه واعتمدا على السفر والهرب . هذا وقد سرت طوزبان بما ناله ابنها من علو الشان مع صغر سنه وقالت قد صرت الان اميراً على ثلاثين الف فارس واذا اشتد ساعدك لا بد ان يزيد جيشك ويعظم امرك واحـداً بين العرب .

قال لها سوف ترين ما يكون من امري واني لا انفك عن طلب المجد وبعد الصيت حتى انالها

ولما كان الصباح خرج العسكران الى ساحة القتال واصطفا من اليمين والشمال وترتبا احسن ترتيب واذ ذاك سقط الامير فرهود الى ساحة الميدان وطلب المبارزة وان تتقدم اليه الفرسان فصدمه الامير حمزة وقال له هذا اليوم آخر ايامك وقد عولت ان لا اتركك اما لي واما لك . ثم هجما على بعضهما هجوم اسود البطاح . وتطاعنا باسنة الرماح . واظهرا من براعة الحرب ما يعجز عنه كل فارس جحجاح . وقرم نطاح . وقد حجبهما الغبار . عن اعين النظار . وهما مشتبكين اي اشتباك . غير خائفين من الدمار والهلاك . وبقيا على هذا الشان . نحو ساعتين من الزمان . حتى تقصفت في ايديهما عوامل الرماح . فالقياها الى بساط البطاح . وعمدا الى البيض الصفاح . لانها اقرب الى اختطاف الارواح . فوقعت على الطوارق . كوقوع الصواعق وتطاير منها الشرار . كما يتطاير من تون النار . الى قرب العصر . وهما على مثل ذلك الامر . وقد استقتلا وهان عليهما شرب كاس الحمام ولا يرجعان من ساحة الحرب بسلام . ولا سيما الامير حمزة فانه رأى ان المطاولة تضر به ولا ينال المراد الا بالجد والاجتهاد . فرمى سيفه باسرع من لمح البصر وقبض على خصمه بيديه وعول ان يقتلعه من بحر السرج ويرمي به الى الارض ففعل فرهود كفعله وتقابضا على ظهور الخيول ووقعا الى الارض وهما كسبعين درغامين وبطلين عظيمين حتى قرب الزوال فتغلب الامير حمزة على خصمه واستقل وقد اتعبه والحق به الكلل والملل . واخذه اسيرا وسلمه الى اخيه عمر فشد وثاقه ورجع من ساحة القتال . بعد ان ضربت طبول الانفصال . وهو متعجب من شدة باس فرهود وعظم ثباته . ولما رأى عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ما حل بفرهود يقنا بالهلاك وعولا على اتخاذ وسائل الهرب والفرار فطلبا الى عسكر السودان ان ترجع الى المدينة وتبقى فيها الى ان يدبرا طريقة خلاص فرهود فرجعوا جميعاً تحت ظلام الاعتكار ودخلوا البلد وهم بحزن عظيم

على ما حل بسيدهم فرهود . ورجع حمزة الى معسكره ودخل الصيوان وطلب الطعام فأكل حتى اكتفى واجتمع حواليه فرسانه وابطاله وجلسوا في مراكزهم حسب العادة . وحينئذٍ امر بان يقدموا منه فرهود فجاؤوا به اليه وهو مقيد بسلاسل من الحديد . ولما رآه الامير قال له ويلك يا فرهود لقد تعديت واطلت العناد على حين لم يكن بيني وبينك عداوة ولا سبب موجب لاهراق دماء العباد وقد غششت بخداع عمر بن شداد وصقلان حتى القيت بنفسك الى حفر الذل والاهانة فكيف ترى نفسك الان وقد وقعت في يدي وصرت قادراً على هلاكك وان افعل بك ما اريد فاطرق فرهود برأسه الى الارض حياء وسقط الدمع من عينيه لانه رأى ان الموت اهون عليه كثيراً من سماع هذا الكلام فعرف منه حمزة ذلك فقال له وان كنت اعرف اني لو وقعت بيدك لما عفوت عني بل قتلتني او ارسلتني الى بلاد العجم الى عدوي كسرى انو شروان فاني ارغب في خلاصك والعفو عنك لانك من الفرسان الاشداء ونفسي تأنف ان تهين بطلًا استحق العظمة والفخار فاذا آمنت بالله تعالى وتركت الحقد من قلبك حللتك من قيدك واطلقتك . فلما سمع فرهود هذا الكلام من الامير حمزة زاده خجلًا فوق خجل وعلم انه صادر عن نفس كريمة ولذلك قال له اني لا أُلام ايها الامير على قتالك فقد دفعت اليه بكتابة من كسرى انو شروان جاء بها الخبيثان المحتالان ولم اكن اعرف ما انت عليه من كرامة الاخلاق وحسن الطوية وسلامة الباطن واني الان لا اعرف بما اجيبك وقد حملني الخجل ما لا يطاق فاما انك تقتلني فبحقك واكون قد لاقيت شرّ عملي وجوزيت على طيشي وتعديي عليك واما انك تقبلني في خدمتك كواحد من رجالك الامناء ومساعديك الذين في خدمتك واقاتل بين يديك الى ان اموت وادفن تحت التراب . وما تطلبه اليّ من ان اعبد الله فهذا لا امتنع عنه قط بل افعل كل ما تأمرني واكد ان لا دين ولا دنيا تفصلني عنك منذ الان فقد وقعت محبتك من قلبي وما عدت اقدر ان افارقك ولا دقيقة . وسأسلمك عمر بن شداد وصقلان الرومي حال وصولي الى المدينة لانهما بدون

شك يستحقان القتل والصلب والرمي بالحجارة . فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام وتأكد انه صادر عن نية سليمة وقلب صادق تقدم منه واعتذر اليه وحل وثاقه وقبله بين عينيه وقال له انت مخير بالبقاء معنا او الذهاب الى بلدك ومعسكرك ولا ابخل بان اقدم لك احسن مقام عندي . قال اني لا ادخل المدينة الا وانت معي لانها اصبحت ملكك وصرت انا تحت طاعتك

ثم ان فرهود جلس على كرسي بقرب الامير حمزة وقدم اليه الشراب ونهض فرسان العرب واحداً فواحداً وصالحوه وسلموا عليه وترحبوا به وقد ارتاحت ضمائرهم ورغبوا في مصاحبته ولاح لهم من معنى كلامه انه صادق كل ما قال . ثم ان حمزة سأل فرهود عن اليقظان وهل احسن معاملته وكيف لم يركبه ويحارب عليه . فقال اعلم ايها الامير العظيم ان قلبي مال كثيراً الى هذا الجواد ونويت ان اضحي بلادي وملكي في سبيل وجوده على الدوام عندي وحالما وصل اليّ اردت ان اركبه فامتنع عليّ وكان يظهر العجائب فاخذتني الدهشة من امره وزادت رغبتي فيه وقلت انه يحفظ مودة صاحبه ومن رباه فلا يدع غيره يعلو ظهره وقلت لا بد على طول الايام ان ينساك فوضعته في مكان منفرد وكانت بخدمته جماعة من العبيد يقدمون له العلف جيداً ويحسنون سياسته ويعاملونه بلطف . ومع كل ذلك فاني حاولت مراراً ان اقرب منه فيضرب بقوته كل من يقرب منه وقتل جماعة من خدمي . وعليه فاني عدت ان هذا الجواد يحفظ كرامة صاحبه فلا يعود غيره . فبشراك به وبشرى لك وقد حق له ان يفعل اكثر من ذلك . فاغرورقت عينا الامير شوقاً الى جواده وتمنى ان يراه وخاف من ان عمر بن شداد وصقلان يفعلان بالجواد شيئاً فقال فرهود الصواب الآن ان ترجع الى المدينة وتقبض على الشقيين اللذين فيها قبل ان يقع منهم ما يكدرنا وفي الغد انزل انا الى المدينة مع صحبي وفرساني ونرى ما يكون هناك . قال اريد ان تذهب معي يا سيدي . قال هذا لا يمكن ومن الواجب ان تذهب بنفسك اولاً وتعلم قومك بما كان بيننا وبينك وتعرض عليهم عبادة الله عز وجل فمن قبل

كان صديقنا ومن امتنع كان عدونا واعظم من كل شيء ان تسرع بما امكن للقبض على عمر بن شداد وصقلان لاشفي غليل قلبي منهما . فاجاب فرهود في الحال وودع الامير وجماعته بعد ان عزمهم الى ضيافته وان يدخلوا في الصباح الى المدينة وسار الى ان جاء الابواب فوجدها مقفلة فطرقها واخبر قومه بوصوله ففرحوا الفرح العظيم وفتحوا له فدخل واجتمعوا حواليه وهنأوه بالسلامة وسألوه عن سبب خلاصه فأخبرهم بحلم الامير حمزة وعرض عليهم ان يكونوا على محبته ومحبة الله فاجابوه وقالوا كلنا بين يديك نتبع امرك وكل ما وقع عليك يقع علينا قال اني صرت من هذه الساعة من فرسان العرب وسأسير ابن ساروا واقاتل من يقاتلهم وسأختار منكم من يمكنه المسير معنا وقد عاهدته على ذلك الى آخر نسمة من حياتي . ولكنني لا ارى بينكما عمر بن شداد وصقلان الرومي . قالوا اننا حين دخولنا البلد ما رأيناهما وفتشنا عليهما فلم نقف لهما على خبر فثبت لدينا انهما خافا من ان يقبض عليهما الامير حمزة فطلبا الفرار فلم نلتفت الى ذلك وعذرناهما لعلمنا انه يطلبهما دون غيرهما . فاغتاظ من ذلك وامر ان يعاد التفتيش والبحث في كل مكان ومن يراهما يقبض عليهما . فدار البحث والتفتيش في كل ناحية دون الحصول على جدوى فثبت عنده هربهم وكان يريد ان يرضي الامير بتسليمهما اليه ويقدم له برهاناً على خلوصه ثم افتقد الجواد اليقظان فوجده في مكانه فسر من عدم تمكنهما من اخذه وفي صباح اليوم التالي خرج فرهود واعيان قومه الى العرب فوجدوهم يستعدون للنزول الى المدينة فالتقوا ببعضهم البعض ورجعوا امامهم وبالاختصار ان ذاك اليوم كان عظيماً جدًّا فرحت به اهل المدينة فرحاً لا يوصف وقد اخبر فرهود الامير بغياب اللصين فاغتاظ وقال اني لا ازال اترقبهما ولا بد من ان الزمان يساعدني فانتقم لنفسي منهما ولكني اريد اولاً ان ارى الجواد . وحين دخوله المدينة سار الى الاصطبل وامر ان يفتح له ففتح الباب ورمى الامير بنفسه عليه وعانقه وهو يبكي من الفرح واما الجواد فانه جعل يصهل ويمرغ رأسه عليه وكانا كعاشقين متحابين التقيا بعد فراق طويل

حتى تعجب منهما كل من رآهما . ثم فك الامير قيوده واخرجه الى الخارج وسلمه الى سايسه الذي كان قد اعتاد عليه وقد هنأ الجميع اميرهم بجواده ورجعوا الى دار الضيافة وهم على الولائم والافراح . وقد سروا بنهايــة الحرب وقرب رجوعهم الى الاوطان

وبعد ان انقضت مدة الولائم والدعوات قال الامير لفرهود انه لم يبقَ في وسعنا ان نبقى في هذه البلاد اكثر من خمسة ايام ومن ثم نرحل الى حلب قال اني بانتظار امرك وسأدبر نفسي في هــذه المدة . واخذ منذ تلك الساعة في ان يجمع العساكر التي يريد ان يأخذها معه واقام مكانه وكيلاً على بلاد السودان من ابناء عمه واوصاه بالعدل والحلم وان يكتب له على الدوام عما يحصل في بلاده وفي نهاية الخمسة ايام ودع قومه وداعاً اخيراً وقد بكوا على فراقه وبعده واخذ عياله وجميع ما يحتاج اليه من المؤن لحمل الاحمال وكذلك العرب فانهم حملوا باحمالهم وودعوا اعيان المدينة وقد سار مع فرهود من قومه نحو ثمانين الف مقاتل وانضموا جميعاً الى علم بيكار الاشتهار ورفع فوق رؤوسهم ونقلوا عن تلك الارض ومشوا في طريق مصر كل سيد على قبيلته يتأثرون ذلك العلم الكبير الذي كان يجمعهم وداوموا المسير الى ان وصلوا الى اراضي مصر فضربوا الخيام هناك ونزلوا للراحة وبلغ اسمندار حاكم مصر رجوع العرب منصورين ونزولهم في ضواحي المدينة فخرج في الحال مع اعيان قومه وسلموا عليهم وترحبوا بهم كل الترحيب وعملوا لهم الولائم والافراح وذبحوا الذبائح وكانت ايام اقامتهم هناك على خط والانشراح والفرح والمسرة يأكلون ويلهون وما من مر يكدرهم وقد مضى عليهم نحو عشرة ايام على مثل ما تقدم وفي اليوم الحادي عشر اجتمع جميع فرسان العرب في صيوان اليون شاه واخذ كل مركزه معه ان استقر بينهم الجلوس ودار الحديث في مسائل الملوك والسلاطين واحوال الشعوب ومن منهم الفائز ومن المخذول وحينئذ نهض المعتدي حامي السواحل وقال لامير حمزة اعلم ايها الامير اننا اتفقنا على امر ونريد ان نعرضه عليك ولا اظن انك تستحسنه وتوافقنا عليه وتسعى

به معنا في الحال اذا كان لا بد منه . قال قل فاني ارغب على الدوام في كل ما به الخير والنجاح لكم ولي ولقومي اجمعين . قال انت تعلم اننا لا بد ان نرجع الى حلب ونقيم هناك نترقب احوال كسرى انو شروان وتعرف ايضاً ان الحرب لا بد ان تعود الى الانتشاب بيننا وبينه ما دام بختك بن قرقيش حياً لانه يستغنم الفرصة المناسبة ليحمله على الانتقام منا وان كان كسرى لا يرغب في ان يذكر له احد اسم العرب غير ان هذه الحالة لا تدوم معه ولا بد من انه ينهض ذات يوم بهمة اشد من الماضي وهو سلطان عظيم وملكه واسع جداً حتى انه ولو ما قصدنا الحرب فلا بد ان نقصده نحن لننهي واقعة الحال ولا يمكننا ان نتفرق الا بعد انقراض الدولة الكسروية او وقوع المصالحة وارتياح الفكر من جهة الحرب وانقطاعها بيننا . ومن حيث ان الحرب لابد منهـا ونحن حتى الساعة متفرقين الكلمة ولم ينتظم لنا حال كالواجب تارة يتفرق بعضنا وطوراً يغيب اميرنا وعليه فقد اعتمدنا ان يكون لنا من السلطة والعظمة ما لغيرنا ونكون كلنا تحت سلطة واحدة وراي واحد وعلم واحد نجتمع تحته ونسير اين سار . قال اني لا امنعكم من ذلك فانظروا فيما يوافق . قال المعتدي ان ما يوافق لبقاء ذلك هو ان نختار لنا واحداً نقيمه ملكاً علينا ويكون له السلطان المطلق فينا برضانا واختيارنا ويكون على الدوام تحت العلم الاكبر ويختار له مدبرين ومشيرين ووزراء وكما للعجم ملك عظيم واسع السلطة عند العجم يكون للعرب كذلك

قال ان هذا يوافق حالتنا فاختاروا لكم ملكاً وافعلوا ما اردتم بذلك فانا كواحد منكم ارغب في انماء سلطتنا وعلو شأن العرب وان لا يكون كسرى ارفع مقاماً بل ربما نقلنا العظمة والسلطان الذي له الينا . قال المعتدي اننا اتفقنا واخترنا ان يكون صاحب هذا العلم انت ونحن باجمعنا من اتباعك وفرسانك . قال هذا لا يمكن ان يكون ولا اقبله قط واذا كنت انا الملك انقرضت دولة العرب في الحال ووقعنا في مضايق كثيرة لان من الواجب على الملك ان لا يباشر بنفسه حرباً ولا قتالاً بل يبقى على الدوام تحت الاعلام ليعطي الاوامر ويدبر

الملك الى غير ذلك واما انا فاني رجل حرب ولا يمكن اذا وقع قتال بيننا وبين احد الا اكون بالاول وعليه فمن يقوم تحت العلم ومن حوله الفرسان والابطال فضلًا عن اني لا ارغب ذلك ولا ارضاه . فرأى الجميع كلامه حقاً ونظروا الى بعضهم وتكلموا بهذا الشأن الى ان قرّ رأيهم وحينئذ قال المعتدي اعلم يا سيدي ان كلامك هذا هو الصواب وقد اتفقنا ان يكون الحاكم علينا ابنك عمر اليوناني فرفض عمر هذا الامر وقال اني كأبي ارغب في كبح اعدائي وان لا ارى الحرب قائمة واتفرج عليها فاختاروا لكم ملكاً غيري . فعادوا الى التفكر واخيراً اتفقوا وقالوا للامير اعلم ايها السيد اننا اتفقنا اتفاقاً باتاً وما من عذر فيه لك وهو من اوفق ما يمكن ان نعتمد عليه وذلك ان ابنك قباط هو ابن مهردكار ومهردكار هي بنت كسرى انوشروان فقد اخترناه علينا ملكاً لانه من نسل ملكي اصلي وابوه ابن امير مكة المطهرة وفارس العرب واشرفهم وعليه فيكون اختيارنا في محله وما ذلك الا من توفيق الباري

فلما سمع الامير كلامهم عرف انهم اصابوا الا انه خاف من ان يقع تحت لوم مهردكار اذا اصيب ابنها بمصيبة فهي لا ترغب ان تفارقه ولا تريد ان يكون الا امام اعينها بعيداً عن الحكم والقتال ولهذا السبب منعته من ركوب الخيل ومباشرة علم القتال مكتفية بان علمته العلوم الادبية والسياسية . ولذلك قال لهم ان ابني قباط وان كان يوافق ان يكون ملكاً فهو صغير السن لا يحسن القيام بمثل هذه الادارة وتدبير شعب عظيم كالعرب . قالوا انا نعرف صغره لكننا نؤكد ايضاً انه اكثر ادراكاً واوسع عقلاً واعظم سياسة من اكبر ملوك العالم وافضلهم لا سيما وانه تحت وصايتك فما يفوته تبعثه اليه وتحمله عليه فلم يرَ بدّاً من ان يظهر لهم غيته . فقال لهم اني اعرف مؤكداً انكم مصيبون كل الاصابة غير اني لا ارغب في ان اقع تحت لوم مهردكار وتعنيفها فاذا وقع على قباط امر مكروه تصرف كل حياتها بالبكاء وتنوح في الليل والنهار وقع على بني . هو كذا وكذا فاذا كان ولا بد من ذلك فاذهبوا انتم اليها واعرضوا عليها طلبكم

فان اجابت كان خيرًا والا انا فلا اخابرها بمثل هكذا امر . فقالوا لا بد من الذهاب اليها ثم اجتمع سادات العرب جميعاً وساروا الى صيوان مهردكار فدخلوه وسلموا عليها وجلسوا بين يديها فترحبت بهم واكرمتهم واحتارت في سبب مجيئهم جميعاً دون ان يكون معهم الامير حمزة وسألتهم عن ذلك . فقالوا لها اننا جئنا اليك بامر يتعلق بك وحدك ونريد ان نعرضه عليك وتوافقينا في الحال وبه الخير لنا ولابنك قباط . قالت اخبروا ماذا تطلبون . فاخذوا في ان يشرحوا لها بالتفصيل كل ما ارادوا وما دار بينهم وبين الامير حمزة من الكلام وكيف ان امر قباط منوط لخاطرها فاذا لم تقبل لا يوافق الامير فقالت اني اعرف ان هذا الرأي موافق للعرب ولا بد لهم منه الا انه لا خفاكم انه حتى الساعة لم يأتني غير هذا الولد فهو عندي بمنزلة عظيمة واخاف ان يصاب بمصيبة فأقع مع زوجي بالقال والقيل لاني كارهة الدنيا واطلب الموت لا محالة فهو احب لديّ من ان يبعد عني يوماً واحدًا او اسبوعاً ومع كل ذلك كيف لم يأت الامير معكم اليّ وهو ابنه وشريك الرأي فيه

قالوا اننا عرضنا هذا الرأي عليه فاجاب انه يوافق كثيرًا الا انه قال لنا ان مهردكار لا توافق عليه فاخذنا على انفسنا العهدة بان نأتي اليك ونسألك في ذلك ونطلب اليك قبوله اكراماً لخاطرنا ولا ريب اذا قبلت انت التماسنا ورجاءنا سر هو ايضاً . قالت وكيف ايضاً لم يحضر الامير عمر العيار قالوا لم نعرض عليه امر مجيئنا لعلمنا ان الامير حمزة هو اخوه وانه لا يرضى الا اذا رضيت انت فرضاك هو في اول الجميع فانظري في طلبنا نظر حسن الصالح فان العرب باحتياج الى ذلك فاطرقت الى الارض برهة صامتة وقد خجلت من سادات العرب واخيرًا رفعت رأسها وقالت لهم انتم تعلمون ان ابني اذا اجبتكم سيصير رأساً عليكم ويلتزم ان يحمل اثقال العرب جميعها ولو كنا بسلام لكان ذلك موافقاً له لكننا في حروب واهوال وابوه لا ينفك عن القتال وعدوكم هو من اقوى العالم واكثر ملوك الارض رجالاً وابطالاً فلو حاربناه الى آخر الزمان وفي كل يوم شتتنا له

جيشاً لقدر على الاتيان بغيره وتجديد القتال ولا سيما ان عنده رجل خبيث ماكر وهو بختك بن برقيش فاذا عرفوا ان العرب اتخذوا لهم ملكاً مطلقاً وسلطاناً عظيماً ليقيموه في مقام كسرى هاجوا وماجوا وجددوا الحرب والقتال وربما احتالوا على قتل ملككم او اسره او ابعاده عن اعيني فأقع في حزن وانزل الى قبري كئيبة ومع هـذا فانا اجيب طلبكم لكن بشرط ان يأتي معكم اما الامير حمزة واما عمر العيار وتحلفون لي اليمين على محبة الملك وتكلفون السهر على راحته فهذا جلّ ما اريده منكم وارجوكم بان لا تتكدروا والسلام

فلما سمع الفرسان والملوك كلامها سكتوا ولم يجيبوا بشيء وقد علموا انها اصابت في طلبها هذا لان ولدها وحيد عندها وتحبه كثيراً ولا تريد ان تسلم به ولا سيما لانها غريبة وما من سلوة لهـا غيره وساروا من هناك وجاوزوا صيوان اليون شاه ودخلوا على الامير حمزة فوجدوه بانتظارهم . فقال لهم ماذا فعلتم قالوا اننا عرضنا الامر لمهردكار فاجابت تحت شرط ان تكون انت معنا او اخوك الامير عمر فتسلمنا قباط فنكفله هنا ولذلك نريد منك ان تذهب معنا اليها . قال هذا لا يمكن ولا اريد ان اكلم مهردكار بمثل هذا الشأن فطلبوا الى عمر وسألوه ان يذهب معهم فقال لاخيه اتريد ان اذهب واكفل لها ابنها . قال لا تسألني بهذا الشأن فاذا شئت ان تذهب فاذهب من نفسك . فوقف عمر العيار وقال هلموا يا سادات فاني اسير معكم الى عند مهردكار واجيب الى كل ما تطلبه ولو بعت في ذلك حياتي . ثم انهم ساروا جميعاً حتى دخلوا صيوان مهردكار وجلسوا عندها وقالوا لها ها قد جاء معنا عمر العيار وهو يجيب الى كل ما تشائينه منه فالتفتت اليـه وقالت له انت تعلم بان لا اولاد لي غير قباط ولم يشأ الله ان يرزقني غيره فاحبه كثيراً لكني لا اريد ان امنعه عنكم بل ارى من الواجب عليه ان يكون معكم وفيما بينكم غير انه لم يكن رجل حرب يدفع عن نفسه فهل تكفل لي حياته من الاعداء وان تحامي عنه مع الفرسان والابطال فقال كيف وهو ابن اخي واحبه كروحي فاذا اصيب بنائبة كنت له الفداء . قالت اصبر حتى تأتيكم

به . ثم دخلت داخل الصيوان وجاءت بالامير قباط وقالت هوذا سلطانكم فاقربوا مني لاسلمكم اياه فجاؤوا اليها جميعهم فاخذت اليد الواحدة وسلمتها لسادات العرب جميعاً واليد الثانية سلمتها الى عمر العيار وقالت اني اقسم عليكم بالله العظيم رب زمزم والحطيم واستحلفكم بكل نبي عظيم هل تخدمون ولدي خدمة امين وتحامون عنه من اعدائه وتسهرون على حياته كما يريد الله سبحانه وتعالى فاقسموا لها جميعهم وشدد الامير عمر الاقسام ودنا من ابن اخيه فقبله وقبلوا بعضهما وبكيا وحينئذ سلمتهم ابنها فاخذوه وساروا الى صيوان اليونشاه وسلموه الى ابيه فقبله وقال هذا ملككم فارفعوه عليكم وهذا الذي اخترتموه فلا امنعكم منه فدعوا باسمندار وسادات مصر وقاموا بالولائم والافراح من اجل ذلك مدة سبعة ايام وقد زينت المدينة ابهى زينة اكراماً لسلطانهم الجديد وفي آخر الايام جاؤوا بصولجان الملك الذي اعدوه له فسلموه اليه والبسوه تاج سليمان وثوبه ووقفوا بين يديه ودعوا له بالعظمة والجاه وكان قباط ذو ذكاء مفرط فخطب على العرب بوجوب محبتهم لبعضهم البعض ولملكهم وبذلك يسودون على العالم اجمع فضجوا بالدعاء له وسألوا ان يختار له وزيراً من الامراء ليكون مدبراً له . فقال اني اخترت عمي الامير عمر العيار وغيره لا اريد مدبراً ولا مشيراً ولا وزيراً فاستحسن الجميع هذا الرأي وقالوا لقد نظرت موضع النظر ورأيت الرأي الحسن فقال عمر هذا لا اريده ولا احب ان اكون وزيراً فاني لا افارق حمزة ولا ارغب مثل هذه الرتبة . فقال السلطان قباط اني احب ان لا تفارقني فاستمد رأيك واكون على الدوام تحت رعايتك وما من وسيلة للامتناع فانتم اخترتموني سلطاناً وصار من الواجب عليكم طاعتي فاذا امتنعت تكون هذه اول عصاوة وقعت منك . فالتزم عمر العيار ان يقبل ذلك بالرغم عنه وفي الحال رفعوه الى كرسي بجانب السلطان قباط وافرغوا عليه ثياب الوزراء المزركشة وباركوا له بهذه الخطة المهمة وقد اشرط على ابن اخيه امام الجميع ان يكون على الدوام مطلق الحرية بالذهاب والاياب في الليل او في النهار حيث لا يستغني

عن محافظة المعسكر والنظر في احوالهم ومراقبة جواسيس الاعداء . فاستحسن الجميع طلبه ووافق عليه سلطانهم وهكذا أُقيم على العرب رئيس عام بصفة ملك عظيم ووزير اول وكتبت الرسائل وبعثت الى كل البلدان التي دخلت في يد الامير حمزة بان الملك الاكبر هو (قباط) ابن الامير حمزة وان الوزير الاكبر هو عمر العيار

وصرف العرب بعد ذلك مدة شهرين في مصر وهم بالفرح الزائد وكلما يقع بين العرب يؤتى به امام الملك الاكبر فيحكم وينهي بالعدل والانصاف وكل ما يأمر به يجري في الحال وقد طاع العرب من ملكهم واحبوه حباً زائداً وسروا من فصاحته وبراعته وذكائه مع صغر سنه . وفي اليوم الاول من الشهر الثالث اخذوا يفكرون في امر السفر وقد استشاروا ملكهم في ذلك فقال هذا لا بد منه وساعين يوماً مخصوصاً للرحيل . وفيما هم على مثل ذلك واذ دخل عليهم رسول وبيده كتاب وهو من الاعجام فنظر في الجميع ثم تقدم من الملك الجالس على الكرسي الكبير فدفعه اليه بعد ان قدم له شروط الخدمة فنظر فيه واذا به من كسرى انوشروان ففضه ودفعه الى الوزير عمر ليقرأه فقرأه عنه واذا به :

« من كسرى نوشروان صاحب التاج والايوان والعظمة وهو الشاه وحاكم الدنيا بما فيها من بني الانسان وكل ما عليها من الشجر والنبت والحيوان . وناشر على البر والبحر سلطان الراحة والامان . الى جماعة العرب . وسكان البادية الذين تعدوا حقوق سطوتي . وخرقوا شأن سلطاني وحرمتي »

« قد فعلتم معي الافعال القبيحة وتعديتم عليَّ وخدمتم ابنتي برغم عني وسلبتم اول مملكتي والملكتم قسماً من جيوشي والاخير تعديتم عليَّ فقتلوا مرزباني واحطوا من قدري و ذوي فغضبت وصرفت عنكم وعوت ان لا يذكر لي اسمكم في آخر الايام فتركتكم وشأنكم وفي ظني انكم ترجعون عن غيكم وتذهبون الى بلادكم وتتركون عنكم هذا التعدي وترجعون فتتفرقون . فبلغني انه كان من امركم انكم تعظمتم وتختم سكوتي من باب العجز والضعف

واجتمعتم واقمتم لكم سلطاناً عظياً لقبتموه بالسلطان الاكبر وبعثتم الى البلاد التي هي في ملكي وتحت حكمي تعلنون ذلك وتدعوهم الى طاعتكم فعرفت وتأكدت من وزيري بختك ان قصدكم نقل عظمة العجم الى العرب ونويتم على عزلي من تختي وانحطاطي وقرض الدولة الكسروية القديمة العهد ولذلك اخطركم اني منذ الان سأسير في اثركم واقتفي اخباركم واحاربكم الحروب الهائلة حتى تفنون ولا يبقى منكم انسان ولي القدرة الكافية على ذلك وانتم تعلمون عظم سلطاني وعلو شأني واقسم بتربة اجدادي الاكاسرة ان افعل اعظم مما اقول الا اذا رجعتم عن خطابكم ونزعتم التاج عن ملككم الجديد وتفرقتم وكل واحد سار الى بلده فتحفظون بذلك حياتكم وينفصم الشر والخصام وكفاكم ما فعلتم والخير والنجاح لمن نظر موضع النظر والويل والهوان لمن كابر وعمل على العصيان »

ولما سمع العرب هذا الكتاب سكتوا منتظرين ماذا يجيب السلطان قباط وما فيهم من قبل ان يتقدم او يبتدىء الى ان قال اسمعتم ايها السادات ماذا يطلب الينا كسرى فماذا تريدون ان تجيبوا . قالوا انت الآمر فينا والملك علينا فأجب بما تختار فأمر ان يكتب الجواب كما يأتي :

بسم الله الواحد القهار والصلاة والسلام على انبيائه ورسله الاطهار

من السلطان قباط بن الامير حمزة فارس برية الحجاز سلطان العرب والمصريين والاحباش ومن جاراهم الى جده كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان

« لقد وصلتني كتابتك واطلعت على كل ما تضمنته فاذا بها ما يدل على عتوك وتفاخرك وقد تعجبت من ذلك مع انك تعلم ان العرب اصحاب سلطان ولهم الكلمة النافذة في كل مكان وفخرهم مثبوت منذ قديم الازمان والاعجب من ذلك انك تعرف يقيناً اننا اعداؤك الالداء خربنا في بلادك وقللنا من سلطانك فانزلنا من قدرك ولا نزال حتى نبيد شوكتك ونمحو عظمتك فلا يقال فيما بعد كسرى انوشروان وتطلب الينا ترك سلطاننا كأنك لا تزال الحاكم فينا او كأننا

ما برحنا في حوزتك وتحت امرك وفعلنا شيئاً مخالفاً لغايتك . والحاصل فليكن عندك اكبر علم اننا ما فعلنا ذلك الا لننقل الفخر الذي كان للعجم الى العرب ونهدم الايوان ونقيم في المدائن حاكمًا عليها من قبلنا ولا نندهش من ذلك لاننا عبيد لله نأمن به ونسأل منه التوفيق وهو قادر على اغاثتنا ومعونتنا واجابتنا الى كل ما نسأله ولو كنت تعبده لما فعلنا بك شرًا فكن على حذر وعمًا قليل ترانا حول مدينتك وفرساننا تصيح بفرسانك فتشردهم والسلام لمن احب العدل وكره في الاسراف واطاع امر الله بلا تشكك ولا خلاف »

وعند ما قرأ الكتاب سرَّ منه العرب باجمعهم ففرحوا الفرح العظيم ومن ثم دفعوا الكتاب الى الرسول فاخذه وسار يطلب المدائن وبعد مسيره قال السلطان قباط اعلموا ايها السادات ان كسرى ما كتب مثل هذه الكتابة الا وفي عزمه ان يحاربنا ولا ريب انه جمع القوات اللازمة وصار يعزم على حربنا واتباع آثارنا ونخاف ان يأتي حلب او يذهب الى مكة فيدركها قبل ان نعرف شيئًا من اخباره ونحن بعيدين من ديارنا وارى من المناسب ان نرحل من هذه الارض ونترقب حركات كسرى واعماله فاستعدوا للسفر حتى انه بعد ايام قليلة نكون بعيدين عن هذه الديار . فقال الجميع انت على حذر ولا بد من مسيرنا وعلى كل فاننا ننتظر اشارة منك . ثم نظروا الى الامير حمزة فوجدوه يبكي وقد نزل الدمع من عينيه وبلّ شعر ذقنه فاحتاروا في امره وقالوا له لما هذا العمل ونحن الان في فرح لا يوصف وكل شيء معين حسن ومن ذلك يخرج الفخر للعرب ويرد لهم اجمع . قال لي اعرف عظم الفرح الذي نحن فيه ولكني على ذلك تذكرت شيئًا والما عند نفسي به وقد عولت على الرحيل قبل الحصول عليه وصعبت علي من جهته . قالوا وما هذا تطلب واي شيء تتذكر ولا نعلمه نحن . قال انتم تعلمون جيدًا اني في هذه الارض فارقت اخي لندهور بن سعدون وكان وعدني ان لا تطول غيبته وان لا يبرح هذه الارض قبل عودته وحتى الساعة لا اعرف شيئًا عنه ولهذا تروني ابكي ومن منكم لا يعرف فضل هذا الامير وحبه لنا وقد

صرف قسماً من حياته بجد واجتهاد في خدمتنا ولولاه لما اقام شأن العرب في حال غيابي . فقال الجميع لقد اصبت وانتا متأثرون من بعده مثلك ولا نعرف في اي يوم يرجع الينا ولا ماذا صار به وربما سار الى حلب او الى مكه . قال هو لا يزال في بلده فلو جاء لتبعنا الى التكرور واني اقسم بالله لا ابرح من هنا الا عند ما يرجع اليَّ اندهوق بن سعدون ولا بد لي من الاستطلاع على اخباره والاستكشاف عن احواله واطلب الى اخي عمر ان يسرع الى سرنديب الهند ويطفىء من قلوبنا هذه الجمرة وكان عمر العيار يرغب في ان يعرف ماذا وقع على اندهوق لانه كان يحبه كثيرًا . فاجاب طلب اخيه وقال له ابشر ايها الامير فالذي تطلبه انت ارغب به قبلك وسوف اعود اليك بالخبر المفرح ان شاء الله . ثم التفت الى السلطان واستأذنه بالمسير فأذن له وسار من هناك بعد ان ودعهم جميعاً ولا زال في مسيره الى ان قرب من سرنديب الهند فنظر الى بعد عن واد قريب واقع بين اكام تلك الجهة فعرج اليه وكان لابساً ملابس الدراويش حتى من رآه لا يمكن ان يعرفه ولو كان اخوه فتقدم من احد الحراس وسأله لمن هذا المعسكر . قال لاندهوق بن سعدون وهو من كرماء الناس يكرم الضيوف ويحب الدراويش وينعم عليهم فاذهب اليه . ففرح عمر عند سماعه هذا الكلام وايقن بنجاح سفرته من اولها وتقدم الى صيوان كبير مفتوح الابواب من الحرير الاخضر ولما قرب من الباب وقف فيه فوجد اندهوق جالساً ومن حوله ثلاثة ملوك من ملوك التركمان فدنا عمر الى بين يديه وسلم عليه ثم طلب احسانه ومدحه واثنى على كرمه فاعجب من فصاحته وامر ان يدفعوا له ستمائة دينار فدفعوها فاخذها على يديه وجعل ينظر فيها كانه غير راضٍ بها فقال له اندهوق كأن لم يعجبك هذا المقدار من المال . فقال كلا فانه لم يرضني وارى من العيب على رجل عظيم مثلك ان يعطني مثل هذا العطاء القليل . فتكدر اندهوق وقال غير هذا العطاء لا اعطي فاذا قبلته خذه والا فاتركه وتكون قد تركت نصيبك . قال اني لا اذهب من هنا ولا اقبل هذا العطاء وانا رجل طماع احب المال وعندي من مثلي كثيرون ينتظرون ان

اجيئهم بالمال . فادفع لي حالاً ما يرضيني قال وما هو المبلغ الذي يرضيك . قال اخبرني اولاً عن قيمة المال الموجود في خزينتك حتى اعرف ماذا اطلب والا اخاف ان اطلب مبلغاً ويكون في يدك اكثر فيفوتني فزادت حيرة اندهوق ولعبت نار الغضب في قلبه منه الا ان لم يرضى ان يكسر بخاطره لانه فقير ودرويش من رجال الله وفيما هو على مثل ذلك واذا بشيحان كبير عياري عمر وقف في الباب وقال لا تكن طماعاً ايها الدرويش فتحرم نفسك من نصيبك خذ هذا المال فيكفي لاصحابك واذا امتنعت ضربت بهم . فالتفت عمر ورآه وعرف انه لحق به غير انه لم يندهش من ذلك بل قال كلا لا ابرح من هنا حتى يرضيني هذا الامير او يذهب معي الى حيث اقول له . واما اندهوق فانه عرف شيحان واندهش من وجوده وقال له من هذا وقد اشتبه فيه ربما يكون عمر العيار قال هو فخر العرب ودليلهم ونبراسهم في ظلامهم الحالك . فنهض اندهوق واقفاً وسقط عن كرسيه ورمى بنفسه على عمر وسلما على بعضهما وقد ترحب اندهوق بضيفه مزيد الترحاب وابدى من المسرة ما ادهش الجميع . فقال له ايكون عطاء اندهوق الى عمر هكذا مبلغاً قليلاً قال اني ورب الكعبة لا امنع عنك شيئاً وكل ما هو لي تحت امرك خذ منه ما شئت وابقَ ما شئت فشكر منه عمر ونزع عنه ثوب الدراويش وتقدم من الحاضرين فسلم عليهم جميعاً واخبر اندهوق عن كل ما وقع مع العرب في بلاد السودان من الاول الى الآخر فتعجب من ذلك وقال لا ريب ان الامير حمزة موفق جداً وان الله سيعطيه اضعاف ما اعطاه وقد عممت خيراً وحسناً بانتخاب الامير قباط سلطاناً عليكم فلان تمت سعادة العرب ونالوا من المجد ما لم ينله كسرى لان في معسكرهم من الفرسان ما لا يوجد في قطار الدنيا نظائرهم ومن ثم اخذ اندهوق يخبر عمر بكل ما مر به بعد مفارقتهم

وهو انه ما زال سائراً بجماعته يجدون الليل والنهار حتى قربوا من سرنديب ولم يبقَ بينه وبينها الا مسافة يوم فنزلت العساكر في تلك الارض وباتوا الى الصباح وفي الصباح نهض اندهوق وركب على ظهر فيله وامر جماعته ان يتبعوه وسار

مسرعاً لوحده على امل ان يسيروا خلفه عند اتمام ركوبهم وبعد مضي ثلاث ساعات اقبل على المدينة فوجدها محصورة من كل الجهات وحولها ثلاثة ملوك التركمان . فقال والله من مثل هذا كنت اخاف ولم يأخذه صبر ولا توان لانه يعرف ان هولاء الملوك ما جاؤوا بعساكرهم الا عندما تأكدوا غيابه فاراد ان ينادي باسمه ويرعبهم بعمله فصاح فيهم وحمل عليهم وهو ينادي باسمه ويرعبهم بعمله فصاح فيهم وحمل عليهم وهو ينادي ويلكم اوغاد غير امجاد قد جاءكم قضاء الله الذي لا يرد ولا يدفع صاحب هـذه البلاد اندهوق ابن سعدون ساقي الاعداء كاس المنون وهز الرمح بيده وانحذف على التركمان فاضطربوا وارتاعوا وهم يعلمون بعظم بطشه ومقدرته ويتأكدون ان وراءه جيوشه الجرارة وخافوا من ان يخرج رجال المدينة اذا عرفوا بوصوله اليهم فقاتلوه بخوف واضطراب ثم انهزموا امامه الى جهة الشمال وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم حتى بعدوا عن المدينة نحو عشرة اميال وهناك تأكدوا ان لا احد غيره من الفرسان في اثرهم فعادوا اليـه واحتالوا به وقوموا اسنتهم وصوبوا نحوه نبالهم وهو يضرب فيهم ويعدد الرجال على الرمال وقد ترك القتلى كوماً اشبه بالجبال وما زال على مثل هذه الحال حتى لعب به التعب والملال لانه كان يقاتل الوفاً ومئات الوف وهو وحيد منفرد بنفسه وقد بعد عن المدينة وعن قومه واذ ذاك تمكن منه اعداؤه فقبضوا عليه واسروه وكبلوه بالحديد وساروا به الى بلادهم وهم فرحون غاية الفرح مسرورون بما وصلوا اليه وثبت لديهم انهم بعد ان يرجعوا الى بلادهم يجمعون ما قدروا على جمعه ويجددون الحمل على سرنديب فيفتحونها او انه لا بد لجماعته وعمه ان يقصدونهم الى بلادهم فيبددون شملهم ويخلو لهم الجوّ

فهذا ما كان منه ومنهم واما ما كان من جماعتـه وعساكره فانهم بعد ان انتهى انتظامهم ساروا في اثره بترتيب حتى اقبلوا على المدينة فلم يروا حولها احداً فتقدموا من الابواب فوجدوها مقفلة فطرقوها وعرفوا بهم اهل البلد فخرجوا الى ملتقاهم وجاء عم اندهوق اليهم وسلم عليهم وسألهم عن ابن اخيه فقالوا له

انه سار امامنا وفي ظننا انه دخل المدينة . فقال لا ريب انه يحارب الاعداء وقد اجلاهم عن البلد وسار في اثرهم ولا بد انهم يجتمعون عليه ويضايقونه ويأسرونه قالوا لا بد لنا من الاستطلاع على خبره لنعرف ابن راح وكيف ذهب وان كان اسيراً الى اي مدينة اخذ لان بلاد التركمان واسعة جداً ونحن لا يمكننا ان نتفرق فيها ونخاطر بانفسنا قبل ان نتحقق باننا قادرون على خلاصه . فتوافقوا على ذلك وبعثوا بالجواسيس يكشفون لهم الاخبار

فهذا ما كان منهم واما ما كان من ملوك التركمان فانهم اخذوا اندهوق وساروا به الى بلادهم ووضعوه في السجن ووكلوا به الحرس والعيارين وكان السجن في قصرهم يرونه في كل يوم ليتأكدوا بقاءه واخذوا يدبرون في جمع العساكر ليجددوا الحملة على بلاده ويفتحوها ومضت عليهم الايام على مثل ذلك والناس ترد افواجاً افواجاً تتفرج على اندهوق بن سعدون وتتعجب من كبر جثته وعظم هيكله ويتحدثون باعماله وبسالته وصارت النساء تأتي اليه اكثر من الرجال

قال وكان لهؤلاء الملوك الثلاثة عدو قوي يقال له الامير ماجد بن سعد وهو كثير الاعوان وفي كل مدة يسطو على بلادهم وينهب ما تصل اليه يده منها فتقوم الحروب بينهم فتارة يغزون عليه بالنجاح وينهبون امواله وطوراً يغزوهم هو ولا يدع لهم راحة الى ان كانت تلك الايام بلغ الملوك ان الامير ماجد يستعد ليأتي اليهم فهاجوا وماجوا واتفقوا ان يجمعوا بعساكرهم ويذهبوا الى بلاده ويفاجئونه بغتة ولما اعتمدوا على ذلك دعوا اليهم بناتهم وكانت لكل واحد منهم بنت فقط وعند غيابه يعهد اليها بتدبير الاحكام عنه فلما كن [illegible] وقفن بين يديهم قالوا لهن انا سائرون الان الى بلاد الامير ماجد ولا بد لنا من الفوز عليه في هذه المرة [illegible] ولا نرجع عنه حتى نهلكه ونخرب بلاده ونأخذ منه العساكر والرجال ونقفل عليكن باب المدينة فلا تدعن احداً يدخل او يخرج قبل ان نعود نحن الى المدينة خوفاً من ان يأتي العدو الى المدينة ويجد [illegible]

اندهوق لاجل خلاصه واياكن من ان تدعن احداً يقرب منه او يسعى في خلاصه فوعدنهم بكل خير وانهن يحافظن على الاحكام حق المحافظة ولا يفعلن الا ما يرضيهم الى ان يعودوا الى المدينة . واذا ذاك رحل الملوك بعساكرهم يقصدون بلاد الامير ماجد وهم يؤملون بالسلب والنهب والحصول على الخيرات العظيمة في هذه المرة وبعد ذهابهم صار الثلاث بنات يأتين الديوان وينظرن في امر الدولة ويقمن مقام ابيهن الى ان كان ذات يوم طلبت احداهن ان يأتوا باندهوق الى امامهن فوافقها الثنتان الباقيتان وفي الحال احضر مقيداً الى بين ايديهن فنظرن اليه وتفرجن عليه وكن يسمعن بذكره وعظم قدره فتأكد لديهم ذلك وجعلن يسألنه عن بلاده وقومه وهو يخبرهن بكل ما كان من امره ويحدثهن بحديث العرب مع كسرى ووقعه في قومهن بمركز عال وكل واحدة رغبت في ان تسعى في خدمته وتخدمه بنفسها وتسير به الى بلاده وما من واحدة اظهرت غايتها للاخرة لكن كن خطر على بعضهن ذلك وبعد ان ابقينه عندهن في الديوان نحو ساعة رجعنه الى سجنه حيث من الناس الى ان كان المساء رجعن الى قصورهن وما منهن الا يوقف ليلتها وصرن يزرنه ويلعبن معه ويسألنه اذا كان يرغب بالرجوع الى بلاده وهو يجيبهن بما يفتكره غير انهن كن لا يعرفن كيف يتصرفن في امره

وفي ذات يوم حضرن الى الامير ماجد ووصل الى ضواحي المدينة وقد خالف في طريقه ما يبتغين من فتكدرن وعظم عليهن الامر وخفن ان يفتح البلد قبل ان تصل العساكر وتدفعه ولم يكن الا قليل حتى حاصر البلد وجعل يرمي عليها بالسهام والنبال وحط عليها برجاله من كل الجهات الى ان كاد يفتحها وحينئذ اجتمعت البنات الى بعضهن وقالت الواحدة انتم تعلمون ان الامير اندهوق هو فارس عظيم وبطل جسيم وما منا ولا واحدة الا احبته وتمنته وعليه فلكي ننصف بعضنا ارى من الواجب ان نتفق نحن الثلاث ونعرض عليه انفسنا ونسأله ان يتزوجنا ويكون لنا جميعاً وحينئذ نطلقه ونرد اليه سلاحه ونأخذ عليه العهد

بان يرد عنا الامير ماجد ويستلم البلد . فاتفقن على مثل هذا الرأي ودعينه اليهن وعرضن عليه ما تقدم فاجاب اني لا ارغب في الامتناع اذا كنتن على دين الله سبحانه وتعالى وما من مانع يمنعني عن الزواج او يمنعكن . فقلن له اننا على دين الواحد القهار ثم تقدمن اليه وفككن قيوده وسلمنه سلاحه واخبرنه بامر الامير ماجد فوعدهن بكل جميل ونزل الى فيله فركبه واخذ جماعة من اهل البلد ومن العساكر المتخلفة للمحافظة وسار حتى وصل الابواب فامرهم ان يفتحوها وكان عندها جماعة من الاعداء فلما فتحت قصدوا هجوم فصدمهم اندهوق بفيله وصاح فيهم وردهم الى الوراء وهو يضرب في اقفيتهم ويبدد شملهم ولما سمعوا صياحه وانه على ظهر الفيل تفرقوا عنه الى ان خرج بمن معه وجعل يضرب فيهم بصمصامته ويدحرج الرؤوس كالاكر على الارض حتى التقى بالامير ماجد فتجاول واياه ساعة من الزمان ثم القاه قتيلاً على بساط الارض وهجم على جماعته ومن خلفه رجال التركمان حتى فرقوا الجميع واجلوهم عن المدينة ورجعوا كاسبين غانمين وقد ملوا العدد والخيول وكل ما كان للعدو وحينئذ جمع البنات كبار اهل البلد وقلن لهن اننا باتفاق مع اندهوق وقد سلمنا اليه البلد وعاهدناه على ان يتزوج بنا ونكون له فمن منكم يقبل ذلك كان له الخير العظيم ومن يمتنع جزاؤه الهلاك والاعدام فقالوا اننا باجمعنا نرضى ذلك ونتمناه لان مثل اندهوق بن سعدون يحب ويخدم ويفدى بالنفوس . وتقدموا منه وسلموا عليه وبدوا تدعتهم بين يديه فمدحهم ووعدهم بكل نجاح وعقد له على البنات الثلاث وتزوج منهن واحدة بعد الثانية وصار يأتي الديوان وينهي ويأمر واصلح شأن الاحكام .

وبعد نحو خمسة ايام رجع ملوك التركمان الى بلادهم وكانوا وصلوا الى بلاد الامير ماجد فلم يروا احداً وعرفوا انهم خدعوه في طريق فانحطوا على بلاده ونهبوها وما تركوا بها عقالاً ورجعوا على عقبهم قبل ان يفعل هو كذلك في بلاده وداموا سائرين حتى وصلوا الى قرب البلد فوجدوها في غاية الهدوء والراحة ولا واحداً من الاعداء فتعجبوا كل العجب وقربوا من الابواب وارادوا الدخول

وكان اندهوق عرف بذلك فبعث اليهم باعيان المدينة يخبرونهم بالواقع فاذا اجابوا سمح لهم بالدخول واذا امتنعوا خرج اليهم وجازاهم بالهلاك لانه غير مسرور منهم فخرج الشيوخ واوقفوهم عند الابواب وقالوا ان حاكمنا لا يسمح لكم بالدخول . فتعجبوا من كلامهم وظنوا بان الامير ماجد دخل البلد فارتاعوا وسألوا من هو حاكمكم وهل لكم حكام غيرنا . قالوا نعم لما جاءنا الامير ماجد وحاصر المدينة اتفقنا مع اندهوق بن سعدون وسلمناه الحكم وازوجناه ببناتكم فخلص المدينة وقتل الامير ماجد وحكم فينا بالعدل والانصاف وهو كذلك يعاملكم ولا يريد ان يجازيكم على اعمالكم معه الا بالخير والحسنى فاذا قبلتم بما فعل ورضيتم بزواجه من بناتكم فنظروا الى بعضهم وتخابروا ملياً وقالوا ان الامر قد وقع وصار اندهوق صهرنا وهو رجل شريف حسب عالي النسب صاحب كرامة نادر المثل في زمنه وصار كواحد منا ولا يمكن ان نرى لبناتنا زوجاً نظيره . ثم انهم ظهروا قبولهم ورضاهم من عمل بناتهم واندهوق فرجع الشيوخ واخبروه بما كان فخرج الى ملاقاتهم وسلم عليهم وسلموا عليه وشكروه على فعله وعلى قتله للامير ماجد وخلاص بلادهم وقالوا كان في ظننا انك اذا ملكت قيادك تعاملنا خلاف هذه المعاملة لاننا عاديناك وتعدينا عليك مع انك لم تكن قد فعلت معنا شيئاً قبيحاً فعذرهم على ذلك وقال ان ما مضى مضى وقد صرتم الآن انسبائي واقاربي وبلادي وبلادكم واحدة

وبعد ذلك عملوا الولائم واقاموا الافراح وذبحوا الذبائح ودعوا الدعوات وجددوا عرس بناتهم وتمكنت محبة اندهوق من قلوبهم وصاروا لا يفارقونه ولا يفارقهم مدة شهر تام وبعد ذلك اخبرهم بما كان من امره مع الامير حمزة وكيف انه تركه وذهب الى بلاد السودان وقال اني ارغب الآن في المسير اليه وان لا ارغب في البعد عنه ولا افارقه فهو سيد هذا الزمان وبطله وله علي الفضل والايادي البيضاء . فقالوا انا نسمع بذكر هذا الامير وانه عدو كسرى نوشروان وقد بدد رجاله عدة مرات واهلك منهم كثيراً فاذا شئت سرنا معك

الى خدمته ورافقناك في سفرك ولا نرجع الا بعد ان ترجع انت الى بلادك فقال حسناً تفعلون ثم انهم جمعوا رجالهم وفرسانهم ودبروا احوالهم واقاموا الوكلاء على البلاد واوصاهم بالمحافظة على الامن والعدل واذا جاءهم عدو يدفعونه واذا ما قدروا عليه يستعينون بعم الامير اندهوق ويكون البلدان بلد واحد واذا رأوا الغلبة بعثوا بالاخبار الى بلاد حلب وودعوا اهل البلد جميعاً وخرجوا بموكب عظيم يقصدون سرنديب الهند وكان اندهوق قد بعث الى عمه فاخبره بخلاصه وانه سيعود اليه بعد ايام . فلما عرف بوصوله خرج لملاقاته مع قومه وترحبوا بملوك التركمان ودخلوا المدينة باحتفال عظيم وسلموا على بعضهم البعض واقاموا هناك مدة ايام الى ان ارتاحوا وبعد ذلك نهض اندهوق يطلب الرحيل وقد اصحب معه رجاله وابطاله وفرسانه وودع عمه و سار في طريق مصر اي على الطريق الذي جاء منها حتى اذا وصل الى ارض مصر يسأل استمداد عن حمزة فاذا كان لا يزال في السودان سار في اثره واذا جاء حلب سار الى هناك وما سار الا القليل ووصل الى ذلك الوادي حتى جاء عمر العيار كما تقدم معنا الكلام واخبر كل واحد الاخر ما جرى عليه وعلى قومه . وقال عمر اشكر الله يا بن سعدون حيث رأيتك بخير لان اخي يتألم كثيراً لبعدك وهو يبكي على الدوام وكان يقصد سلطاننا السفر الى حلب فابى الامير واقسم انه لا يفارق مصر الا ان يعرف ماذا جرى عليك حتى اذا كنت بخير عدت اليه واذا كنت بضيق سار هو اليك فشكر اندهوق من محبة الامير وسر بالمسير في الحال

قال ولا زالوا سائرين بذلك الموكب وقد سدت جيوش عمه والتركمان الارض بالطول والعرض الى ان قربوا من مصر فنزلوا للراحة وسار عمر العيار ليبشر اخاه بقدوم صديقه واخيه اندهوق ولما اقبل على صيوان اليون شاه ودخله قطب وجهه وعبس وسلم وهو مقطب فردوا عليه السلام وسأله السلطان عن امره وعن اندهوق فلم يجب بل بقي معبساً فعرف الامير حمزة قصده وان له زمان طويل ما اخذ عياديه شيئاً من المال . فقال له خبر بخير ولك مني الف دينار .

فقال السلطان واني ازيدك فوقها اثنين فقال اسمندار ولك مني مثل ذلك وجعل كل واحد يكرمه بقدر مقدرته . الى ان جمع مالاً كثيراً وحينئذ قال للسلطان اني جئتكم بالامير اندهوق وقد تركته في اثري وبعد ساعتين يكون في هذا المكان ففرحوا جميعاً ولا سيما الامير وخرجوا في الحال الى ملاقاته واجتمعوا به وقبلوا بعضهم البعض وكان لهم يوماً عظيماً جداً ذبحوا به الذبائح وضربوا بالدفوف واختلط المقيم بالآتي وعرف اندهوق ملوك التركمان بفرسان العرب وسلطانهم وترحب بهم الامير كثيراً وعين لهم مقاماً بين الملوك في صيوان اليون شاه وصاروا منذ ذلك الحين مع العرب كأنهم منهم . واولم اسمندار وليمة فاخرة اكراماً لاندهوق وللامير حمزة وزينت المدينة بالزين المرهجة الزاهرة . وكان عمر العيار قد دعا بجماعته وقال اتبعوني فقد جئت اليكم بغنيمة باردة فتأثروه فرحين بما سيغنمون ولما صار على اكمة عالية جعل ينثر الاموال وهم يلتقطونها حتى فرغ فتكدر وعاد حزيناً وقال لهم يا ليت اموال العالم كلها لي لكنت افعل بها كما ترون

وبعد ان صرفوا ايام الافراح في ذلك المكان ولم يعد من مانعاً يمنعهم عن الرحيل امر السلطان قباط بالركوب والمسير فركبوا جميعاً بحسب مراتبهم ورفع علم بيكار الاشتهار فوق رأس السلطان وطاف به الحراس من كل ناحية ومكان ومشت بعده الطوائف على الترتيب طائفة طائفة وكل طائفة عليها اميرها وملكها وقد سدوا الفضاء شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ومعهم من الاغنام والجمال والمؤن ما انتشر الى مسافة ثلاثة ايام ومن خلف الجميع للحماية بشير ومباشر وكان فرهود في موكبه ايضاً مسروراً بمصاحبة الامير حمزة ومثل هذا السلطان العظيم وهو يتمنى ان يقع الحرب بينهم وبين كسرى ليقدم للعرب برهاناً على حبه وركب اسمندار لوداعهم كل ذلك النهار وعند المساء رجع الى بلاده وساروا هم في طريقهم ينتقلون من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد حتى قربوا من حلب وعرف بوصولهم نصير الحلبي فخرج الى ملتقاهم بقومه وهناهم بالقدوم ورجعوا جميعاً الى مدينة وسلم الجميع على بعضهم البعض والتقى الاحباب بالاحباب

والاصحاب بالاصحاب وفي اليوم الثاني اجتمع العرب بنصير الحلبي في الديوان فسأله عن حالة كسرى وما سمع عنه من الاخبـــار . فقال جلّ ما نعلمه عنه انه مضطرب الافكار وانه الآن يجمع الرجال والابطال بقصد الحرب والقتال وقد عاد الى المدائن عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي واخبرا هناك باسر فرهود وتملك بلاد السودان وبلغ هذا الخبر كسرى فاغتاظ وبلغه ايضاً انكم اقمت سلطاناً عليكم فزاد غيظه ونوى ان يعود الى ما كان عليه اولاً ولا ريب ان الذي حمله على ذلك هو بختك بن قرقيش . فقال الامير فليفعل ما يشاء فاننا لا نخافه ولا بد من كيده . ثم امر ان تقام الافراح في المدينـة ويتزوج من يريد الزواج من بنات البلد وضواحيها وكان الامير في كل مرة يفعل ذلك ليجعل حلب محطاً محـبوباً من العرب ويزيد نسلهم ويختلط الجميع ببعضهم بسبب الزواج فيصيرون اقارب واهلاً واحباباً فقامت الافراح وتزوج في تلك الايام نحو ثلاثين الف شاب بثلاثين الف بنت فكانت الاعراس قائمة في كل جهة والغناء والرقص غير منقطع من الكبير الى الصغير وصرفوا على الحظ والملاهي نحو ستة شهر على التمام حتى غسلوا اقذار التعب والوصب والعذاب الذي لاقوه في سفرهم الى بلاد السودان ومعهم فرهود وقد رأى لذة عظيمة في صحبة الامير والعرب ونسي بلاده ووطنه

وبعد ذلك قال الامير اننا نريد ان نعرف ماذا يفعل كسرى في هذه الايام وقد انقطعت عنا اخباره ونخاف ان يكون سكوته هذا لدسيسة يفعلها او خداع آخر فنؤخذ فيه بغتة . فقال عمر العيار اني اذهب انا بنفسي كالعادة لاني اشتقت كثيراً ان ارى بزرجمهر واقبل يديه وارى كيف صحته فزودوه السلام اليه والشكر وسار يقطع الفيافي والقفار ويخترق السهول والاوعار الى ان قرب من المدائن واذا به يرى الجيوش مجتمعة خارج المدينة والخيام منصوبة حولها والخيول تسرح كأنها بعدد الكواكب . فقال في نفسه لا ريب ان كسرى يجمع العساكر لقتالنا وحربنا ونزالنا وقــد اخذ بما رأى من كثرة الجيوش والعساكر فاخترق

الاقوام المذكورة ومرَّ من بين الخيام وهو كواحد من الاعجام لا يعرفه احد منهم ولما وصل الى ديوان كسرى واختلط بين الحجاب نظر الى كسرى فوجده جالساً والى جانبه بختك واعيان العجم وملوك القبائل وكلهم يتخابرون بشأن العرب ويتباحثون في شأن حروبهم وبختك يزيد الطعن في العرب ويحرك من ضغائن كسرى ما استتر وعمر يسمع ويرى ويقول في نفسه لا بد من ان نريك كيف تفعل العرب. وبقي صابراً الى ان انقضى النهار وانصرف كل الى قصره وسار بزرجمهر الى بيته فتأثره حتى دخل خلفه ولما انفرد به تقدم منه وقبل يديه وبلغه سلام اخيه وسلطان العرب وقال له اني اتيت مستخبراً عن احوال كسرى ولماذا يجمع هذه العساكر . فقال له اني كنت بشوق اليك لاعرف منك ما تفعل العرب واخاف ان يناجشكم كسرى وانتم في غفلة وينال غايته منكم وقد عزم في هذه المرة ان يجمع من العساكر ما تضيق الارض دونه ولا يعرف له اول من آخر ومنتهى ما عرفت من الذين سيسيرون الى حربكم ان عددهم ٢١ كرة وقد ابتنى كسرى في هذه الايام مدينة سماها نهروان وارسل اليها افلنطوش وزوبين مع خمسة آلاف فارس من فرسانه لينتظرونه هناك وتعوق منتظراً داهور الهندي لا عمر بن شداد الحبشي وصلان الرومي اخبراه ان داهور هذا من اشد فرسان العالم بسالةً واقداماً لا نظير له في هذا الزمان فعلق به كبير امل . قال عمر اني لا افارق هذا المكان حتى يصل داهور وانظره وامتحن بافكاري شجاعته ولكن اريد ان اسألك كيف ان كسرى بعد ان منع على اذنيه سماع ذكر العرب رجع الى عداوتنا وعمل المحاربة . قال انه كان اصرَّ اولاً ان يترككم وشأنكم لانه يعرف التعب الذي يلحق به من جري تأثركم غير ان بختك عند ما بلغه ما نعلتم في السودان تكدر جداً وجعل يدس الدسائس لينهض همة كسرى وقد وجد وسيلة كبرى عند ما وصل اليه الخبر بانكم اخترتم سلطاناً كبيراً عليكم وبلغه ذلك وسطة نسبه فتكدر كسرى وتصور انكم ما عملتم ذلك الا وفي نيتكم نقل كرسي الاكاسرة الى مكة ونزع الملك منه فخاف على عظمته

وشرف دولته فعاودت تحركت في نفسه دواعي الانتقام وعزم ان يفاجئكم في هذه المرة بقوة تفوق الحد واقسم انه لا يرجع عنكم اما بخرابكم واما بخرابه ولو جمع في كل يوم مليوناً من الانفس. فقال عمر اننا نستعين عليه بالله خالق الليل والنهار. ولكن اريد ان اسألك هل يوافق ان اخبر اخي بالذهاب الى نهروان قبل ان يصلها كسرى. قال اني احب ذلك واذا وقع بايديكم زوبين وافلنطوش فاقتلوهما فقد طال امرهما لانهما من المكر على جانب عظيم فضلاً عن ان في نهروان مونة كسرى وعساكره وقد ارسلها الى هناك وقصد ان يجعل تلك المدينة محطاً لانتقاله فتكون جامعة لذخائره واحتياجات جيشه على الدوام

قال وبقي عمر في المدائن مدة اربعة ايام وفي كل يوم يأتي الديوان ويختلط بين الخدم والحجاب الذين كانوا كثيري العدد وعند المساء يعود الى قصر بزرجمهر ويبيت عنده يلتقط من كنوز جواهر معارفه ويتبرك من ادعيته وتلاوته. وفي اليوم الخامس وصل الخبر الى كسرى بقرب وصول دهور فامر بختك والاعيان ان يخرجوا الى ملاقاته فخرجوا جميعاً وخرج في بينهم عمر العيار ولا زالوا سائرين حتى رأوا العساكر قد اقبلت افواجاً افواجاً وكلها من رجال الهند الطوال القامات واكثرهم يركب الافيال والخيول العالية ورجلاه تكاد تبلغ الارض. فتقدم عمر ليرى دهور الهندي فوجد بختك قد وصل اليه وسلم عليه وترجل الجميع للسلام فنظر فيه وتأمله فاعجبه جداً فختبره بعقله وعرف انه من ابطال الحرب والقتال نادر المثال في زمانه ورآه طويل القامة جداً يزيد عن اطول رجال قومه نصف ذراع عريض الاكتاف جداً وسيع الصدر طويله كبير الرأس وعليه من السلاح المتين ما لا يقطع فيه السيف اليماني ولا تخترقه الصواعق الشداد وبعد ان رأى عمر ما رأى قال في نفسه يلزم اولاً السعي وراء التدبير وما من الحسن ان ابقى في الديار بعد ان شاهدت ما شاهدت من صعوبة الامر ولا بد من الاسراع الى اخي لادعه يأتي نهروان قبل ان يأتيها كسرى حيث لا يزال مشغلاً بالاستعداد وبداهور ثم اطلق ساقيه وضرب الارض برجليه فخرج يجري كانه فرخ النعام

حتى وصل حلب بقليل من الايام ودخلها بسلام واذا به يرى العرب مضطربين عليه لانهم رأوه قد تعوق عن العادة تخوفوا ان يكون قد وقع في ايدي الاعجام كون عمر شداد الحبشي وصقلان الرومي من اكثر اهل الارض خداعاً فيمكنهما ان يتوصلا الى معرفته وكلهم بقلق زائد وكدر لانه اذا فقد لا تعود تقوم لهم قائمة ولا سيما ان كسرى انوشروان متكدر منه جداً ويرغب في هلاكه ولو بذل نصف ملكه. ولما رأوه فرحوا كثيراً وسلموا عليه وسألوه عن سبب عاقته فاعاد عليهم كل ما رأى وسمع من الوزير بزرجمهر واخبرهم عن داهور الهندي وعظم جثته فقال حمزة نحن لا نخاف عظام الهامات والاجسام واني اريد الان ان نذهب الى نهروان ونستولي على المهمات والذخائر ونأسر افلنطوش وزوبين ونهلكهما مع الذين معهما قبل ان تصل عساكر كسرى اليهما . فمن منكم يوافق على ذلك فاجاب الجميع اننا تحت امرك وامر سلطاننا فاذا امرتنا سرنا في الحال وما زال علم بيكار الاشتهار يجمعنا فكيف مشى نمشي من حواليه . وحينئذ امر الملك قباط ان يستعد الجميع ليرحلوا على عجل في صباح اليوم التالي وعند الصباح ركب السلطان على جواده واحتاط به حراسه والى جانبه عمر العيار كوزير عظيم وبين يديه عياروه وخدمه ورفع علم بيكار الاشتهار فوق رؤوس الجميع ومشت المواكب والكتائب افواجاً افواجاً وكلهم كالبحور الزواخر من طوائف مختلفة وزمر متعددة بعضهم عرب بادية وبعضهم مصريون ومغاربة وهنود واحباش واكراد وتركمان الى غير ذلك وداموا المسير الى المساء فنزلوا على بساط القفار وضربوا المضارب والخيام للمبيت وبعد ان اجتمعوا في صيوان السلطان حسب العادة لصرف السهرة نهض الامير سعد ابن الامير عمر اليوناني وتقدم من عمه السلطان وقال له اريد منك ان تسمح لي بالذهاب في مقدمة الجيوش وان اتقدمكم اولاً لان من اللازم ان يسبقكم احد الفرسان ليشغل افلنطوش بالقتال قبل ان تأتوا حيث ان كثرة عددنا لا تدعنا نسير بالعجلة الواجبة . فلما سمع ذلك الامير حمزة اعترضه قبل ان يجيبه السلطان وقال له لا يجب ان تنفصل عنا

وتتركنا ولا اريد منك الا الطاعة على الدوام واذا سرت وحدك لا يمكن ان تنال المراد واذا قسم الجيش الى شطرين لا يوافق ومن الصواب ان نبقى كلنا الى بعضنا ولو تعوقنا بزيادة ثلاثة ايام

قال اني اطيعك يا سيدي بكل شيء الا في هذا الامر فلا لاني عزمت كل العزم ان لا ارجع الا بعد ان انال مرادي ولا بد لي من ان اسبقكم واسير في هذه الليلة لان لي ثاراً على زوبين الغدار وافلنطوش واريد ان اشفي قلبي منهما . فقال له اهل ان امك حملتك على هــذا العمل واخبرتك بما كان من امر زوبين معها . قال اني عرفت انه عدوها والحت عليّ ان اركب في مقدمتكم بجيشي واسير فوعدتها بذلك ولا يمكن ارجع مطلقا ولو قطعت ارباً ارباً . فغضب الامير حمزة من عمل طوربان ودعاها اليــه في الحال فجاءت وسلمت عليه وسألته ماذا يريد . قال ان ابنك اخبرنا انك سألته الذهاب امامنا الى نهروان ليحارب زوبين الغدار ويلقي بنفسه في مواقف الاخطار . قالت نعم اني فعلت ذلك ولا انكره قال كيف يهون عليك ان تخاطري به الى هذا الحد فاذا قتل تعدمينه وليس لك سواه فضلاً عن انك تريدين ان تحمليه على العصيان ومخالفة امري . قالت معاذ الله من ذلك وجل ما اريد ان يسعى خلف المعالي بنفسه وانت تعلم ان زوبين زاد الغدر بي وفعل معي افعالاً لا يمكن ان ننساها الى آخر الزمان ولا سيما عندما قصد حرقنا بالنار وحرق ولادنا وعليــه فان بني كان قد مات من تلك الايام فزيادة عمره كانت من منة وخير عندي ان يموت تحت ظل السيوف من ان اراه متقاعداً عن الخدمة ومتكلاً على غيره ولا اريد قصداً الا ان يشتهر وحده ولا ويشفي غليل قلبه وقلبي . فلما سمع الامير حمزة كلامها تكدر منها وعنفها بالكلام وابى ان يسمح لابنها بالذهاب فخرجت غضبى ونويت كل النية على الذهاب والسفر في تلك الليلة

وبعد ان نام الامير حمزة بنحو ساعتين جاءه عمر العيار وايقظه من نومه وقال له ان الامير سعداً قد ركب بجماعة الاكراد وسار فطلبت اليه ان يرجع فابى فهو

عنيد جداً لا يسمع ولا يصغي . فامر الامير ان يأتيه بابنه عمر فسار اليه ودعاه الى ابيه ولما جاء قال اريد منك ان تذهب الى ابنك وترجعه عن السفر . قال اني لا افعل ذلك وقد نهيته فما قبل لانه محب لامه فامه لا تقبل الا ان يسير في الاول وعندي ان ندعه وشأنه ففي الصباح نسير في اثره ومهما سبقنا لا يسبقنا بكثير فلا يبعد عنا كثيراً فسكت الامير وهو غير راض من الامير سعد ومن عناده وخائفاً عليه ان يرمي به جهله في حفرة الخطر فيعدمه وهو من الابطال الاشداء .
وعند الصباح مر العساكر ان ترحل والفرسان ان تركب فرفعت الاحمال وركبت الرجال وساروا يتقدمون خلف الامير سعد الى جهة نهروان . وكان الامير سعد بعد رجوعه الى معسكره امر الغضبان رئيس الاكراد ان يستعد للرحيل ويأمر الرجال بالمسير بعد قليل ففعل وبعد ان تنصف الليل ركب وركب الغضبان وطوربن وساروا فشعر الوزير عمر العيار به لانه كان ساهراً على المعسكر فاعترضه فلم يستفد شيئاً وبقي سائراً بجد واجتهاد وهو يتمنى ان يصل الى نهروان ليأخذ لنفسه بالثار من زوبين الغدار وجده افلنطوش المكار . ولما وصلوا الى قرب معسكر الاعجام كان الوقت ليلاً فوقف سعد ونظر اليهم ثم قال لامه اعلمي اني لا اريد ان اضيع هذا الوقت عبثاً وفي نيتي ان اكبس الاعداء وارميهم بالفشل قبل اتيان الصباح . قالت افعل ما انت فاعل . قال اذاً ننقسم الى ثلاث فرق ونهجم عليهم بغتة فانا اتكنى بالامير حمزة وانت بالاندهوق بن سعدون والغضبان بالمعتدي حامي السواحل واذا رأى الاعداء ذلك ظنوا ان العرب اجمعهم كبستهم فوقعوا بالارتباك وتفرقوا . فاستصوبت رأيه وانقسم الاكراد الى ثلاثة اقسام كل عشرة آلاف في ناحية تحت امرة واحد

وبينما كان الاعجام نائمون وهم آمنون من حوادث الايام ولم يكن يخطر لهم قط ان العرب تصل اليهم او تعلم بهم واذا بالامير سعد قد انحط عليهم كأنه قضاء الله المنزل ونطقت العرب من كل ناحية وعملوا في اعدائهم السيوف والصوارم وشغلوهم بالصياح والصراخ وارعبوهم رعبة عظيمة فاستيقظوا خائفين

هائمين واسرعوا الى خيولهم فركبوها وجعلوا يدافعون عن انفسهم وهم بارتباك عظيم والامير سعد يفعل بهم كما تفعل النار بالقش اليابس وينادي انا الامير حمزة العربان فارس هــذا الزمان فيقلب الميامن على المياسر والمياسر على الميامن وقد ترك القتلى كالتلول بين يديه وكل من وقع امامه كان جزاؤه الاعدام . ومثل ذلك فعلت طوربان والامير الغضبان وما برحت الحرب قائمة على ساق وقدم الى ان اشرق النهار وبان العدو من الصديق وحينئذ نظر زوبين وافلنطوش ان عدد الآتين قليل جداً وكانا قد ركبا جواديهما وتقدما للاختباء في جهة المدينة مع كثير من قومهما ولما تحققا الخبر عند الصباح وعرفا ان لا حمزة هناك جمعا فرسانهما من كل ناح وقتلا كل ذاك النهار الى المساء وقــد قتل في الليل نحو خمسين الفاً من الاعجام وفي النهار ثبتوا ولم يقتل الا القليل وفي اليوم التالي اصطف الصفان وترتب الفريقان وكان عدد جماعة افلنطوش نحو اربعمائة وخمسين الفاً والاكراد ثلاثين كما تقدم فحملا على بعضهما البعض حملات اسود الغاب . واضرما نار الهلاك والعذاب واشتد الدمار والوبال وعظمت الاهوال وضاقت الاحوال وكثر القيل والقال ودارت عساكر الاعجام بالاكراد وعملت فيهم بسيوف الحداد ولولا الامير سعد وطوربان لما ثبتوا ساعة من زمان لانهما كانا يفرقان الجيوش فيطرحانها على بعضها البعض ويمددانها على تلك الارض ثم يعودان الى جهة العساكر فيريانها قد اهتزت وتأخرت فيقويانها ويدفعان عنها الى ان يقوما في وسط الجموع وزوبين وافلنطوش يصرخان خوفاً ويمسك طوربان ووالدها ويحيطان بعساكرهما تهيج عليهم حتى ضاقت من الاكراد الانفس ووقعوا بقنوط واليأس ويقتلوا بالالات لا محل اذ يغضب انهم بسرعة رجال . وقد خاب رجاء الامير سعد من قومه وعرف انه لا يبقى حي في ... الا ان يكون هو ومعه طوربان فقط وقــد تعبا كل التعب لانهما قاتلا جيشاً عرموماً كثيراً ... لا ... وكانت طوربان عينها بتلك الساعة ... ان تموت شريفة ولا توجد اسيرة وجل غايتها ان تصل الى زوبين فتقتله ويصل اليه بنو قومه خيانة وبعد ذلك ... قتلت وقتل

ابنها فلا اسف عليهما وقد خافت كل الخوف من ان تعدم هذه الغاية . ومن ان يحل بها مصاب قبل هلاك زوبين

وفيما هما على مثل ذلك وعساكر الاكراد ترجع الى الوراء والامير سعد وامه في وسط الاعداء وقد داروا حواليهما كالبناء المرصوص ووطدوا العزم ان لا يرجعوا الا بهلاكهما او اسرهما وزوبين من فرح الناس بذلك وهو يتعجب من اعمال سعد ومن حملاته التي تزعزع الجبال . واذا بالاصوات قد خرجت من طرف البر وعساكر الهند قد اقبلت وهي مسرعة طالبة القتال وحملت باسرع من ريح الشمال وفي مقدمتها فارسها الاوحد وبطلها الامجد وقد حمل على الاعجام حملة الذئب الكاسر او الاسد الثائر وقد فرق الجموع وابلاهم بالويل والفناء وكساهم اثواب الفشل والعناء وهو ينادي بشر يا سعد فقد جاءك الاندهوق بن سعدون يسقي الاعداء كأس المنون . وكان من خلفه فرسانه وملوك التركمان فحملوا من كل ناحية ومكان حتى ارتجت من حملهم الارض واتسع على الامير سعد وطوربان المجال فطالا واستطالا وضربا في الاعجام بالصوارم الصمصام وابلياهم بالهلاك والاعدام وصارا هما من ناحية والاندهوق وملوك التركمان من ناحية حتى زاد الصراخ والصياح ولحق بهم التأخر وعدم النجاح فعولوا على الهرب والفرار قبل الهلاك والبوار . غير ان الامير سعد وجماعته سدوا عليهم الطرقات واحاطوهم بجيوش الموت وصوارم تخترق الصفوف وتبدد الالوف وتود ان تلتقي بزوبين الغدار تسقيه كأس البوار . غير ان ابنة الامير سعد سبقتها اليه وهو عامل على الهرب وسد في وجهه كل مذهب وضربه برمحه فقلبه عن ظهر الجواد فادركه بعض رجاله وشد كتفه وربطه بحبل . وبعد ذلك التقت طوربان بابيها فحاول ان يضربها بسيفه كيدا وبغضا لما رآها تفعل هذه الافعال فاخذت لنفسها الحذر منه ورمته الى الارض واخذوه اسيرا وقرنوه الى صاحبه وصديقه بالغدر والخيانة زوبين الغدار . هذا والقتل عامل في الاعجام من كل ناحية وقد سد الله في وجههم طرق الهرب فلم يعرفوا كيف يسيرون ولا في اي طريق ينجون وسعد كالاسد

الكاسر لا يقع نظره على واحد الا وانحط عليه واعدمه الحياة باقل من رمشة عين او اسره وسلمه لاصحابه وكان من جملة الذين اسرهم عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي

هذا ومن جاء العصر من ذلك النهار وفي الاعجام من يقدر على المدافع وقد فنوا عن آخرهم تقريباً ولم يبقَ منهم الا النزر القليل الذي لا يذكر يوصل الخبر ومن ثم اخذ العرب في ان يجمعوا الاسلاب والغنائم والخيول وقد التقوا ببعضهم البعض وسلم الامير سعد على اندهوق بن سعدون وشكره من غيرته وحبه وكانت ضربت مدحته جداً وقالت له ولاك في البعض الاوحد لنجحنا قط بل كان العب لحق بنا وخسرتونا . فقال من مثل هذا كان يخاف الامير حمزة وقد بعثه في اثرك في اليوم الثاني لاننا سرنا كل النهار وعند المساء امر السلطان بالنزول والمبيت في الارض على جنب الطريق فامتنعت انا واخبرت الامير بأني في خطري ان اسير في اثرك واستحسن هذا رأيي واذن لي بالسير خلفكم وان لا اتأمل او اتعوق في مسيرتي بحيث لا يبقى بيني وبينكم الا مسافة يوم وفي هذا اليوم لا يقع عليكم التأخير فعملت على ان ادرككم وتم على [illegible] و [illegible] الله على سلامتكم وخلاصكم ونوال المراد من الاعداء الاوغاد ولا ريب ان الامير وسائر العرب سيسرون جداً بهذا النصر لهم وبزوال هم عنهم وينتقمون منهم . فقال سعد كيف لا [illegible] قتل روبين الغدار و [illegible] على [illegible] وكانت جثته منفوش حيث [illegible] يحرقنا وينتقم منا [illegible] فتنة [illegible] قصاصاً على عمله . وبعد ذلك رجع العرب الى خيامهم [illegible] وكل [illegible] وكان فرح شديد [illegible] وكان الاعجام [illegible] من المعركة [illegible] في طريق [illegible] يقصدون كسرى نوشروان حتى وصلوا وهم منقطعون من عشرة وعشرين ينددون ويبكون [illegible] وقد عرف جميع [illegible] الاعجام في [illegible] وقتلوا [illegible] كسرى [illegible] بتفصيل ع

حل بهم فاخبروه من الاول الى الآخر وان ابن عمه أُسر وزوبين الغدار وعمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي وسكاما وورقا وكثير غيرهم من الاعيان ولم يبق من الجيش احد فاضطرب واي اضطراب وقام وقعد وارغى وازبد وجعل يلوم بختك وقال له ما قدمت رأياً الا وكان به العذاب والهلاك فستطالبك النار بدم الذين قتلوا وهلكوا من قومنا ولا سيما ان العرب يقتلون ابن عمي في هذه المرة لانه وقع بايديهم فبرد الله روح ابائك واجدادك بوادي الثلج وابعدهم عن لهيب النار

قال اني لا استحق يا سيدي هذا الملام والتوبيخ فما دبرت الا حسناً ولم اكن اعرف من بين غلبة العرب لعساكرنا في نهروان واني اعدك ان في هذه المرة ستنقرض هذه الطائفة تنقرض تماماً ولا يبقى منهم انسان وذلك من سيوفنا وسيوف داهور الهندي وقد تجمع عندنا لآن نحو ٢١ كرة وكل كرة مائة الف عنان وهذا العدد كاف لان يبيد فرسان الارض قاطبة واما خوفك على ابن عمك فهو من الاوهام لاني اعرف جيداً ان العرب لا تمد اليه يداً خوفاً منا ومن سطوتنا ولا يقدرون ان يرفعوا يداً على رجال الدولة الكسروية العظيمة . فأمر ان تستعد العساكر للرحيل حتى في مدة سبعة ايام نركب ونسير الى هلاك العرب وخلاص رجالنا وتوزع علم بيكار الاشتهار منهم وان تجمع المؤن والذخائر . فأمر كسرى بذلك وان يكون الجميع على اهبة الرحيل والسفر في اليوم السابع

قال هذا ما كان من كسرى وارجع الى العرب فان الامير سعد احضر في غداة يوم زوبين وجعل يوبخه ويشتمهما ويتوعدهما بالهلاك والموت وهما لا يفوهان بكلمة وزوبين يبكي ويتندم وهو لا يلين ولا يصغي . وقد قال لهما لو كان مركما بيدي لقتلتكما لا محالة ولكن مركما عائد الى جدي الامير حمزة وبعد قليل يكون هنا ولا ريب انه يقتلكما ويعدم من الارض ذكركما فقد ذقت منكما كثير ونالنا ذلك من العذاب شدة وجعل يراقبهما بنفسه خوفاً من خلاصهما وبقي في ذلك ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لاح علم بيكار الاشتهار

عن بعد واشرقت انواره تضيء في الفـلا من تكسر نور الشمس على جوهرته الكبيرة الوهاجة وعلى عموده الذهبي المصقول الوضاح . فخرج اذ ذاك اندهوق والامير سعد وطوربان وملوك التركمن وتقدموا الى ملاقاة سلطان العرب ومن معه فلما وصلوا ترجلوا وسلموا فالتقاهم الامير حمزة واولاده ومن معهم وسألوهم عما اصاب الاعجام فاخبره اندهوق بالنصر وبالاستيلاء عـلى كل ذخائر الاعداء وبأسر زوبيز و فلنطوش وعمر بن شداد وصقلان وسكاما فسر سروراً لا مزيد عليه وساروا جميعاً الى ضوحي نهروان . فنظر الوزير عمر في البر فاختار مكاناً فضاء موافقاً لهم وامرهم ان تضرب الخيام فيه وتنزل العرب هناك ويسرحون انعامهم في مراعيه ففعلوا ولم يكن الا القليل حتى امتلأت تلك النواحي وضربت الخيام كل امير الى ناحية وكل ملك الى جهة وفي الوسط ضرب صيوان ليون شاه وهو عالٍ من الخشب على اعمدة من الذهب متوجة بجواهر الكبيرة التي لا يوجد مثلها بين عامة الناس لا جوهرة على بيكر الاشتر الذي ضرب عند دبه . وبعد ان

بيده وان قتل زوبين ورفاقه لا بد منه

ومن ثم امر السلطان ان تقدم الاسارى بين يديه فجاؤوا بهم مقيدين مذلولين مهانين ولما رآهم الامير حمزة والعرب تحركت فيهم شهوة الانتقام وقال لهم الامير حمزة قد آن وان قتلكم وستجزون على فعلكم فقال له زوبين وعلى اي شيء نستحق القتل وما فعلنا معكم شيئاً وقد خدمناكم مدة واخلصنا لكم الود وعبدنا عن صدق نية الهكم الذي لا اله الا هو فلم تقبلوا منا ذلك وكنتم تعاملوننا ببرود وعدم ركون وذهبتم وتركتمونا غير ملتفتين الينا كأننا من بعض العبيد على انه لو علمتمونا كنفسكم لوجدتمونا صادقين معكم ولا اظن انكم تجزون الامناء بالقتل وانتم المعتمدون على ما يرضيه الله سبحانه وتعالى ولا ريب انه يشكر من عملكم ولا يغفر لكم هذه خطيئة لانكم اذ اصلحتم معنا الماضي وصرتم تعتبروننا كأننا من امراء العرب ويركن الينا كبيركم وصغيركم ولا احد منكم ينكر اننا من اعدائه . فقال عمر العيار ان الزمن الاول قد مضى ولا اطمع لكم بالخلاص قط . فقد عرفناكم وعرفنا انكم من الاشرار الاشقياء من جبلتكم الخيانة والخداع ولولا اخي حمزة لما تركناكم في ذلك الزمان لان كلامكم لا نصدقه ولا يمكن ان نصدق الكذب قط بل نعرفه واما الان فامركم عائد الى خاطر السلطان قباد سلطان العرب وسيدهم . فقال السلطان لا بد من محاكمتكم فاذا كنتم كما قلتم وكان حق معكم عفونا عنكم ولا حكمنا عليكم بالقتل او بغير ذلك حسب ما تستحقونه ثم ان السلطان قباد اقام مجلساً للحكم مركباً من بعض حكماء ومن سطفانوس جد عمر اليوناني وثلاث ملوك التركمان والنجاشي وفرعون ملك السودان . وقال هؤلاء ملوك ولا يمكن ان يحكموا ظلماً وعين في اليوم الثاني محاكمة المجرمين فمن كان له دعوى عليهم فليدع في ذاك الوقت

ولما كان اليوم الثاني وجاء الوقت المعين جلس مجلس المحاكمة واحضر المجرمون مقيدين بارجلهم الى حضرة وحينئذ تقدمت في الاول طوربان وادعت على ابيها وزوبين بانهما كانا في الاصل ابي وفق عليها وان زوبين اخذها غدراً وخيانة

وقصد اغتصابها فجاء عمر اليوناني وخلصها وبعد ذلك لما غدروا بنا وقادونا الى المدائن ونووا كل النية على قتلنا وهلاكنا بعد ان اذاقونا مر العذاب [illegible] الى زوبين اني ما غدرت بها قط وان كنت قد غدرت بها فقد سامحتني في المرة الاولى ولم تطلب الانتقام مني وحيث تركت حقها فلا حق لها من هذا الوجه واما من جهة الغدر فما غدرنا قط ولكن اغتظنا من عمل العرب معنا وكدرنا احتقارهم لنا ففعلنا ما فعلنا واما امر احراقهم في المدائن فهذا لا يعنينا لكن من خصائص كسرى الملك الاكبر لان امر الهلاك والبقاء عائد اليه ولا امر ولا علاقة لنا به ومثل ذلك قال افلنطوش ثم اخبر حمزة بما فعل معه سكما وورقا وعمر بن شداد وصقالان والحاصل ان في النهاية حكم المجلس بوجوب قتل الجميع لانهم خائنون وجزاء الخائن الاعدام وطلبوا الى السلطان ان يأمر بقتلهم فقال اني اوافق على ذلك لانهم يستحقون القتل لا محالة ولا شك ان الله سبحانه وتعالى يحاسبنا على قتلهم ولو كانوا كما يدعون على دين الحق مع انهم يكذبون بذلك فانهم [illegible] الاشرار الكذابين غير اني لا اريد قتلهم الا بعد ان يأتي كسرى ويتحقق وقوع الحرب بيننا وبينهم وارغب في [illegible] ان قتلهم على مرأى من كسرى والاعجام فيعرفون احتقارنا لهم ونحرق قلوبهم عليهم ولا سيما كسرى على [illegible] لنا [illegible] فعلنا ذلك لا نريه انه اذ وقع بايدينا فعلنا معه ذلك . فلم يعترض عليه احد في ذلك واخذ المجرمون الى [illegible] الى ان يأتي كسرى وبقي [illegible] وجماعته في ذلك المكان مدة سبعة ايام [illegible]
[illegible]
[illegible] جيوش كسرى [illegible]
[illegible] كسرى [illegible] الارض وهي [illegible]
[illegible] من تحت [illegible] ومن [illegible]
[illegible] على جانب منهم [illegible] على ظهر الخيل

وشاهدوا طوله وعرضه فتعجبوا منه وتأكدوا انه من الابطال الصناديد اصحاب البطش والقدرة العظيمة وصدقوا ما قاله عمر العيار وما منهم الا من حسب له حساباً . وقال الامير حمزة اني اقول ان في الدنيا كثير من الفرسان الذين امتازوا وفازوا ولا يقال ان هذا بطل الزمان فقد يوجد بدون شك اعظم منه ولا يعرف الاول بينهم . ثم انهم رجعوا الى الخيام ينتظرون وقوع القتال

قال واما كسرى فانه نظر الى معسكر العرب وشاهد ذلك الترتيب والعظمة التي هم عليها فقال لبختك انظر الى العرب فانهم يتظاهرون بالعظمة ويباهوننا كأنهم من الاكاسرة واني لا انظر الى علم بيكار الاشتهار الا وينفطر قلبي ويتكدر خاطري ولا اعلم في اي زمان احصل عليه او انزعه من اعدائي . قال لا ريب انك في هذه المرة تقطع آثار العرب ونبيدهم عن آخرهم ونرجع شرف الفرس وننصب العلم امام صيوانك . فاكتب الآن كتاباً وارسله اليهم واطلب ارجاع العلم المذكور وتهددهم بالفناء او يتفرقون ويسلمونك العلم ومهردكار وطوربان وحمزة واولادهم من نسائنا ولا ريب انهم شاهدوا كثرتنا ورأوا ما اخافهم وضعضع عقولهم واخبرهم انك تعفو عن كل من يطيع ويرجع عن مصاحبة العرب وتسكن غيظك لانعام الزمن . فاستحسن كسرى ذلك وكتب كتاباً الى سلطان العرب يأمره ان يتزحزح عن دست الملك ويحضر الى ديوانه صاغراً فيعفو عنه وعن امه مهردكار واما ابوه حمزة فلا بد من قتله وقتل عمر العيار ويطلب ان يأتيه ايضاً بعلم بيكار ويأمر الفرسان المتجمعة ان تتفرق كل واحد الى بلاده فيتخلص من غضب الاعجام ومن الانتقام . وعندما انتهى من كتابة هذا التحرير بعثه مع رسول الى السلطان قباط فاخذه الرسول وجاء معسكر العرب ودخل صيوان السلطان وقبل يديه ثم ناوله الكتاب فأخذه قباط وفضه . ثم دفعه الى وزيره يقرأه عليه على مسمع الجميع وحينئذ قال الملك للرسول اذهب الى مولاك وقل له انه لا حرب عندنا الا بالسيوف والرماح والصارم الصمصام واذا ما جئنا هنا مسرعين الا لاجل محاربته وفي كل نيتنا ان ننزع منه الملك ونلبسه

ثوب الذل والهوان وليكن موكدا عنده اننا سنجعل المدائن خرابا ونهدم على رأسه الايوان ونبيد عن وجه الارض كل من لا يعبد الله العزيز الجبار

قال فرجع الرسول الى معسكر الاعجام ووقف بين يدي كسرى واعاد عليه كل ما سمعه وما رآه من العرب وسلطانهم فغضب الغضب الزائد واقسم بالنار ذات الشرار ان لايبقي من العرب ديارًا ولامن ينفخ بالنار . وامر العساكر ان تستعد تلك الليلة وتبات على نية المباكرة الى القتال والطعن والنزال وكذلك العرب فانهم هيأوا نفوسهم للحرب ودبروا ان يقتلوا الاسارى في الصباح فنصبوا في وسط الميدان ايواناً من الخشب يظهر من كل الجهات ويعلو عن الارض نحو ذراعين . ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح فتقدم الصفان ليأخذ كل واحد مقامه ومرتبته . وقبل ان يتم الانتظام احضر عمر العيار وجماعته الاسارى باجمعهم ورفعوهم على ظهر الايوان وهم موثقين بالحبال واذ ذاك تقدم حمزة العربان وهو على ظهر جواده اليقضان ورفع صوته ونادى بفصيح لسان هيا فانظر يا كسرى نوشروان ماذا يجري بفرسانك وعيونك و ... عما قليل سوف يحل بك ما يحل بهم عن قريب من الزمن . ثم جرد حسامه من غمده وهجم على ذلك الايوان وقبل ان يصل اليه سبقته طوربان وصاحت . شرت الشرف والناموس من هذا خذ ثق الميدان . وضربت زوبين الفرر باعذرد ... رفقسمته قسمين واتته

الجنان ونادى وانتسب . وتاخر ضعيف القلب يبحث عن طريق الهرب . وكان ذاك اليوم من الايام المشهورة وحربه من الحروب المعدودة المذكورة بها سطا الامير حمزة سطوة جبار . ورمى الاعداء بشهب البوار . وقد دخل من اليمين وخرج من اليسار . واهلك في طريقه نحواً من الفين من الاعجام الاشرار . ثم عاد فدخل ثانية في عباب تلك البحار . وفعل مثله فرهود البطل المغوار . وقد قتل كثيراً من ذلك الجيش الجرار . والقى بالوف من الفرسان على بساط القفار . واما اندهوق بن سعدون الاسد الكرار فقد عمل عمل الاحرار اصحاب العظمة والوقار . وارعب بفعله الكبار والصغار . والمعتدي حامي السواحل فانه انزل بالاعادي الاخطار . ورماهم بالذل والعار . وعمر اليوناني ابن الاخيار وولده سعد صاحب البطش والاقتدار . فانهما صبغا من الدماء بالاحمرار واشعلا في قلوب جماعة كسرى مواقد النار . وكشفا عن ضعفهم غطاء الاسرار . وتكللا باكليل المجد والفخار . ولم يفعل اقل من فعلهما عمر الاندلسي والملك النجاشي وبشير ومباشر فقد كشفوا الاستار وعززوا من العرب رايات الانتصار . وكذلك باقي فرسان العرب فقد خاضوا الغبار . وفعلوا افعالاً تحير الافكار وتدهش الانظار . وتؤرخ في صفحات التاريخ مدى الادهار . وتذكر في محافل الملوك باعظم اذكار . ودامت الحرب قائمة الانتشار . وكلما تقدمت ساعات النهار . وعلت الشمس ذات الانوار . كلما اشتدت افعال الحرب بالاضرار . وزاد اشتباك المتقاتلين طلباً للاختصار . وتحرك حقد المتحاربين الى الانتقام واخذ الثار . وطاف بهم عزرائيل الموت ودار . وحام فوق رؤوسهم غراب البين وطار ونادى منادي الموت الا هبوا الى الرحيل عن هذه الديار . فقد فرغت الآجال والاعمار وجاء يوم الحساب المسطور في دفتر الاقدار وكانت الدماء تتدفق كالامطار وتجري في اقنية الارض كالانهار وتلتقي ببعضها فتضطرب كاضطراب البحر الزخار . فاكتست الارض لوناً بلون البهار . وتغطى وجهها فلم يعد يعرف له من اثار . ولا زال القتال شديد الوقوع الى ان اكتست الشمس شعار الاصفرار وعولت على الاختفاء خلف حجاب الاعتكار . وحينئذ

ضربت طبول الانفصال . وترك المقاتلان القتال . وهما لا يصدقان بالخلاص من جور ذاك اليوم الكثير الاهوال . العظيم الاحوال . ورجع داهور الهندي بعد ان قتل كثيراً من العرب وانزل بهم العطب ولو وجد ثلاثة فرسان مثله في فرسان العجم لفازوا بالمطلوب ونالوا المرغوب . لانه على ما يقال من طبقة الامير حمزة في القتال . واشد منه صبراً عند النزال . الا انه لم يكن له من التوفيق ما كان لذاك

وعندما رجع الى معسكره واجتمع في صيوان كسرى ودار بينهم حديث العرب قال بختك اني مسرور اليوم فيما رأيت من عمل داهور الهندي والحق يقال انه اعظم بكثير من فرسان العرب فما قصد كتيبة الا فرقها ولا طلب موكباً الا ومحقه . فقال كسرى انوشروان اني رأيت ذلك وشاهدته الا اني ما رأيت داهور قتل فارساً من العرب الا بعد محاولة ومطاولة ولكن رأيت من العرب ما ادهش النواظر وحير الخواطر لانهم كلهم فرسان عظماء وملوك وابطال ينــدر وجود مثلهم فقد قتلوا كثيراً من فرساننا واوقعوا بنا التأخير والفناء وكنت اتحرق من عمل حمزة وقلبي يتكدر من صولاته وجولاته وكلما قتل فارساً احترق من اجله قلبي ولعب بي الغضب وتمنيت ان اكون واصلاً اليه لاعدمه الحياة واجعل آخر ايامه من هذه الدنيا غير اني كنت لا استفيد الا زيادة تحرق وتحرك . فقال داهور في هذا اليوم رأى العرب افعالي ومع ذلك فاني مــا اظهرت كل قوتي ولا فعلت كما اريد بل جعلت اختبر قتال العرب وانا في ساحة القتال ومع اني اعرف على ما رأيت من فرسان العرب انهم نخبة ابطال هذا الزمان ويندر وجود مثلهم في الهند والصين والحبشة وكل مكان لكني اعدك بالفوز والنصر عليهم وقد اختبرت كبيرهم وصغيرهم وعرفت عيار شجاعتهم وزنتها بشجاعتي فعرفت بما ازيد عليهم فسر كسرى منه وامل بالخير والنجاح وقال له اذا جئتني بالامير حمزة واخيه عمر العيار وهبتك نصف ملكي لان الاول اذلني واخــذ بنتي واموالي بالرغم عني وبدد لي كثيراً من جنودي وخرق حرمتي واخيراً قتل ابن عمي واعز الناس عندي وعمر ايضاً فقد قتل مرزباني الاكبر ورفاقه وترك بلادي حتى اليوم بــلا مرزبان

وما من احد يقدر ان يقوم بهذه الخدمة الا بعد ان يدرس قاعدة الدين عشرين سنة . قال لا بد من قتل عمر العيار والامير حمزة وكل فارس وبطل من اعدائك ولا ادع احداً يخاصمك

فهذا ما كان من كسرى وقومه واما ما كان من العرب فانهم رجعوا في المساء فرحين وقد شفوا قلوبهم في ذلك اليوم وتاملوا بالنصر والظفر ونوال المراد وقد دعا الامير حمزة اليه طوربان وقال لها حيث قد قضي غرضك ونلت مرادك من قتل عدوك فما من حاجة بعد الى ان تقاتلي معنا لاننا لا نرغب في ان يقال عنا اننا نستنجد نساءنا مع ان ما من ضرورة تدعونا الى ذلك وكلنا ابطال وفرسان وفينا الكفاءة الى الدفاع والهجوم . قالت اني اطيع امرك واصغي اليه اصغاء صحيحاً لاني كنت لا اطيق ان اذكر او ان ارى زوبين الغدار وكلما لاح في خاطري ما عمله معي وكيف غدر بي اخيراً واخذني للذبح والحرق يطير صوابي واتمنى ان اشرب جرعة من دمه وكنت اخاف ان يقتل من غيري ولذلك كنت احرك ولدي على عداوته وبينما ارضعه كنت احكي له خباثة هذا الغادر حتى اذا صار به الكفاءة قتله وفرج كربي . ثم التفت حمزة الى ولده عمر اليوناني وقال له اني لا آذن لك بعد الآن ان تدعها تباشر حرباً وقتالاً بل تبقى في خدرها كباقي النساء . قال اني اطيع امرك ولكني لا اريد ان اعارضها بشيء مهما ترغب فيه تفعله لانها سيدة كريمة ذات تعقل وآداب وبسالة وحكمة ومن كان مثلها لا يُملك بل يملك فقال الامير سعد اني لا ادع امي تباشر حرباً ما زلت حياً الا اذا دعتها الضرورة الى ذلك وحكم القضاء به . ورجعت طوربان الى خدرها ومعها ابنها الامير سعد وهي فرحة به وقد طفئت جمرة غضبها وخمد اضطراب افكارها . ونام المتقاتلين في ذلك المكان يتحارسان تحت مشيئة الرحمان . الى ان اشرقت شمس اليوم الثاني وضربت طبول الحرب والقتال . فاصطف الصفان . وترتب الفريقان واشار سلطان العرب بالهجوم فهجمت الفرسان . كأنها اسود خفان والتقى الجيشان والتطما كأنهما بحران زاخران . فقامت القيامة من كل ناح . ونادي منادي المنون وصاح

وعملت في الصدور عوامل الرماح . وفي الرقاب البيض الصفاح . وانقضى ذلك النهار على مثل اليوم الاول بل اكثر . فيه ارتفع شان العرب اي ارتفاع واتسع مجدهم اي ارتفاع

قال وباتوا تلك الليلة على مثل ما تقدم وعند الصباح عادوا الى القتال وداموا على مثل هذه الحال مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن قاتلوا الى آخر النهار وفازوا فوزاً عظيماً وقتلوا كثيراً من الاعجام وفي المساء عادوا الى الخيام وقد تكلموا بقرب تشتيت الاعجام وانقراضهم الى آخر الايام . واما كسرى وقومه فانهم اجتمعوا في الصيوان الكبير . وقال كسرى اننا في كل هذه الايام ما فزنا بنجاح ولا نلنا بعض مرام . وعلى ما اظن اننا سنتفرق كما في مثل غير مرة ولم ارَ داهور البطل المشهور يفعل ما كان ينتظر منه . فقال بختك انه فعل وما قصر وهو يريد ان يترك العرب الى ان يتعبوا ويسكروا بخمر فوزهم ثم يضربهم فيبددهم ولا بد من ذلك عاجلاً كان او آجلاً . فقال داهور ان سبب التأخير هو كون رجال العرب فرسان وجبابرة وما منهم الا من يحسن الضرب والطعن والجولان كاشد فارس عجمي وعليه فلو كان رجالك من الثابتين اثناء الحرب والقتال لفزنا بالمطلوب . وحيث قد وصل الكيل الى حده فاني في الغد سأبرز بنفسي واطلب اليهم النزال وان تأتي اليَّ فرسانهم ومن جاءني قتلته في الحال ولا ريب اني بذلك ابيدهم ويعلم العالم اجمع اني وحدي الذي كسرت شوكة العرب وانزلت سلطانهم فلا يجسر احد فيما بعد على مقاومتك ويعرف ان في خدمتك كثير من اعظم فرسان العرب . فقال له لا تطل مدة الحرب فان صبري قد فرغ وفرساني تقتل يوماً بعد يوم فوعده بختك عن داهور بكل ما يريد وانصرفت السهرة وذهب كل واحد الى صيوانه الى ان كان اليوم الثاني وفيه نهض العرب والعجم وتقدموا الى ساحة القتال وقبل ان يتم ترتيبهم وانتظامهم خرج داهور من بين رجاله وتقدم الى ساحة القتال وبين يديه موكب عظيم من الرجال والخدم وعند ما صار في الوسط وقف وامر خدامه ان تتأخر والتفت هو الى جهة العرب

واشار اليهم طالباً براز ابطالهم وفرسانهم ومناديا الامير حمزة في اولهم . ولم ينته من كلامه حتى سقط اليه الامير وصدمه صدمة جبار عنيد وبعد ان تجاولا كثيراً بالكلام اصطدما والتقيا والتحما وصاحا وهمهما . وبربرا ودمدما . وتطاعنا بالرماح الطوال . وقد احدق بهما الرجال . ينظرون نهاية هذه الحال . وما منهم الا من قوه سنانه . واوقف جواده موجهاً الى جهة العدو عنانه . حتى اذا اصاب فارسه منكراً صاح وهجم . وحمزة وداهور في قتال عظيم . ونزال جسيم احر من شهاب نار الجحيم . وهما تارة يفترقان وطوراً يجتمعان . كانهما كفتا ميزان . وقد ارتفع فوقهما الغبار . فغيبهما عن النظار . ووضعهما تحت حجاب الاخطار . وقد ضاقت منهما الانفاس . ووقعا بالقنوط واليأس . حتى تقصفت في ايديهما الرماح . فاعتمد على البيض الصفاح . وجرداها من الاغماد . وارسلاها تتحيل لتغمد في الاوراد . فلله درهما من بطلين شديدين . وجبارين عنيدين . واسدين ضرغامين . وفارسين همامين . تعلمت منهما الفرسان . كيفية الحرب والطعان . وقد نظروهما يدخلان من اضيق الابواب ويخرجان . سالمين من نكبات الزمان ولم يقد احدهما ان يرجح على الآخر في قتاله . او يزيد عليه مقدار ذرة في نزاله . وتحيرت منهما الالباب . واخذ الجميع الاعجاب . وكسرى ناظر الى ما يقع بين الفارسين وقد علق املاً كثيراً بفوز داهور لما رآه شديد الباس امام حمزة لا يميل ولا يتزعزع وقد قال ابختك الان يظهر فعل داهور واذا قتل حمزة انتهينا من حرب العرب واذللناهم الى آخر الايام . قال سوف ترى ما يرضيك الا تراه شديد البطش والاقتدار قد شغل حمزة واوقعه بالارتباك ولم يبق له من بين يديه خلاص . ولا نجاة ولا مناص وكذلك سلطان العرب والفرسان فانهم رأوا ما لم يكن لهم في حساب . واضحوا في شدة قلق وارتياب . ينتظرون النهاية وانقضاء النهار ليرجع الامير بسلام لانهم خافوا عليه كل الخوف لما شاهدوه من شدة قتال داهور واما الامير حمزة فانه بذل جهده في قتال خصمه وابدى كل ما عنده من الشجاعة والاقدام وتأكد ان داهور من اشد الفرسان الذين لاقاهم في زمانه . وانه يرجح عليه بالثبات والصبر على

القتال . واشتد الضرب حتى لم يعد يرى بينهما الا شراراً يتطاير الى الجو الاعلى من وقع السيوف على الطوارق . وتلهثاً وتنهداً وتنفساً . وقد اخذهما التعب والملال . وضعفت منهما الاوصال . وفيما هما على مثل هذه الحال . رأى الامير ان فيل داهور قد نفخ بخرطومه في الارض فاطار ترابها بكثافة ثم لاحه وقصد ان يضرب به اليقظان . فاسرع بضربة سيف من يده على الخرطوم الذي لا تعمل به الصوارم ولا تخرقه الصواعق فقطعه نصفين وفي اثناء ذلك رفع داهور يده بالحسام وتمكن من ان ضرب به حمزة باسرع من ريح الشمال فوقع على رأسه وقطع الخودة واصاب الدماغ وشعر الامير كأن رأسه قد طار . ورأت فرسان العرب ما حل باميرها فصاحت وارتمت باسرع من لمح البصر وفعلت مثل ذلك فرسان الاعجام وقد امرها كسرى ان لا تتخلى عن داهور الذي رجع في الحال فقدم له قومه فيلاً آخر فركبه وعاد الى الحرب والتقى بالامير سعد فصدمه واخذ معه في القتال والطعن والنزال واما الامير فانه رجع واخذه عمر الى صيوان مهردكار ودعا له في الحال باسطون الحكيم ليضمد له جرحه فنزع الخودة عن رأسه وشاهد ان الجرح بليغاً فجعل يضع له الماء البارد والامير يتوجع ويتألم ويتحرق وقد ايقن بالهلاك وقرب الاجل لان الجرح كان في مكان مميت والضربة شديدة

هذا وفرسان العرب والعجم في قتال شديد وحرب تفك الزرد النضيد . وقد اشغل سعد داهور والباقون اشفو قلوبهم من الاعجام وانزلوا عليهم سلطان الفناء والاعدام . وما منهم الا من يتمنى ان يأخذ بثار الامير في ذاك النهار ويشفي فؤاده من الاعداء الاشرار . غير ان قصر الوقت حال دون المطلوب . والشمس مالت الى جهة الغروب . وطلبت الاحتجاب والاختباء . غضبة مما وقع في ذاك النهار من الهلاك والفناء وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال ورجع العرب والعجم عن القتال والعرب لا يصدقون بان يروا اميرهم حياً وقد شغلت افكارهم واضطربت قلوبهم ولما وصلوا اليه وجدوه يتألم ويتوجع ورأوا الجرح بليغاً جداً

فخافوا من قرب اجله وجعلوا يبكون وينوحون عليه ويتوجعون لاجله . ولذلك عقدوا شورًا فيما بينهم . واجتمعوا عند السلطان فقال لهم اعلموا اننا اذا بقينا على القتال اما نفوز واما نتأخر لان داهور يريد ان يديم البراز فيصطاد واحدًا بعد واحد ولا بد من النظر في امرنا وان كنا نكفل النجاح ونقول ان لا بد ان واحدًا من فرساننا تساعده العناية عليه لكن بعد ان نخسر غيره وجل ما يهمنا ان ننظر في حال ابي الى ان يشفى ومن الصواب ان نترك هذه الارض ونرحل الى حلب او الى مكة فاذا اصاب ابي مصاب لا نفرح ولو ملكنا المدائن وقتلنا الف رجل مثل داهور وكسرى وبختك . فقال سعد اني ارغب في البقاء ودوام الحرب ولا بد من قتل داهور واخذ ثار جدي منه . وجعل كل واحد من الامراء والملوك يبدي رأياً واختلفوا في ذلك وحينئذٍ قال عمر العيار ان الرأي في ذلك للسلطان ولا نعرف ماذا يكون لنا في الاستقبال ومن الصواب ان اذهب الى الوزير بزرجمهر واعرض عليه امرنا واستشيره في ذلك لانه رجل خبير وحكيم عاقل ينظر في الامور محل النظر ويعرف بذكائه وخبرته كيفية المصير فاستصوبوا رأيه وتركوا الحكم لبزرجمهر ولسلطانهم . وفي الحال غير زيه عمر وسار الى ان وصل الى صيوان كسرى فوجد اعيان الفرس بحظ زائد وكسرى يضحك من داهور ويقدمه اليه ويقول له اني اعترف بانك فارس فرسان هذا الزمان ولا يوجد مثلك قط لان ما من فارس او بطل قدر ان يجرح حمزة وجهاً لوجه في ساحة النزال الاك وقد اشفيت لي فؤادي في ضربتك هذه . قال سوف ترى ما ابد لك في عساكر العرب وفرسانهم وان حمزة والحق يقال من الفرسان الاشداء لم ترَ عيني اقدر او اشد باعاً من باعه لانه ضرب فيلي ضربة قطع له خرطومه واذا لم يكن ضرب في زمانه الا هذه الضربة فاني اعترف له بوحدانية الشجاعة لان جلد الفيل لا تقطع فيه الصوارم ولا السهام فهو اشد من الحديد صلابة فقال بختك ان حمزة لا بد ان يموت من هذه الضربة لان الجرح في رأسه وجرح الراس بعيد الشفاء . قال كسري اذا مات وهبت داهور نصف مالي وملكته في ملكي وفي كل

ما يريد من بلادي

ودام الحديث بين الاعجام الى ان انقضت السهرة وانصرف كل الى صيوانه وسار بزرجمهر الى صيوانه وهو متكدر الخاطر حزين القلب تكاد الدنيا ان لا تسعه وفي ظنه ان عمراً يقصده في تلك الليلة ولما دخل الصيوان دخل خلفه عمر وقبل يديه وعرض عليه واقعة الحال وما هو جار على الامير من الوجع والالم . فقال اني اشور عليكم بالرحيل من هذه الديار وان تقيموا في مكة المطهرة الى ان يشفي الامير وما من نفع في بقائكم في هـذه الارض فقد قتلتم كثيراً من رجال الاعجام غير انكم لا تقدرون على قتل داهور فهو بطل لا نظير له في زمانه ولا بد ان يأتيكم الفرج وانتم في مكة المطهرة ويظهر لي ان العناية لم تشاء الان ان تسعدكم بل بدأ الطالع نحساً . ثم دفع اليـه قارورة دواء وقال له خذ هذا الدواء وادفعه الى اسطون الطبيب فهو يعرف كيف يستعمله وما من بأس على اميركم فسوف يشفى ويعود الحرب كما كان فمدحه عمر وقبل يديه ووعده وكرّ راجعاً وجاء صيوان العرب فوجدهم بانتظاره . فاعاد عليهم ما كان من امر الوزير بزرجمهر وانه يشور عليهم بالسفر والرحيل الى مكة المطهرة في نفس تلك الليلة فاجاب الجميع ونهض كل الى غرفته وطائفته ليسرعوا بالرحيل قبل الصباح وسار عمر الى صيوان اخيه حمزة فوجده على حاله فدفع الدواء الى اسطون فاخذه وسكب منه على الجرح فارتاح الامير . وحينئذ حمله على هودج فوق ظهور البغال وهو ملقى على ظهره فوق فراشه وعنده مهردكار تلازمه وتخدمه واسطون يعالجه ويبرد من جروحاته . وعند ذلك ركب السلطان وامر ان ترفع الاحمال على البغال وتسير العساكر بالعجل ففعـلوا دون ان يخرج منهم صوت ويسمع لهم غوغاء وضجة ولم يكن الا القليل حتى اخلى معسكر العرب تلك الارض وسار في طريق مكة المطهرة كما اشار عليهم الوزير بزرجمهر . وعند الصباح نهض الاعجام ونظروا الى نحو العرب فلم يروا منهم واحداً فاسرعوا الى كسرى واخبروه بذلك فعقد ديواناً واجتمع عنده الاعيان والملوك وقال له بختك ها قد صح ما كنا نرجوه

فأن العرب هربوا من هذه الارض لما رأوا ان لا نجاة لهم وان اميرهم قد مات او قارب الممات وعندي من الرأي ان نرسل خلفهم الديادبة لتعرف الى اين يسيرون فنتأثرهم ونقاتلهم الى ان نفنيهم دفعة واحدة ما زال عندنا البطل داهور يزيل عنا الضيم ويقهر لنا الاعداء ولا بد من ارجاع علم بيكار الاشتهار واخذ طوربان ومهردكار والاستيلاء على الاموال والغنائم وكل ما هو عندهم . فارسلوا الديادبة لكي تراقبهم فساروا وبعد يومين عادوا واخبروهم انهم رحلوا في طريق مكة ليقيموا هناك فقال بختك لقد صدق قولي فانهم لا يقصدون ذاك المكان الا بعد ان يقطعوا الرجاء واليأس ومن ثم اتفق كسرى وجماعته على المسير الى ارض مكة وملاحقة العرب الى ان يفنوا عن آخرهم واخذوا يتهيئون ويستعدون للمسير خلفهم في آثارهم وكسرى يزيد من اكرام داهور الهندي ومن تعظيمه واعتباره ويعده المواعد الحسنة

قال فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من العرب فانهم داموا في مسيرهم مدة ايام حتى وصلوا الى مكة وعرف اهل المدينة بقدومهم فخرج الجميع الى ملتقاهم من الكبير الى الصغير مع الامير ابراهيم امير مكة وعند وصولهم الى العرب تقدموا من علم بيكار الاشتهار وسلموا على السلطان والفرسان وسألوا عن حمزة فاخبرهم عمر بانه مجروح في رأسه وان الجرح عظيم الاهمية لكنه سليم العاقبة لا خوف منه . فتكدر الامير ابراهيم من ذلك الا انه كان من الاتقياء فشكر الله على كل حال وسأله ان يشفيه وعلق كل امله به . ومن ثم عادوا الى تلك الارض المقدسة فدخلوها وضربوا خيامهم فيها ومن خلفها وسرحوا بانعامهم واغنامهم واقاموا للراحة ينتظرون شفاء الامير والفرج الموعود به من عالم العناية . وما مضى الا ايام قليلة حتى قدر الامير على الانتباه والتمييز فرأى امه واباه عنده وزوجاته وفرسانه فاحتار في ذلك وقال اين انا الان فقالوا له في مكة عند ابيك وامك . فاظهر الغيظ وقال كيف جئتم هذا المكان والبستمونا العار عند الاعجام ولا بد لكسرى ان يقول ان العرب هربوا خوفاً من داهور وان كنت قد جرحت

انا فان بينكم مثلي كثير وكلكم تقدرون على قتال داهور فلما الخوف والهرب فقالوا وخياتك ايها الامير ان الهرب لم يكن بخاطرنا وجل ما كنا نرغب ان نديم القتال الى ان نفنى او تفنى الاعجام الا ان بزرجمهر اشار علينا ان نرحل عن نهروان ونأتي هذا المكان الى ان تشفى انت ويأتينا الفرج من العزيز الرحمن . فلما سمع ذلك قنع وعذرهم وقال لهم اخيرًا انتم تعلمون ان كسرى متقوٍ الان بداهور وقد رآه عمل ما عمل فزاد طمعه بنا ولذلك لا يتركنا ولا بد له من ان يأتي هذا المكان لمحاربتنا ونزع علم بيكار الاشتهار منا واخذ مهردكار وطوربان وتفريق سلطتنا وارجاع العرب الى الذل والهوان ولذلك اريد منكم ان تهتموا بانفسكم وتعتمدوا على بعضكم البعض لتلاقوه الى ان اكون قدرت على الحرب والقتال فوعدوه بانهم يفدون نفوسهم امامه الى ان يموتوا عن آخرهم

ومضى على ذلك شهر من الزمان والعرب في ذاك المكان وحينئذ جاءت اليهم الاخبار بان كسرى قرب من المدينة المنورة بجيوشه الجرارة ومعهم داهور الهندي . فاهتم العرب واخذوا في ان يتحصنوا الى ان وصل الاعجام ولاحت راياتهم واحاطوا بالمدينة وضربوا خيامهم في ضواحيها واخذوا لانفسهم الراحة كل ذاك اليوم وفي اليوم الثاني جلس كسرى في صيوانه واجتمع اليه كل اعيانه ووزرائه واعيانه فامر بختك ان يكتب كتاباً الى العرب يغلظ عليهم بالكلام ويأمرهم بالطاعة ونزع العصيان . فاجاب طلبه وكتب في الحال

﴿ من الملك الاكبر كسرى انوشروان سلطان سلاطين هذا الزمان ﴾

(الى الامير قباط ابن الامير حمزة البهلوان)

« اعلم ايها الامير انكم قد اعتديتم وجرتم وظلمتم وتاديتم وقصد ابوك عنادي فتهاملت عنه وشفقت عليه ففكر ان ذلك عن عجز مني او ضعف في فرساني فصرف كل همته الى عنادي والتعدي عليّ وفعل افعالاً قبيحة جداً لا مجال لذكرها الان حتى اخيرًا لقي شر عمله وقتله داهور الهندي الذي لا يصطلى له بنار ولا مثيل له في هذه الايام . وعليه فاني اطلب اليك قبل كل شيء ان تسلمني

علم بيكار الاشتهار وبنتي مهردكار وبنت ابن عمي طوربان التي قتلتم ابوها افلنطوش واحرقتم قلبي عليه وتردوا اليّ كل الاموال التي هي عندكم وفي يدكم وتدفعوا ليدي كل ما هو متأخر عليكم من الجزية منذ عشرين عام الى هـذه الايام . وفي الاخير توثقون عمر العيار بالحبال وتسلموه عن طوع واختيار لاقتله وآخذ لنفسي منـه بالثار . وبعد كل شيء تتفرقون فيذهب كل ملك الى بلاده وقومه فاعفو عن الجميع واحسب ان لا عداوة بيننا فاذا فعلتم ذلك كان الخير والنجاح لكم وسلمتم من غضبي ونلتم رحمتي وشفقتي فاني اقسم بالنار ذات الشرار وبكل نجم دوار انـه قبل ان تمضي ثلاثة ايام ازحف عليكم بجيشي وكل ابطالي وفرساني فافنيكم عن آخركم واسحقكم كالدقيق واخرب مدينتكم ولا ادع للعرب اسماً يذكر مدى الايام ولا يخفاكم ان عندي داهور الهندي وحيد عصره ونتيجة دهره وقد وعدني ان يفعل باجمعكم كما فعل باميركم فارسلوا اليّ الجواب حالاً حالاً »

وبعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب عرضه على كسرى فاعجبه وختمه بخاتمه وارسله مع رسول الى السلطان قباط فسار به حتى دخل صيوان اليون شاه وتقدم الى ان وقف امام السلطان فسلم بترتيب واحتشام ودفع اليه الكتاب . فلم يقبل السلطان ان يأخذه منـه بل اراد ان يعرفه ان اباه حياً فقال له ادفع الكتاب الى الامير حمزة فارس العرب واميرها فارتاع الرسول لانه كان يعلم ان حمزة قتل وكل الاعجام يتصورون ذلك ويتوهمونه فالتفت واذا به يراه بعينه جالساً في الديوان الا انه متغير الالوان بسبب مرضه حيث لم يكن قد شفي بعد لنهاية . فتقدم منه وقبل يديه واعطاه الكتاب فاخذه منه وناوله الى ابنه قباط وقال للرسول ألا يظن قومكم وملككم اني مت وانتهى عمري . قال نعم يا سيدي ولذلك تحيرت وارتبت عند ما سمعت باسمك . وبعد ان قرأ عمر العيار وزير العرب الكتاب وفهم الجميع معناه فما منهم الا من اغتاظ واضطرب من كلام كسرى وتهديده . وعليه قال الامير للرسول اذهب الى مولاك واخبره ان

لا جواب عندنا الا القتال والحرب والنزال وسوف نبيد ملكه ونهلك سلطانه ونجازي داهور على عمله واخبره ان سلطان العرب لم يقبل ان يكتب اليه الجواب لما تضمنه كتابه من قباحة المعنى والتهديد والوعيد

فاجاب الرسول بالطاعة وقبل ان يخرج قال له حمزة اني عودتك في مثل هذه الزيارة ان اكرمك بالف دينار فخذها قبل ذهابك . ثم امر ان يعطى الف دينار فقبضها وسار حتى دخل على كسرى ووقف بين يديه . فقال له اين جواب الكتاب . قال اعلم يا سيدي ان الامير حمزة لم يقبل ان يكتب اليك كتاباً وقد قال لي ما هو كذا وكذا وان كتابك هو قبيح المعنى لا جواب له . فاعترض عليه بختك وقال له لا تقل حمزة فان حمزة قد مات وشرب كأس الافات . قال كلَّا يا سيدي فاني اقول انه باق في الحياة على حسب عادته وقد شاهدته عياناً وكلمته شفاهاً وانا اعرفه جيداً وفي كل كتاب اسير اليه . فاضطرب كسرى وارتاع وقال يا بختك اننا ما عملنا شيئاً وظننت اننا قطعنا رأس الحية ومن السهل سحق ذنبها فجاء الامر بالعكس وها ان حمزة قد شفي ورجع كما كان ولا بد ان يعود الى حرب داهور في هذه المرة ليأخذ لنفسه بالثار منه . فقال داهور لا تخف من ذلك فاني سأقتله ولو قام من الموت الف مرة ففي كل مرة اقدر على ارجاعه فكن براحة من هذا القبيل ومتى خرج العرب الى قتالنا رأيت ما يسرك . ولكن اريد منك انه اذا اجتمع الجمعان لا تهجم عساكرنا بل ابرز بنفسي . قال لا يمكن ان نقاتل العرب وهم داخل المدينة لانهم حتى الساعة لم يخرجوا لقتالنا وعندي ان من اللازم قطع الطرقات والتضييق على من هم في الداخل حتى نرى ما يكون من امرنا وامرهم . واكتفى الاعجام اذ ذاك بالتضييق على اهالي مكة وحصروهم في الداخل لينما يلتزم ان يخرجوا من المدينة لقتالهم ومحاربتهم . واما العرب فانهم كانوا بانتظار الامير حمزة الى ان يشفى تماماً ويمكنهم ان يحاربوا وهو معهم وكان عندهم من المؤن والذخائر ما يكفيهم الى سنين واعوام

هذا والامير حمزة يتقلّم ويتعافى يوماً فيوماً وهو مع زوجاته يزوره جميعهن

في كل يوم واما مهردكار فانها كانت لا تفارقه قط ولا تبعد عنـــه لانه كما تقدم معنا في بداية هذه القصة انها كانت مخلصة له الود كثيراً ومتعشقته بوجه لايمكن ان يـكون اشد منه ولا افضل واشرف وقد احتملت كل عذاب وكدر وتعب من اجله وبعد ان كانت لا تخرج من قصرها في بيت ابيها وهي عائشة على الترفه والتنعم يخدمها الجواري والعبيد وكل اسباب الراحة بين يديها اصبحت مقيمة في صيوان كواحد من العرب تنتقل من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب متحملة صابرة على البرد وحرارة الشمس ومرارة السفر والعذاب فضلاً عما لحق بها من الهم والبكاء والنوح من دواعي الحروب المتواصلة ومصائب الامير وعذابه وكانت تتمنى راحته ورجوعه عن عداوة ابيها. كل هذا كانت تلاقيــه مفضلة رضاه على كل شيء ومع كل ذلك فانها كانت ترى منه بعض الاحيان بروداً وفتوراً وكلما رأى فتاة جميلة يميل اليهـــا ويطلب زواجها غير ملتفت الى خاطرها ولا مراع مودتها ومحبتها ومن الواجب عليه لكونه اميراً ذا قوة ومروءة وبسالة وآداب ان لا ينظر الى غيرها قط ولا يميل الى سواها ليقدر حبها حق قدره وان يحفظ نفسه لها كما حفظت نفسها له ويعهد باتكاله عليها كما تعهد باتكالها عليه ولكن لم تكن كل القلوب كبعضها وقد اعتاد العرب ان يأخذوا اكثر من زوجة ولذلك لم يرَ ان من شرط المحافظة على ادبه ان لا ينظر الى غير مهردكار على ان الايام والحوادث التي قلبته لم تدع قلبه على حاله بل غيرت منه كثيراً فقسى وعصى وخصوصاً ان الله سبحانه وتعالى يقصد امراً خفياً لتكثير اولاد الامير ويأتوا الى مساعدته ويقيموا في خدمته حتى بعد قضـــاء المقدر عليه واثلال عرش كسرى تتسهل طرق النجاح للعرب وتنمو بامر الله مملكتهم وعليه فان مهردكار كانت تلاقي اشد الاخطار وترضي بان تعتاض عن ذلك برضى الامير منه وكان ذكاء عقلها وفرط تعقلها يحملانها على اظهار زيادة حبها له مؤملة ان المعاملة الحسنة تزيد في اميالـه لنحوها مهما حال دون ذلك من الموانع والمصاعب ومهما اخذ من الزوجات وجاءه من البنين عالمة انها ارتبطت به الارتباط الوحيد الذي تنتظره البنت من

حياتها وترجو من بعده الراحة والهناء والانضمام الى مساعد معين يشترك معها في شداتها ورخائها وتعاستها ويقاسمها افراحها واحزانها وكانت مهردكار ترى نفسها مع ما عليه من عدم الراحة من اسعد نساء زمانها بسبب قربها من الامير وان ما يظهره لها من عدم المبالاة لا بد ان يقضي عليه ذات يوم اما بشدة الحب فيعرف عظم ما تحملته واما بالعكس فتميت نفسها وتتخلص من هذه الحياة لان الموت خير لها من ان ترى محبة الامير تفتر عن صوبها او تقل او تكون اقل من محبتها كما هي

وكان كل ما يقع عليها من هذا الوجه تعلل لها عللاً واسباباً فتعذره من اجلها فما تزوج بفتاة الا وقالت في نفسها انه مضطر الى ذلك وان الظروف قضت عليه به ولا حكى لها كلمة عن ضجره من ابيها وندمه على زواجها الا وفكرت ان الغيظ حمله على ذلك وان قلبه لا يمكن ان يتحد مع لسانه في هذا المعنى لانها تعرف انه حارب كثيراً وخاطر بحياته كثيراً من اجلها ولكن شتان بين وفاء الزوج ووفاء الزوجة لانه مهما اخلص الود واراد المحافظة على نفسه حباً بها لا يمكن ان يكون ذلك قرين الصحة الى الحد الاخير ما لم يكن الدين سبباً على العفة ومراعاة جانب زوجته حق المراعاة لكنها الزوجة اذا ارادت فعلاً اخلاص الود لزوجها ووطدت العزم على تخصيص نفسها به قامت بذلك حق القيام وذلك لانه بقدر ما يكون القلب رقيقاً يكون عشقه شديداً وحبه خالصاً وكلما قسا تقسو به الفواعل الحبية ومن المقرر الثابت ان قلوب النساء ارق بكثير من قلوب الرجال وانهن اكثر شفقة ومودة وان الغش لا يتولد بهن من نفسه اذا لم يكتسبه من غيرهن هذا اذا كان كلًّا منهما صحيح العقل ولا ريب ان القارىء سيطلع على ما يكون من الامير حمزة مع مهردكار بعد زمان ليس بطويل من تلك الايام

ولما شفي الامير ورجع الى عادته واصبح كانه لا جرح ولا اصيب بنكبة من نكبات الحروب والايام واراد ان يعود الى الحرب والقتال والطعن والنزال

على حسب عادته وهو يرغب في ان يلتقي بداهور الهندي ليأخذ لنفسه منه بالثار ويعدمه الحياة وحينئذٍ سأل ابنه السلطان قباط ان يأمر العساكر بالخروج الى ضواحي المدينة لمحاربة الاعجام ففعل وفي الحال خرج القبائل الذين في المدينة المنورة وقد ضربوا طبول القتال واصطفوا بقصد الحرب والنزال فعمل الاعجام كاعمالهم . وباقل من ساعة حمل الطائفتان على بعضهم البعض وارتجت لحملهما جنبات تلك الارض . ووقع قتال عظيم لم يسبق له نظير قبل تلك الايام اسودت به السماء وحجبت عن الارض بغبار المتقاتلين وما برحوا على ذلك الى المساء وعند المساء رجع الجميع الى الخيام وباكروا في اليوم الثاني الى الحرب وكانت اعظم من اليوم الاول . وفي اليوم الثالث كذلك الى ان مضى نحو خمسة عشر يوماً على مثل هذه الحالة وفي اليوم السادس عشر برز داهور على ظهر فيله وطلب الامير حمزة فبرز اليه في الحال وصدمه صدمة الابطال واخذ معه في الطعن والضرب والاخذ والرد والكر والفر حتى تعب كل التعب ولم يأخذ احدهما من الآخر لا حقاً ولا باطلاً وعند المساء رجعا عن القتال وفي قلب كل منهما نيران الاشتعال كيف لم ينل من خصمه ما يطلبه ويرجوه ويرغبه وفي اليوم التابع عادا الى مثل ذلك وفي المساء انفصلا وداما في قتال مدة عشرة ايام دون ان ينال الواحد من الاخر مراماً او يلاح له فيه وجه مطمع وفي اليوم العاشر رجع الامير حمزة غضباناً جداً ومتكدراً من ثبات داهور دون ان يقدر على اخذ ثاره منه وعرف انه اشد باساً من فرسان العرب باجمعهم . ولما اجتمعوا عند المساء في صيوان اليون شاه دار الحديث فيما بينهم بشأن داهور فقال الامير اني والحق يقال اكاد اعجز عن قتاله وحربه ونزاله وما قاتلت في زماني فارساً مثله ولا اظن اني الاقي ولا اعرف كيف اقدر ان اخلص منه واخلص ثاري ولا اعرف هل ان النصر يكون في الاخر لي او له

وحينئذٍ نهض اندهوق بن سعدون وقال اعلم ايها الامير اني كنت احب قبل الان ان استأذنك بقتاله غير اني كنت اخشى من ذلك ولا سيما اني اعرف

موءكداً ان داهور اشد مني باساً ولولا ذلك لما قدر ان يثبت امامك يوماً واحداً والآن حيث اني اريد ان افديك بنفسي ارجوك السماح لي والاذن بقتاله فأما يقتلني واما اقتله واريح الدنيا من شره ومن بعده يتفرق العجم واذا قتلت انا فعندك مثلي فرسان وابطال كثيرون ولكن اذا قتلت انت فما عندنا مثلك قط . فقال الامير ان ذلك رابع المستحيل فقد عرفت ان داهور بطل نادر المثال ولا اريد ان اخاطر باحد من فرساني لاجله فكل واحد عندي منكم يساوي الف داهور لانكم تعبدون الله سبحانه وتعالى وتخدمون مكة المطهرة ولا بد لي من مداومة القتال بنفسي ولو ان الله سبحانه وتعالى يريد لي مكروهاً لما شفاني من تلك الضربة المميتة . وحينئذٍ قال الامير سعد اني كنت احب ان اجرب نفسي مع داهور باجداه فاتعلم منه ما ينفعني فارتاع الامير من ذلك لانه يعرف عناد سعد وقال له اياك من ان تفكر بمثل هذا الامر فما من احد يقاتله غيري لان لي ثاراً عليه . قال اسمح لي ولو يوماً واحداً فاذا نجوت لا اعود الى قتاله واذا قتلت يكون بمساعدة من الله وبدعائك . قال هذا لا يمكن قط ولا تفعل ما لا تريده . فقال عمر العيار ان امر قتال داهور مفوض لخاطر الوزير بزرجمهر فاريد ان اذهب اليه واستشيره في هذا الامر واعرض عليه واقعة الحال ولا بد له من فكر يبديه ولو كان داهور يموت عن يد اخي حمزة لما بقي الى اليوم واخاف ان نقع في مصيبة جديدة وكان عمر قد قال ذلك ليقلل من امل سعد ببراز داهور ويمنع اخاه عن برازه لانه خاف عليه وربما فكر بعمل حيلة لخلاص العرب . فاجاب الجميع طلبه وشكروه على رأيه

وحينئذٍ نهض عمر وتزيا بزي واحد من حجاب كسرى وخرج في الحال باسرع من ريح الشمال واختلط بين الاعجام وباقل من ربع ساعة وقف بين يدي كسرى كواحد من حجابه وصغى الى ما يقولون وسمع كسرى وقومه يتباحثون بشأن العرب وقد قال له داهور اني تعبت جداً من قتال حمزة واعترف انه بطل عظيم فهو خصمي في الميدان ولو صرفت الدهر في قتاله لما قدرت ان اصل اليه

او يقدر ان يصل اليّ لاننا كلانا متساويان واريد ان نترك الحرب مدة ايام الى ان ارتاح مما لاقيت لان ليس في الاعجام واحداً آخر يحمل عني الاثقال او يحميهم من ضربات الاعداء بخلاف العرب فانهم كلهم فرسان وابطال فاذا قتل الواحد قام الاخر مقامه واذا مرض احد سد غيره مسده . فقال بختك اننا سنحمل في الغد بالعساكر فيمكنك ان ترتاح ولا تقاتل معنا يوماً او يومين ومن ثم اطلب البراز فيأتيك حمزة ويكون في هذا القتال غير مرتاح لانه يكون قاتل وناضل . فاستصوب كسرى كلامه واجاب طلبه وانه في الصباح اذا نهض العرب الى القتال يباكرهم رجاله ويقاتلونهم الى المساء

وبعد انقضاء السهرة سار عمر العيار في اثر بزرجمهر حتى دخل صيوانه فدخل خلفه واجتمع به على انفراد وقبل يديه وبلغه سلام العرب واخبره عن صحة اخيه واستشاره في امر القتال وانه جاء مخصصاً اليه بهذا الشان . قال لو جئتم اليّ وسألتموني في الاول لما تركتكم تقاتلون ابداً لتأكدي انكم لا تأتون بالمطلوب وما من امل بالنجاح لكم في هذه الايام وما من فارس منكم يقدر على قتل داهور لان منيته عن يد فارس شاب اشقر اللون طويل القامة وهذا وحده الذي يقدر على خلاص العرب ويكون له بينكم شأن عظيم جداً وتفتخر به العربان جيلاً بعد جيل لان الزمان لم ينشأ مثله والان متى ذهبت الى اخيك وسلطانكم فبلغهم سلامي ودعهم ينزلون الى المدينة الى حين يأتي الفرج الذي هو عن قريب من الزمان يصل الى هذا المكان والا لو قاتلتم الى آخر الاجيال لما نلتم من داهور غرضاً ولا مراماً . قال لقد احسنت يا سيدي وما من العرب من يقدرا ان يخالف لك قولاً فهم يعتبرون كلامك ويأخذونه دستوراً لاعمالهم فلو امرتهم ان يسلموا الى كسرى في هذه الساعة لفعلوا ولو كان في ذلك ذلهم وهلاكهم جميعاً . ثم ان عمراً قبل يد الوزير بزرجمهر وخرج من صيوانه وجاء العرب ودخل على السلطان وعنده الفرسان باجمعهم ينتظرون عودته فلما استقر به الجلوس اعاد عليهم كل ما سمعه من بزرجمهر وحرم عليهم القتال الان وقال ان من يقتل في هذه

الحرب يكون ظلماً وغدراً لان الله لم يقض بعد بقتل داهور فتربصوا وادخلوا المدينة واقيموا فيها للراحة واعاد عليهم ما سمعه من داهور وانه يريد الراحة وقد اتفق مع الملك وبختك ان لا يحارب في مدة يومين . فقال حمزة لولا امر بزرجمهر وشوره لما تركت القتال فاذا تخلى داهور عن الاعجام مدة يومين بددت شملهم بفرساني وما ابقيت منهم احداً ولو كانوا بعدد الرمال . ثم ان السلطان امر الفرسان بان تحمل وتدخل المدينة الى ان يأتي الله بالفرج ففعلوا ودخلوا المدينة ولم يبق في الخارج احداً وعند الصباح نهض كسرى وقومه فلم يروا احداً من العرب قط فقالوا انهم عرفوا بعجزهم وتقصيرهم عن قتالنا فما ارادوا ان يخاطروا بانفسهم وقال بختك اننا اذا ثبتنا على عزمنا في هذه المرة اهلكنا هذه الطائفة وفرقنا كل الجموع المتجمعة معها ويمكننا ان نقيم في محلنا الى ما شاء الله حتى تفنيهم الايام ويحتاجون الطعام فيموتون جوعاً وهذه اشد الميتات ونبعث الى بلادنا فنأتي بكل ما يلزمنا من طعام وخمر وملابس ونحو ذلك

واما العرب فانهم بقوا في المدينة مدة ثلاثة ايام ينتظرون الفرج وفي اليوم الرابع خرج الامير عمر الى البراري والقفار وصعد تلة عالية ووضع المرآة في وجهه وجعل ينظر فيها الى البر عساه يرى الفارس الذي اشار اليه بزرجمهر وفيما هو ينظر رأى عن طريق مكة فارساً ابيض اللون اسود العينين اشقر الشعر طويل القامة مسربلاً بالحديد والزرد النضيد وهو كانه الليث في عرينه يخب الارض بجواده وبين يديه غلام اسمر اللون دقيق القوائم مدجج بالسلاح مضيق اللباس والرباط كانه عفريت من عفاريت السيد سليمان ينطلق في الطريق فيرتفع الغبار الى ما فوق رأسه حتى يغيب عن الفارس ثم ينعكف راجعاً ركضاً كانه السهم اذا انطلق من يد الفارس الجبار حتى يجتاز مولاه ويفعل ذلك باسرع من لمح البصر ثم يعود فيدور من حول الجواد وهو مداوم على ذلك لا يأخذه هدو ولا توان ولا تعب ولا ملال حتى تعجب عمر من ذلك واحتار بامر هذا الفارس وعياره وقال لا بد لي من الاستطلاع على خبرهما ومن يكونان . ثم ادخل المرآة في عبه وتقدم في الطريق

حتى المساء فتبين الفارس والعيار يتقدمان بسرعة عن بعد في تلك الطريق فاكمن في جب الشوك ينتظر ما يكون منهما وهل يداومان على المسير او ينزلان للمبيت في تلك الارض . وبقي كامناً الى ان قرب الفارس منه وعول ان يجتازه فتحرك في الجب وحينئذٍ تاخر فرس الفارس ووقف وشخر فصاح الفارس للعيار ويك ياسيار انظر لي ما في الطريق امام فرسي سلمى فاذا كان اسداً فاقتله في الحال او عفريتاً فاخبرني لانزل اليه واعدمه الحياة او انسان فانصحه ان لا يتعرض لرستم فرتم بن الامير حمزة البهلوان ثم نخس الفرس واراد ان ينط به الجب الى الناحية الثانية وعمر يتحايل له تحت الظلام وهو بلون الليل الدامس وفيما هو كذلك لم يشعر الا وسيار العيار قد قبض عليه من اكتافه ورماه الى بعيد امام الجواد . فصاح به الفارس وقال له من يكون هذا قال عفريت اسود من عفاريت البراري يريد ان يوهمنا في الليل الحالك ولكنني قد عولت ان اقتله في الحـال كي لا يعيقنا من الوصول الى مكة قبل الصباح . قال اياك من ان تمد اليه يداً قبل ان انظره ثم انه قفز الى الارض كانه الغزال في الخفة والسرعة فرأى سيار واقفاً امام عمر وبيده خنجره يتهدده بالقتل اذا هرب او فرَّ وعمر يضحك غير مكترث بما يفعل فلما رآه الفارس صاح به وقال له ويك ماذا تعمل هنا في هذا الوقت فما انت من الجان بل من بني الانسان فاخبرني الصحيح تنجو وتنال العفو والامان والا قتلتك في الحال . قال اني لا اخاف منك ولا من الف فارس مثلك ومثل عياريك ومثل عيارك هذا الغلام ولكن ما وقفت بهذا المكان الا لغاية سأخبرك بها الآن بل اشرط عليك ان تجيبني الى ما اسألك اياه وهو ان تخبرني عن اسمك وابن من انت قال اسمي رستم فرتم علامة شامي الرومي مكيد الفرسان في يوم الطعان ابن الامير حمزة البهلوان . قال واسم امك من هي وبنت من . قال ان امي هي مريم بنت الملك قيصر . قال وهذا الغلام من يكون قال هو عياري سيار ابن الامير عمر العيار الذي لا يوجد اخف منه في هذا الزمان لانه يسبق الريح في الجري ومهما بالغت فيه لا اقدر ان اذكر لك شطارته وعيارته فليس هو الا آفة

من افات الزمان . قال اني اراه كما تقول غير انه قليل التربية عديم الاداب . قال ولما ذلك ومن اين عرفته . قال حيث انه يمد يده الى ابيه ويجسر ان يشهر عليه السلاح واني اعرفه الان بنفسي فانا عمر العيار وزير سلطان العرب وابو سيار وقد جئت بانتظار الفرج للعرب وهو انت فتوقفت من اقرب طريق . فلما سمع رستم فرتم هذا الكلام تقدم من عمر وسلم عليه وكذلك سيار قبل يديه واعتذر اليه عن عمله

ثم سأل رستم عمراً عن ابيه وعن سبب قيامه في تلك الجهة فاعاد عليه القصة من اولها الى آخرها واطلعه على كل ما هو واقع على العرب من داهور الهندي والفرس وان فرسان العرب مقيمين في مكة على اليأس فهاج وماج وارغى وازبد واقسم بابيه انه لا يمكن ان يدخل المدينة قبل ان يقتل داهور الهندي ويلقي على الاعجام الويل والهوان وقال لعمر سر انت الى مكة المطهرة واعرض على ابي ما رأيته واخبره بقدومي واما انا فاني سأسير رأساً الى معسكر الاعجام واباكر معهم الحرب والقتال واقتل داهور وكسرى وبختك وكل نفر كبيراً كان او صغيراً من الاعداء. فقال له ان اباك لما جرحه داهور قتل ولو كان حياً لما كان العرب بضيق فزاد غضب رستم ونزلت الدموع من عينيه وصاح بصوت مالت له الجبال من مراكزها واخذ الصوت في ان يردده من كل ناحية ومكان تارةً من الشرق وطوراً من الغرب وجفل كل وحش في برية الحجاز رعباً وخوفاً ونهض في الحال الى ظهر جواده وقال اذا كان الزمان لم يسمح لي ان ارى وجه ابي قبل ان يموت فقد سمح لي ان لا اترك ثاره وسار مسرعاً وهو يبكي والدموع تنحدر على خديه وبين يديه عياره سيار يقطعان الارض نهباً وركضاً . ورجع عمر العيار متأثراً مما شاهد ورأى من الامير رستم وقد عرف انه من صناديد زمانه وما قال له ان اباك مات الا ليتحرق داخله الى اخذ الثار فيقتل داهور حالاً وبقي مسرعاً الى ان جاء مكة وكان الوقت قبل الصباح فدخل على اخيه حمزة وانهضه من فراشه وسأله ان يجتمعوا الى صيوان اليون شاه فجاء الصيوان واجتمع جميع الفرسان ينتظرون ما يكون من امر عمر ولما دعاهم في مثل تلك الساعة مع

لئه لم يبق للنهار الا نحو ساعة ولما تم انتظامهم قال اعلموا ايها السادات اننا مقيمين في هذه المدينة على انتظار الفرج منه تعالى لتبدد شمل كسرى ورجاله . والان قد عرفت كل المعرفة وثبت لديّ ان الفرج قد اذن به الله سبحانه وتعالى ولم يرض بان نبقى تحت الحصار والكفار طامعة بنا فليذهب كل واحد الى خيامه ويستعد للقتال بعد ساعتين من الزمان فاخرجوا برجالكم وعساكركم الى ضواحي المدينة واصطفوا كالعادة وترون النصر بدون شك فيوم الغد هو اليوم الفاصل ولا ريب بمعونته تعالى تندفع عنا قبائل الاعجام ويهرب كسرى ويقتل داهور العاتي المتكبر

فصغى الجميع الى كلامه وانصرفوا الى قومهم واخذ كلٌ سلاحه ودعا رجاله اليه . وعند اشراق نور الصباح رفع علم بيكار الاشتهار فوق رأس السلطان وتحركت ركابه من المدينة الى الخارج وسار من حواليه حراسه وابطاله ولما صاروا في الخارج امر ان تضرب طبول الحرب والكفاح فسمع كسرى ذلك وقال لبختك ها ان العرب قد خرجوا للحرب ولا اعلم السبب الذي دعاهم الى ذلك مع انهم هربوا من ساحة القتال عن عجزهم وضعفهم . قال لا ريب ان الزاد قد فرغ منهم فيطلبون ليهلكوا بها افضل من ان يهلكوا جوعاً . وعندي اننا نسأل داهور البراز فيميت ابطالهم ومن ثم يحمل على الباقين فنبيدهم وندخل المدينة ونجعلها معابد للنار وندعو العرب الى السجود لها فمن اطاع عفونا عنه ومن ابى احرقناه بها . وكان داهور حاضراً فقال اني سأبرز الى حمزة في هذا النهار عسى ان النار تساعدني عليه فاقتله واذا قتل هان علينا كل شيء

وبعد ذلك امر كسرى بان تضرب طبول الحرف والكفاح وترفع رايات الشمس والاسد وتتقدم الجيوش الى وسط المجال ولم يكن الا القليل حتى اصطف الصفان وترتب الفريقان ووقف كل فارس في مركزه وقد استعد لصدور الاوامر بمشاجرة القتال واذا بداهور الهندي قد تقدم الى وسط الساحة وهو على ظهر فيله كانه البرج المشيد فكان لطوله وارتفاع الفيل يبان من كل مكان

وعلى رأسه خوذة من الفولاذ مصقولة تضيء من تكسير الشمس عليها كانها جوهرة لامعة . وعليه صدرية من الحديد مزرودة لا تعمل فيها الصوارم الحداد . وبعد ان استقر في الوسط امر جماعته ومن حواليه من العبيد والخدم ان ترجع الى الوراء وتقف باحتشام فرجعوا وحينئذ اشار بيديه الى العربان وطلب اليهم ان يبعثوا باميرهم ليعدمه الحياة وينهي عمره في ذاك اليوم . وكان حمزة على اليقظان فاراد ان يسقط اليه وياخذ معه في القتال الا انه سمع صوتاً اشبه بالرعد القاصف قد خرج من اطراف جيوش العجم ثم انحدر من هناك فارس على فرس ادهم كانه الليل الحالك عالي القوائم واسع الكفل عريض الظهر اصبح الوجه . ونظر اليه فرآه ابيض اللون اشبه بالبدر التام وشعره يميل الى الشقرة وهو مدجج بالسلاح وعيناه تقدحان شرار النار . فمال جميع الفرسان الى ذاك الفارس وهم متعجبون منه ولا سيا عند ما رأوه غريب عن المعسكرين وعليه ثياب الملوك القياصرة ثم اطلق ذاك الفارس عنان جواده فخرج كانه البرق الخاطف وبين يديه سيار العيار المتقدم ذكره يسبق الجواد على الدوام بأميال حتى حير عقول الرجال وبقي تاركاً لجواده العنان حتى جاء آخر الميدان

وكان عمر العيار قد عرفهما حق المعرفة فترك مقامه وانطلق يجري الى ان وقف امام الامير حمزة وجعل ينظر الى رستم حتى رآه قد عاد من جولانه ووقف امام داهور وامتشق من وسطه الحسام واراد ان يهجم عليه فقال له داهور كيف تقاتلني وانت لم تعرفني ولا اخبرتني من انت ومع انت صغير السن اراك قوي الجنان فتخاطر بنفسك عن غير هدى ولا قياس ولا تعرف معيار نفسك . قال اما انا فاني اعرفك بنفسي انا الملك قيصر ملك الرومان واسمي رستم فرتم علامة شامي الرومي واسم ابي الامير حمزة البهلوان واما قولك باني صغير السن فهذا هو الفخر العظيم والمجد الذي يشهد به كل جبار كريم لاني بدون شك سأقتلك وانال بقتلك غايتي واخذ بثاري على قتل ابي . قال ان اباك الامير حمزة وهو مشهور بالحرب والبسالة في رجال هذا الزمان ومع ذلك فقد جرحته واهنته ولم

يكن في العرب من يقدر على الثبات امامي فهربوا وتخبوا داخل المدينة فكيف تقدر انت على قتالي والثبات امامي . قال سوف ترى مني ما تتعجب منه وتتذكر تفاوت الفرسان

ثم انه هجم عليه وصدمه بقلب كانه فصل من حر الصوان لا يخاف من طوارق الحدثان ولا يرتاب كاثرت او قلت الشجعان . فالتقى داهور وحمل عليه كانه قضاء الله المقدور وقد قوما السمر الطوال ولعبا بهما على ما تعلما من فنون القتال وهما يصيحان كالذئاب الكاسرة ويهمهمان كالاسود الزائرة وقد ابهروا النواظر وحيرا الخواطر حتى غابا عن الابصار واختفيا تحت الغبار وقد اعجب الامير حمزة قتال هذا الفارس الاشقر وتحير عند ما رأى سرعة طعانه وقوة ضربه وجولانه وقد مال قلبه اليه كل الميل فالتفت الى من حواليه من الفرسان وقال هل رأيتم الى قتال هذا الفارس وتحققتم انه اشد بأساً من داهور وانه لا يلبث ان يلقيه قتيلاً تحت اقدام جواده لانه يزيد الدرهم قنطاراً وما رأت عيناي شبيهاً له قط زماني بطوله واريد ان اعرف من هو ومن اين جاء لانه على ما يظهر غريب الزي ولم يكن بيننا واحد مثله . ثم التفت الى عمر وقال اصدقني الخبر فانك عارف به عالم بحاله ولولاه لما اخرجتنا من مكة فلم يبق لي صبر عن معرفة اسمه وحاله . قال اعلم ان هذا ابنك رستم فرتم ابن مريم بنت الملك قيصر التي تزوجت بها اثناء جمع الميرة وانت في بلاد قيصر والذي تراه امامه يدور من حواليه كانه الشيطان الرجيم هو سيار ابن عمر العيار من الجارية التي تزوج بها هناك . فلما سمع حمزة ذلك كاد يطير من الفرح وتساقطت الدموع من عينيه ولهف قلبه الى معانقة ولده وفطرة كبده واراد ان يلقي بنفسه عليه وهو مع خصمه في القتال ويقبله ويبل روياه منه . فقال له عمر اصبر وانظر فان ابنك لا بد ان يقتل خصمه بوقت قريب لانه بين يديه كالشاة امام الذئب وحينئذ تحمل العجم فنلتزم ان نحمل نحن ايضاً الحملة الاخيرة . وكان الفرسان يسمعون كلام عمر وما منهم الا من تعجب وتحير من سعادة الامير ولا يعلمون ما كان من قصته مع مريم في بلاد

قيصر الا القليل منهم كاندهوق بن سعدون ومعقل البهلوان واصفران الدربندي والامير عقيل والملك النعمان ومن كان معه في ذلك الزمان غير انهم كانوا لا يعرفون ما جرى لمريم بعد زواجها بالامير وسفره عنها وما كان من قصة ابنها

قال اننا كنا ذكرنا هذه القصة بوقتها عند ما تزوج الامير من مريم واقام عندها مدة ايام ثم رحل من هناك وبقيت هي الحاكمة على البلاد القيصرية الرومانية وقد ظهر عليها الحمل بعد اشهر قليلة وانتهت اشهر حملها فوضعت غلاماً كانه القمر عند تمامه وتبين من يومه انه سعيد الطالع موفق الاعمال وبعد نحو خمسة عشر يوماً البسته المعضد الذي اخذته من الامير حمزة ودعت اليها كل رجال مملكتها واعيان دولتها وقالت لهم انتم تعلمون ان زوجي الامير حمزة قتل والدي واقامني مكانه فهو حاكم هذه البلاد وكان لولا حروبه مع كسرى انوشروان والعداوة التي بينهما اخذني معه ولا ريب اذا عرف ابني هذا ان اباه حمزة تركنا وسار اليه ومن الموافق ان نكتم عليه خبر ابيه ولا يذكر له احد اسم حمزة بل نقول له ان اباه كان الملك قيصر فمات واقمت انا مكانه والا عدمناه ولحق باهله فوعدوها بذلك وما عاد ولا واحد من قومها يذكر امامه اسم ابيه ودعت اسمه رستم وهو يكبر وينمى فوضعت له المربين والاساتذة وكان قوي العصب شديد القوى والحيل اذا رفس حائطاً قائماً هدمه او مسك قضيباً من الحديد قصعه وأمه تتعجب من قوته وتعرف انه سيخرج مثل ابيه لا بل اشد بسالةً واقداماً . ولما كبر صار يتعلم ركوب الخيل وفن الحرب والقتال حتى اتقنها غاية الاتقان وصار يخرج الى البراري والقفار

وكان كما تقدم ايضاً ان عمر العيار تزوج بجارية من جواري مريم فحملت منه وجاءت بولد دعته سيار احمر اللون ما بين السمرة والبياض الا ان تركيب جسمه كتركيب جسم ابيه دقيق الرجلين واليدين رفيعهما صغير الرأس كبير الوسط والجسم ومع ان اشتداد قواه كان لا عظم فيه فتربى وكبر مع رستم بن الامير حمزة وصار يرافقه في كل وقته ولا يفارقه دقيقة لا في النهار ولا عند المنام

ولما صار عمر الامير رستم نحو ١٤ سنة دعته امه اليها وقالت اعلم يا ابني اريد ان اترك الملك فتحكم انت على كرسي القياصرة ويكون مرجع الامر اليك ٠ فاجابها الى طلبها وحينئذ دعت اكابر قومها واعرضت عليهم ما نوته ففرحوا جداً لانهم كانوا يحبون رستم محبة عظيمة جداً ويتمنون ان يكون الملك عليهم فنادوا باسمه واجلسوه على كرسي القيصرية والبسوه التاج وصار منذ ذلك اليوم ملكاً الا انه كان يحب الحروب والغارات فصار يركب في اكثر الاحيان ويقصد الفرسان والابطال وكل بلد او مدينة كانت عاصية من قديم الزمان او امتنعت عن دفع الجزية لاسباب سار اليها واذلها واعادها الى طاعته واعظم شيء كان مولعاً به ملاقاة الفرسان فكان كلما سمع بان فارساً اشتهر وامكنه الوصول اليه سار في الحال وحاربه فاما يقتله واما يذله ٠ وكان في نواحي دمشق الشام بطل من الابطال المشهورين اسمه الصيصان قد انتشر صيته وفاق على اقرانه ولم يقدر فارس في كل ايامه ان يذله او يقهره فسمع بذكره رستم فقصد ان يسير الى بلاده فدعا بامه واقامها مكانه وجمع جيشاً يبلغ عدده الاربعين الفاً وسافر يقصد مدينة الشام وجبال حوران وكل تلك النواحي ليلتقي بالامير صيصان فيذله ويتفرج على تلك الجهات ولا يترك عاص قط ولا خارج عن طاعته

وبلغ الخبر الصيصان هذا فجمع جيشه وسار على طريق قيصرية على امل ان يلتقي به في الطريق وفي نيته انه يأسره او يقتله ومن ثم يسير الى بلاده فيملكها ويجلس مكانه ٠ وقبل منتصف الطريق التقى الفارسان فضربا الخيام في تلك الناحية وفي اليوم التالي نهضا وتبارزا في ساحة القتال على مرأى من الجيشين وكان الصيصان يعد بالف فارس من الفرسان الشداد الا انه لم يكن من درجة رستم ولا يعد من رجاله فذل بين يديه وسلم نفسه اليه وطلب ان يكون في خدمته كل عمره فاجاب طلبه ووعده بكل خير وجميل وقربه منه جداً وتصالحا وعاد رستم الى بلاده ومعه الصيصان فجعله وكيلاً عنه في دولته وصار اذا غاب هو قام مقامه واذا حضر جلس بين يديه والناس فرحة به تتحدث بافعاله وما من

واحد منهم اخبره بان اباه الامير حمزة بل كان يعرف ان اباه قيصر وامه مريم وذات يوم قصد الخروج للصيد حسب العادة فوكل مكانه صديقه الصيصان واوسع في البر يطارد الاسود والذئاب والنمور والفهود وما وقعت عينه على واحد منها الا وطارده وضيق عليه المذاهب ثم اصطاده وجاء به الى خدمه وفيما هو على مثل تلك الحالة وقد انفرد في جهة مقفرة عن قومه واذا بامرأة قد اعترضته وكانت هذه الامرأة اسما بري زوجة الامير حمزة وقالت له اني بك مستجيرة ايها الامير فأجرني يجازيك الله . فقال ومما اجيرك . قالت اعلم اني اسما بري حاكمة في جبال قاف ففي هـذه الايام طمع في بلادي الشاه ياقوت الازرق حاكم المقاطعة الثالثة فجردت جيوشي ومردتي ففرقهم وتقوى عليَّ فدعوت بكهاني وارهاطي واستشرتهم في امره لانه ملك اكثر بلادي وكاد يطردني من ملكي فقال لي احد الكهان ان الشاه ياقوت الازرق قوي لا يقتل الا من يد فارس ظهر في بلاد الانس اسمه رستم فرتم وحكى لي عن ابيك فقصدتك في الحال لآخذك معي لتقتل لي هذا العدو واذا فعلت ذلك اخبرتك عن ابيك واطلعتك على قصة امك معه وعلى قصته معي ايضاً

قال ان ابي مات واي شيء تهمني قصته وانا لا اعرفه ومات قبل ان ولدت . فقالت له ان اباك لا يزال حياً وهو فارس فرسان هذا الزمان وسيدها وهذا الذي تقول انه ابوك هو جدك ابو امك . فغضب من ذلك وقال لها كانك تريدين ان تقولي ان امي اخذت واحداً بالحرام فجاءت بي منــه ولذلك اخفت اسمه عني . قالت كلّا بل تزوجت به حلالاً وحكت له قصة امه مع الامير حمزة العرب من الاول الى الآخر وقالت له ان اباك هو الامير حمزة فارس برية الحجاز الذي اشتهر صيته في كل مكان وناح وقد ذل بين يديه كل جبار عنيد وفارس صنديد وكاد يهلك دولة الاكاسرة وقد نزع منهم علمهم الاكبر واذلهم الى آخر الايام ولا ينفك عنهم الا ليبيدهم وهو زوجي ايضاً وحكت له قصته معها وكيف تزوج بها اخيراً ففطن رستم الى هذا الكلام وخطر له الصحيح وفكر ان امه

كانت على الدوام تبكي وكل ما جاء اليها رآها باكية فيسألها عن السبب فتقول له اني اتذكر ابوك واتمنى ان يكون حياً وعارفاً بك فكم كان يفرح لذلك فيبكي هو ايضاً . ثم قالت له ولكي تصدق مني ما اقوله فانظر في المعضد الذي بيدك فهو منه وقد اهداه الى امك وعليه اسمه فنظر فيه وتحقق ذلك وقال لها وكيف لا تذهبين انت الى ابي وتستمدين معونته حتى جئت اليّ . قالت ان الكهين قال لي انك انت وحدك الذي تقدر على قتل الشاه ياقوت الازرق فلو جئت بالف واحد كابيك لما قدر على ذلك . فقال اني كنت لا ارغب في ان اذهب معك بل اريد ان اذهب الى ابي لكن حيث الامر كما قلت فاذهب معك لارى اختي قريشة واقتل لك الشاه ياقوت الازرق واعود في الحال . فرفعته على عاتقها وجاءت به جبال قاف ودخلت به المقاطعة الثالثة فاوقفته هناك واحضرت له سيفاً من الفولاذ مكتوب عليه اسماء وطلاسم من صنعة حكماء اليونان اذا ضرب به الصخر قطعه او الحديد ابراه وقالت له خذ هذا السيف فانه يقتل به وجاءت به حتى اوصلته الى المكان المقيم به الشاه ياقوت الازرق واشارت اليه واختفت هي فتقدم رستم وهو كانه الاسد الكاسر غير خائف من كثرة المردة والارهاط التي كانت تحيط به ولما قرب منه صاح به وقال له ويلك يا شاه ياقوت لقد جئت لاقتلك واخذ روحك من جسدك وخلص اسما بري منك . فصاح به الشاه ياقوت ويلك يا انسي من ادخلك بلادي فلا بد من قتلك ثم انحدف عليه ورماه بعمد من الحديد لو سقط على جبل لدكه فمال عنه باسرع من البرق وتمكن منه بضربة من حسامه جاءت في صدره خرق السيف فيه وخرج من ظهره فصاح من الألم ووقع الى الارض مائتاً فصاحت الارهاط واحتاطت به من كل مكان وقصدت ان تفاجئه لتأخذ بثار سيدها منه فاشهر بيده الحسام وعول على المدافعة وقتالهم واذا باسما بري ظهرت وصاحت ويلكم خلوا عنه والا اهلكتكم عن آخركم وما عاد احد منكم يقدر ان يعصي لي امراً ومن خالف اهلكته واحرقته بالنار فلما سمعوا صوتها تفرقوا واستجاروا وطلبوا الامان فامنتهم على ارواحهم

وادخلتهم في طاعتها وامرتهم ان يحرقوا جثة ملكهم

ثم ان الارهاط دنوا منهـا وقبلوا يديها وتقدموا من الامير رستم يخدموه واحترموه وبعد ذلك اخذته الى قصورها الشامخة واولمت له الولائم واجتمع باخته قريشة وسلم عليها وسلمت عليه واحبته حباً زائداً وقالت له ان هيئتك كهيئة ابي قال وهل رأيته انت فاخبرته بقصة ابيها وكيف ان امها كانت ترغب في ان تبقيه تخلصته وارسلته الى بلاده وهو يقاتل الاعجام فقال لها اني احب ان ارجع الى بلادي حالاً لاخذ عساكري واسير اليه واقيم عنده ولا اعرف كيف ان امي اخفت عني امرها وماذا تقصد بذلك . قالت لا ريب انها تخاف من ان تترك بلادك وتذهب اليه وهو في عداوة عظيمة مع كسرى ملك الانس الاكبر وله اكثر من عشرين سنة وقـد لاقى اموراً كثيرة فتارةً خاسراً وطوراً فائزاً ولكن اخبرك انه اشد العالم بسالةً ونشاطاً وكرامة واني اتمنى ان اكون عنده لو كان يمكنني ذلك لان امي لا تفارق ملكها ولا تترك بلادها وليس لها غيري فالتزمت ان ابقى عندها وبعد ذلك جاءت اسما بري بسيف الشاه ياقوت الازرق ودفعته الى رستم فرتم وقالت له ان هذا السيف لا يثمن بثمن فهو اعجوبة بين سيوف الانس والجان . قال لها حسناً فعلت واشكرك على ذلك ثم جاءته بفرس ادهم وقالت له ان هذا اسمه سلمى الدهماء وهو اشبه بفرس ابيك اليقظان . فلما رآه زاد فرحه به وسر سروراً عظيماً وقال جزاك الله خيراً فاني بحاجة الى مثل هذا السيف والجواد . ثم انها اخذته ودارت به في كل النواحي حتى تفرج على كل ممالكها وصرف نحو اربعين يوماً وبعد ذلك طلب اليها ان ترجع به الى بلاده فاجابت الى ذلك وامرت خادمها كندك المارد ان يطير به الى بلاده فحمله وحمل الجواد وسار بهما في الجو الاعلى حتى وصل الى قيصرية فانزله في الخارج وودعه ورجع الى جبال قاف فركب الجواد وهو من تحته كالبرج المشيد ونزل الى البلد فوجد قومه وجماعته باضطراب عظيم وقلق زائد ولما رأوه انحدروا اليه وسلموا عليه وهم يتعجبون من فرسه وحاله وسألوه في اي مكان كان فاعاد عليهم القصة

من اولها الى آخرها

ومن ثم انصرف الى امه فوجدها باكية نائحة فقال لها لما هذا البكاء قالت له من اجل فرقتك فاني كنت مشغلة الفكر بسببك قال اني جئت ولا لزوم للبكاء بل للفرح وكثيرًا ما رأيتك على مثل هذه الحالة فاسألك فتقولين لي تذكرت اباك الى غير ذلك من التقولات الفارغة مع انك تخفين الحقيقة وتزعمين ان ابي مائتاً فاخبريني من هو ابي وكيف كانت قصتك معه لارى هل ان ما سمعته صحيحاً . فتأكدت انه اطلع على حالة ابيه وعرفه . فقالت لم يبق من وجه للاختفاء واني اريد ان اطلعك على حال ابيك ولو ما اطلعك احد عليه لان الوقت حكم بذلك فابوك هو الامير حمزة ابن الامير ابراهيم امير مكة وقد جاء هذه البلاد وتزوج بي وحكت له القصة من اولها الى آخرها وقالت له اني كنت ناوية كل النية ان لا اخبرك بامر ابيك خوفاً من ان تترك بلادك وتذهب اليه لانه في غنى عنك وهو رجل يحب الحروب والغارات وقد عادى اكبر ملوك هذا العالم وسيدهم الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان واخذ منه بنته بالرغم عنه وتركه ذليلًا حقيرًا الى آخر الازمان . ولما غبت في هذه الايام وشغل فكرنا من اجلك خفت ان تكون اطلعت على سر المسألة وعرفت ما هو مخيف عليك فذهبت الى هناك ولم تعلم احدًا بذلك فارسلت رسولاً الى حلب فغاب اكثر من شهر ثم عاد اليّ واخبرني ان العرب ذهبوا الى نهروان فقتلوا ابن عم كسرى وجماعته ثم رجع عليهم كسرى ٢١ كرة من العساكر فحاربوهم عدة ايام وكادوا يبددون شملهم غير ان في الاخير تبارز ابوك مع فارس من الهنود يركب الافيال فجرحه وبعد ان جرحه رحل العرب كلهم الى مكة ولم يأتوا حلب مع ان نساءهم واولادهم هناك . ولا يعلم احد ماذا صار به ولذلك تراني ابكي وانوح واندب حظي كيف اني لم اكن عنده لاخدمه واداري جرحه واكون قادرة على الحصول على رضاه كغيري وربما يكون هذا الجرح مميتاً فيموت ولا اراه ولا يرى ولده رستم ويسر به وندمت كثيرًا على ما سبق مني

فلما سمع رستم هذا الكلام قال لقد صح ما سمعته يا اماه من ان ابي الامير حمزة واعتب عليك كيف اخفيت عني امره وكيف تقبلين وانا اجلس هنا براحة وحظ وهو يقاتل الفرسان الكبار الذين اتمنى ان القاهم في الميدان وخصوصاً ركبة الافيال ألا تعلمين ان مثلي اذا كان عند ابي يفوز به على العجم ولا ريب اني اعضده واساعده . فقالت له اني اعرف ذلك ولكن عند ابيك نحو ثلاثين فارس مثلك من نخبة الفرسان وابطالها كل واحد يتكفل بمائة الف فارس عند القتال بعضهم يقاتلون على الافيال وبعضهم على الخيول ولا سيما ان عندهم عمر العيار ابو عيارك سيار فانه آفة العرب ومدبرهم ومنجيهم من الشدائد والاخطار لا نظير له في العالم قاطبة الا اذا كان ابنه سيار فاذا تعلم منه فن العيارة نفع العرب كثيراً ثم اطلعته على ان عمراً تزوج باحدى جواريها فجاءت بهذا الولد فاختصته لخدمته كما اختص ابوه اباه . فقال لها كوني حاضرة فان لا صبر لي على فراق ابي واني بعد ثلاثة ايام سأسير الى مكة المطهرة وارى ابي هناك فان كان حياً اجتمعت به واقمت عنده كل الايام واي شيء ارتجي في هذه البلاد واذا كان قد مات سرت الى بلاد كسرى وقتلته ونزعته عن الايوان وعدت فجمعت العرب من جديد ولا ارجع ما لم اخذ بثار ابي من قاتله

وفي اليوم الثاني جاء الى سرايته واجتمع بالامير صيصان وقال له نبه على رجالك ان تستعد الى السفر فاني قد عزمت على الرحيل الى مكة المشرفة . قال ماذا تريد ان تفعل هناك . قال مرادي ان اذهب الى ابي الامير حمزة البهلوان فاقيم عنده حياتي بطولها ولا افارقه . فقال له من ابن حمزة البهلوان والدك وهو فارس برية الحجاز وبطل هذا الزمان ومذل كسرى انوشروان وعنده من الابطال والفرسان ما لا يوجد مثلهم في هذه الاكوان . قال وهل تعرفه قال كيف لا وقد مرَّ من بلادنا مراراً فاضفناه وترحبنا به خوفاً من سطوته لانه جبار لا يصطلى له بنار ولا يقف امامه لا صنديد ولا جبار وعنده فارس اسمه اندهوق بن سعدون من الهنود يقاتل على الافيال وعنده ايضاً المستدي حامي السواحل وهو نادرة

هذا الزمان وقــد تزوج باخته سلوى وعنده بشير ومباشر وقاهر الخيل ومعقل البهلوان واصفران الدربندي وانضم الى خدمته الملك النجاشي ملك الحبش وعمر الاندلسي امير المغاربة وفارس الغرب وملوك التركمان والاكراد وعنده ابنه عمر اليوناني ابن بنت ملك اليوناني وابنه الامير سعد فارس هذا الزمان من طوربان بنت ابن عم كسرى الذي لا يلقاها فارس في ساحة الميدان وعنده ملك القسطنطينية وملك اليوناني وغيرهم من الملوك العظام وفي الاخير انضم الى خدمته وتحت رايته فرهود صاحب التكرور وملك السودان وهو من الجبابرة العظام اصحاب البطش والاقدام . ولو كنت اعرف بان اباك الامير حمزة لاخبرتك عنه من زمان ولا تركتك تبقى هنا ولا يوماً واحداً وانا على الدوام استقصي اخباره واسأل السياح والسعاة عما جرى بينه وبين كسرى لان هذه العداوة تهم العالم اجمع واصبح كل الناس من الشرق الى الغرب ينتظرون نتيجتها ليعرفوا نهايتها ولم يسمع ان حرباً اتصلت الى اكثر من عشرين سنة وكم هو جميل ان تكن مع ابيك واخوتك . فزاد شوق رستم الى ذلك وقال لا بد من المسير فهل سمعت ان ابي مجروحاً . قال سمعت ذلك وانه أُخذ الى مكة وسمعت ان الجرح غير مخطر وانا انتظر ان اسمع ماذا جرى بعد جرحه . قال سنسعى نحن خلف ذلك واشتهر في المدينة ان الملك ووكيله الصيصان سيسيران الى مكة وقــد اخبر بابيه الامير حمزة فاخذ كثيرون منهم ان يستعدوا للسفر معه الى مكة المطهرة وبعد ثلاثة ايام ركب فرسه وتقلد بسلاحه ورفع امه وجاريتها ام سيار على هودج من الحرير وسار عن قيصرية بعد ان اقام عليها حاكماً من قبله واوصاه بالعدل والانصاف وسار في ركابه نحو ثمانين الف فارس ما عدا العبيد والخدم وسار بين يديه سيار العيار كأنه السهم الطيار وركب العساكر وما برحوا في مسيرهم ورستم يتمنى ان يطير ليصل الى مكة ويشاهد اباه واخوته واهله وهو يتصور كيف يجتمع بابيه اذا رآه حياً وكم يفرح به اذا رآه وشاهد منه انه فارس عظيم ثقيل العيار وهو يسأل الله ان يكون اباه في قيد الحياة ولما بقي بينه وبين مكة نحو يومين واستلموا الطريق القويم

قال رستم للصيصان سر انت على مسير العساكر واعتني بوالدتي وانا ارغب في ان اسبقكم واجتمع بأبي واعرفه بنفسي فلم يقدر على مخالفته وسار كما تقدم معنا وبين يديه سيار العيار الى ان التقى به عمر وجرى ما جرى واخبره بان اباه قد مات فزاده حسرة وضاعت كل اماله ولم يبق همه الا ان يأخذ لنفسه بالثار

فهذا ما كان من قصة رستم فرتم ولنرجع الى سياق الحديث فانه بقي في قتال داهور وهو يصول ويجول من حواليــه كانه القضاء المنزل حتى اتعبه واكربه وضيع منه صوابه وشاهد تقصيره وعرف انه ما عاد يقدر على الثبات . واذ ذاك سد عليه طرقه وطرائقه وصاح بصوت اشبه بالرعود القواصف رن في اذان تلك الجموع الغزيرة التي كانت مع كثرتها ساكتة لا تبدي حركة منتظرة نهاية القتال مأخوذة من افعال الامير رستم الذي لم يخلق على وجه البسيطة في ذاك الزمان اقدر منه بالجولان وسرعة الضرب والطعان فكان من هذا الصوت ان استدعى انتباه الجميع وسمعه البعيــد والقريب من جيوش مماكتي الفرس والعرب وقال في صياحه هلموا ايها العرب اصحاب الشرف والحسب وكل من اليهم انتسب وانظروا فعل ابن الامير حمزة البهلوان في عدوه داهور الهندي القرنان وتذكروا هذه الضربة الى آخر الزمان وتناقلوها لساناً عن لسان وانساناً عن انسان ثم رفع يده بالحسام حتى بان ما تحت ابطه وصاح يا لثارات الامير حمزة يا لثارات الامير حمزة ونزل بالسيف يهوي كانه الرعد القاصف ورأى داهور ذلك فارتبك ولم يعد يعرف يمينه من شماله وراى الموت عياناً ومد يده بالطارقة ليلتقي سيف الامير رستم وهو سيف الشاه ياقوت الازرق فوقع السيف على الطارقة فقطعها نصفين واصاب الخوذة فابراها واصاب رأس داهور من اعلاه ففلقه ونزل السيف باسرع من لمح البصر حتى اصاب ظهر الفيل فنزل به نحو شبرين فوقع داهور قطعتين وضرب الفيــل بخرطومه الارض من شدة الالم واراد ان يضرب رستم به وينتقم لنفسه منه فاسرع بان ضربه ضربة ثانية القاه مائتاً وسمع صوتاً من عموم العرب لا شلت يداك يا نسل الاخيار وبالعكس صاحت رجال الاعجام وتمنت قطع يداه ووقع

كسرى وبختك بالغيظ والكدر وفي تلك الدقيقة صاح الامير حمزة بفرسان العرب ان تحمل من كل ناحية ومكان وحمل هو في مقدمتها كانه الاسد الريبال فارتمت العربان على الاعجام واشتغلوا فيهم ضرب الحسام وقد ترجح لهم الفوز والنجاح في ذاك اليــوم العظيم الاخطار الكثير الزحام فدافع العجم دفاعاً قوياً وقاتلوا قتالاً شديداً على امل الثبوت الى اخر النهار ومن ثم يطلبون الهرب تحت ظلام الاعتكار فقامت القيامة وقلت السلامة واخذ الجبان الندامة فاندفقت الادمية كالسواقي من كل ناحية ومكان وتجدولت في حفر الارض كالغدران ولم يسبق ان سمع بمثل ذاك اليوم منذ قديم الازمان لان رستم فرتم فعل افعال الجان فافنى جموع كسرى وشردها . واضاعها وبددها . وفعل مثله الامير حمزة البهلوان وهو مسرور القلب فرحان . باعمال ابنه عروس الميدان . وبطل الدهر والاوان . وكذلك عمر اليوناني فانه من فرحه باخيه طال واستطال . واجهد نفسه في القتال وفرق الجموع من اليمين ومن الشمال . وتركهم عبرة لمن يأتي بعده في الاجيال وهكذا الامير سعد فقد اكثر الكر والفر والقرب والبعد وهو يعدد بالرجال على بساط الوهاد ويضرب فيهم ضرباً يذهب بهم الى راحــة الرقاد . اما اندهوق والمعتدي وباقي الفرسان الاقيال فقد فعلوا افعال اسود الدحال . ووطدوا العزم بان لا يرجعوا عن ساحة القتال الا بعد تفريق الاعجام الارزال

وفيما الحرب قائمة على ساق وقدم وقد اختلطت ببعضها تلك الامم مسلمة بارواحها الى سلطان العدم . واذا بالامير صيصان قد وصــل ورأى المعركة مشتبكة فحمل وحملت من خلفه فرسان الرومان من خلف الاعجام وعملوا في اقفيتهم بالصارم الصمصام . فتوهموا ان الارض كلها رجال وخاف كسرى من ان يقع في ايديهم او يصاب بمصاب فامر حراسه ان تسرع به من ذاك المكان وكرّ راجعاً يركض ومن خلفه بختك وبزرجمهر وباقي اعيان الفرس ولما رأى قومه ان ملكهم قد هرب الووا اعنة خيولهم وطلبوا الفرار واملوا بالخلاص من العرب فلم يمكنهم منه حتى التمكين بل داوموا القتل في اقفيتهم الى الظلام وقد قتلوا

منهم كثيرًا ومن ثم رجعوا الى المدينة سالمين غانمين فرحين الا الامير رستم فانه جعل يبكي وقد تقدم منه الامير حمزة وقال له يا ولداه هلمَّ اليَّ لاسلم عليك فقال له قبل كل شيء وقبل ان اسلم على احد منكم دلوني على قبر ابي الامير حمزة لانزل وابكي هنالك فلا اكون عرفت احدًا قبله لاني محروق على ان اراه ولم يسمح لي الزمان ان اقبل يديه واريد ان ابشر تراب ضريحه باني اخذت له بالثار من عدوه الغدار واعده اني لا ارجع حتى افني الاكاسرة والاعجام ولا ادع واحدًا من عبدة النــار واذا كان ذلك لا يكفي لحقت بني الانسان والذين لا يعبدون الواحد الديان فلما سمع حمزة تأكد انه يظنه مائتاً فرمى بنفسه عليه وقال ابشر يا ولدي فقد نلت من زمانك ما تمنيته فانا هو ابوك حمزة وجعل يقبله فقبل يديه وهو يتعجب ويكاد لا يصدق انه ابوه بعد ان تحقق موته وحينئذٍ وصلت مريم بنت قيصر فنزلت عن الهودج وسلمت عليه باحتشام وقالت لابنها هوذا ابوك يا اماه . فقال اعجب من ذلك لان عمي عمرًا اخبرني انه قتل وان الذي قتله هو داهور الهندي . فقال عمر لا تصدق ذلك فهذا ابوك وما قلت لك ذلك الا لازيدك ميلًا للانتقام والحمد لله فقد قضيت الغرض وشفيت المرض

قال ومن ثم تقدم اليه جده الامير ابراهيم وسلم عليه فقبل يديه وتبرك من بركته وسلم عليه اخوه عمر اليوناني والملك النجاشي وباقي فرسان العرب وملوكها وساروا به الى صيوان اليون شاه والتقى باخيه السلطان قباط فقبــل كل منهما الاخر وسلم عليه وجلس بقربه وهو مأخوذ من كثرة فرسان العرب وجعل كل واحد يهنيه بدوره ويسلم عليه وقد عاد فقبل يد ابيه ثانياً وقال له لا تلمني يا ابتاه على تقاعدي عن خدمتك الى هذا اليوم فاني كنت لا اعرف انك ابي وقد كتمت امي عني حديثكم ولو عرفته منــذ الاول لكنت من زمان هنا واي شيء احب لديَّ من اكون مع ابي واخوتي واهلي . فقال له ان امك معذورة في ذلك لانك وحيد عندها وحيث كنت صغيرًا كان لا يسعها ان تشغل فكرك بغير ما يفيدك فاخفت عنك خبرنا واما عند ما رأت انك صرت كافياً وافيــاً بالمطلوب

فكتب كتاباً الى كسرى يقول له فيه

بسم الله الواحد القهار العزيز الجبار . خالق الليل والنهار . لا اله الا هو . رحيم رحمن له وحده الملك والعظمة والسلطان

من الملك قباط ابن الامير حمزة ملك ملوك العربان الى الملك (كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان)

« اعلم ايها الملك الاكبر اننا وان كنا قد فزنا عليك واستظهرنا ونلنا ما نتمناه الا اننا ما زلنا نعتبرك ونحترم قدرك لانك سلطان جليل القدر عظيم الشان وجدي ابو امي وابي هو صهرك ولذلك لا نرغب في اخراق حرمتك ونحب ان نستئصل هذا الشر والعناد من بيننا وذلك لا يمكن ولا يرتفع القتال وتعود الحال الى مجاريها الا بعد قتل بختك الوزير الذي كان السبب في كل ما جرى حتى قتل الوف والوف الوف بسببه منذ اول يوم دخل ابي المدائن الى هذا اليوم ولذلك نريد منك ان تسلمنا اياه لنقتله بايدينا وبعد ذلك تعترف بسلطنة العرب واستقلالهم التام وان لا يكون للفرس عليهم فيما بعد لا جزية ولا ضريبة وان الملوك والبلدان التي دخلت في ايدينا تكون لنا مع ملحقاتها وتوابعها ومن شاء من الامراء والملوك ان يترك سلطة الفرس ويدخل تحت سلطة العرب يكون له الخيار فلا احد يعترضه في ذلك ومن شاء من الذين مع العرب ان يخرج عن طاعتهم الان وينضم اليكم فلا نمنعه فاذا تم ذلك رحلنا عنك وتركنا لك بلادك وسالمناك الى الابد ونحن نأمن على ذلك ما دام بختك لا يوجد في ديوانك والا ما زال حياً فانه لا يلبث ان يعود الى الافساد فسلمنا اياه تسلم بلادك والا زحفنا عليك وخربنا ملكك واهلكناك ونزعنا تاج الاكاسرة منك وحملناه الى العرب ونقلنا الدولة الكسروية الى العربية وابدنا كل عبدة النار الى اخر الادهار فاذا اجبت كان خيراً وسلاماً والا فتلاقي ضيراً وانتقاماً

وبعد ان فرغ من هذا الكتاب طواه وبعثه مع رسول الى كسرى فاخذه وسار به الى الايوان فصعده وتقدم من كسرى وهو في ديوانه وسلمه التحرير

فقراه وعرف رموزه ومعناه والتفت الى بختك وقال له ماذا اجيب والعرب يطلبون الينا ان نسلمهم اياك ليقتلوك ويعدموك الحياة وقد اصابوا في ذلك لانهم كانوا عبيدي وتحت طاعتي فعملت على هلاكهم حتى خرجوا عن طاعتي وعملوا على عداوتي وساعدهم الزمان واذا لم اجبهم هلكت الى الابــد وخسرت الاعجام السلطة ابداً قال اصبر يا سيدي عليَّ بعض ايام وانا اتعهد لك بارجاع العرب عن بلادك ريثما انظر في طريقة تريح بالك وتحفظ حياتي وحياتك ولا تصدق ان العرب يرضون بي لانهم كذابون ويعلمون اني بتدبيري اقدر على انقراضهم وكبحهم فرغبوا في قتلي وبعد ذلك يسهل عليهم كل ما يطلبونِ وربما بعد قتلي طلبوا قتلك وحينئذٍ لا يعود يقف احد في طريقهم فاصرف الرسول الان الى ان نرى ما هو حسن فسمع كسرى الى كلامــه وخاف من ان يسلمه اليهم فيفقد تدبيره ومشورته ويعدم من فطانته وذكائه . والتفت الى الرسول وقال له اننا سنرسل الجواب الى مولاك في غير هذا اليوم بحيث نكون قد فكرنا بطلبه فرجع الرسول واخذ بختك في التدبير والتفكر مدة ثلاثة ايام وهو يجهد نفسه ليرى طريقة يتخلص بها من العرب ويخلص المدائن وفي اليوم الرابع جاء ديوان الملك كسرى وهو باسم الوجه مسرور الخاطر فقال له في ما فكرت فان الوقت حرج ونحن تحت الحصــار . قال اني صرفت الجهد ولم ارَ الا طريقة واحدة وهي ان تبعث بوزيرك بزرجمهر الى سلطان العرب ويكون الواسطة لصرفهم عن المدينة لانهم يعتبرونه ويحبونه كواحد منهم ولما كان الامير حمزة يحضر في ديواننا كان لا يخالف ابداً بزرجمهر ولا ريب انه اذا سألهم الانصراف انصرفوا واذا بقوا فيكون هو قد حملهم على ذلك وهذا اعتقادي ويقيني . فلما سمع كسرى هذا الكلام تمسك بــه وقال لبزرجمهر اي وزيري اني افوض اليك هذه المهمة واسألك دفع العرب عن المدينة واذا قصدت ذلك فانك تقدر عليه لا محالة . قال سأبذل جهدي فيه وانت تعلم اني ارغب في حسم النزاع بينك وبينهم وكلما اجتهدت في اطفاء جمرة العدوان اجتهد غيري في اشعالها ولذلك لا اظن ان العرب يصغون اليَّ

اذا لم يوافقهم كلامي قال لا بد من مسيرك اليهم فانت امين على بلادي فدبر ما شئت من هذا الوجه واصرف الغاية الى اقناعهم . فنهض بزرجمهر وركب بغلته ومشى خدامه في ركابه وخرج من المدينة وبقي سائراً حتى وصل الى معسكر العرب . وهناك وصل الخبر الى الامير بقدومه فاسرع في الحال الى ملاقاته مع فرسان العرب اجمع ولما وصلوا اليه ترجل وسلم عليهم فسلموا عليه وقبلوا يديه ومشوا امامه باحتشام واحترام حتى دخل صيوان اليون شاه فلاقاه السلطان الى الباب وسلم عليه واجلسه الى جانبه وامر ان يؤتى له بالشراب وقال له الامير لم تأتنا الا لغاية مهمة لا نعلمها فافدنا عنهـا هل ان كسرى قبل ان يسلمنا بختك ويقبل الشروط التي اشار بها ولدي قباط سلطان العرب قال اعلم ان بختك طلب الى كسرى ان يرسلني اليكم بشأن الصلح وادفعكم عن المدينة وكنت احب ان لا اجيئكم في ذلك لكنه الح عليّ به . فقال السلطان قباط انظر ايها الوزير الحكيم في كل شيء تريده فاننا باجمعنا طوع امرك وتحت ارادتك ولا نعصي لك امراً قط فاذا امرتنا بالرحيل رحلنا واذا امرتنا بالبقاء بقينا . قال اني مرتابٌ في هذا الامر لان بختك اذا رحلتم يعود الى اضرام نار البغض في قلب كسرى فيعيده الى الحرب والقتال ويجمع ضدكم الفرسان والابطال وربما اكثر من الاول باضعاف ولا اعلم ماذا تنتهي اليه فيما بعد احوالكم مع انكم الان قادرون على اجباره على كل ما تريدون وجل غايتي ان تقرضوا الدولة الكسروية لا لقلة امانتي لها ولا بغضاً بها بل لانها تبغض كل من يعبد الله سبحانه وتعالى وعاملة على عبادة النار في المساء والصباح وباقي الاوقات واي شيء احب لديّ من ان ارى الاعجام باجمعهم يسجدون لله و يوحدونه ويسمعون كلمته ويهدمون معابد النيران . ومن وجه اخر اريد ان لا ارجع بالخيبة والفشل ويشتبه كسرى في امانتي ويظن اني اتفقت معكم على دوام العناد

فحينئذٍ قال له الامير حمزة اننا نحترم قدومك علينا فلا نعيدك بالخيبة فاخبر كسرى اننا صالحناه ولا نريد منه شرطاً غير اننا لا نرحل عن بلاده بل نبقى

نحو شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة فيمكن لرجالنا ان يدخلوا المدينة ولرجال الاعجام ان يأتوا معسكرنا دون ان يكون بيننا من العداوة ما يمنع ذلك ومن ثم نرى ما يكون من امره وهل ان باطنه صفي الى الغاية ويمكن في هذه المدة ان نرتاح نحن ايضاً من اتعاب السفر . واسارك ايضاً ان بختك لا يمكن ان يرانا بالقرب من المدينة ويسكت عن عداوتنا فاذا بدأ منه شيء جديد يكون الحق عليه ونحتج امام كسرى بانه ما عمل على الوفاء بل يقصد لنا الشر . فاستصوب بزرجمهر ذلك واقام عندهم نحو ساعتين وقد تناول الطعام وشرب الشراب وودعهم وعاد الى المدينة ففتحت له الابواب ودخل وسار الى الديوان . فقال له كسرى اخبر ايها الوزير العاقل هل قبل العرب واجابوا الى الصلح . قال اني صرفت وقتاً بالمخابرة معهم وجل ما قدرت اجريه هو انهم قبلوا بالصلح وان لا يطلبوا لذلك شروطاً ولكن لم يقبلوا بالرحيل لخوفهم ان بختك يعيد اليك جرثومة الانتقام فتجمع العساكر بقصد حربهم فاعتمدوا ان يقيموا مدة شهرين بعيدين عن المدينة مقدار نصف ساعة وما من مانع يمنع اختلاط العسكرين اذ لا يكون بينهما لا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال وكل ما مضى يكون منسياً من الطرفين فقط لا يحضرون الى ديوانك ولا يحضر احد من قومنا الى ديوانهم فلما سمع كسرى ذلك سر سروراً لا مزيد عليه وقال لا بد من ان في هذه المدة نرى طريقة الى مرضاة العرب وحيث وعدوا بعدم القتال فانهم يقومون بوعدهم وكذلك بختك فانه رأى ان العرب قد تنازلوا عن قتله فلم يعد يهتم الا بهلاكهم وأمن على نفسه من الموت والهلاك

واجلى العرب عن المدينة وبعدوا قليلاً عنها وانتشر خبر السلام بين العرب والعجم فسر له جميع سكان المدينة وفكروا ان الحرب ستنقضي بعد مدة ولا يكون من ثم عداوة بين الفريقين وصار اهل البلد يخرجون الى معسكر العرب ويبيعونهم من فاكهتهم واثمارهم ولم يبق من مانع يمنعهم عن بعضهم البعض ودامت هذه الحال الى مدة سبعة ايام . غير ان في كل هذه المدة كان لهيب العدوان يشتعل

في قلب بختك الوزير حتى كاد يقتله واعمى الحسد بصره واضاع صوابه ففضل الموت على هـذه الحالة واخذ يبحث عن طريقة تكدر العرب وتضعفهم وكان يحب حرق قلب الامير حمزة ويتركه بلا راحة طول حياته ويضعف شوكته ويذله ولم يرَ وسيلة الى ذلك الا السعي الى قتل اولاده واحداً بعد واحد اما بالحيل والخداع واما بطريقة اخرى . ولما تقرر في ذهنه هذا الامر جعل يفكر في اتمامه وكان يؤكد انه اذا قتل الامير رستم وعمر اليوناني مات الامير حمزة حزناً عليهما وكانت اخرته اخرة قلق وعدم راحة وعناء وما برح على ذلك الى ان لاح له وجه الحيلة . وحينئذٍ اجتمع بفرمزتاج ابن كسرى وقال له اني اريد ان اطلعك على امر لك فيه الخير والنجاح ولكن قبل كل شيء ارغب في ان تقسم لي بكتمان الامر وعدم اظهاره امام احد من كبير وصغير قبل اتمامه . فاقسم له بذلك وشدد الاقسام . فقال اعلم ايها السيد العظيم اني في هذا اليوم اجتمعت بابيك ودار بيني وبينه الكلام بشأن الملك فقال لقد سئمت نفسي وارى ايام حياتي الاخيرة لم تكن ايام راحة وهناء ولذلك اريد التنازل عن الملك لولدي خرسف لانه حكيم عاقل وصاحب تدبير وهمة ونشاط . فاعترضت عليه في ذلك وقلت له اذا كنت قد نويت كل النية على التنازل فسلم الملك الى ابنك فرمزتاج لانه ذو همة ونشاط واشد ادراكاً من اخيه خرسف فقال لي ان فرمزتاج محب للعرب وفي كل يوم يذهب الى ما بينهم واني حتى اليوم ما رأيت منه عملًا يذكر يستحق به ان يكون ملكاً على بلاد الاعجام وطال بيني وبينه الجدال ولم اوافقه عليه وحاولت ان اترك المخابرة بهذا الشان الى يوم اخر بيننا اكون قد اجتمعت بك ودبرنا طريقة ترضي ابيك ويظهر بها فضلك على العجم

فلما سمع فرمزتاج ذلك انعطف اليه قلبه وقال لبختك انت ابي فدبر امري وانظر في ان لا يأخذ الملك اخي خرسف فاني لا اطيق ذلك ولو خسرت روحي واذا ساعدتني عليه شاركتك في الحكم وجعلت لك الارزاق زيادة عما لك الان . قال اني فكرت في ذلك كثيراً ولم ارَ الا طريقة واحدة وهي اقدر بها ان امنع

ابوك واقوده وازيل من رأسه الحجة التي يحتج بهـا ويلزمك لذلك ان تكون حكياً خبيراً الى حين ينفذ الامر . قال قل ما تشاء فاني اخاطر بروحي لاجل غايتي . قال انت تعلم ان السلام واقع بيننا وبين العرب الى مـدة شهرين وبعد ذلك لا بد من عودتهم الى الحرب فيتزعون الملك منا وقد رأيت رأياً حسناً وهو ان تتوصل الى اسر احد اولاد الامير حمزة وتخفي امره ثم نأسر غيره حتى تضعف العرب فاذهب اولاً الى عمر اليوناني وكل الطعام عنده وابسط مودتك اليه وفي اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث اعزمه الى قصرك واحـذر من ان يعلم احد بذلك ومن ثم نقبض عليه ونسلمه الى ابيك واقول له هوذا ولدك يهتم بامر الملك ويظهر بان اعماله ناجحة ثم ارى ما يكون وعليَّ فيما بعد تدبير الاحوال ونهاية العمل . فقال فرمزتاج سوف انهي لك ما اشرتِ وافعل ما اردت فكن مطمئناً ولا ادع اخي يأخذ الملك ويكون ابي راضياً عليه اكثر مني

ثم ان بختك فارق فرمزتاج واوصاه بالمحافظة على هذا السر كثيراً وان لا يدع العرب يدركون ما هي غايته واجتمع بالامير خرسف ابن كسرى الثاني وقال له نفس الكلام الذي قاله لاخيه من ان اباه يرغب في تسليم الملك اليه وقد دافع في ذلك وعانده كثيراً فارتاع خرسف وسلم بكل ارادته الى بختك وقال له دبر في امري فمن غيرك لا اروم نجاحاً . قال اني رأيت من الصواب ارضاء لخاطر ابيك ان تسعى الى رستم فرتم ابن الامير حمزة وتصادقه وتضيفه ثلاثة ايام سراً ثم تعزمه الى قصرك ليتناول الطعام عندك وحينئذ نقبض عليه ونسلمه الى ابيك فيعرف فضلك على اخيك واهتمامك بامر نجاح الدولة . قال سوف ترى مني ما يرضيك ولا بد من اسر رستم فرتم بالحيلة التي دبرناها وبذلك اكون مستحقاً الملك وممتازاً بالاعمال على اخي . وسر الوزير بختك لما رأى ان الاثنين انقادا اليه ولاح له ان اولاد الامير سيقعا في يديه قريباً فيعدمهما الحياة ومن ثم يدبر في هلاك غيرهما . وفي الصباح خرج فرمزتاج من المدينة وسار حتى جاء صيوان عمر اليوناني فدخل وسلم عليه فترحب به كل الترحيب ولاقاه احتراماً لزيارته وقال

ابن كسرى اني رأيت من العار علينا ان يكون السلام بيننا ونحن نتقاعد عن خدمتكم وزيارتكم اولاً لانكم ضيوفنا وفي بلادنا وثانياً لاننا نرغب في ان نمكن المودة بين العرب والعجم ونقلع الشر ونزيل الاسباب ونعطي العرب حقهم ولو اطاعني ابي الان لقتل بختك بن قرقيش ورضي على ابيك وارتاح باقي عمره لكنه يحبه كثيراً ويعتبر كلامه ويخاف نفوذه وانا اصبحت مغتاظاً من ذلك ولا بد من ان نصطحب نحن ونجعل حداً لهذا العدوان مع اننا كلنا من الجنس البشري وعبادة الحكم هي اصح بكثير من عبادة النار الموجعة له فقال له عمر ان الشر لا ينقلع من بيننا الا بعد ان تسلمونا بختك . قال اني لا اقبل بالحرب بعد ذلك فكن شاهداً عليّ . وحينئذ امر عمر بان يؤتى بالطعام والشراب ووقع بينهما الاصطحاب والتواد واقام كل ذاك اليوم هناك وعند المساء عاد الى المدينة واطلع بختك على ما كان فمدح منه كثيراً وسر من اعماله وحينئذ جاء خرسف فصرف قرمزتاج وقال له لا تظهر امام اخيك شيئاً من هذا لانه ربما يكون ادرك غاية ابيك فجاء اليّ لاقر اليه وادعه يسلمه اياه وهذا لا يمكن ابداً فودعه وخرج فرحاً ثم دخل خرسف وقال له اني ذهبت في هذا اليوم الى الامير واقمت عنده كل النهار وقد اكرمني مزيد الاكرام واضافني الضيافة الحسنة واعاد عليّ مراراً الرجاء باستئناف الزيارة فوعدته ورجوته زيارتنا فاجاب اني عندما ادعوه يأتي وانه يريد الفرجة على المدينة حيث لا يعرفها قبلاً ولا بد له من المساعدة في حسم النزاع بين الدولتين اذا سلمناك اليهم وقد وعدته بذلك . قال تمت النار مسعاك فاذا فعلت ذلك نلت السعادة والاقبال وفقت على اخيك وكان لك الحق في التملك على البلاد باجمها وقد رأيت اخاك الان عندي وهو يريد مرضاتي والاقتناع مع ابيه على تسليم الملك ليده لانه ادرك ذلك وعرفه وربما كان ابوك هو الذي اخبره به ووعده بذلك . فصدق خرسف هذا الكلام وعزم كل العزم على اتمام حيلته ووعد الوزير انه في اليوم الثالث لا بد من ان يأتي بالامير رستم الى المدينة وهو يدبر طريقة القبض عليه

ومن ثم فارقه وذهب الى قصره مشغل البال خوفاً من ان يضيع الملك من يده ومثله كان اخوه فرمزتاج وفي اليوم الثاني ذهب كل واحد منهما الى صديقه وصرف النهار هناك ومكنا الحب بينهما وعند المساء رجعا واخبرا بختك بكل ما كان في ذلك اليوم وفي اليوم الثالث فعلا كالاول وقبل انصراف النهار بقليل دعا فرمزتاج عمراً ان يزوره والح عليه وانه قد اعد له الضيافة الى مدة ثلاثة ايام ليقابل زيارته بالمثل وانه يذهب واياه الى قصره ويعرف جميع الفرس بهذا الحب ويؤملون النجاح ورجوع المحبة بين الجميع الى الابد فوعده بكل خير وقال له اني اذهب واياك منذ الان وفي الحال سارا وبعد نحو دقائق قليلة سار ايضاً رستم وخرسف وهما لا يعلمان شيئاً من امر عمر وفرمزتاج ومشيا في طريق المدائن فهذا ما كان منهم واما ما كان من عمر العيار فانه كان قد رأى اولاد كسرى يخرجان من المدينة وكل واحد يسير الى صيوان واحد من اولاد حمزة فقال في نفسه لا بد من دسيسة يدسها الان بختك ولا بد من كبح عمله ومنع غايته وجعل يراقب الحركات في الليل والنهار الى ان رأى في ذلك اليوم عمر اليوناني سائراً مع فرمزتاج الى جهة المدينة فقال قد تمت الحيلة ولا بد من اخبار حمزة قبل بلوغها ابواب المدينة وانطلق راكضاً وقبل ان يصل صيوان الامير حمزة رأى الامير رستم وخرسف ايضاً سائرين فعرف باطن المسئلة واسرع حتى جاء صيوان اليون شاه وقال لحمزة انهض وانظر فعل العجم لتتأكد لك الخيانة فقد احتالوا على ابنيك وسحبوهما وهما الان سائرين الى المدينة ليقبضوا عليهما ويقتلوهما فركض حمزة في الحال الى جواده فركبه وسار به عمر كالبرق الخاطف حتى اوصله من اقرب طريق الى باب المدينة واوقفه هناك وجواده يكاد يهلك من كثرة الجري والعرق يتدفق من مسام جلده واذ ذاك وصل اليه عمر اليوناني ومعه ابن كسرى الاكبر ولما وصلا اليه حياه فرمزتاج وهو متكدر الخاطر وقد خفق قلبه وخاف من ان يكون حمزة قد لحظ الى هذه الدسيسة فلم يجب الامير الا باللوم والتعنيف ولعن ابن كسرى وشتمه وقال له لولا وعد الوزير بزرجمهر

بالهدنة والسلام لقتلتك الآن وخربت المدينة . قال وما هو ذنبي يا سيدي ونحن الان اصدقاء وقد اقمت ثلاثة ايام عند ابنك وما خفت على نفسي وكيف اغدر به وهو صار كأخي . قال لا ريب انك تقصد الخيانة والا لما قصدت ان تدعوه الى الضيافة الى قصرك دون ان يكون لنا اطلاع بذلك ومعرفة ولو تمت حيلتك لتعذر علينا معرفة مكانه وفي الحال وصل الامير رستم وخرسف ففعل حمزة بهما كالاول وقد ارجع اولاده وطرد اولاد كسرى وجاء الصيوان وهو يرتجف من الغضب ولما جلس كل واحد في مقامه استعاد حمزة القصة من ولديه فاخبره كل واحد منهم بما كان من امره مع ضيفه وقال له رستم انك تظلم خرسف لانه لا يقصد شراً ولا يزال قلبي حزيناً عليه . قال عمر العيار ان كل الشر في قلبه والمقصد الوحيد هو القبض عليكما فكل واحد جاء من اولاد كسرى خفية ولم يدع ان يعرف احدكما بالآخر . قال وما ذلك بسبب لان كل واحد يصاحب واحداً فهما اولاد ملك عظيم ومن شرفاء الفرس ونحن ايضاً في مقامهما ولنا الحق بالاجتماع مع بعضنا وجل غايتي ان اتفرج على المدينة واذا قصدوا الشر لنا لا يصادفون نجاحاً لاننا نقدر على الدفاع عن انفسنا حتى هلاكهم جميعاً فكونوا براحة على انفسنا فقال الامير حمزة اني اعرف جيداً مكرهم وخداعهم فلا اريد بعد الان ان يخاطر احد من اولادي بنفسه واني احرم دخول المدينة على كل واحد من فرساني بدون علمي وعلم السلطان قباط . وكان عمر اليوناني قد ادرك هذه الغاية وعرف الحيلة فقال لابيه كن براحة يا ابي فاننا نعدك بان لا نفعل شيئاً فيما بعد الا بشورك ومعرفتك ولولا عمي عمر لنفذ فينا القدر وتمت حيلة الفرس فالحمد لله على ما انعم علينا به فهو لا يريد لنا شراً

وكان رستم لا يزال متصوراً في عقله ان ابن كسرى لا يقصد له شراً وان من غايته ان يجازيه بالجميل على اكرامه اياه ولذلك كان قلبه لا يزال منعطفاً الى جهة خرسف ولكنه سكت احتراماً لابيه ووعده كاخيه . وكان بختك في ذاك ينتظر رجوع اولاد كسرى ناجحاً وهو يعد نفسه بالقبض على ابني حمزة العظيمين

وعند المساء ذهب الى قصر فرمزتاج وقد رآه تعوق ولم يحضر اليـه فدخل عليه وسأله عمّا كان من امره فقال له قد ادرك الامير حمزة غايتنا واهاننا وطردنا فتكدرت من ذلك وندمت على كل ما جرى مني . قال لا بأس من ذلك فيجب ان تكون ثابت العزم قوي الجنان ويمكنك ان تقنع عمراً ان لا غاية لك في دعوته الا محبة وصداقة وان اباه قد ظلمك . قال هـذا لا اريده ولا افعله ولا يمكن ان يصدق عمراً كلامي ولا يصغي الى قولي فدع اخي يأخذ الملك وحده وقد ادركت غايته لانه يفعل كفعلي وقـد احتال الى ان جاء بالامير رستم الى باب البلد . قال لا تلوِ عزمك بل شده ولا بد من النجاح . قال لا مطمع لك باقناعي فاذهب الى اخي ودعه ينفذ غاية ابي ويأخذ الملك وحـده لاني انكر فضل حمزة وقد اطلق سبيلي بالوقت الذي كان يقدر فيه على هلاكي وانا اسير عنده واكرمني الاكرام الزائد وقد خجلت منه كثيراً في الامس . ولما يئس منه تركه وجاء الى خرسف واستعاد منه الحديث فاخبره به . قال لا بد ان رستم يقبل عذرك ويصدق اقسامك فاذهب اليه في الغد واقسم له ان ما من شر تقصد وان جل غايتك اكرامه واحترامه واذا صدق قولك واجابك ونزل معك فتذلل بين يديه وتصنع كل التصنع حتى لا يبقي عنده وجه للشبهة ولا ارتياب . فوعده بكل نجاح

وفي اليوم الثاني خرج خرسف حسب عادته وجاء صيوان رستم وهو باكي العين مظهراً الحزن فلاقاه الامير رستم واظهر له خجله منه وقال له ان ابي قد ظلمك وانت بدون شك لا تقصد لي ضيراً وقد اطلعته على ذلك وبينت له غلطه فلم يصدق كلامي ولا يزال مصراً ان غايتك رديئة . فقال له اني اقسم لك بالمعبود الذي تعبده اني لا اقصد شرّاً وانت صرت منذ الان اخي وما سعيت هـذا المسعى ودعوتك لضيافتنا الا املاً بان تزورنا وترى حسن مقامك عندنا وتتفرج على بلادنا وقصورنا وفي الاخير لتتسهل طرق المصالحة بين العرب والعجم . وهذا اطلبه منك لاني سأكون بعد ابي الحاكم في الامة الفارسية فاذا بقيت سالمة كان

من خيري ونجاحي وفي كل نيتي ان احتال على بختك واقبض عليه واسلمك اياه فتسلمه الى ابيك ومن بعد ذلك يعود السلام بيننا وبينكم وانا لا الوم اباك على فعله وعلى عدم ركونه لنا لاننا طالما غدرنا بكم وهو يخاف من بختك لانه خبيث لا يأمن قط للعرب ويرغب في هلاكهم وبسبب اعماله سيقود بلادنا الى حفر الخراب اذا لم نتدارك الامر ونرتاح من شره . قال صدقت ان كل خوف من غدر وزيركم الاول فهو مشهور بالخبث ولا بد من ان نقدمه له ليقتله ويصدق صدق نيتك . ثم امر ان يقدم اليه الطعام والشراب وصرف النهار على الحظ وشرب العقار وعند المساء اراد خرسف ان يعود الى المدينة فلم يدعه رستم وقال له بل من الواجب ان تنام هنا هذه الليلة قال لا اقدر على ذلك واذا غبت الليلة فيلزمني ان اذهب في الصباح ليرتاح فكر ابي لانه يعلم اني عند العرب وربما اشغل باله بختك وقال له ان الاعداء امسكوا ابنك وقتلوه . قال نم الليلة هنا وفي الصباح اذهب واياك الى المدينة وابقى عندك كل النهار والمساء . قال اذا وعدتني بذلك صبرت الى الصباح وسرنا معاً فاقسم له انه يذهب معه . فنام خرسف تلك الليلة عند رستم وتعجب من سلامة قلبه وكاد يطير من الفرح وامل انه في صباح اليوم القادم يبكر الى الذهاب ويأخذه معه ولا يمكن ان يصادفه عمر العيار او الامير حمزة او غيرهما ولكن عينا عمر لا تنامان فانه كان راقبه كل المراقبة وعرف انه سينام هناك تلك الليلة فجاء وسهر عليه خوفاً من ان يغدر به وصرف الليل ساهراً ولما لم يره قد فعل شيئاً وتأكد انه لا يقصد او بالحري لا يجسر ان يفعل شيئاً هناك خرج قبل الصباح واقام خلف الصيوان حتى رأى الامير رستم وخرسف قد نهضا وركبا جواديهما وعولا على الذهاب وحينئذ تأثرهما وارسل ابنه سياراً ان يسرع الى الامير حمزة ويخبره بقصد رستم من الدخول الى المدائن

فلما سمع الامير ذلك طار صوابه ونهض الى اليقظان فركبه واطلق له العنان حتى ادرك ولده وخرسف فاشهر السيف وقال لابن كسرى انك لا تزال مصراً على الخبث والخداع حتى تحرمني ولدي فاني ارى في قتلك خيراً وسلامة لاولادي

فاعترض رستم في طريقه وقال له ما من حق عليه يا ابي فانه كان لا يريد ان انزل معه المدينة خيفة منك وها انا راجع الان حسب امرك فاعف عنه. ثم امر خرسف ان ينطلق مسرعاً الى المدينة من وجه ابيه . ففعل ورجع الامير وابنه الى صيوان اليون شاه واجلسه بقرب اخيـه الى ان ارتاح وحينئذ قال لولده قباط ولجميع الحضور انتم تعلمون ايها الفرسان اني اوصيت ولدي بعدم النزول الى البلد ووعدني بذلك وها اليوم قد عصاني وعاد فانقاد الى خرسف وهم ينصبون له شراك الهلاك والعذاب فاذا وقع فيها يقع الهمّ والحزن عليّ فانصفوني منه وكونوا انتم الحكم

وحينئذ التفت السلطان قباط الى اخيه وقال انا نعذرك على سلامة قلبك وحسن طويتك وما ذلك الا كونك تجهل حالة الفرس وتظن انهم اهل زمام والصحيح انهم من الاوباش الادنياء ينصبون لك حبائل الخداع ليصطادوك وانت تعلم ان اباك يحب صالحك ويرضى في سلامتك وهم يسعون في قتلك ليحرقوا قلب ابيك عليك واخيراً يعتذرون او يتظاهرون بالانكار ونحن لا نعرف كيف ذهبت او قتلت والا لو اننا نتأكد شرف الفرس ومحافظتهم على الامانة وكرههم في الخيانة لتركناك تذهب وما في ذهابك من مانع عندنا وقد غدروا بنا قبل الان وكدت انا وامي وطوربان وابنها الامير سعد جميعنا نقتل ونحرق بالنار لو لم يسرع الى خلاصنا وزيري عمر العيار . قال اني لا احب ان اخالف ابي واقسم لكم بالله العظيم اني ما عدت انزل البلد الا بامر ابي ولكني لا ازال اتردد في سلامة قلب ابن كسرى لانه يخلص الود لي كثيراً ولا يحب الا ان يضيفني لهذه الغاية . فلما اطمأن قلب حمزة من قبل ابنه رستم وتأكد انه ما عاد يسير مع خرسف الى البلد ارتاح باله وصار ينتظر نهاية المدة المضروبة للهدنة ليرى بعد ذلك ما يكون من امرهم وامر الاعجام

فهذا ما كان من حمزة واما ما كان من بختك فانـه عند ما عرف برجوع خرسف وحده جاء اليه وقال له اظنك لم تفز بالمطلوب في هذا اليوم فحكى له ما كان من امره مع رستم وكيف تخلص من شركه باتباع ابيه في اثره وان كل

ذلك كان من عمر العيار لانه رآه يتأثرهما . فقال له اني اعرف انه خبيث محتال وقد راكنا في الطريق فظن السوء وادرك معنى الامر فلم يبق لنا من مطمع فيه وانا اعرف واتأكد ان رستم يحبك كثيراً ولا بد من مداومة الخروج اليه وتمكين الالفة . قال دعني من ذلك فاني متأكد انه ما عاد يصدقني ولا يمكن ان يأتي المدينة معي واذا وقع حمزة بي مرة اخرى اهلكني لا محالة . قال اني لا اريد في هذه المرة ان تطلب اليه الاتيان الى المدينة بل بالعكس اظهر عدم رغبتك في ذلك وبعد يومين او ثلاثة ايام اذهب واياه الى الصيد واعمل ما هو كذا وكذا وعلمه ما ينبغي عمله واوصاه بالحرص . فاجاب طلبه وبقي ذاك اليوم في البلد وفي اليوم الثاني جاء الى رستم وسلم عليه فارتاب وقال لو لم يقصد الشر لما فعل ما فعل وعاد بعد ان لحق به من الاهانة ما لحق فاظهر البرود والفتور في ملاقاته فلم يهتم في ذلك بل قال لقد اقسمت يا اخي اني ما زلت حياً لا اقبل بدخولك معي المدينة الا اذا كان ابوك وعمك عمر العيار معك وباقي الفرسان لانه لا يصدق بصدق نيتي وفي الاخير كاد يقتلني وحيث لم يبق لي صبر عنك فاريد منك ان تقبلني في كل يوم عندك فيكون ابوك اميناً واكون انا ايضاً اميناً على نفسي لان الحياة عندي عزيزة جداً فلا اخاطر بنفسي قط

فلما سمع كلامه اعتقد انه لا يريد الشر . فقال له انك وان كنت سليم النية لكنك ابن اكبر عدو لابي فلا يمكن ان يركن لكم وقد غدرتم به كثيراً وانا لا اريد ان اخالف ابي فما عدت اريد الدخول الى المدينة الا بامره فابق انت عندي في كل يوم الى حين ينتهي امرنا . قال ارغب ان اتعلم منك بعض فنون الحرب وصيد الوحوش واتسلى بك ولا افارق ركابك واعتقد كل الاعتقاد انك ستساعدني الى الحصول على عرش الفرس وطرد كسرى ابي وبختك ونزع هذا الشر لان لولاهم لما كان يغضب ابوك عليَّ ولا يخاف عليك ومعظم خوفه من بختك الخبيث اللعين ولا ريب انه اذا عرف بوجودك في قصري ربما تسبب الى اغاظتي او فعل ما لم يكن لنا في حساب وفي الاخير اقع انا وينسب لي الغدر والخيانة .

فقال الامير رستم حباً وكرامة فاني اريدك في كل يوم وارافقك في الصيد والتنزه ولا سيما انك تعرف مكان الغزلان والوحوش فتدلني عليها وتذهب بي الى مرابضها لان هذه البلد هي بلادك ومعتاد كل العادة عليها وتعرف داخلها وخارجها

وعلى ذلك اتفقا وكان رستم في كل يوم يذهب الى الصيد من الصباح الى المساء ويعود معه خرسف فيفترقان قبل نصف الطريق ويأتي الاول الى قبيلته والثاني يسير الى المدينة الى ان كان ذات يوم خرج رستم الى الصيد وبين يديه سيار والى جانبه خرسف ولما سار به في اكمة عالية تحدر الى لحف جبل فيه من الوحوش شيء كثير ودار به حول واد عظيم في طريق صعبة المسلك لا يمكن المرور منها الا في وسط النهار وقبل العصر اوصله الى سهل كثير الاشجار ترعى به الغزلان في كل مكان وتسير اسراباً فسر رستم من ذلك وجعل يرمي منها كيف مال وهي تنفر بين يديه وسر كثيراً من اتيانه الى ذلك السهل ولا زال حتى غابت الشمس وهو مسرور مزيد السرور وقد اصطاد كثيراً واراد الرجوع فتوقف خرسف وقال له في اي طريق نسير الان لان الليل شديد الظلام ولا يمكن الصعود عليها لانها متشعبة الصخور وهي على شفير يصعب جداً المرور منه في هذا الوقت. قال ألا يوجد طريق نسير عليه غير الذي سلكناها في هذا النهار. قال يوجد ذلك لكن بعيد جداً فلا نصل منه الى المدائن الا بعد عشرة ايام. قال ألا يوجد في هذه الارض مكاناً نبيت فيه. قال يوجد لان كثيراً من الملوك وبنات الملوك والامراء يقصدون التنزه في هذه الجهات فيبقون اشهراً برمتها وفي اطرافه عدة قصور لاولئك الامراء وكلهم من رعايانا واتباع ابي ولا سيما انه يوجد بالقرب من هذا المكان قرية صغيرة مبنية في مكان مطل على السهل جميلة الموقع جداً فيمكننا ان نذهب اليها ونبت عند شيخها الى الصباح ونأمره ان يشوي لنا من لحوم هذه الغزلان الكثيرة وما بقي نحمله معنا في الصباح. فوافقه رستم ومعهما سيار وكلاب الصيد وحملا الوحوش والغزلان مقدار ساعتين حتى اقبلا على تلك القرية وجاءا الى شيخها فترحب بهما وقبل ايادي خرسف وانزله في مكانه

وذبح له الذبائح واكرم رستم ايضاً وبعد ان اكلا الطعام وصرفا السهرة وعولا على المنام اخذ رستم الى غرفة صغيرة لينام فيها وقبل ان يدخل الى سريره خطر في فكره ان يتفقد سياراً وفرسه سلمى الدهماء فخرج وما اجتياز الباب حتى رأى شبحاً لاح له امامه وهو يتلصص ليقرب من الغرفة وقد ستره الظلام فاشهر في يده الحسام حتى اثار المكان وقصد ان يضرب به ذاك الشبح واذا به سمع صوت فتاة وقد قالت لا تفعل يا رستم فما هـذا جزاء من يريد لك الخلاص من الهلاك والسلامة من الموت

فارتاع من ذلك وتعجب منها وقال اي شيء تقصدين ومن تخلصيني ومن انت وبنت من تكونين . قالت انا بنت شيخ هذه القرية وقد اتيت لاخبرك بامر فيه خلاصك من الموت . وذلك انه منـذ ثلاثة ايام جاء ابي كتاب مع رسول الوزير بختك يقول له فيه انه في ذات ليلة من هـذا الاسبوع سيأتي قريتك في ظلام الليل الامير خرسف ابن ملكنا الاكبر كسرى انوشروان ومعه رستم ابن الامير حمزة البهلوان وغلام اسود آخر فاصبر عليـه الى ان ينام ومن ثم احضر خمسين رجلاً بالسلاح يدخلون عليه وهو في سريره فيميتونه ويميتون العبد واياك من ان ينجو احدهما والان خرسف يحتال ويسحبه اليك فلا بد من اتمام مسعاه فاياك ان تتأخر والا اهلكك الملك الاكبر فاستعد ابي منذ ذلك الحين واستعان على قتالك برجال القرية وهم الان يتهيأون بالسلاح الكامل ينتظرون وقوعك في ثبات النوم العميق لكي يقتلوك وحيث قـد رأيتك وشاهدت جمالك وكمالك حزنت على صباك فاردت ان تنجو بنفسك الان وتأخذني معك الى ابيك وقومك قبل ان يحل بك العطب . فلما سمع رستم هذا الكلام غاب عن صوابه وكاد يقع الى الارض من شدة الغيظ وجعل يصك على اسنانه وبعد مضي دقائق قليلة انتبه الى نفسه ووعى الى حاله فقال للبنت اذهبي الى بيتك واستعدي فسوف اخذك معي ولكن سوف ترين ما افعل ثم عاد في الحال الى سلاحه فتقلده وخرج خارج الغرفة ودنا من الفرس فوجد سياراً ساهراً فامره ان يسرج الجواد ففعل فقاده

بعيداً عن المكان نحو مائة خطوة وعرج عن الطريق ووضع يــده على ظهر الفرس واقام ينتظر تمام العمل وهو يعد نفسه بقتل خرسف اذا كان ما اخبر به صحيحاً ولم يلبث الا القليل حتى رأى الرجال مع شيخ القرية مقبلين تحت ظلام الاعتكار ودنوا من المكان الذي كان نائماً فيــه بتأنٍ وفتحوا بابه ثم اشهروا سيوفهم وهجموا على السرير فلم يروا احداً فاضطربوا وعولوا على الخروج واذا بالامير رستم قد ركب وصاح فيهم وترك لسيفه مجالاً في رقابهم ولم يمض الا نحو ساعة من الزمان حتى قتل اكثرهم وهرب الباقون وهم يتعوذون بالنار ذات الشرار وبقي رستم سائراً يضرب ويقتل من وقع امامه حتى وصل الى المكان الموجود فيه خرسف فدخله فوقف مرتعشاً متظاهراً بالتجاهل وقال له ماذا تريد ولما انت على هذه الحالة فلم يجبه الا بضربة حسام القته الى الارض قتيلاً وقطع رأسه فسلمه الى سيار وعاد الى الجواد وقصد المسير واذا ببنت شيخ القرية قد عارضته وقالت له خذني معك يا سيدي وليس من العدل ان تتركني هنا . قال كيف اتركك وانت علة حياتي وراحتي ولولاك لكنت الان من المائتين . ثم رفعها وراءه وسار تحت ظلام الاعتكار الى ان وصل الى ذلك السهل عند انبثاق الفجر فقبض على رأس الطريق الذي جاء فيــه مع خرسف وتدرج به حتى جاء الوادي وادار حواليه حتى صعد الاكمة ونزل منها عند العصر فرأى فرسان قومه متفرقين في تلك النواحي ورأى اباه يتقدم في نفس الطريق فاطلق لجواده العنان ولما التقى به سأله عن غيبته قال كنت بالصيد وقــد امسى عليَّ المساء فبت في مكان وتأخرت الى الان ولا بد ان اطلعك على ما وقع لي ثم دنا منه وقبل يديه وقال له سامحني على عدم انقيادي الى امرك فاني كنت اظن ان خرسف من الصادقين حتى وقع لي ما هو كذا وكذا لولا هــذه الفتاة التي تراها لهلكت غير ان الله لا يضر باتقياء القلوب وانقياء الضمير

وكان باقي اخوته والفرسان قد وصلوا وسمعوا القصة وما منهم الا من تعجب من رداءة خرسف وتوفيق رستم وشكروا الله على سلامته وهنأوه بالرجوع وقال

له الامير حمزة اننا في مساء الغد قد افتقدناك فما رأيناك فظننا انك في المدينة فاردنا ان نرسل عمرًا فقال لم ينزل المدينة وانه في الصيد ومعه خرسف وسيار ولا خوف عليه لانه سار في الجهة الخلفية ولا يمكن ان يصل الى المدينة الآن ولا يمر له الا من هذه الطريق واذا جاء من غيرها فينبغي له عشرة ايام · فصبرنا الى الصباح ولما لم تأت زاد انشغال بالنا فارسلنا بالعيارين الى البراري فقاموا عدة ساعات وعادوا دون ان يقف احد على امرك فلم ارَ بدًا من الركوب والمسير بنفسي وان اخذ آثارك فسرت كما تراني ومعي عمر العيار ونهض اخوتك يريدون مرافقتي والحمد لله على رجوعك قريباً بالسلامة ولا عدت تفعل مثل ما فعلت ولا تركن الى احد من الاعجام لانهم ليسوا بذي امانة ولا يعرفون الحلال من الحرام ولا سيما ما دام بختك ابن اللئام فانه يحملهم دائماً على الانتقام قال قد امتحنت وعرفت خبثهم فما عدت اركن الى كبير ولا صغير منهم وكان بنية كسرى وبختك ان يقتل احد اولادك غدرًا ليحرق قلبك عليه فها قد قتلت احد اولاده ليتحرق قلبه ويموت من غيظه · ثم رجعوا جميعاً الى صيوان اليون شاه وجاء جميع العرب من سادات وقواد وانفار وسلموا على الامير رستم مظهرين فرحهم برجوعه سالماً وخلاصه من كيد اعدائه وفي المساء اخذ رستم رأس خرسف وربطه بحلقة والصق عليه ورقة كتب فيها هذا جزاء من يقصد الخيانة والغدر وبعث بعياره سيار ان يعلق الراس في باب الايوان حتى يراه الاعجام في الصباح · ومن ثم امر الامير فرسانه وابطاله ان يتقدموا من المدينة وان يحصروها ويضايقوا الاعجام ولا يدعوا احدًا يخرج منها او يدخل اليها وقال اننا اكرمناهم فليسوا من الكرامة واردنا اكراماً لخاطر بزرجمهر الافراج عنهم فاغتنموا هذه الفرصة للغدر بنا ولو تم عملهم لاماتوني قهرًا وحزناً

وعند الصباح خرج كسرى من قصره وجاء الايوان فوجد الناس مجتمعون عند بابه وبعضهم يمزق ثيابه وبعضهم ينتف لحيته وكلهم يحثون التراب على رؤوسهم ويبكون ويصيحون ويندبون ويولولون فارتاع وتقدم وبين يديه

الحجاب ليكتشف الخبر واذا به يرى رأس ابنه خرسف ففعل كفعلهم ومزق ثيابه ووقع مغشياً عليه فرفعوه الى الديوان ورشوا على وجهه ماء الزهر الى ان وعي فلم يجسر احد ان يفوه بكلمة بل بقي الكل مطرقين الى الارض باكين ناحبين مضطربين فامر ان يؤتى برأس ابنه الى بين يديه ويضع في الارض وجعل يبكي وينوح ويندب كالنساء ذاك النهار وفي المساء اخذ الراس الى قصر الملك فاجتمع حوله النساء ودار الحزن في المدينة مقدار ثلاثة ايام وقد صبغت اسوار المدينة من كل الجهات وحزن الكبير والصغير وبختك خائف من ان يعرف الملك بدسيسته وانه كان السبب في وقوعه بيد العرب فيقتله لا محالة ولذلك كان يظهر من الحزن اشده ويتجاهل في سبب قتله ويلعن العرب ويشتمهم . وفي اليوم الرابع جاء كسرى الديوان وجلس حسب عادته وهو مغضب جداً وقال ماذا عملنا مع العرب يا ترى حتى قتلوا ابني مع اننا مساعدون لهم ووعدوا وزيري بزرجمهر بالحسنى والتأخر ولا بد من ان يكون لذلك من سبب اجهله . فقال بختك ان العرب لا يصدقون يا سيدي ولا اعلم ما دبروا مع بزرجمهر حتى قتلوا ابنك واعدموك اياه وتركوننا بحزن عليه الى الابد . فقال بزرجمهر ان العرب وعدوني وعداً صادقاً ولا ريب ان بختك دبر حيلة القى بها ابن سيده في حفرة الهلاك وتركنا في حصار لا نعلم عاقبته ولولا ذلك من اين للعرب الوصول الى خرسف فانه كان يذهب اليهم في كل يوم وما ذهابه هذا الا لغاية اصلها الوزير بختك ولم يتركنا ان ندبر امرنا لندفع العرب عن بلادنا فحل هذا الكلام من كسرى محل القبول وقال لبختك لقد اصاب وزيري بزرجمهر فانت اصل الدسائس وعلة الاحزان فاني اقسم بالنار والنور انك اذا ما دبرت وسيلة تبعد بها العرب عن المدينة وتنهي امر هذا الخصام بيني وبينهم والا سلمتك اليهم وتركتهم يتمتعون بدمك وغيرك لا يطلبون وقد امهلتك الى ذلك مدة ايام فاما انك تجد الطريقة في رجوع الاعداء واما اصالح العرب بك . فبكى بختك وقال يمكن ان يظن بي سيدي هذا الظن مع علمه بامانتي واني اعده بابعاد العرب ولا احرم من واسطة الى ذلك واذا كان يرى ان باهراق

دمي البري راحته وسلامة بلاده فليفعل وحسبي الى النار لا تحرمني من الثواب ومجازاة الذين يوشونني عند سيدي الملك . قال لا ارغب في موتك اذا تمكنت بدفع الاعداء وغير هذا لا اريد وقد رق كسرى لبختك ولكنه بقي مصراً على قوله

وبقي العرب على حصار المدينة عدة ايام لا يتركون الطير يدخل اليها وهم بفرح زائد وعدوهم بالويل والحرب الى ان كان ذات يوم تذكر الامير وسيم فرتم حسن ذاك السهل الذي اصطاد به الغزلان عند ما كان معه ابن كسرى وكم اصطاد من الغزلان في ذاك اليوم وقد تركها محلها ولم يأتي بواحدة منها فاشتاق الى مطاردة الوحوش والنمور والسباع والغزلان فحدثته نفسه وحبه للصيد بالمسير الى السهل المذكور وقرر الفكر على ذلك وفي صباح اليوم الثاني نهض الى جواده فركبه من بين قومه واستلم الطريق وسار عليه حتى وصل بعد الظهر فرأى المياه جارية من كل ناح تتأخر تارة وترد الى المياه اخرى فجعل يرمي منها بسهامه وسيار يتناولها وما زال على ذلك حتى اصطاد شيئاً كثيراً ثم نزل على جانب الماء وامر سياراً ان يضرم النار ويشوي له فيأكل ففعل وشوى له فأكل وشرب وغسل يديه واكل سيار ايضاً ثم قال هلمَّ بنا يا سيدي الى الرجوع قال اني استطيبت مناخ هذه الارض فلا ابرح منها الى الصباح فانام الليلة هنا وفي الصباح اصطاد ما تصل اليه يدي وارجع فاصل عند المساء وفيما هو على مثل ذلك واذا به يرى غزالة نظرت اليه بانس ودنت من الماء فشربت فنظر اليها واذا به يراها ظريفة التركيب ذهبية الجلد كبيرة العينين طويلة العنق جذابة المنظر فقام اليها واراد ان يلتقطها فنفرت قليلاً ولم تقبل ان تسلم نفسها اليه بل استغربته فزاد شوقاً الى مسكها بيده وبقي يتأثرها حتى غاب عن نظر سيار فاخذ الجواد وتبعه خوفاً عليه حتى ادركه وهو يركض خلف الغزالة حتى وصلت الى قصر قائم بين تلك الاشجار فدخلت في حوشه واختفت بين حيطانه فوقف متحيراً واخيراً خطر له ان يطرق الباب ليرى من داخل القصر فدنا منه وضرب المطرقة واذا بطاقة القصر قد فتحت

ووقفت فيها صبية كأنها البدر في الاشراق معتدلة القد ذات بياض باهر متشرب بحمرة نقية وعنق متوسط الطول شديد البياض ايضاً وصدر واسع نافر النهدين مرتفعين كحق من لجين . وخصر سقيم رقيق وقد وضعت بيديها على مصراعي الطاقة وقالت من الطارق فنظر الى الفوق وانعقد لسانه عن الجواب وقد اخذ قلبه من اول وهلة وصبر نحواً من ربع ساعة عن الجواب وهو محدق بها لا يدري بماذا يجيب وهي تفعل كفعله لانها رأت فيه من الحسن العجيب ودلائل الشجاعة ما لم تره في انسان مع انه شاب لم يبلغ اشده وبقيت ناظرة اليــه الى ان اجاب وقال لها اعلمي يا ست الملاح اني كنت اطارد غزالة فقادتني الى هنا واختفت عني وقد اختفت في هذا القصر فهل لي ان اراها قالت ان الغزالة في حمانا فاذا شئت سلمناك اياها وان شئت فاقبل فيها رجانا فجمع حواسه ثانياً وقال لها ما كان من امر اميرك قط ان يترك صيدته الا ليعتاض بسواها احب لديه منها فاما ان تعاد اليّ واما ادخل في حماكم مثلها قالت ما اردنا ان نحميها منك الا ونحن فداها فهل لك ان تقبل ظبية شعورة انيسة بدلاً من ظبيتك النافرة الخائفة . قال يا حبذا ان تم ذلك فمن انت ومن عندك في القصر . قالت انا قمر شاه بنت حاكم بلاد خوارزم وعندي في هذا القصر بنت عمي ياقوت شاه لا غير فمن انت ولمن تنسب . قال انا رستم بن الامير حمزة البهلوان . فلما سمعت كلامه صفقت من الفرح وكادت ترمي بنفسها من الطاقة وصاحت مرحباً بك ايهــا الامير والسيد الخطير فادخل الينا فانت المطلوب والمرغوب لاننا كنا نحسد مهردكار وطوربان حتى اوشك ان يساوينا الزمان وكان سيار خلفه فربط الجواد وسار وراءه وفتش في القصر فلم يرَ غير خدم والفتاتين فارتاح ضميره على مولاه واطمأن باله وعاد فاراح الجواد ونزع سرجه واخذ لنفسه مكاناً حصيناً يبات فيه تلك الليلة ويبقى محافظاً على حياة رستم وراحته

ولما وصل رستم فرتم الى الداخل لاقته قمر شاه وبنت عمها ياقوت شاه وهما من اجمل النساء جمالاً وكل واحدة تفوق الثانية جمالاً وكمالاً وبهــاء واشراقاً

وكانت قمر شاه لابسة ثوباً من الديباج الابيض وعليه من الجواهر ما يعجز القلم عن وصفه والثانية ثوباً من الحرير الازرق وعلى دوائره من النسيج الاحمر الشامي وفي كل مقدار قيراط ياقوتة حمراء ترهج وتلمع كأنها الكواكب تضيء في فلك ذاك الثوب وكلها تكتسب انوارها من نور شمس ياقوت المذكورة التي هي ابهر من الشمس والقمر وكل نور ساطع وسلمت كل واحدة عليه بدورها وقد اخذ من حسن الفتاتين وتمناهما لنفسه معاً وقد مشت كل واحدة من جهة وهو بينهما الى ان ادخلاه قاعة الجلوس فجلس على كرسي من الابنوس مجللة بالاطلس الاحمر وريش النعام . ولما استقر به المقام احضرن له من الشراب المزوج بماء الورد والسكر واحسنتا معاملته كل الاحسان وبعد ذلك احضرتا الطعام الفاخر واكلوا معاً ولما رفعت سفرة الطعام احضرت بواطيء المدام وصفت النقولات من كل الانواع الطيبة والزهور من ازكى المشمومات وابهى الالوان وكل الاواني من الفضة المحلاة بالذهب فنهض وجلس الى بين الصبيتين وكل واحدة تسكب الخمر في جام وتسقيه وهو يفعل كفعلهما ويكثروا من التقبيل والمزاح ولما اشتد الغرام بقمر شاه اخذت كاساً فملأتها وانشدت :

بروحي بل بآبائي الكرامِ   رشاً لعبت به ايدي المدامِ
اذا ما افترَّ عن بردٍ طوينا   حشايانا على حرّ الاوام
ولولا عارضاه لما علمنا   بان البدر يطلع في اللثام
لعوب باصطباري اخي شجونٍ   طليع الدمع مأثور الهيام
تذكر بالحمى ان شام برقاً   زمان اللهو متسق النظام
وقصر واسع الاكناف رحباً   يجرر فيه اذيال الغرام
وقد نظمت لنا كف التصابي   عقود الوصل في كل المرام
وقد سقى وصلنا موصول دمعي   وحيا عهدنا عهد الغمام

ثم شربت الكاس الى اخره وقبلته وقبلها وتعانقا ثم تناول الكاس وشرب بعد ان انشد :

قفا نتشاكا ما تشاكاه وامق　　وقد ظعنت بالغانيات الايانق
كثير سهاد العين نزر هجوعه　　يواصل طيفاً منهم ويفارق
تملك حب العامرية قلبه　　وما عاقه عنها من الحي عائق
غزالية تغشى العيون جلالة　　مغاربها احشاؤنا والمشارق
فان خطرت زهواً فغصن منعمٌ　　وان عبقت رياً فثمّ حدائق
وان يك في ثغر الحسان عذوبة　　ففي ثغر من اهوى عذيب وبارق
وبي حالة العشاق في كل حالةٍ　　ولكنني لم ادرِ من انا عاشق
يشير باطراف البنان ويشتكي　　اليم الجوى منا مشوق وشائق

وبعد ان شرب الكاس قبل قمر شاه وانشد :

لحظات ترمي الحشا بنبال　　قاتلات ولات حين قتال
وخدود كالورد لوناً وطيباً　　صقلتها صبا البها والجمال
وثنايا كاللؤلوء الرطب تذري　　حسن تظم لها بعقد اللآلي
وقوام يحكي العوالي ولكن　　فعله في القلوب فعل العوالي
من نصيري على الحبيب المفدى　　بنفوس منا كرام عوالي
قمر يخجل الشموس ضياء　　وقضيب يسقي بماء الدلال
وغزال للمسك في الفم منه　　نفحات تفوق مسك الغزال
راح يشدو بذكر خمرة وعد　　عند سمعي فاسكرت آمالي
خمرة صورت عصارة جمرٍ　　لظنون في اكؤس من آل
غادرتني ايدي هواه بجسم　　ناحل ماحل كربع بالي
اتمنى خياله وبعيد　　ان يزور الخيال طيف الخيال

ومن ثم اخذت ياقوت شاه الكاس وسقته وشربه وانشدت :

اجرني بالتواصل بعد بعدك　　لعلي اجتني ثمرات وعدك
واسألك القليل من التلاقي　　ولكن خشيتي من سوء ردك
سقى الرحمن اياماً لقينا　　بها راحاً على وردات خدك

ونلثم اقحوان الثغر طوراً على جزع ونهصر غصن قدك
ونقتبل السعود لنا بصرح بدت بابروجها اقمار سعدك
نجرر فيه اذيال التصابي وننشق عرفه من طيب ندك
الا ان النعيم لدون يوم نواصل والجحيم لدون صدك

فمال اليها وسقاها وشرب وتصور معنى جمالها وكمالها وبهائها وهي تشرق نور بذاك الثوب الازرق وانشد :

صاد الاسود بمقلة وثناه وسبا العقول بطلعة وثناء
وأتى بازرق ثوبه متوحشاً فكأنه بدر بدا بسماء
خجلت شموس الافق منه عندما وافى بتلك الطلعة الحسناء
والقطب خرّت سجداً لما بدا متخطراً بالقامة الهيفاء
وبليل طرته ضللت وانني من صبح غرته وجدت هدائي
فتبارك الرحمن ما احلاه من رشاء غدا مرعاه في الاحشاء
ما كنت احسب قبل صيد الظبي لي ان الاسود فرائس لظباء
حتى طعنت باسمر من قده وقتلت من الحاظه بظباء
فاذا انثنى واذا رنا وتذكروا بيض الظبا مع صعدة سمراء
سلطان حسن في الملاحة قده قد خصه من شعره بلواء
وبوجنتيه عجائب من بعضها نار يشب ضرامها بالماء
كم رمت منه قربه فيجيبني الحاظه اللاتي سفكن دماء
من رام يحيي فليمت في حبه حتى يعد غداً من الاحياء

وصرفوا اكثر الليل على مثل تلك الحالة بين شرب مدام ومناشدة اشعار وتقبيل ومكاشفة اسرار الى ان اخذت الخمرة حدها وحينئذٍ قالت له قمر شاه هلمّ بنا الى المنام فقال انكما على دين النار ولا يمكن ان اقرب منكما الا اذا كنتما تعبدا الواحد القهار فتكونا من نسائي ويكون لي بكما الخيار فآمنت قمر شاه بالله العزيز الجبار فاخذها لنفسه زوجة واتاها وسرّ منها سروراً عظيماً . وهذه تأتي

يولد ذكر يدعى بالامير قاسم ويكون كسوسة في معسكر العرب يا ليت ما ولدته امه . وبعد ذلك آمنت ياقوت شاه واعتنقت الشريعة الالهية فسرّت منها كثيراً وتزوجها . وهذه لم تلد منه قط لا بذكر ولا انثى

وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير رستم فرتم وجاء نساؤه اليه وقبلت كل واحدة بدورها يده فقال لها ماذا تقصدان بالقيام في هذا المكان وانتما منفردين عن بلادكما وقومكما فقالت قمر شاه ان هذا المكان مشهور بالنزهة وطيب المناخ فطلبنا الى ابي ان يبتني لنا قصراً فيه جميلاً ففعل وصرنا في كل عام نحضر ونقيم فيه اشهر وعندنا كل ما نحتاجه من الخدم والعبيد ويزورنا في كل مدة اهلنا وهم في امان علينا لعلمهم ان لا احد يجسر على الدنو من بنات الملوك ولا سيما ان ما من غريب في هذه الارض وكل البلاد تعرف ابي قال ان وجودكما هنا كان من حسن حظي لانال السعادة والحظ بكما

قال وكان في نفس ذاك الليل قد اغتاظ خدم القصر من فعل الامير والبنات فخرجوا وانطلقوا حتى جاؤوا المدينة واخبروا حاكم مدينة خوارزم واخاه بما فعل بنتاهما فغضبا الغضب الزائد وقالا لا بد من هلاكهما وهلاك رستم معاً لانهم نجستا دين النار واخذا شرذمة من العساكر وساروا جميعاً الى القصر وكان رستم غارقاً بالملذات مع زوجتيه . فوصل الخبر الى قمر شاه فلم تتركه يعرف شيئاً من ذلك بل اسرعت الى باب القصر وكان من الحديد فاقفلته واخفت المفاتيح وجلست تنتظر ما يكون من امر ابيها وعمها وقد خافت كل الخوف على حياة رستم حبيبها وحينئذٍ وصلت العساكر وطرق حاكم خوارزم الباب ونادى بنته ان تفتح فلم تجب وشعر رستم بازدحام الرجال حول القصر فاسرع الى الطاقة وشاهد ما شاهد من اعمال ابي قمر شاه فتاقت نفسه الى القتال واراد ان يركب جواده وينزل اليهم وصاح بسيار ان يفتح باب القلعة فقال له ان قمر شاه قد اقفلته واخذت المفتاح فنزل الى الباب وعالج فتحه فرآه متيناً فعاد اليها وطلب منها ان تدفع اليه المفاتيح فقالت لا تتعب عبثاً فاني لا ادفعها اليك ولو قطعتني ارباً ارباً قال لها ويلك انك

بمملك هـذا تقصدين هلاكنا لاننا اذا بقينا داخل القصر كسر ابوك الابواب ودخل الينا وانا وحيد هنا والمجال ضيق عليَّ جداً ولا يمكنني ان اقاتل وانا في سروري ولكن اذا خرجت اليهم وانا على ظهر جوادي بددت شملهم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ولو كانوا بعدد رمال البحار قالت هذا لا يمكن ابداً لان الباب متيناً ولا اظن انهم يقوون على فتحه ولكن اذا نزلت انت اخاف ان يلحق بك ضربة من احد او كنت غير قادر على الثبات فيلحق بك ضرٌ . قال لا تخافي عليَّ بل قفِ وانظري ما افعل بهم وسوف تريني وقد بددتهم جميعاً ولا بد من خروجي والا اخذت سيفي ورميت نفسي من الطاقة فقالت له ياقوت اذا كان ولا بد لك فعندي رأي حسن جداً به الخير والنجاح . قال وما هو قالت ان ابي وعمي ورجال المدينة كلهم هنا فمن الموافق ان نخرج من دهليز القصر وننسحب تحت الظلام الى المدينة وندخل بغتة فنلتجي نحن الى أمينا وهما تخلصانا من ابوينا فقال رستم وهل في المدينة عسكر كثير قالت كلا فان اكثر العساكر مع ابوينا فاستحسن هذا الرأي وخطر له ان يذهب اولاً الى المدينة ويقفل ابوابها واذا جاء ابو قمر شاه وابو ياقوت شاه طردهما عنها الا اذا قبلا بتزويجه من بنتيهما وحينئذٍ وافق على رأي ياقوت شاه واعتمدوا عليه جميعاً وعند اسوداد الليل انسحبوا الى المدينة وجاوزوا ابوابها ودخلوها واتت قمر شاه وابنة عمها أميهما واخبرتاهما بما كان من امرهما مع رستم ابن الامير حمزة البهلوان وانهما تزوجتا به وانسرتا منه كثيراً ولما كان من طبع الامهات ان يسررن لبناتهنَّ ويفرحن لفرحهن لم تتكدرا من ذلك وكل واحدة وعدت بنتها بمراضاة ابيها عند عودته ولا سيما عند ما رأوا رستم فرتم بديعاً في الصورة واللطافة واما رستم فانه في الصباح تقلد سلاحه ودخل ديوان حاكم خوارزم واشهر حسامه وصاح في من هناك ويلكم انا الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة العربان قاهر الانس والجان وقاتل داهور الهندي القرنان وقد ملكت هذا بنفسي فمن منكم اطاع عفوت عنه ومن عصى اهلكته . فصاح الجميع بالامان الامان لما سمعوا بذكر حمزة البهلوان وقالوا

انبا كلنا عبيد للعرب جلس على تخت المدينة ونشر خبر تسلطه عليها في كل النواحي وهابه الجميع واخلصوا له الود وانقادوا لامره فامر ان تقفل الابواب وتقام عليها الحراس واذا جاء حاكم خوارزم واخوه والعساكر الذين معهم يمنعونهم عن الدخول ويعلمونهم بان رستم اصبح الحاكم على البلاد

فهذا ما كان منه واما ما كان من امر حاكم خوارزم فانه لا زال مع قومه يعالجون كسر باب القصر حتى فتح ودخلوا وفتشوا فيه ولم يروا احداً وعرفوا انهم هربوا منه فنزلوا واذ ذاك وصل اليهم الخبر بان رستم سار الى المدينة وملكها مع نسائه فكروا راجعين ومعهم العساكر ولما وصلوا من الابواب وجدوها مقفلة فسألوا الحراس فتحها فأبوا وقالوا لا نقدر على ذلك واذا فتحنا الابواب اهلكنا الامير رستم لانه اصبح الحاكم على المدينة وطاعه الكبير والصغير وقد خلعوا طاعتكم واوصانا ان لا نفتح لكم الا اذا كنتم تقسمون له الايمان العظيم بانكم تقبلون به زوجاً لبناتكم وتنفون الغيظ من قلوبكم . فلما سمع حاكم المدينة خاف كل الخوف وتشاور مع اخيه ورجاله واعتمدوا على التسليم وقال له احد اعيانه اننا اذا عملنا على العناد ادركنا العرب مع الامير حمزة واهلكونا عن آخرنا ومن الرأي الحسن ان نتفق مع رستم وننقاد اليه ونتخذه سنداً لنا وعوناً واي سند ترجونه لكم اعظم من هذا السند واي زوج يكون اعظم من رستم وافضل وهو ابن الامير حمزة العرب فارس فرسان هذا الزمان وقاهر كسرى انوشروان وامه بنت الملك قيصر ملك الطوائف النصرانية والامة المسيحية . فرأوا ذلك من الصواب وتقدموا من الابواب وقالوا للحراس اذهبوا الى صهرنا واخبروه باننا عبيد له ونرغب فيه من كل خاطرنا فاذا قبل دخلنا المدينة واقمنا بين يديه واذا ابى رحلنا عنه ولا نشهر في وجهه حساماً بل نبقى راضين عنه واننا كنا في جهل ووعينا الى انفسنا فسار اولئك الحراس الى ان جاؤوا الديوان واخبروا رستم بما كان من امر حاكم خوارزم وقومه فقال لهم افتحوا الابواب فاني سائر على الركم الى ملاقاتهم ونهض في الحال وسار وبين يديه رجال

الديوان والعظماء والاعيان ولما وصلوا من الابواب كانت قد فتحت فالتقوا ببعضهم البعض وتصالحوا واعتذروا اليه ورضوا منه وفرحوا به وقد رأوه بطلاً من الأبطال وسيداً كريماً باهر المنظر حلو الخصائل . ومن بعد ذلك رجع الجميع الى دار الاحكام وقامت الافراح والولائم وجددوا عرس الأمير رستم على زوجتيه قمر شاه وياقوت شاه وعقدوا له عليهما وصار بفرح زائد وحظ عظيم مدة ايام يصرف اكثر اوقاته في قصره مع زوجتيه والباقي في الصيد والقنص وقد ركن الى اهل المدينة كل الركون لانهم كانوا قد امنوا بالله تعالى وتركوا عبادة النار . ففي ذات يوم خرج حسب عادته الى الصيد فصرف اكثر النهار ورجع بعد ان اصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان والارانب والنمورة وفي اثناء عودته مر من ناحية دار الحكومة فرأى خيلاً غريبة مربوطة عند الابواب فدخل الديوان ونظر من هناك فوجد رجلاً عظيم جالساً في الديوان وهو يتفاخر ويتعاظم ويتهدد من هناك ولا احد منهم يقدر ان يجيب بكلمة وهم اذلاء بين يديه وسمعه يقول لهم حيث قد تركتم عبادة النار ودخلتم في غير دين فلا بد من ارجاعكم واذلالكم فادفعوا الجزية وارجعوا الى ما كنتم عليه فاغتاظ الامير رستم من هذا الامير واستل سيفه وضربه فالقاه قتيلاً وامر سيار العيار ان يسحبه الى الخارج ويلقيه الى الكلاب ولما رأى عماه هذا الامر خافا واضطربا وقالا له ما كان لازم ان تعجل في ذلك وترمينا بالويل والخراب وتجلب لنا الهم والعذاب . فقال لهم واي عذاب تخافون وانا حاميكم ومن يكون هذا الرجل الذي تخافونه فلو كان كسرى انوشروان او ابي الامير حمزة البهلوان لما طاعتني النفس ان اصبر عليه بعد ان سمعته يهينكما . فقال له عمه ان هذا وزير الملك هندام صاحب بلاد الجزر فقد وصل اليه الخبر بتركنا دين النار فغاظه ذلك وارسله الينا لنكون في طاعته وتحت امره ويخلصنا منك والا فانه يهدم بلادنا من اساسها ويقلع منا الاثار الى آخر الادهار وحيث قد قتلت هذا الوزير واصليت نار غضب سيده فلا بد من ركوبه علينا واننا نرى ان من الموافق ان نجمع اموالنا ونساءنا ونسير في الحال الى معسكر

العرب وننضم الى ابيك وقومك قبل ان يدركنا ويلقينا بالمصائب والبلاء . فقال لهم لا يمكن ان اذهب الى ابي هرباً من الملك هندام ولا بد من ان اذهب اليه بثلثمائة فارس واخرب بلاده واهلك قومه واريكم ما افعل به فابقوا انتم في المدينة الى ان اعود اليكم . فقالوا انك لا تقدر ان تثبت وحدك امام جيوشه لانه كثير الارهاط والاعوان . قال اني اعرف نفسي ولا بد لي من ذلك . ثم انه قال لخدم الوزير سيروا الى سيدكم هندام وقولوا له ان هذه البلاد في قبضة العرب وتحت طاعتهم وسلطانهم واني انا الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة البهلوان مطيع الانس والجان . قد قتلت وزيره وسأسير اليه لاقتله واعدمه الحياة

وبعد ان سار الخدم انتخب رستم ثلثمائة فارس من اشد فرسان خوارزم وسار يقطع بهم القفار قاصداً بلاد الجزر ووصل العبيد الى الملك واخبروه بما سمعوا ورأوا ونعوا الوزير بين يديه فغضب من ذلك غضباً عظيماً واقسم بالنار والنور انه لا بد ان يبيد العرب عن آخرهم ويأخذ بثار وزيره ويهدم مدينة خوارزم وتلك الارض ولا يترك منها لا ديار ولا نافخ نار وكان لهذا الملك بنت اسمها حسانة بديعة الحسن والجمال ذات قدٍّ واعتدال وخصر رشيق وخد ناعم يندر وجود مثلها في زمانها وهي تدعي بنفسها انها افرس فارس وابسل من ركب الجواد ونقل الحسام فتقدمت من ابيها وقالت له لا ينبغي ان تغضب وتتكدر من عمل بدوي تجاسر لقلة عقله على اخراق هيبتك ولا يلزم الامر ان تزعج نفسك بالمسير الى قتاله لا انت ولا رجالك بل اسير انا واقتل لك الامير رستم واخرب بلاد خوارزم فيعرفون عظم سطوتك ونفوذ شأنك قال اني اخاف عليك من الامير رستم لانه فارس عظيم وقد وصل اليَّ صيته بانه قهر كسرى وقتل داهور الهندي فقالت لا تخف عليَّ فلو لم اقدر على ذلك لما طلبت اليك الاذن بــه فاني اعرف مقدرتي واؤكد ان لا فارس في هــذا الزمان يقدر على الثبات امامي في ساحة القتال . فقال اليك ما تريدين واذا رأيت من نفسك العجز والتقصير فارسلي اليَّ بالخبر في الحال لاسير اليك بالعساكر والابطال

ثم ان حسانة جمعت البنات وكان لهـا جيشاً منهن وفرقت عليهن السلاح وركبت بهن تقصد ملاقاة الامير رستم فسارت النهار بطوله الى المساء وفي المساء نزلت وضربت الخيام ونامت في تلك الارض الى الصباح فعولت على الركوب واذا بالامير رستم قد وصل الى تلك الناحية وشاهد حسانة وجيشها وقد ظنهن من الرجال فارسل سياراً يسأل عن امرهم فقالت له اننا فرسان الملك هندام وقد ارسلنا الى قتال الامير رستم لنعدمه الحياة وننزل بـه الهلاك والهوان . قال لها هوذا رستم وقد وصل وسوف ترون منه حرباً شديدة وتشاهدون الموت عياناً . فعاد سيار واخبر مولاه بانهم فرسان الملك هندام سائرين اليه فركب في الحال وقصد ساحة القتال ومن خلفه من صحبه من الرجال وركبت الاميرة حسانة وبناتها ولما التقيا تنافرا بالكلام وتجادلا بالتعنيف والملام ثم هجما هجمات اسود الاجام وتصادما واي صدام والتحما واي التحام واكثرا من الاخذ والرد والقرب والبعد والطعن بالرماح والضرب بالصفاح مقدار ثلاث ساعات من الزمان وحينئذ نظرت حسانة الى نفسها بانها مغلوبة لا محالة وذلت بين يدي الامير رستم لانها لم تكن من رجاله ولا هي من ابطاله وخافت على نفسها كل الخوف ولذلك صاحت تمهل يا فارس الزمان ولا تعجل عليَّ بالهلاك لاني متضايقة غاية الضيق واحب ان اتنسم الهواء واريك نفسي من انا فكف عنها القتال ورجع قليلاً الى الوراء وقال اني انصف خصمي بالحرب ولا اضايق عليه ولا احب الاسراف فافعل ما انت فاعل وها اني امهلك وقتاً من الزمان فاذا رغبت في السلامة سلم نفسك اليَّ فاكرمك واحسن معاملتك ومن ثم اعيدك الى وطنك عزيزًا واذا بقيت مصرًّا على العناد كان جزاؤك الاعدام . فلم تجب حسانة بشيء الا انها اظهرت الضجر من التعب والحر فنزعت عن رأسها الخوذة وارخت شعرها على اكتافها وازاحت لثامها وبان وجهها البديع الجميل الذي يخجل كل بدر منير واخذت في ان تفك ازرارها عن صدرها وتتنشق نسيم الهواء البارد

ولما نظر الامير رستم اليها وتأكد انها من البنات ربات الخدور كاد يغيب

صوابه ويضيع رشده ويقع الى الارض من شدة الحياء والخجل وعند ما شاهد بدر محياها مشرقاً بتلك الانوار الساطعة زاد به الوسواس والخبل اي الخبال وبقي صامتاً ناظراً اليها متأملاً في حسنها ومعانيها وقد القى بطرف رمحه الى الارض واسند رأسه على الطرف الآخر وبقي متأملاً وهي تشاهد منه ذلك وتؤمل الفوز والنجاح . ولما رأى بياض صدرها بعد ان فكت ازرارها وابرزت نهودها زادت به الحال وغاب عن صوابه لانه رأى حسناً لم يرَ مثله قط لا في العرب ولا في العجم وارتخت منه المفاصل وحينئذ استغنمت تلك الفرصة وتناولت رمحاً باسرع من لمح البصر وقلبته في يدها وارسلته الى صدره فالقته طريحاً الى الارض ونزلت اليه وشدت اكتافه واوثقته بالحبال وقادته كالبعير ولم يعِ على نفسه الا وهو بين يديها تقوده وراءها وقد اعادت لباسها كما كان وسترت نفسها تحت ملابس الفرسان . وحينئذ جعل يعض على يديه ندماً وقد تكدر مزيد الكدر وكاد يقتل نفسه من الحنق كيف ان بنتاً من بنات الاعداء تأسره وكانت حسانة قد اشارت الى جماعتها البنات ان يهجمن على قوم الامير رستم ففعلن وفي اقل من ساعة هربوا متكدرين مما اصاب الامير وحينئذ اخذت الامير ورجعت الى المدينة الى ابيها مفتخرة بنفسها تباهي على ابناء جنسها ولا زالت في مسيرها الى ان وصلت الى المدينة وارسلت فاخبرت ابيها بانها قد انهت العمل وجاءته بعدوه الذي قتل الوزير ففرح مزيد الفرح وتعجب من شجاعتها وبسالتها واقدامها ولما وصلت اليه قبلت يديه فقبلها بين عينيها ومدح من شجاعتها واجتمع اليها اعيان المدينة وسلموا عليها وهنأوها بالنصر وما منهم الا من تعجب من عملها كيف قدرت على اسر رستم فرتم ابن الامير حمزة البلوان

ولما استقرت في الديوان قدمت رستم الى ابيها وقالت له خذ هذا عدوك واقتله في الحال وانزل به النكال ولا تبق عليه ساعة ولا بد لي من ان اسير الى ابيه فافعل به وبفرسانه كما فعلت بهذا وافرج عن كسرى ثقل الحرب التي اتصلت شرارتها من الشرق الى الغرب فاصابت البعيد والقريب . فقال لها حباً وكرامة

سأقتله في هذا النهار واريح الدنيا من شره واخذ بثار وزيري في الحال ثم قدم رستم وجعل يلومه ويعنفه وهو لا يبدي كلمة ولا يظهر حركة بل كان لا يعي من شدة الغيظ كيف غدرت به تلك الخبيثة المحتالة وانفذت فيه سهام غرامها فذهب اسير اللواحظ لا اسير القتال

قال وكان عند الملك هندام وزير ممن قد حنكته الليالي والايام خبيراً باحوال الزمان يعرف تقلباته ويدرك معنى الاحوال وقد رأى من حالة رستم وغيظه وكدره فثبت عنده انها ما اسرته في القتال وانها احتالت عليه الى ان رمته في شراك هوها واحب ان يخلص رستم من القتل الى ان يصل الخبر الى ابيه لانه كان يعبد الله العزيز الجبار وينكر عبادة النار ولذلك قال لحسانة اليوم علمت كامل اهل المدينة ما لك من الفضل والشجاعة التي لم يسبقك الى مثلها فارس صنديد وبطل مجيد كيف لا وقد قهرت الامير رستم فرتم ابن الامير حمزة العرب الذي قتل داهور الهندي وارعب جيش كسرى وطار صيته وصيت ابيه ملأ الآفاق غير اني لا اريد ان تعجلي في قتله بل ارغب ان ترسلي بهذه الاخبار الى كل العمال واعيان البلاد وتدعيهم الى الحضور والفرجة على مصرع اسيرك فيزيد بذلك قدرك ويرتفع شأنك ويعرف البعيد والقريب انك اخذت بثار وزير دولة ابيك وايضاً من الواجب ان ترسلي خبراً الى الملك الاكبر كسرى انوشروان واعلميه بواقعة الحال فيغمرك بالعطايا والانعام ويزيد في ملك ابيك ويدعوك اليه. فاي فخر لك اعظم من هذا الفخر الذي لم ينله قط احد سواك . فلما سمعت كلام الوزير هب في رأسها خمر العظمة والفخار ورأت ان كلامه عين الاصابة . فقالت لا بد لي من انفاذ ما اشرت اليه ولا اقتل رستم ما لم تجتمع روساء الطوائف وحكام الاقضية والبلدان فيرونه اسيراً بين يدي ومن ثم اقتله بيدي واشفي غليل ابي من قتله فاستحسن ابوها ذلك وقال افعلي ما ترغبين واكتبي الى كسرى وبشريه بذلك وادعي كل عمالنا لان بذلك رفعة مقامنا وبه ايضاً تزيد هيبتنا في قلوب الجميع فيخافنا البعيد والقريب . واما الوزير فانه سقط عن قلبه الهم

والكدر وتأمل خلاصه من اقرب طريق . هذا ورستم لا يعي على احد لكنه ادرك ان خلاصه كان بواسطة الوزير فاخذه الى السجن حقيراً اسيراً مهاناً وقد صبر على نفسه وامل الخلاص باقرب وقت ومع كل ذلك فانه كان لا يزال يتصور محاسن حسانة ويميل قلبه اليها ويعجب من جمالها الباهر ويتمناها لنفسه لانه كان كابيه في بداية حياته يميل الى مغازلة النساء ويسلم بنفسه الى اهوائها ويؤخذ بتفاعيل الجمال . ولما انفرد بذاته جعل يفكر بما وقع عليه وقــد وعي الى ذاته واخذ يتأمل فيما كان من امره مع حسانة وهو تارة يعض اصابعه كيداً وغيظاً من تسليم نفسه الى غرامه ويفكر انه لو كان اسرها لسهل عليه جداً الاستيلاء عليها والتزوج بها وطوراً يشرد به هواه الى ان يتصور معنى حسنها وما رأى منها من استهلال جبينها الوضاح وكيف قد كشفت له عن ذاك الصدر اليقق وذينك النهدين البارزين الى ان القيا به الى السجن والاسر واذلاه واي اذلال . فكان الحب يتغلب عليه والجمال يشغل افكاره ويؤمل ان تأتي العرب فتخلصه ومن ثم يعود الى حسانة فيأخذها زوجة بالرغم عنها ويذلها ويملك زمامها وتصبح في اسره الى طول حياتها

قال فهذا ما كان من رستم و ' لك هندام وابنته واما ما كان من الرجال الذين هربوا من وجه حسانه بقيوا مجدين في مسيرهم وامامهم سيار العيار حتى جاءوا خوارزم ودخلوا على حاكمها واخبروه بما وقع على الامير رستم فطار صوابه فاجتمع باخيه ورجال قومه وتشاوروا في ماذا يفعلون واخيراً قرَّ رأيهم ان يسيروا الى الامير حمزة ويطلعونه على ما جرى على ابنه لكي يسرع الى خلاصــه وفي الحال ركبوا خيولهم وساروا مجدين الى جهة المدائن حيث يعلمون ان العرب نازلين هناك وما بعدوا عن المدينة الا القليل حتى التقوا بعمر العيار لانه كان يفتش على الامير رستم ويستقصي اخباره من كل الجهات وذلك لان الامير حمزة كان قد اعتراه الحزن لغيابه وضاق صدره وهو لا يعلم في اي جهة سار وخاف ان يكون كسرى قــد احتال عليه والقاه في حفرة الهلاك دون ان يعلم به احد ومثله كان

جميع العرب وفرسانهم لان ما من واحد منهم الا ويحب الامير رستم محبة عظيمة فوعدهم عمر العيار بالمسير اليه واستكشاف اخباره وسار الى خارج البلد وعرف انه سار في تلك الطريق فجعل يسير فيه ويفحص عن مكان وجوده ومسيره ويؤمل انه ان كان حياً لا بد ان يراه بوقت قريب ولا زال سائرًا الى ان التقى بحاكم خوارزم وفرسانه فتقدم منهم واذا به يرى بينهم ابنه سيار فطار من الفرح ودنا منه وقال له لما هذا التقاعد والتباعد واين سيدك فجعل يبكي واخبره بانه اسير في مدينة الديوان عند الملك هندام فوبخه ولامه وقال له كيف تتقاعد عن المسير الينا والرجوع علينا . قال اننا سائرون الى الامير حمزة وهوذا حاكم خوارزم واخوه ورجاله وقد تزوج رستم ببنتين منهم . ثم اعاد عليه القصة من اولها الى اخرها فتقدم عمر وسلم عليهم وسلموا عليه واخبروه انهم ذاهبون الى العرب ليطلعوا الامير حمزة على خبر ابنه ليسعى في خلاصه قبل ان يلحق به ضرر . فقال لا باس ارجعوا انتم الى المدينة وبعد قليل من الايام تكون عندكم سائر فرسان العرب ولا بد لنا من قتل الملك هندام وخراب بلاده الى حد اساساتها ليعرف كيف يخاصم العرب ويجسر على اسر سيد عظيم منهم . ثم ودعهم وكرّ راجعاً كأنه السهم اذا انطلق حتى وصل الى المدائن ودخل على اخيه وهو في صيوان اليون شاه واخبره بامر ابنه وانه اسير في مدينة الديوان عند الملك هندام صاحب اراضي الجزر وشرح له القصة بتمامها

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابه وغاب هداه وصاح من ملء رأسه هلموا ايها الفرسان واتركوا هذه الاراضي واسرعوا الى خلاص ابني قبل ان يقع به الضرر او يقتله الاعداء وما اتم كلامه حتى اسرع كل واحد الى جواده ولم يقبل احد منهم ان يتأخر الى الغد وباقل من ساعة ركبوا باجمعهم ورفعوا احمالهم وتركوا تلك الارض واقلعوا عنها مسرعين في طريق خوارزم كانهم الجراد المنتشر وفي ايام قليلة وصلوا اليها فخرج اهلها الى ملتقاهم وترحبوا بهم وسلموا عليهم وجاءت زوجتا رستم وقبلتا يديه وبكتا على بعد زوجيهما فطيب بخاطرهما

ووعدهما بخلاصه باقرب آن ومن ثم رحل من ذاك المكان يقصد الملك هندام ومن خلفه الفرسان والابطال وفي وسطهم السلطان قباط وفوق رأسه علم بيشكاو الاشتهار وبين يديه الحراس والخدم

قال ولما رحل العرب عن المدائن تعجب الاعجام وارتابوا من هذا الامر واخبروا به ملكهم فقال لا بد من سبب لذلك قال بختك اذا شئت ارسلنا خلفهم من يفحص لنا عن احوالهم ويأتينا باخبارهم . قال دعهم يرحلون ولا تتعرض لهم ولا تفعل شيئاً تلقينا به بالويل والخراب . فاذا رحلوا ولم يرجعوا كان احسن وهذا الذي اريده ولا اريد ان اسمعك بعد الان تذكر لي حديثهم

فسكت بختك في الحال لكنه في ثاني الايام بعث في استقصاء اخبارهم وارسل بالرسل والمكاتيب الى كل الجهات يستدعي العساكر ويجمع الابطال وفي نيته ان لا يرجع عن العرب حتى يبيدهم عن آخرهم واخذ يفكر في الطرق التي تبيدهم وتقرضهم عن آخرهم . وسنرجع الى ما صار من العجم في غير هذا المقام



انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث